دراسات توراتية

حنا حنا

دار رام
للطباعة والنشر والتوزيع

سفر حزقيال

4 . ونارمتواصلة وحولها لمعان ومن وسطها
منظر النحاس اللامع من وسط النار.
5 . ومن وسطها شبه اربع حيوانات.
10. اما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه
أسد ووجه ثور ووجه نسر.
28 . كمنظر القوس التي في السحاب يوم
مطر هكذا منظر اللمعان من حوله هذا
منظر شبه مجد الرب.

الإصحاح الأول.



دراسات توراتية

حنّا حنّا

دراسات توراتية



دار رام

• دراسات توراتية

• تأليف: حنا حنا

• الطبعة الثانية: سنة 2006

• عدد النسخ 1000 نسخة

• تمت الطباعة في:

دار رام

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - يرموك ص ب: 29120

هاتف: 6372665 11 00963

• الإخراج الفني والغلاف: مناف نفاع

الدين حق إن لم تسفك دماً
الدين أن لا يكون للحرية قيداً

سوف يعلم الجاهل يوماً
إن القيد أسماه مجداً

سوف يدري الظالم حتماً
كيف كان للإرهاب عبداً

إن هذا هو ديني فإتبعوني
أو دعوني فقد أوفيت عهداً

حنا حنا

يـــارب جــوهـر علـــم لــو أبــوح بــه

لقيــــــل لي أنـــــت ممــــــن يعبــــد الوثنـــــا

ولا ســـــتحل رجــــال مـــسلمون دمـــي

يــــــرون أقـــــبح مـــــا يأتونــــــه حـــــسنا

ابن عربي
الفتوحات المكية ص 32ج 1

للإنسان حرية التفكير

ولا رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير

حافظ الأسد

اعلم يقيناً بأنه إذا لم تقرأ ما يخالف رأيك لم تتعلم شيئاً مما أنت بحاجة إليه.

عزيزي القارئ اطمئن إن هذا الكتاب ليس سم يتلف العقول، ولا قنبلة تنفجر في يد متناولة.

لا ليس ذاك الملوث ولا هذا القاتل، بل إن أردت فهو ذلك الكرم الذي فيه الحصرم الذي يضرس والعنب الذي ينعش، نعم إنه الكرم الذي فيه ما يضرس وفيه ما ينعش فاختر ما يحلو لك. هذه الكلمة أرجو أن تكون بمثابة ناقوس يدق للذكرى كلما إصطدمت بها لا تستسيغ، واقرأ باسم ربك وأي كان ربك قلبك كان أم عقلك ففيه تجد حكمة التوراة:

وعلى عقلك فلا تعتمد بل على قلبك.

أمثال 3: 5

وفيه أيضاً تجد تحدي الإنجيل وهو يقول:

فتشوا الكتب لأنكم تظنون إن لكم فيها حيوة وهي التي تشهد لي.

يوحنا 5: 39

تلك ما تقوله التوراة وهذا ما يقوله الإنجيل، أما هذا الكتاب فهو يفتش بين تلك الصفحات مترجماً هذا ومفسراً ذاك. إنه مجرد رأي والخلاف في الرأي يا عزيزي القارئ لا يفسد الود وإنما تفسده الحماقة والتعنت، لأن من اختلاف الآراء وتصادمها تبرق الحقائق كما يقال وفي التزمت بئس المصير وكلي أمل أن يلقى هذا الكتاب أو بعضه حسن القبول والرضا منك وإني قاصد خير ولا شاهد لي إلا

شرفي وضميري، فهذا الكتاب هو محاولة ربما قد تكون عاجزة لتفتيت أوهـام ورم سرطاني وتحجر عشعش في الدماغ، وتملك حتى النخاع وأصبح المكـون الأكـبر في كيان البعض. إنه محاولة

تفنيد أوهام أصابت عقول كمن أصابه مس من الجن والخرافة فكانت وبالاً دفعت البشرية ثمنها باهظاً ولا زالت تدفع وحتى إشـعار آخـر. قـد تكـون هـذه المحاولة فاشلة وهذا ما لا أرجوه لأن استئصال التطرف والتزمت من العقول لهو أصعب من استئصال ورم عضوي خبيث وقد يكون هـذا الكتـاب بمثابـة القـشة التي قصمت ظهر البعير لدى البعض وهذا كل ما أرجوه لإن الكثير أثقـل كاهلـه من الخرافات وسئم من الخـزعبلات إلى درجـة الأحتقـان المنـذر بالأنفجـار فـإذا استطعت أن أسقط بقعة ضوء في زاوية معتمة فهذا جلّ ما أنشد وإن عجزت فقـد غنيت أغنيتي لنفسي وانا بوادي والعالم يطبل ويزمر بوادي، ثـم إذا فهـم الـبعض، من بعض صفحات هذا الكتاب أني أسيء إلى البعض ولاسـيما الأكثـر تطرفـاً مـن اليهود، فأظن أن هذا الفهم جانب القصد وذهب بعيـداً عـن الحقيقـة وجـاء عـلى عكس ما رسمت لـه مـن غايـة هـذا الكتـاب لهـذا أرجـو أن لا يؤخـذ بـسطحية الكلمات وإنما بمقاصدها الإنسانية البعيدة وفهمكم كافي.

الإهداء

أحبوا أعدائكم وباركوا لاعنيكم. [مت 5: 44]

أحب أولئك السفاحين الدمويين الصناديد أعدائي.

أسجد مقدساً لتلك المسامير التي سمر بها من قال: اللهم اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون.

أبارك مهنئاً لأولئك الشرفاء الأبطال الذين انتهكوا حرمة البتولية واغتصبوا العذارى ليشفوا غليل حقدهم العنصري وكبتهم الجنسي أثناء الغزوات الدينية.

بكل فخر أمجد تلك المطاوي التي غرزها أولئك الجزارين في بطون الحوامل لتستأصل منهن الأجنة مقامرين وبكل دم بارد أذكر هو أم أنثى، أيشبه أمه أم يشبه أبيه.

أقبل إيقاراً واحتراماً تلك الأيادي المباركة التي اقتلعت الرضع من صدور أمهاتهم ممسكة برجليهم لتخبط رأسهم في الحائط كالعجين فيسقطوا أمام عيون أمهاتهم جثثاً هامدة فتنفجر أمهاتهم قهراً فيموتون وأمهاتهم و*على الدنيا السلام وفي الناس المسرة*.

أقف مشدوهاً لذلك العقل المذهل الذي تفتقّ بمنطق أخلاقي وعبقرية كأنها وحي هابط من السماء حين قال بكل فخر: علينا أن نبيدهم جميعاً إلا واحد نضعه في متحف أو في محمية حيوانية ليأخذ العبرة منه كل من لا يعتبر.

أهنئ شاكراً سعي أولئك المبادرين في جر جماعات وجماعات خارج المدن والقرى ليذبحوهم كالخراف فتحتضنهم أمهم الأرض في مقابر جماعية لتلتهمهم فوهات الضياع والنسيان وإلى الأبد. فـــ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون.

مت 5: 9

طوبى وألف طوبى طوبى لأمريكا ربة الحرية والعدل من خلال يهودية كوهين وزير حربها ومادلين أولبرايت وزيرة خارجيتها، طوبى لكم لأنكم مزقتم أطفال بابل باليورانيوم إنها مشيئة الرب لأنه هكذا قال يهوه:

يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة.

مزمور 137: 9

أكره كل نسمة حية كانت فيهم طفلاً ورضيعاً، عجوزاً وكهلاً، رجلاً وامرأة لأنه هكذا قال الرب:

اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً، كلهم يموتون.

سفر صموئيل الأول 15: 3

أقبل تلك الأيادي القذرة وأبارك أولئك القتلة الجبناء تجنباً من طلقة أو خوفاً من طعنة يهديها إلى قلبي أحمق جبان متنكراً بقناع الطهارة وهو آثم وداعياً للباطل باسم الحق لأن أمنيتي كانت أن أهدي ثمرة آلامي ومعاناتي إلى أرواح ملايين الأطفال الذين القي بهم في لهيب النار ليموتوا حرقاً قرباناً للرب وهم لا يقوون إلا على الصراخ ألماً ولا من يسمع فصمتاً بعد الممات.

وإلى أرواح الأبرياء الودعاء الذين ذبحوا على يد آبائهم تقدمة للإله عبر آلاف السنين. وإلى أرواح الذين ماتوا غرقاً في الحمامات الدموية أثناء الحملات الدينية منذ أن خلق الدين وحتى اليوم.

إلى ضحايا الدين وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

يا ليت أنيني يوخز تلك الضمائر المهاجرة وعيها علها تعود يوماً إلى صحوتها، ولكن اليأس يقول لي لا حياة لمن تنادي والأمل يقول يا ولدي لمن تنادي، الضمير مسبّت في وادي والوحشية تنهش في وادي. لكني كما كنت أقول ولا زلت أقول وسأظل أقول:

يا ليت رجائي يوقظ تلك المشاعر الوجدانية وهي التي تدري، ولكنها تتوه بعباءة السياسة ومتاهاتها الموحشة.

وا رحمتاه   وا وجداناه   يا ليت ندائي   آه وألف آه، ألف ألـف آه

ولكن هيهات   وأسفاه وا حسرتاه ومن ثم ومع لفظ نفسي الأخـير، أطبـع قبلـة بعمق الوجدان الإنساني على كـف كـل طفـل مقهـور رمـى حجـرة في وجـه المـد السرطاني أصل كل البلايا معلـماً عبيـد العـروش وكبـار الكـروش كيـف تقتـضي الرجولة نازعاً ورقة التين التي تسترت بها الأكذوبة التوراتية في أسـطورة العـبري داوود مع الفلسطيني جليات.

تمهيـــد

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيـت　　　　فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

من خصائص مدنية الأمم والدوافع لاستمرارية خلودها ومجدها، يتجسد من خلال ما قدمت أقوامها للبشرية من نور ومدنيـة وما لها من فضائل إنسانية مشرفة لا يمكن للمدنية أن تستغني عنها، ولكن الأمم الجاهلة تبرز للوجود بحكم ظروف معينة وسرعان ما تتلاشى أخبارها بتلاشي هذه الظروف التي أوجدتها إلا آثارها السوداء فتذكرها الأجيال بكل ازدراء وبقدر غطرستها وإجرامها.

كثير من الأقوام عاشت واندثرت أخبارها وكأنها لم تكن يوماً لأنها لم تخلف تراثاً تحمد به،وكان دورها في الحياة دون أثر كمرور العصفور في الهواء، وأقواماً أخرى بنت مجدها على مزبلة من الفساد والسوء، فإن ذكرت فسوف لا تذكر إلا بما خلفت لأن كل رائحة من أصلها تفوح، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

أما الأمم الخيرة فيبقى اسمها مكتوب على صفحات التاريخ المشرف وتخلد بخلود آثارها.

لا نستطيع أن نقول بأن الحضارة الإنسانية هي ملك لأمة من الأمم أو هي محصورة بشعب من الشعوب، فالحضارة الإنسانية هي ملك المجتمع الإنساني أجمع حيث تفاعلت هذه المجتمعات الإنسانية وتعاونت إلى أن أفرزت هذه الحضارة الإنسانية الراقية التي ننعم بها اليوم. ولكن ما نستطيع أن نقوله هو بأنه كان لأمة ما قصب السبق قبل غيرها من الأمم في أن بدأت المدنية والحضارة فيها، وأن لأمة ما أو شعب ما كان لها أن ابتكرت هذا أو أبدعت ذاك.

إن من أجدر الأمم التي يحق لها التفاخر والتباهي بما قدمت للعالم من ثقافة مدنية ودينية هي أميرة الثقافة: الأمة السورية، حيث ما زال أثرها موجهاً للفكر العالمي بل هو القلب النابض لكل هذه الثقافات المعاصرة، وهنا استشهد بقول لأحد المفكرين الفرنسيين قوله:

على كل إنسان متحضر أن يعتز بأن له وطنين الوطن الذي يعيش فيه وسورية.

أندريه بارو ـ مدير متحف اللوفر سابقاً

يبدو أن هذا الكلام فيه شيء من المبالغة للوهلة الأولى إلا أن من يتقصى الحضارة المعاصرة من دينية ومدنية مبتدئاً من اليوم ومستدعياً الماضي تدريجياً حتى العصور البدائية من الحياة البشرية، يستنتج وبلا شك بأن كل ما هو معاصر إنما هو امتداد للعلوم السورية.

لسنا الآن بصدد الحديث عن فضل الأمة السورية لاستنباطها أول أبجدية ونشرها،حتى أصبحت الأساس المعتمد في أكثر أبجديات العالم أو فضلها في كل ما هو في متناول أيدينا، فإذا أردنا شيء من هذا القبيل أو لمعرفة شيء عن بدايات الأشياء يكفينا على سبيل المثال أن نرجع إلى كتاب من ألواح سومر لصموئيل كريمر من خلال قراءة فهرسه لنجد أن بذور كل العلوم والمفاهيم إنما نبتت أولاً في سورية ومنها انتشرت إلى العالم،والتوراة شاهد بين أيدينا.

لو تناولنا الأسطورة وآثارها لاستطعنا القول بأن الأسطورة تعتبر من أجمل ما أبدعه فكر الإنسان القديم ولاسيما الدينية منها لما تحمله بين طياتها من أمور مبهمة وطلاسم وألغاز، حيث كان العقل البدائي يعجز عن فهمها وتفسير وإدراك مكنوناتها وبواعث أسبابها، لذا كانت تأخذ الطابع الديني ذو السر العميق الذي لا يعلم مراده إلا الله. وهكذا أخذت الصدارة بالخلود والاستمرار مع بعض التصرف والتطور من دور إلى دور وما يتناسب الأقوام والأجيال التي تعيشها وما يوافق أحياناً سياسة محدثها ومطوّرها، فالإنسان عرف القصة أو الأسطورة منذ أن استطاع أن يعبر عن أحلامه وخياله.

الحقيقة أن لا أحد يستطيع أن يحدد بأي مكان أو بأي دور من أدوار الأرض نشأت أول الحكايات والأساطير والثقافات المنقرضة لأول مرة في هذه الدنيا الغريبة العجيبة، لأن لا أحد يستطيع أن يعطي للأرض حقها من العمر فكل التقديرات والتخمينات لعمر الأرض يأتي المستقبل لينتقدها ويتوقع لها عمر أقدم ومهما قدر عمر الأرض بملايين من السنين التي خلت ربما يكون قليل وقد يكون العالم قد تطور ملايين المرات منذ ملايين السنين ووصل إلى ما هو عليه اليوم وأكثر، وعاد ثانية إلى الصفر ليبدأ من جديد (من الأزل ولم يزل) وهنا أذكر حوار دار بين اثنين حيث سأل أحدهم للآخر قائلاً : أنت قرأت وسمعت عن حروب كثيرة وقديمة وما كان لها من العجب والمفاجآت بوقتها ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فالثانية وما حملت معها من مفاجآت وأسرار الدمار والخراب، فهل لك أن تحدثني عما تتوقعه في الحرب العالمية الثالثة لا سمح الله أن حدثت، وما ستحمله لنا من مفاجآت ومعجزات. فأجاب بكل بساطة: إن الحرب العالمية الثالثة قد لا تحمل الغريب المدهش بالنسبة لنا، ولكن ما يدهشنا ربما سيكون تصورنا للحرب العالمية الرابعة والتي ستكون الحرب الأولى بالنسبة لمعاصريها والتي ستكون الأسلحة المستعملة فيها بدائية من سيف ورمح وما شابه وربما أكثر من هذا حيث تكون فيها الأسلحة المستعملة من الحجارة والحجارة فقط، وقد تكون الأرض يوماً ما خربه وخالية إلى أن يعود عليها ملايين من السنين لتنبعث فيها الحياة من جديد.

على أية حال أن ما يهمنا دراسته اليوم ما هو معاصر من ثقافة دينية ومدنية وكيفيه تطوره وبهذا الشأن نستطيع أن نقول بأن السوريين هم أول من خلدت آثار أساطيرهم ومفاهيم علومهم حتى اليوم على ما أتت به الآثار المنتشلة من تحت الأنقاض.

فالديانة وما نسج حولها من أساطير بدأت أول ما بدأت في سورية حتى ارتفعت إلى السماء وبقيت أسسها في سورية كجنة عدن مثلاً وهذه القناعة سوف تتبلور من خلال صفحات هذا الكتاب، فعندما كان الإنسان يعجز عن فهم

وإدراك أسباب حوادث طبيعية معينة ولاسيما القاسية منها، كان هذا الإنسان يخاف تلك الظواهر الطبيعية ويتصور أن لها آلهة تسببها، لذلك خوفاً منها وإتقاءً لشرها بدأ بتعبدها وغالباً ما يكون الغامض والمجهول مخيف فعلى سبيل المثال: إذا حدث أن اصطدمت الغيوم بفعل قوة الرياح محدثة البرق والرعد، كان يذهب الإنسان في اعتقاده إلى أن هناك إله للرعد والبرق. وبظهور هذه الحوادث الطبيعية كالبرق والحريق والطوفان والقحط كان يعتقد الإنسان أن هذا سببه غضب إلهي على الإنسان الذي فسد وكثرت ذنوبه كما تحمل الكتب الدينية السماوية سبب الطوفان على عاتق الإنسان الذي فسد وامتلأ شراً.

ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وإن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض.

(التكوين 5:6)

ولأن الإنسان مفطور طبعه على التأرجح بعواطفه بين المتناقضات من موجب وسالب، حب وكره، خوف وأمان الخ، لذلك نجد كما أن للحوادث القاسية هذه من الطبيعة كان لها أثرها في خلق فكرة العقائد والأديان أيضاً، كانت هناك الحوادث غير القاسية بل الجميلة منها أيضاً كان لها أثرها في خلق فكرة الأديان في أعماق نفس وضمير الإنسان لاسيما خصوبة الطبيعة وفيض خيراتها بعد انتهاء الطوفان والبركان والبرق والرعد والصواعق وغيرها مما أرعب الإنسان.

فطبيعة الإنسان المحبة للتأمل في كل ما يدور حوله من مظاهر جمال سحر الطبيعة المزركشة بالأزهار وألوانها الجميلة وعطورها الفواحة بمختلف أنواع الروائح الذكية إلى زرقة السماء الصافية وتلألؤ نجومها الزاهية، ثم شعشعة نور القمر الذي يرسل أشعته الذهبية الممزوجة بأسرار الظلام واستمرارية شروقه وغيابه من أماكن مختلفة وبأشكال متباينة من بدر إلى هلال يزداد ويتناقص حجمه، وغير من هذه المشاهدات الشاعرية حملت الإنسان قديماً لأن يقف متأملاً بهذه المظاهر مراقباً الطبيعة وحركة أجرامها وتعاقب ليلها بنهارها ناسجاً حولها

مذاهبه الدينية وقصصها الأسطورية، وهكذا عبد أول ما عبد الطبيعة بمظاهرها من أجرام سماوية وحوادث بركانية وطوفانية وصواعق وما شابه وقال بأن هناك إله يتجسد بهذه الأشياء المحسوسة.

ومن وراء هذه الأحداث تبلورت هذه المفاهيم منذ أن بدأ ينمو في الإنسان الإحساس والتذوق للجمال وأخذ يميز بين الخير والشر. هنا بدأ يتبلور مفهوم الدين للآلهة باعتقادات بدائية بعد انفصاله عن المملكة الحيوانية وسلوكها الآلي فكانت مغامرة العقل الأولى في الفكر والإيمان.

عبادة الأصنام (الترافيم)

إلى جانب هذه الأسباب التي ذكرناها بكونها من وراء خلق الدين ونشوئه، كان هناك أيضاً سبب جداً مهم ألا وهو الأعمال الخارقة بمفهوم العامة التي قام بها البعض من المغامرين والطموحين، لذلك ذهب البعض إلى احترام أرواح الأجداد والملوك والأبطال الذين خلدتهم أعمالهم الجبارة هذه. ومع مرور الزمن تضخم هذا الاحترام إلى عبادة وتقديس فأصبحت هذه الأبطال أنصاف آلهة ومن ثم آلهات مثل جلجامش وجده اوتونابشتيم، ففي بابل كانوا قد ألّهوا الملوك والأجداد لهذه الأسباب فتجدهم يصنعون لهم تماثيل وأصنام على هيئة وشاكلة الإنسان يقدسونها ويعبدونها من خلال ممارسة طقوس وشعائر دينية خاصة حيث جرت العادة على أن يحافظ كل بيت على نماذج لهذه الأصنام مفتخرين بها، كما اعتبرت هذه الآلهة الخاصة للأسرة وكانت تسمى هذه الأصنام الترافيم،(حسب تعبير التوراة) والتي كانوا يبنون لها معبد صغير خلف البيت وتحت المعبد مدافن الموتى من أفراد العائلة كالمدافن التي نجدها في بعض الكنائس والأديرة المسيحية الخاصة بسلك الكهنوت والأكليروس. وهذه التقاليد المسيحية هي امتداد لتلك النظم والطقوس الدينية فكانت الترافيم هذه موضع الشفيعة للأسرة وهي مجلبة السعادة والخير للبيت التي فيه هذه الآلهات ولا زلنا في شرقنا نقول عن المسنين فيهم ومنهم تستمد البركة وهذا تقليد يعبر عن شعور إنساني نبيل جاء نتيجة ترسبات تلك المفاهيم.

فسرقة راحيل للترافيم من بيت أبيها كان بقصد أن تنقل الخير والبركة إلى بيتها وذلك بنقل الأصنام المباركة من بيت أبيها إلى بيت زوجها.

وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها فجس لابان كل الخباء ولم يجد. تك 34:31

ولحسن حظ أمنا الفاضلة راحيل أن أبوها لم يكشف سرقتها حين خبأتها تحت عجزها، فلو خانها حظها والخوف من والدها أصاب بولتها بالانزلاق على هذه الأصنام الترافيم، فهل كانت ستعود أمنا الفاضلة راحيل وذريتها من بعدها لعبادتهم وتقديسهم ثانية، كما تقدّس اليوم الحية والحمامة وغيرها من الأصنام؟

يذهب البعض ولا استبعد من أن كلمة الترف العربية مشتقة من كلمة التراف وجمعها الترافيم لأنها تجلب النعمة ووفره العيش والبركة للبيت التي تقيم فيه هذه الأصنام، وفي الأمور الحساسة والمهمة كانت العباد تستشير هذه الأصنام لتتنبأ لها عن المستقبل كما كانوا يستشيرونها بأي عمل يجب أن يقوموا به وأي عمل يجب أن يتجنبوه. واستشارة هذه الأصنام كان يقال لها قراءة الفال والتفاؤل، فقراءة الفال من خلال فنجان القهوة أو الكف وغير ذلك مما يمارس حتى اليوم ليس إلا امتداد لهذه الوثنيات من ترافيم وما شابه ففي سفر حزقيال 21:21ـ نجد ملك بابل يطلب مشورة هذه الأصنام حيث جاء فيه: لأن ملك بابل قد وقف على أم الطريق على رأس الطريقين ليعرف عرافة صقل السهام سأل بالترافيم..إلخ

إن عبادة الترافيم هذه لم تقتصر على البابليين وحسب بل كان للعبريين من بعدهم النصيب الأكبر في عبادتها وتقديسها ففي الآية الواردة في صموئيل الأول 13:19 تأكيد على وجود هذه الآلهة في بيت النبي داوود لعبادتها، هذا، وليس هذا وحسب، بل إن النبي صموئيل يؤكد على أن النبي داوود كان يقدم طقوس الصلاة والعبادة لهذه الأصنام وهذا يتضح مما جاء في 2صم7: 18 فدخل الملك داوود وجلس أمام الرب ليصلي إلخ، والرب الذي جلس أمامه داوود ليصلي كان عبارة عن صنم منصوب في الخيمة المعبد وكانت طقوس الصلاة هذه يمارسها الوثنيون قبل ذهابهم إلى المعارك وبعد عودتهم منتصرين وهذا ما قام به داوود قبل وبعد انتصاره على الفلسطينيين.

وسأل داوود الرب هل أصعد لمحاربة الفلسطينيين، هل تنصرني عليهم؟ فاجابه الرب: اصعد لإني أنصرك عليهم.

صموئيل الثاني 19:5

ولهذا جلس داوود في الخيمة أمام الرب (الترافيم) ليصلي ويقدّم لـه الـشكر والعرفان بالفضل.

وبالرغم من أن يعقوب (إسرائيل) كان قد أمر أهل بيته وكل من كـان معـه بأن يعزلوا هذه الآلهة الغريبـة ويتجنبـوا عبادتهـا (تـك 2:35) إلا أن الكثـير مـن العبريين أنبياء وملوك أبقوا على عبادتها ولاسيما طبقة الكهان اللاويين الذين كانوا يصنعون لها ألبسة خاصة للقيـام بـشعائر وطقـوس العبـادة وكانـت هـذه الثيـاب تسمى الافود والتي توضع عليها رموز هذه الأصـنام وهـي مـا تـسمى بـالاوريم والتميم. وكلمة تميمة العربية مأخوذة عن هذه المفاهيم وهي عبـارة عـن خـرزة أو نحوها تعلق في العنق أو على الصدر أو في أي مكـان مرئـي دفعـاً للحـسد، وجمـع كلمة التميمة تمائم أو تميم ولازال حتى اليوم كثيرين يستعملون الخرزة الزرقـاء أو أي قطعة حجرية أو بلورية بلون أزرق دفعـاً للـشر. والأوريـم والتمـيم لهـا عـدة ألوان. (انظر خروج 17:28)

إلا أن المصريين جعلوا اللـون الأزرق يـستمر دون غـيره مـن الألـوان وذلـك لأسباب تاريخية، وهي أنَ الهكسوس أصحاب العيون الزرق الذين غزوا مـصر أذاقـوا المصريين شر عذاب وهذا ما جعـل المـصريين يكرهـون اللـون الأزرق لأنـه يـذكرهم بالهكسوس. فإذا كانت الخرزة الزرقاء في موضع ما تمنـع النظـر إلى هـذا المكـان بعـين الحسد لمكروهية هذا اللون لهذا يقول المصريون عـلى كـل مكـروه: منيـل، أي ذو لـون أزرق غامق. ولهذا السبب أيضاً أبدل المصريون اسم العتبة الزرقاء بالعتبة الخضراء.

وعودة ثانية إلى الأصنام الترافيمية ولباسـها الأفوديـة وتمائمهـا وأواريمهـا لنقرأ صورة واضحة عنها في سفر القضاء.

وكان رجل اسمه ميخا مقيماً في جبل أفرايم قال هذا لأمه أن الألف والمائـة شاقل (نحو مئة واثنين وثلاثين كيلو غـرام) التـي سرقـت منـك والتـي سـمعتك تلعنين سارقها هي معي وأنا الذي أخذتها فقالت أمه: ليباركك الرب ياولدي فـرد لها الألف والمائة شاقل من الفضة فقالت أمـه سـأهب هـذا المـال باسـمك للـرب لننحت تمثالاً ونصوغ منها صنماً وها أنا أرد لك المال وأعطت أمه مئتي قطعة فـضة

للصائغ، فنحت وصاغ لها تمثالين نصبا في بيت ميخا إذ كان ميخا قد خصص موضعاً في بيته ليكون معبداً للآلهة ثم صنع أفوداً وترافيم وكرس واحداً من بنيه كاهناً له.

سفر القضاة **17:1 ـ 5**



صورة رقم (1):

كاهن لاوي مرتدياً الأفود وعلى صدره حجر الأوريم والتميم وعددها اثنا عشر

قال موسى للجماعة هذا ما أمر الرب أن يفعل فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء وجعل عليه القميص ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبة وجعل عليه الرداء ونطقه بزنار الرداء وشده به ووضع عليه الصدرة وجعل في الصدرة الأوريم

والتميم ووضع على العمامة إلى جهة وجهة صفيحة الذهب الإكليل المقدس كما أمر الرب موسى. (لاويين 8:4 ـ 9) انظر الصورة (1).

وطبعاً كانت هذه بأوامر إلهية كما لاحظنا. وانظر كذلك خروج 28 حيث كرس كل هذا الإصحاح وبالتفصيل الممل لوصف هذه الثياب (الأفود) ولكن ليس كل الأنبياء والقديسين كانوا دائماً محظوظين لتستجيب لهم هذه الأصنام وتمائمها وأواريمها، فهذا الملك شاول مع أنه مسيح الرب كما تسميه التوراة وهو بكر ملوك إسرائيل، عندما رأى جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالحلم ولا بالأوريم ولا بالأنبياء. فقال شاول لعبيده فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فاذهب إليها واسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاؤوا إلى الإمرأة ليلاً وقال لها اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت الإمرأة من أصعد لك فقال اصعدي لي صموئيل فلما رأت الإمرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت الإمرأة شاول قائلة لماذا خدعتني وأنت شاول فقال لها الملك لا تخافي فماذا رأيت فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتني باصعادك إياي فقال شاول قد ضاق بي الأمر جداً الفلسطينيين يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا اصنع (1 صم 5:28 ـ 15) نلاحظ أن هذه الطقوس الوثنية كانت أوامر إلهية إلى موسى وغيره من الأنبياء.

لكن هذا المعتر المسكين شاول وبالرغم من كونه مسيح الرب كما تدعي التوراة وبالرغم من التجائه للرب ممتثلاً بهذه الطقوس التي أمر بها الله، إلا أن هذا الرب ولغاية في نفسه أدار له قفاه في أشد ظروف محنته صعوبة"، مما اضطره إلى الالتجاء للمرأة المصاحبة الجان. وهنا سؤال صعب يطرح نفسه على الكفار بالوثن: أليس هذا النص موضحاً وضوح الشمس عقيدة الإيمان بالأصنام والتمائم والجان؟ ثم كيف يدعي التقاة الأفاضل أن هذا السفر هو من تأليف صاموئيل

النبي مع أننا لاحظنا في هذا السفر يذكر أن النبي صاموئيل مات وخلد إلى الراحة لولا أن أقلقته قليلاً تلك المرأة المصاحبة للجن حين أحضرته من قبره لنجدة شاول من الفلسطينيين؟

على أية حال إذا لم يستح مفسري الكتاب المقدس ووجدوا تبريراً مزيفاً لهذا النص، فهل سيجدوا تطهيراً للنص التالي:

فلنقرأ قليلاً مما جاء في حديث النبي الديوث هوشع بالإصحاح الثالث وهو تعبير مشرف جداً يوضح بأن اليهود فقدوا دينهم وعبادتهم لأنهم بقوا بلا هذه الأصنام، لذلك أمره الرب بأن يتخذ له زوجة قحبة نعم زوجة قحبة وهو نبي مقدس طبعاً، لا لسبب إلا لأن بني اسرائيل بقوا بلا هذه الأصنام التي كانوا يقدمون لها الذبائح ونحن نعلم أن كهنة يهوه كربّهم يحبون رائحة اللحم المشوي، لذلك نقرأ شيئاً من سفر هوشع النبي المقدس الإصحاح الثالث الذي أراد أن يبلغنا في أول رسالته أن الله يحب إسرائيل كما الزناة يحبون الزواني، هذا كلام غريب ومقرف ولكن هكذا تكلمت التوراة، وأنا بريء من هذا كبراءة الذئب من دم يعقوب:

1-وقال الرب لي اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل 2- فاشتريتها لنفسي بخمسة عشر شاقل فضة 3- وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل آخر وأنا كذلك لك 4 - لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم.

سفر هوشع 3

نعم يا سيدي لأن إسرائيل سيقعدون بلا تماثيل وذبائح وثنية سيتخذ هذا النبي المقدّس زوجة قحبة، قد يبدو هذا السلوك من النبي المقدس غريب بعض الشيء وغير مفهوم لمن يجهل حقيقة تاريخ أنبياء ياهو، وقد توحي الحيرة بالسؤال: كيف لنبي وكاهن ينشئ ويربي الجيل أن يشذّ هذا الشذوذ الأخلاقي؟

أريد أن أشير هنا إلى ظاهرة كان قد تطبع بها كهنة العبريين وهي التوكل على تلك الذبائح والعطايا التي كانت تقدم للأصنام كمصدر لقوتهم وعيشهم وهذا عودهم على الكسل والاتكالية.

وعند اختفاء تلك التقدمات مع اختفاء تلك الأصنام والكسل كان قد اقترن بهم بعقد مقدس لهذا اشتروا زواني للتقويد عليها والترزق منها كما النبي هوشع الذي أوحى له الله بأن يتزوج من قحبة (عاهرة) ومن لا مال له لشراء هذه الزانية كان يقايض ابنه أو ابنته بزانية لهذه الغاية، ولاسيما أنهم كانوا قد أدمنوا السكر وهذا ما استقبحه النبي يوئيل بقوله: وألقوا قرعة على شعبي وأعطوا الصبي بزانية وباعوا الطفلة بخمر ليشربوا.

يوئيل 3:3

هذا وبالرغم من أن الشريعة حذرت زواج الكهنة من تلك العاهرات لكثرة تفشي هذه الظاهرة بالسبط اللاوي بشكل صارخ، لهذا أنزلت الآية التي تحدد الشريعة التي تمنع الكاهن أو النبي من الزواج من الزانيات:

الكهنة امرأة زانية أو مدنسة لا يأخذوا ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها لأنه مقدس لإلهه.

لاويين 7:21

ـ ومن جمع المال من تلك الديوثية اشترى له تماثيل وأصنام وكانت الكهنة تتنافس وتتباهى لاقتناء أفضل تلك التماثيل لأن بقدر جودة وجمال التمثال كان مورداً لرزق أفضل. إلا أن النبي ميخا فضح أولئك الكهنة الذين اشتروا الأصنام بنقود التعريص فاستنكر سفالتهم بقوله عن كهنة إسرائيل وأنبيائها: وجميع تماثيلها المنحوتة تحطم وكل أعقارها تحرق بالنار وجميع أصنامها أجعلها خراباً لأنها من عقر الزانية جمعتها ـ سفر ميخا 1: 7

إن من أهم رواسب ومخلفات الترافيم ومفاهيمها أنها رسخت الاعتقاد عند الوثنيين بأن الآلهة أو الإله له شكل إنسان، لذلك قالت الأساطير الوثنية على لسان الآلهة:

وخلقنا الإنسان على شكلنا ومثالنا. إلى أن استمر هذا المفهوم في المذاهب السماوية، أما في الأسطورة السومرية وهي ربما أول أسطورة تصور الإنسان على صورة الآلهة قام بصنع الإنسان أكثر من إله لذلك قالت الآلهة:

وخلقنا الإنسان على شكلنا ومثالنا. أي بصفة الجمع وكذلك في التكوين التوراتي جاء:

وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.

تك 26:1

أما في تك 7:2 ـ وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حيوة فصار آدم نفساً حية. أي أن الله جبل دم وتراب من الأرض ونفخ فيه فصار إنساناً حياً .

وفي أسطورة التكوين البابلي وفي اللوح السادس نقرأ بأن الإنسان خلق من دم الإله كنغو واللوح السادس هذا يقابل اليوم السادس في التكوين التوراتي حيث خلق الله الإنسان واستراح في اليوم السابع أما شكل الله الذي جاء الإنسان مشابهاً لجلالته فهو شبه شكلي (كهيئة) ونفسي (كأخلاق)، أما بالنسبة للشكل الجسدي(الهيئة) فحدِّث ولا حرج والأمثلة لا تحصى والصفحات لا تتسع لذلك سنعفي قارئي العزيز من هذا الملل، ولكننا سنأتي على بعضها عند الضرورة أما عن الشبه النفسي فالله يحب ويكره ويحزن[1] ويفرح يندم[2] ويغضب ينسى ويتذكر[3] ينام ويستيقظ بل أكثر من هذا إذ يشرب الخمر ويسكر ويعيط وكثير من الواوات المدهشات:

فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر. مزمور **65:78**

نعم استيقظ الرب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأخذ يصرخ ويولول، طبعاً لهذا العجوز عذره إنه الخمر الذي شوش اتزانه مما جعله يعيط.

---

1 ـ تك **6:6**

2 ـ خروج **24:2**

3 ـ مزمور **45:106**

مع تطور العقل اللاهوتي إن صحَّ التعبير تحول تصوره إلى الإيمان بقدرات إلهية سماوية روحية منزهة عن المادة، فجاء العهد الجديد ليبشرنا بأن رؤية الله غير ممكنة حسب انجيل يوحنا 18:1 (الله لم ير أحد قط)

وكذلك تيموثاوس الأولى 16:6

هذا ما أقر به العهد الجديد مع أن رؤية الله في العهد القديم كانت ممكنة كما نلاحظ من آيات لا تحصى وان تتناقض مع غيرها من الآيات، والتناقض لا يخلو من العهدين. نقرأ في سفر الخروج:

ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء. **سفر الخروج 11:19.**

وكذلك نقرأ في سفر الخروج 9:24 -:

ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وأكلوا وشربوا. نعم موسى وجماعته أكلوا وشربوا مع الله ولكن لا أعلم هل الله كان صاحب الوليمة أم موسى وجماعته كانوا أصحاب الوليمة؟ على أية حال فلا فرق إن كان الله هو المضيف أو الضيف، لأنه إذا أقيمت هذه المأدبة على شرف الله أو شرف شعبه المختار فلا فرق، لأن بين الله وشعب الله قاسم مشترك وهو القداسة كما ورد في آيات كثيرة فلا تنسى هذا، لأن القدسية سنلمسها في قسم أخلاق الشعب المقدّس، حيث كان أحياناً يرفعه كاتب الوحي إلى مستوى الآلهة وليس القدسية وحسب. كلكم أبناء الآلهة تدعون: أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم لكن مثل الناس تموتون. **مزمور 82**

تروي لنا التوراة أن الله ظهر لإبراهيم الذي قدم له مائدة سخية (يبدو أن بين الله وشعب الله كان صحبة كأس ومازاوات تتكرر من وقت إلى آخر) (تكوين18) كما ظهر الله لإسرائيل الذي صارعه مصارعة الأبطال، وانتصر أخيراً إسرائيل على الله(تكوين 24:32) وأكثر الأنبياء ظهر لها الله رب المجد كل هذه بكفة كما يقال وما جاء في عدد 22:22 بكفة! دابة يظهر لها إله المجد وتتكلم بلغة البشر! حقاً أن كاتب هذه الأسطورة ملهم من الحمامة المقدسة أو البطة المهلوسة، كما يسميها البعض.

فحمي غضب الرب لأنه منطلق ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده (سبحان الله الحمارة رأت مجد الرب وراكبها وهو نبي أعمى على قلبه، فمن هو صاحب العقل النيّر الحمارة أم النبي؟) المهم يتابع الوحي ويقول: فمالت الأتان عن الطريق ومشت في الحقل فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق ثم وقف ملاك الرب في خندق للكروم له حائط من هنا وحائط من هناك فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط فضربها أيضاً ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام فحمي غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب ففتح الرب فم الأتان (المجد للقادر في الأعالي وللحمير فصاحة الكلام وفي الإيمان المسرة) فقالت لبلعام ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بي لو كان في يدي سيف لكنت الآن قد قتلتك فقالت الأتان لبلعام ألست أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم هل تعودت أن أفعل بك هكذا فقال لا.

عدد 22:22

فعلاً ... فعلاً ... سيناريو وحوار عاطفي حميمي وحنون جداً انفجرت فيه عاطفة الحمارة أمام غضب راكبها. يصلح هذا المشهد لفلم هيليوودي يتمجد به يهوه ولكن يا قارئي العزيز ألم تندهش معي من عدم اندهاش بلعام حين تكلمت تلك الحمارة معه باللغة العبرية، أو باللغة الحميرية ربّما، أم أنه ليس مكان للغرابة في مفاجآت التوراة؟ وبقي هنا سؤال فيه شي من الحيرة اسأله لأصحاب الكرازة والمواعظ الحكيمة هل هذه الحمارة التي ظهر لها إله المجد وأطاعته بتمردها على سيدها النبي بلعام، هل هي عند ربها ترزق في جنة الخلود أم مكانها فقط في متاهات ترهات التوراة؟ سألت ذات مرة أحد الأصدقاء وكانت هذه الأتان الخالدة قد وردت في محور حديثنا فقلت له: هل تظن أن في الجنة حمير أيضاً ؟ فقال ساخراً طبعاً وهل تظن أن في الجنة غير الحمير، ألا تعلم أن جهنم ليس فيها

ولا حمار واحد وهي مسكن لربات الحسن والجمال وسيدات الليالي الملاح بدءاً من عشتار وفينوس وافروديت؟

يقول يوحنا 18:1 وتيموثاوس الأولى 16:6 وكذلك يزعم اتقياؤنا الأفاضل بتزمت أن الله كان يظهر للأنبياء بشكل أحلام ورؤى وصحيح أن الله لم يره أحد لأنه روح.

نقول لأصحاب الإيمان الأعمى هذا، ولموسى أيضاً الذي يقول للرب أرني مجدك فقال له الرب لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش ثم قال الله لموسى:

وجهي لن أريك بل قفاي. **خروج 18:33**

غريب والله غريب كيف لم يفطن موسى للقفا مع أن القفا مهم جداً على رأي الشاعر السوقي وآه ياقفا وخاصة قفا رب المجد. ونقول لموسى ولكل من زعم أن الله لم يره أحد قط ماذا تقولون عن الآية الواردة في تثنية 10:34 ـ والتي جاء فيها: ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرف الرب وجهاً لوجه. وماذا أيضاً ممكن أن يقال عن الآية الواردة في عدد 6:12 ـ 8 ـ والتي تقول: إن كان فيكم نبي للرب فبالرؤية والحلم أكلمه أما موسى فإني أكلمه وجهاً لوجه وفماً لفم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز.

وماذا يمكن أن يقال أيضاً عن مصارعة الله لإسرائيل الذي يقر في نهاية الحتوتة بأنه رأى الله وجهاً لوجه وبعد سجال وحوار أسمى الموقع فنئييل قائلا: لأني نظرت الله وجهاً لوجه مع أن كاتب هذا الوحي أخطأ في هذا التفسير لأن فنئيل تعني: أجاب أيل أي استجاب الرب. وليس بمعنى رأيت الله أنظر قاموس اللباب سرياني / عربي. وهذا إن دل على شيء فهو يعني أن الزاعم يكتب بوحي من الروح القدس، يكذب لأنه ينقل رواسب أسطورة آرامية وردت فيها مفردات هذه الكلمات ويقوم بتفسيرها خطأ كما أخطأ أيضاً كاتب هذا السفر في تفسيره لمعنى كلمة إسرائيل حيث يورد في الآية، تك 32: 28

فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

وللحق أقول إن كاتب التوراة وهو فقير النزاهة ولم يستطع أن يجمل هذه الترقيعة، وحقيقة الآية بالأصل كانت: فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك أسرت إيل. وكلمة الأسر من أصل آرامي بمعنى الربط والتثبيت والأسر بنفس الوقت، أما قاموس الكتاب المقدس فقد فسر لنا الكلمة بهذه الصيغة: إسرائيل بمعنى(من أسرة الله) فلا أود الرد على هذه الترهات السخيفة كما أن نفس القاموس يعطينا تفسير آخر لكلمة إسرائيل بمعنى يجاهد مع الله أو الله يصارع وهذا التفسير لكلمة إسرائيل بحسب روايات التوراة وتوابعها. ولكن اسم إسرائيل كان قبل التوراة وقبل يعقوب أيضاً الذي سمي إسرائيل وما يثبت هذا ورود اسم إسرائيل على رقيم عثر عليه في إيبلا سورية يعود تاريخه إلى وقت سابق لعهد إبراهيم، فإسرائيل كلمة مركبة من اسم إلهين هم اشر إله الأزل وهو إله مدينة أشور وإله القوة أيل واسم هذين الإلهين ورد في تركيب أسماء كثيرة مثل أسرحدون ملك آشور ويقطع على الشكل التالي Ahha–Addino–Ashur– آشور أحا أدين أي آشور الأخ الديان(الحاكم).

انظر كتاب احيقار حكيم من الشرق تحقيق بولس بهنام صفحة 44.

هذا اسم اسر أما أيل فالأمثلة نعرفها جميعاً مثل دانييل أي الديان أيل وكبرئييل وما شابه.

لقد وردت تسمية إسرائيل في التوراة بالصيغتين فأحياناً جاءت إسرائيل وأخرى جاءت إشرائيل أو إشرائيلة أنظر أخبار الأيام الأول 25: 2 ومما لا بد من ذكره هو أن العبريين كان بعض أسباطهم يلفظون حرف السين شين والبعض الآخر يلفظه بالعكس أنظر سفر القضاة 12: 6 لهذا كان البعض يقول إشرائيل والآخر يقول إسرائيل واسم هذا الإله اشر سيمر معنا تفسيره ومعناه حيث ورد في سفر الخروج 3: 14.

على أية حال تعالوا لنستمتع بهذه الحتوتة التي قد تحبس الأنفاس:

ظهر إله المجد ليعقوب وإذا هو شبه إنسان فتباطح التيسان من المساء حتى الصباح وبالرغم من جبروت الله وقوته الإلهية وهي غنية عن الوصف إلا أن يعقوب كان الأعتى ومن الطبيعي توراتياً وتلمودياً أن يتغلب يعقوب على الله، أليس التلمود المقدس هو القائل كما جاء في صفحاته بأنه إذا تضاربت مصلحة الله مع مصلحة اليهودي ترجح مصلحة اليهودي على مصلحة الله؟ «ألم يرد في التلمود: إذا اختلف الله في الرأي مع الحاخام يرجح رأي الحاخام من مبدأ أهل مكة أدرى بشعابها؟»، فلا عجب إذاً من مدون التوراة في تنصيره ليعقوب على الله ظالماً كان أو مظلوماً ولكن بعد عناء وطول عراك وأخيراً يعقوب ثبّت الله تحته أي أسره ولما رأى الله وهو الأسير تحت يعقوب أن الأمر قد أفلت من يده، قال ليعقوب أتركني ولكن كيف ليعقوب أن يتركه بعد ذلك الجهاد دون أن يجني ثمرة هذا الجهد؟ فلابد إذاً من أن يبتز الله وهي فرصته الذهبية، فقال له لم أتركك إلا إذا باركتني فقال له الله صاغراً ما اسمك فقال اسمي يعقوب فقال الله له لا يدعى اسمك بعد الآن يعقوب بل إسرائيل لأنك استطعت أن تجاهد في مقاومتي إلى أن أسرتني وبالرغم من أن الله استطاع أن يضرب حق فخذ يعقوب ويخلع مفصل فخذه إلا إننا نلاحظ أن يعقوب ينتصر على الله ولم يطلقه إلا بعد أن انتزع من الله البركة ولولا قليل لقال اسرائيل للرب "يا الله حلك حلك انزل لأطلع محلك وأخيراً جاء النبي هوشع ليذكرنا ونحن كنا قد نسينا بأن يعقوب تغلب بجهاده على الله.

يقول هوشع: في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله وغلب.

هوشع 12: 3.

وبالمناسبة هنا أود أن أشير إلى أن هذه القصة هي من رواسب قصص كانت شائعة حيث كان الأبطال أمثال جلجامش يصارعون الآلهات، وكان لشيوع هذه الأساطير أنها تسربت إلى التوراة.

ولكن هناك شيء أكثر من مهم فلا بد من ذكره وهو أن مقصات الأفاضل وطبعاً بنوايا حسنة قصت وألصقت على قدر إيمانهم وهذا أيضاً جهاد يحسب لهم

براً، لأن الأعمال بالنيات وليست بالنتائج ومن قال لك أن طريق جهنم مفروش بالنوايا الحسنة؟ فعلى سبيل المثال ما جاء في هوشع 12: 3 في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله(أضيف إليها) جاهد مع الملاك وغلب(ولكن ماذا تعني بكى واسترحمه) والمقصود إن الله بكى واسترحم يعقوب.ويتضح من هذه الآية أن النبي هوشع نقل عبارة إن الله بكى واستعطف يعقوب من قصّة مصارعة الله ليعقوب في سفر التكوين ولكن الأمناء على كل كلمة من كلمات الوحي حذفوا هذه العبارة من سفر التكوين، ونسوا ان يحذفوها في سفر هوشع.

الحقيقة أن الترجمات الحديثة أسقطت الكثير وأضافت الكثير بحيث أصبحت هذه القصص والحكايات ركيكة وغامضة جداً وكأنك تسمع موعظة في طاحونة وتظن أنك تبلغ بوحي من السماء لعلاج مشكلة إنسانية مستعصية فتسرع لإخراس هذه الطاحونة لتكتشف أن ثرثاراً مهووساً يستغبي العقول بكرازته، أما بالنسبة لقصة يعقوب وصراعه مع الله لقد أسقطت الرواية ذكر الله من بعض الآيات بقصد التشويش والتعتيم واكتفت بالإشارة إلى الله بالضمير الغائب/ الهاء/ ومع هذا لا يخفى مفهوم هذا النص الضبابي عند قراءته بتروي وهنا لا بد لنا من قراءة النص دون الإشارة إلى ما عتم عليه ونترك هذا الاستنتاج للقارىء العزيز.

فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان (هنا حذفت كلمة الله واسقط محلها إنسان وهذا ما يؤكده سياق الرواية) حتى طلوع الفجر ولما رأى إنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال له ما أسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه لذلك لا يأكل بني إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا. تك 32: 24

إن استحضارنا لهذا الشاهد ليس إلا للتأكيد على أن الله قابل للرؤية واللمس وله شكل إنسان وله كل ما للإنسان من أعضاء ماعدا السرّة، حيث للإنسان سرّة في بطنه أما الله فبريء منها ومن لوثتها، لأنها وصمة العار التي رسمتها جدتنا الأولى على بطن البشرية باحتوائها لحية آدم. لهذا يقال عن حواء إن كيدها عظيم وإغراءها أعظم أو العكس، أما المسيح فلا أعلم إذا كان له سرة أم لا بالرغم من براءة يوسف. فإذا كان للمسيح سرة فهذا يسقط ثوب البتولية عن مريم التي يقال أنها حملت دون علاقة جنسية. لهذا سنفرض أنه كان بلا سرة، وعلى ما يبدو أن آدم وحواء كذلك لم يكن لهما سرة لأن الله صنع آدم والديك يبيض بيضته الوحيدة عفواً وآدم يخلف حواء بشهادة القابل الشرعي (الله) وكانت ولادتها من آدم بلا حبل أو حمل فلا حاجة لحبل السرة وبقي شخص ثالث لابد من ذكره كان بلا سرة في بطنه وهو ملك أورشليم الملك البارّ ملكي صادق كان بلا سرة لأنه كان قد وجد في أورشليم لا أعلم كيف ولكن الرسالة إلى العبرانيين تقول كان بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداثة أيام له ولا نهاية حيوة بل هو مشبه بابن الله.

الرسالة إلى العبرانيين 7: 3

حقيقة أنا لا أرغب كثيراً في التدقيق في هذه الخزعبلات لأنها لا يمكن أن تستوعب على المستوى الفكري والمنطقي. على أية حال قد استرسلت كثيراً في إثبات هيئة الإله لذلك أعود ثانية للحديث عن تطور عبادة أرواح الأجداد والأبطال الذين خلدتهم أعمالهم البطولية فأخذت العباد تجسدهم بأشكال مادية على شاكلتهم (الترافيم).

وكما أسلفنا ومع نمو الدين وتطوره رويداً رويداً تطور مفهومه إلى وجود قدرات إلهية سماوية روحية منزهة عن المادة أو ما تسمى بالميتافيزيقيا أي ما وراء الطبيعة، هذا ما أشارت إليه بعض آيات العهد الجديد، فكانت هذه الأرواح النورانية المنزهة عن المادة هي مصدر الخير والشر السعادة والشقاء وبيدها حق تقرير مصير الكون والحياة البشرية، وفي أثناء هذا التطور للديانات

القديمة أي في هذه المرحلة التحولية بالذات كان البعض لا يزال يتمسك بالقديم ويتعبده مستنكراً للمفاهيم والقيم الجديدة في الدين وعلى أثر هذا كثيراً ما كانت تنشب الحروب والمطاحنات الدينية وحتى اليوم وكل منهم اعتقد أو زعم أنه يملك الحقيقة المطلقة وهو يسير في صراط مستقيم صراط المنعم عليهم بنور المعرفة والهداية الربانية والغير يتخبطون بظلام الكفر والجهل ومأواهم جهنم وبئس المصير.

في سفر الأمثال 3: 5. جاء: توكل على الرب بكل قلبك وعلى عقلك فلا تعتمد.

نعم إلغاء العقل ضرورة دينية وفرض إيماني وإلا فكيف للراعي أن يقود هذه الجماعات إذا كانت عاقلة ومفكرة؟ حقيقةً لم يعتمد الدين يوماً على العقل والمنطق وإلا سقط من اعتمد على عقله في مواكبة الدين. والأمثلة أكثر من أن تحصى فلو ذكرنا على سبيل المثال الفيلسوف السوري برديصان الذي نال قسطاً وافراً من العلم والأدب في قصر الملك معنو الثامن مع ابنه أبجر وكان برديصان من أبرز الكتاب البلغاء عبقرياً وفيلسوفاً جليلاً، كتب أكثر من مئة وخمسون قصيدة شعرية مغناة على أسلوب مزامير داوود إضافة إلى بعض الكتب في علم الفلك وعلوم أخرى، وعندما حاول إدخال شيء من المنطق على المسيحية بإسقاطه بعض خزعبلات التوراة وأساطيرها، فجنى عليه منطقه هذا وحرم من الكنيسة واعتبر من المرتدين. انظر اللؤلؤ المنثور لأفرام الأول برصوم ص/ 191 / وكذلك ططيانس السوري الملقب بالآثوري أيضاً من القرن الثاني، حاول إبعاد المسيحية عن اليهودية وطبيعتها التوراتية الدموية بتأليفه كتاب الدياطسرون الجامع للأناجيل الأربعة منقحاً من ركاكة التوراة وبعض أساطيرها. فكان هذا أيضاً ما جنى عليه بالرغم من أن هذا الكتاب وقع عند رجال الدين أجمل موقع لسهولته وجودة إنشائه وصحة ترتيبه التاريخي على حد رأي رجال الدين نفسهم. لذلك قرأوه أكثر من قرنين من الزمن وتبسطوا في شرحه، إلا أن حماقة ومغالاة بعض رجال الدين في ربط العهد القديم بالعهد الجديد أو ما يسمى بالمسيحية

اليهودية جعلت إلغاء هذا الكتاب من الكنائس وإحراقه خطوة تقرب من الأصولية المسيحية اليهودية. انظر كتاب اللؤلؤ المنثور صفحة (521) للبطريرك أفرام برصوم. وهكذا يقدس الباطل ويزهق الحق هكذا تأفل نجمة المعلومة الصادقة ليسطع بريق كاذب بريق وهم وضلال، هكذا الخير يخرس والشر ينعق.

أما الآن وقبل أن نأتي على بعض العادات والطقوس الدينية وآثارها على الأجيال اللاحقة نأتي بلمحة سريعة نذكر فيها بعض أسماء الآلهات والإشارة إلى معانيها ووظيفتها أو تخصصها. فموت كان إله الموت ويعني أيضاً لغوياً الموت والكلمة من أصل أكادي وكذلك يم كان إله البحر ويعني أيضاً البحر، فاسم مريم مثلاً يعني سيدة البحر (مر=سيدة. يم=بحر) وكلمة حية أو هية تعني الحياة وهو اسم لإله الحياة أيضاً، و منه أخذت حواء اسمها لأنها أم الحياة، حتى استمر هذا المفهوم أيضاً في التوراة. ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي تك 3: 20 والأفعى أيضاً أخذت اسم الحية لأنها تجدد حياتها بتجديد جلدها، كما سيمر معنا في قصة جلجامش الذي سرقت منه الحية عشبة الحياة، وحية أو هية هو الاسم الذي عرف الله به عن نفسه عندما سأله موسى عن اسمه في سفر الخروج 3: 15 حيث قال اهيه اشر اهيه. كما أن بسملة الصابئة موسومة باسم هذا الإله فيقال بشمة اهية أي باسم الحي. أما أيل فيعني شجرة وكانت الشجر معبودة العباد لاستفادة الإنسان من ثمرها والتفيء بظلها ومنها جاء اسم الإله أيل والكلمة من أصل أكادي وبالعبري يقال إيلات أو أيلة أي الشجرة، وأيلوهيم كما هو معروف يعني إلهات لأنه اسم جمع، انظر قاموس الكتاب المقدس تحت هذه الأسماء. أما البعل فيعني السيد فيقال للمرآة بعلك أي زوجك الذي هو سيدك ومع تأليه الأسلاف أصبح السيد أو البعل إله ففي سفر أشعيا 6: 1 يشير أشعيا إلى الثور المجنح كإله يسميه السيد، وكلمة السيد والبعل اسم للإله سوف يمر معنا بمواضع كثيرة ولكن ما يلفت النظر أن الناطقين باللغة العربية والقاطنين في تركيا وهم من سكان سوريا الطبيعية ولا زالوا حتى اليوم يقولون عن أجدادهم أسيادنا فبدلاً من أن يقال أبي قال لجدي يقال أبي قال لسيدي، وفي

الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا يقولون عن أجدادهم أربابنا وهذه كلها إشارات إلى أن الأجداد أخذوا مكانة مقدسة في العبادة بضمائر العباد وهي من رواسب الترافيم أي الأصنام.

يقول الحارث بن حلزة:

ربنا وابننا وأفضل من يمشي ومن دون ما لديه الثناء

ربنا وابننا أي جدنا وابننا كبيرنا وصغيرنا انظر كتاب الحيوان للجاحظ الجزء الأول ص(328) وبعد الإسلام أمر الرسول بأن لا يقول المملوك للمالك ربي بل سيدي، انظر لنفس المصدر صفحة(339). ولا زال العبريين يستعملون كلمة رابي بمعنى سيدي وكبيري يقولونها عن رجال الدين وهي من أصل آرامي تعني كبيري(رابو: كبير) ومنها اسم الرب الإله ولكن هذا الرابي اليهودي لابد له من تلويث هذه الكلمة المقدسة، فمن خلال إقراضه العملة بالفائدة الفاحشة أصبح لكلمة المرابي والربا معنى الجشع والحرام.

كل ما أريد أن أستخلصه مما سبق من الأمثلة وباختصار شديد هو أن الأسماء والمفاهيم الدينية جميعها لم تأت من فراغ حتى أسماء الآلهات، بل هي من معطيات ظواهر الطبيعة بمختلف عناصرها المادية والمعنوية، وهذه الظواهر الطبيعية من جبل وبحر وشمس وقمر وبما فيها الإنسان والحيوان والنبات والبرق والحريق والطوفان وغيرها من الظواهر الطبيعية، جميعها تزاوجت مع عقل الإنسان فأنتج الفكر الديني والمفهوم الديني.

فالدين إذاً هو نتاج فكري استثارته الطبيعة بتفاعلها مع عقل الإنسان وطبعه الأخلاقي والنفسي، لذلك إذا نظرنا إلى أسماء كل الآلهات نرى أنها تدل جميعها إما على أسماء حسنى أو ظواهر طبيعية بحسب معناها، وإن نسينا معاني بعض تلك الآلهات. وأخيراً نختتم تفسيرنا لمعاني الأسماء هذه بالإله شمش والذي هو إله النور، والذي يعني أيضاً النور فيقال بالآرامي شمشو دسهرو أي نور الشهر أو الساهر وهو القمر ومع عبادة هذا الإله شمش أصبح اسمه يعني أيضاً الصلاة والعبادة فيقال شمش علميتو أي صلى على الميت شمش الوهو أي عبد الله (انظر قاموس اللباب سرياني/ عربي).

واستمر تقديس الشمس وعبادتها من الوثنية عبر التوراة حتى المسيحية. ففي كل من لاويين 26: 30 وأشعيا 17:8 و27:9 تأكيد على أن العبريين استمروا في هذه الطقوس والعبادات الشمسية، وأشير أيضاً إلى أن سادن إله الشمس أو خادم المعبد في الديانات الشمسية كان يسمى شماش، والذي استمر اسمه لخادم الكنيسة المسيحية بتثبيت من الآية الواردة في 1 تي 3: 8 -12 وما شابهها من الآيات فيقال لخادم المعبد المسيحي شماس – شاماشا وهكذا تداولت الاعتقادات والمذاهب جيل بعد جيل ومع نمو عقل الإنسان كانت تتلاشى بعض المفاهيم الركيكة ليحل محلها الأفكار والأساليب القصصية الأذكى لتستمر بأثواب جديدة ومطورة أدبياً وأقرب إلى المنطق، إلى أن توصل الإنسان إلى مفهوم الإله الواحد وبالرغم من ادعاء التوراة بوحدانية الله، إلا أن تعدد الآلهة في التوراة لا زال واضحاً على صفحاتها وهكذا الصراع المذهبي يبقى في ديمومة مستمرة، فحول هذه الصراعات كنت تجد ملكاً عمل على عكس ما ذهب إليه سابقه حتى لو كان أبيه. وقد نسج اليهود على منوال الشعوب المجاورة في عبادة الأوثان ففي أخبار الأيام الثاني نقرأ: وكان منسى ابن اثنتي عشر سنة حين ملك وملك خمسة وخمسين سنة في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وعاد فبنى المرتفعات التي هدمها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السماء وعبدها.

أخبار الأيام الثاني 1:33

ملك أخاب على إسرائيل اثنين وعشرين سنة وتزوج من إيزابيل ابنة اثبعل ملك الصيدونين وغوى وراء البعل وسجد له وشيد مذبحاً للبعل في معبد البعل الذي بناه في السامرة.

ملوك الأول 20:16

فكما كان في إسرائيل أنبياء يقدسون الآلهات الوثنية ويعبدونها كالبعل، كان هناك أيضاً وبنفس الوقت أنبياء آخرين يستنكرون عبادة هذا البعل، بل ويذهبون وراء عبادة آلهات وثنية أخرى كالنبي إيليا:

فقال النبي إيليا اقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعوا رجلاً منهم يفلت. فقبضوا عليهم فساقهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك.

سفر الملوك الأول 40:18

ساقهم كالغنم وذبحهم كالحشرات وعلى الدنيا السلام وفي الناس المسرة. ومن الجدير بالذكر إن النبي أشعيا وهو من أعظم أنبياء اليهودية والمسيحية وهو العروة الوثقى بين العهدين القديم والجديد، كان من الذاهبين وراء عبادة هذا البعل وهذه الآية تؤكد على هذه العقيدة البعلية.

لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى.

سفر اشعيا 5:54

أما النبي عاموس والذي يعتبره البعض أول الموحدين كان من أعداء الإله أيل، الذي هو أبرز وأهم الآلهات اليهودية وهذا ما يتضح من الآية الواردة في عاموس 5:5: لا تطلبوا بيت أيل... لأن أيل تصير عدماً .

إن الآلهات الكثيرة كيهو وأدوناي والبعل وأيل واهيه وغيرها من الآلهات الوثنية، والتي استمرت عبادتها في الكتب السماوية أصبحت اسم من أسماء الله الحسنى بعد الإدعاء بالتوحيد. وإلى جانب اختفاء أسماء الكثير من تلك الآلهات الوثنية واستمرارية البعض الآخر، اختفت أيضاً الكثير من العادات الوثنية تلك واستمر البعض الآخر، ومن العادات والتقاليد والتي ما زالت طقوسها الوثنية حتى اليوم طقوس البخور. فما هو البخور؟

البخور

البخور هو عبارة عن مادة مركبة من مفرزات وتعرقات بعض النباتات العطرة كاللبان والقنة والميعة، فإذا ما حرق تبخر منه رائحة طيبة ذكية وقد استخدمه الإنسان منذ العصور السحيقة حيث كان من أثمن المواد التي تداولها التجار وكان من أفضل التقدمات والقرابين الدينية المقدسة لنيل رضا الآلهة، وقبل أن يتوصل الإنسان إلى معرفة تركيب البخور من هذه المواد كانت تقدمته بسيطة كحرق شجر الصنوبر والأرز والآس وما شابه.

ففي أسطورة الطوفان البابلي يروي لنا أوتونابيشتم المماثل لنوح التوراة بأنه بعد أن نجا من الطوفان بسفينته، قدم الخمر والبخور قرباناً للرب فنقرأ عن أسطورة الطوفان البابلي:

سكبت خمر القربان على الجبل

أقمت سبعة قدور وسبعة أخرى

وجمعت تحتها قصب السكر الحلو وخشب الأرز

والآس فتنشم الإله الرائحة الذكية.

يقول المطران اسحق ساكا النائب البطريركي العام للسريان الأرثوذكس: بأن الكنيسة تقدم البخور أثناء العبادة الجمهورية وفي خدمة القداس الإلهي امتثالاً لأوامر الكتاب المقدس كقول صاحب الرؤية:

جاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطي بخوراً كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين

رؤيا 3:8.

والمبخرة عبارة عن وعاء من الفضة معلق بثلاث سلاسل في آخرها خطاف. وقالت الآباء إن المبخرة تشير إلى العذراء التي حل نار اللاهوت في أحشائها ولم تحترق وظهر منها للعالم عرفاً ذكياً بددّ رائحة الخطيئة الكريهة، وأعطى النفوس أن تستنشق رائحة الحياة وشذا القداسة وطيب السماء، والخطاف تشير إلى السماء، أما السلاسل الثلاثة فإشارة إلى الثالوث الأقدس والأجراس التسعة إشارة إلى تسع طغمات الملائكة، والبخور إشارة إلى قداسة الوحدة الطبيعية في الأقانيم. هذا عن كتاب السريان إيمان وحضارة الجزء الخامس صفحة 46.

أصحاب العقول الآسنة بهذه الفذلكات تخاطب مريديها. ألا إننا نقول وحسب ما جاءت به مكتشفات الأثريين بأن المبخرة كانت وما زالت تستعمل منذ بدايات الديانات الوثنية وحتى اليوم، وليس عند رجال الدين وخدام المعابد وحسب، بل أيضاً يقوم بهذه الطقوس المشعوذة بعض السحرة والأطباء الدجالين، إذ يستخدمونها في معالجة مرضاهم وإرسال تمتماتهم من خلال أدخنتها المتصاعدة إلى الجن وما شابه من الأرواح الشريرة والغير منظورة وهي أصلاً مأخوذة عن الديانات الوثنية وكان أكثر شيوعاً عند الكلدان الذين كانوا يمثلون طبقة المنجمين والسحرة الكهان في بابل، حيث كانوا يتوارثون مهنة الكهنوت والتنجيم أباً عن جد كما كان الحال مع طبقة اللاويين عند العبرانيين، فعندما كان الإنسان قديماً لا يستوعب مفهوم الدين إلا بصورة حسية، كان يتبع هذه الطقوس في استعمال المباخر معتقداً بصعود الصلوات والابتهالات مع الأبخرة العطرة لتحظى بالقبول الرباني ونيل الرضا والاستجابة للتضرع، ولاسيما أن البخور كانت من المواد الثمينة جداً . أما السلاسل الثلاثة فكانت كناية عن الإيمان في قدسية ثالوث أطوار القمر المقدس، فهذا النبي حزقيال يخبرنا عن استعمال الوثنيين للمباخر التي تتصاعد منها الأبخرة المعطرة إلى عنان السماء حاملة معها الابتهالات والصلوات إلى الآلهات الوثنية كالإله تموز إله الخصب:

فدخلت ونظرت فإذا كل تصاوير أشكال الحيوانات والبهائم النجسة وجميع أصنام شعب إسرائيل مرسومة على جوانب الجدران وقد مثل أمامها

سبعون رجلاً من شيوخ شعب إسرائيل وانتصب في وسطهم يازنيا بن شافان وفي يد كل واحد منهم مجمرته تتصاعد منها غمامة عطرة من البخور... ثم أحضرني إلى المدخل الشمالي لبوابة الهيكل المقدس فإذا هناك نساء يندبن تموز.

سفر حزقيال الإصحاح الثامن

وكذلك يخبرنا النبي أرميا عن استعمال الوثنيين لهذه الطقوس الوثنية:

فينطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون إلى الآلهة التي يبخرون لها فلم تخلصهم في وقت بليتهم. إن الرب القدير الذي غرسك قد قضى بالشر عليك عقاباً لما ارتكبه شعب إسرائيل وشعب يهوذا من إثم فأثاروا غيظي بإحراق البخور للبعل.

سفر أرميا الإصحاح الحادي عشر

واستمراراً لهذه الطقوس الوثنية حافظ العبريين على هذه التقاليد وتعلموا تركيبها من النباتات الطبيعية كالميعة والأظفار والقنة العطرة واللبان الزكي كما أمرهم الرب.

وقال الرب لموسى:

خذ لك أطياباً أجزاء متساوية من الميعة والأظفار والقنة العطرة واللبان الزكي وأخلطها صانعاً منها بخوراً عطراً مملحاً نقياً مقدساً كما يصنع أمهر العطارين.

سفر الخروج 30:34-35

وبقيت ممارسة طقوس البخور عند العبريين كجزء من طقوس الصلاة، كما أشار إلى هذا التقليد ما ورد في المزمور -141- لتستقم صلاتي كالبخور قدامك إلى أن جاءت المسيحية وحافظت على هذا التقليد أنظر لوقا 10:1.

كل ما أريد قوله بكلمة واحدة هو أن البخور تقليد وثني استمر في سماويات اليوم.

القربان

هذا عن البخور ولكن لم تكن تقدمة البخور والخمور والطيبات الوسيلة الوحيدة للتقدم أو التقرب من الرب واسترضائه، بل كان هناك أيضاً من الوحشية والقسوة الفظيعة في هذه التقدمة وبالشكل الشنيع الذي يذهل العقول وتقشعر له النفوس المتحررة من العبودية، فمن هذه القرابين كان هناك الذبح والحرق. وكلمة الذبح هذه وبكل ما فيها من بشاعة الإجرام وقباحته أصبح لها معنى آخر عندما أحيطت بهالة من القدسية الدينية، لأن يهو إله الآلهة وشيخ المشايخ يحب رائحة العظم المحروق وتقدمة الذبائح ولاسيما من الأطفال ذو اللحم والعظم الطري والذي يصيب العجوز ياهو بشرشرة اللعاب ذو الألوان القوس قزحية السبعة التي تشكل قوس رضاه في صفحة السماء الملبدة بالغيوم المخيفة، لذلك كانت العباد تقدم فلذات أكبادها ذبيحة للرب كقربان مقدس. وكان هذا العجوز الدموي تنفرج أسارير وجهه وينشر قوس قزحه في السماء إقراراً بالرضا واعداً بألا يأتي بغضب طوفانه.

فعند معابد الوثنية اكتشف علماء الآثار هياكل عظمية لأطفال مما يدل على أن هذه الأطفال كانت قد قدمت ذبيحة للآلهة وبقي من تلك العادات عند الإسرائيليين إلى أوقات متأخرة جداً ولاسيما عند أبرز وأعظم أنبيائها وملوكها. ففي سفر القضاة من التوراة نقرأ عن النبي يفتاح الذي نذر بأن يقدم ذبيحة للرب أول من يصادفه من أفراد أسرته عندما يعود من المعركة منتصراً .

ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً : إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب واصعده محرقة — ثم رجع يفتاح إلى بيته في المصفاة

فخرجت ابنته الوحيدة إذ لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها فاستقبلته بدفوف ورقص، فلما رآها مزق ثيابه وقال آه يا بنتي قد أحزنتني حزناً وصرت بين مكدري لأني قد فتحت فمي للرب ولا يمكنني الرجوع، فقالت له يا أبي هل فتحت فاك للرب فافعل بي كما خرج من فيك بما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بني عمون، ثم قالت لأبيها فليفعل لي هذا الأمر أتركني شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكي عذراويتي أنا وصاحباتي، فقال لها اذهبي وأرسلها شهرين فذهبت هي وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر وهي لم تعرف رجلاً .

سفر القضاة 11

أود أن أشير هنا إلى أن: وهي لم تعرف رجلاً هو تذييل من الوحي اللاحق للسابق، ألصق بالنص للتجميل ولتطهير النص من الدعارة الجنسية، كما أن كلمة ابكي عذراويتي فإنها نابت عن جملة أسقطت من النص وهي أفض بكارتي وأتمتع شهرين بطقوس الجنس الوثنية التي كانت تمارس فوق الجبال والأكمة وكان هذا عرف عبري معمول به آنذاك. ولكنني لا أفهم لماذا اختيرت الجبال والأكمة تحديداً لممارسة هذه الطقوس الجنسية. وفي التوراة شواهد كثيرة تؤكد على هذه الظاهرة في البغي والدعارة المتفشية بين العبريين، إلا أن رجال الدين وبكل وقاحة يرمون على هذه الشعائر والطقوس الجنسية العباءة المقدسة التي تستر قبح أعمالهم، مع أن منقحي التوراة وبالرغم من جهودهم المتكررة افلت من أيديهم بما فيه الكفاية من الآيات والحكايات التي تفضح وبصريح العبارة وتؤكد على أن العبريين كانوا أكثر من مارس هذه الطقوس الجنسية الوثنية، وهذا النبي ارميا يشهد على هذه الظاهرة المتفشية بين اليهود بقوله على أمة إسرائيل:

لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت أضجعت زانية.

أرميا 20:2

ويسأل النبي ارميا إسرائيل قائلاً : ارفعي عينيك إلى الهضاب وانظري أين لم تضاجعي. ويتابع أرميا شاتماً ليقول: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك.

أرميا 3:2-6

هذا هو السؤال الذي لا زلت أبحث له عن جواب: لماذا اختيرت الجبال والأكمة والهضاب للممارسة الجنسية، هل المتعة الجنسية تزداد كلما ارتفعنا عن سطح البحر، أم هي طقوس دينية تمارس بالمرتفعات وهي الأقرب إلى السماء، والأقرب لنيل رضا الله؟هذا ما لا أفهمه وبعد أن يأس أرميا من هذا الفسق يقول مشبهاً أنين وتأوه العبرانيات من خلال المضاجعة الجنسية بصهيل الخيل فيقول:

فسقك وصهيلك ورذيلة زناك على الآكام، ويل لك يا أورشليم لا تطهرين حتى متى بعد.

أرميا 27:13

ويبقي شيء لأمانة الواجب والحق لا بد من ذكره، وهو إن تجار اليوم لأدوات الجنس والدعارة مدانين للعبريين الأوائل بهذه الابتكارات، حيث تؤكد لنا التوراة المقدسة أن أول من ابتكر وصنع أدوات الإشباع الجنسي هم العبريين ولهم إذاً شرف السبق بهذا المضمار فهل من معترض إذاً فليفند ما يقوله النبي حزقيال:

وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها.

حزقيال 17:16

يبدو أن الذكر القضيبي الطبيعي للرجل لم يفي بالحاجة لا رواء شبق العبريات، لأنه ليس القياس المطلوب، لذلك صنعوا لهم ذكوراً من ذهب وفضة وهذا ما لم يصح لشبقات اليوم.

عزيزي القارىء أعود ثانية للإشارة إلى سفر القضاة، والذي يقول أنها لم تعرف رجلاً وابكي عذراويتي ليست إلا رقع نشاز ظاهر لكل بصير، وإن هذا

الشطب والترقيع من رجال الدين يأتي دائماً لتطهير النصوص التوراتية من العيوب الأخلاقية الكثيرة في التوراة.على أية حال

هذا ما فعله يفتاح وكان عملاً مشرفاً طبعاً ولاسيما أن التوراة التي هي من وحي الحمامة تعتبره من أبرز أنبياء الله في إسرائيل، والذي رأى فيه النبي صموئيل دليلاً على أمانة الجليل الشأن جل جلاله في إتمام وعده بإقامة منقذ للصفوة الشريفة على يده حسب ما جاء في صموئيل الأول 11:12. وأخيراً جاءت الرسالة إلى العبرانيين 32:11 لتعتبر النبي يفتاح ضمن سلسلة الأبرار القديسين والشرفاء الذين بإيمانهم وقرابينهم نالوا المواعيد من الجليل الرب. وبقي شيء لشرف الأمانة في التعريف بشخصية النبي يفتاح لا بد من ذكره وهو أن النبي يفتاح كان أبن قحبة، وعلينا ألا ننصدم بهذا بل لا بد من التأكد من هذا وهاتوا دليلكم إن كنتم صادقين لذلك تعالوا لنقرأ ما جاء في سفر القضاة 1:11

وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة زانية وجلعاد ولد يفتاح ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين فلما كبروا بنو المرأة طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث في بيت أبينا لأنك أنت ابن امرأة أخرى.

سفر القضاة **11:1-2**

أنت أبن امرأة أخرى هو تحريف وأصلها أنت أبن امرأة زانية كما ورد في بداية الآية، لأن أبن امرأة أخرى يرث في بيت أبيه بينما أبن امرأة زانية لا يرث ولا يدخل في جماعة الرب كما جاء في شريعة موسى.

نعم يا يفتاح عليك أن تفتح قليلاً عقلك لكي لا تنسى أنك ابن زانية ولتتذكر شريعة الله وإن كنت نبي وجبار بأس فعليك أن تتذكر ما قاله الله في سفر التثنية:

لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب. **تث 2:23**

عشرات الآيات في التوراة جاءت لتؤكد لنا أن الكثير من الأنبياء والملوك اليهود قدموا أبناءَهم ذبائح محرقة للآلهات الوثنية كما يفتاح ومن الآلهات الوثنية التي كان الإسرائيليين قد تعودوا بأن يقدموا لها أبناءَهم: ذبائح محرقة الإله مولك الذي كان له تمثال كبير من النحاس كان قد تعود الإسرائيليين بأن يقدموا له

أبنائهم من الأطفال بالمئات بل بالآلاف من الأطفال الأبرياء الودعاء، وكان هذا الصنم النحاسي له رأس ثور مجوف من الداخل حيث كانوا يضرمون فيه النار إلى أن يحمر من شدة الحرارة، وعندها يلقون أطفالهم في هذه النار وهن على قيد الحياة فتنفرج أسارير ياهو وترتفع أصوات الطبول بأقوى صخبها حتى لا يسمع صراخ الأطفال وهم يحترقون حتى الموت. ويقول الكتاب المقدس طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض وأنا لا أعلم من يقصد بالودعاء الذين يرثون الأرض، الأطفال الذين قتلوا، أم المجرمين الذين قتلوا أطفالهم بحماقة الإيمان؟ وكانت ممارسة هذه الجرائم الوحشية من الطقوس الدينية المقدسة يقومون بها في وادي بني هنوم إلى أن سمي هذا الوادي جهنم أو وادي القتل. راجع قاموس الكتاب المقدس تحت اسم مولك ووادي بني هنوم أو جهنم ووادي القتل.

وبدافع الإحساس المزمن بالذنب في حق الضحايا من أطفالهم الأبرياء الذين وئدوهم، تكونت لديهم عقدة الميل لقتل أطفال العالم بالعفوية واللاشعور، وكانوا ولا زالوا حتى اليوم يتلذذون سادياً بقتل أطفال الأغيار من أطفال بابل حتى أطفال فلسطين (انظر تعاليم الله في قتل الأطفال في قسم صفات الله) وأخيراً هناك آية مميزة برائحتها الكريهة عن كل الروائح النتنة التي تفوح من الآيات العفنة الأخرى، وبالرغم من أن الله أوحى مراراً لأنبيائه وعباده بأن يقدموا أبنائهم قرباناً مقدساً للرب لأنه يحب رائحة اللحم المشوي بل حتى العظم المحروق ينعشه، إنما هذه الآية جاءت لا أعلم هل لتكشف عن خبث وحقد رباني حتى على شعبه المختار، أم صدرت وهو الأصح عن نبي خرفان معتوه بقوله: وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها ونجستهم بعطاياهم إذ أجازوا في النار كل فاتح رحم. **سفر حزقيال 25:20.** أجازوا في النار كل فاتح رحم بمعنى ذبحوا كل بكر من الأطفال محرقة للرب.

فقلت آه يا سيد الرب حقاً إنك خداعاً خدعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس. أرميا 4: 10 آه يا خبيث أنت يا لئيم يا قاتل يا ذميم.

الخصاء والرهبنة

عن التضحيات البشرية التي كانت تقدم كقربان مقدس إرضاءاً للإله، حيث تدفن الأحياء بالموت حماقة وغباء، فقد كان هناك من العادات والطقوس قد تكون أقل منها قساوة نوعاً ما ولكن هذا لا يخرجها من حضيرة الإجرام والتي تسمى الخصاء- فما هو الخصاء؟

يقال شهر خصي أي شهر ناقص، وإنسان خصي أي إنسان ناقص مبتورة خصيتاه. ومن طبع المخصي أنه يحسد الفحل ليس حسد القرين للقرين كحسد الخزاف للخزاف، بل حسد الناقص لذي نعمة لأنه محروم من قواه الجنسية والإخصابية والتي تعتبر السبب في استمرارية الحياة البشرية وديمومتها.و بعبارة أخرى إن الإخصاء هو التدمير الذاتي والسير في طريق الفناء.

إن تضحية الإنسان بأعضائه الجنسية كان يعوض له عنها بأن ينال المخصي مكانة اجتماعية أرقى وأشرف مما كان عليه سابقاً، لذلك كان المخصي يحتل مراكز حساسة ورفيعة المستوى في السلطة والجاه وأهم الأشخاص الذين كانوا يقومون بخدمة البلاط الملكي في بابل كانوا من المخصيين، (دانيال1: 3) وهكذا كانت قد جرت العادة من قبلهم وبعدهم وليس عند أبناء الرافدين وحسب، بل عند أمم وشعوب كثيرة كالفراعنة والفرس وغيرهم (**تك 37: 36 واستر 1: 10-1**) إلى أن خدم الخصيان في بلاط الملك داوود حيث أعطاهم مكان من الجاه والشرف وصنفهم من صنف الأبطال. (**أخبار الأول28: 1**).

يروي لنا الفيلسوف والأديب السوري برديصان في كتاب شرائع البلدان من القرن الثاني بأنه بعد اعتناق الملك أبجر ملك الرها للديانة المسيحية، أصدر مرسوماً يقضي بقطع يد كل من يخصي نفسه.

في سورية وفي الرها كان الناس يختتنون أو يقطعون رجولتهم لترعتا- أحد الآلهة- ولكن عندما آمن أبجر الملك أمر بأن كل من يقطع رجولته تقطع يده، ومنذ ذلك الحين وإلى الآن لا يوجد في الرها إنسان يقطع رجولته.

شرائع البلدان ص67.

أما طقوس الإخصاء فكانت تجري بالمعابد وبغمرة الطقوس المجنونة تلك والممزوجة بكثير من الألم، كان المخصي يحمل بين يديه خصيتاه المبتورتان ويطوف بهما في المدينة إلى أن يلقيها أمام أحد البيوت، وكان على صاحب البيت أن يعتني به إلى أن يشفى ومن ثم يلبسه بدلة نسائية ويقدمه إلى هيكل الرب أو ما يسمى بالدير الذي كان يعج بالمئات من المخصيين الذين كرسوا كل حياتهم لخدمة هذا الدير أو لخدمة إله هذا المعبد، و بثيابهم النسائية بعد أن قدموا خصوبتهم كقربان لنيل رضا الآلهة وهكذا يكونوا قد فقدوا رجولتهم وإلى الأبد سالكين نهج التقشف والزهد مبتعدين عن متعة الحياة ونعمتها.

ولكن هل تخلصت الإنسانية والمدنية من هذه الحماقة المقدسة؟ الحقيقة وبكل أسف لا لأن الحماقة المقدسة ألبست هذه الحماقة ثوباً آخر بعد المسيحية، ولنعد قليلاً إلى التوراة أولاً لنقول أن النبي موسى اعتبر الرجل المخصي إنسان ناقص بل معاب كإبن القحبة لا يمكن أن يدخل في جماعة الرب بقوله في تثنية23:

1- لا يدخل مخصي بالرضّ أو مجبوب في جماعة الرب لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر.

هذا كان رأي النبي موسى الذي يحقد حتى على الجيل العاشر إلا أن النبي أشعيا كان له رأي آخر إذ تحنن على هذا المخصي ولم يعتبره كإبن زنى كما اعتبره موسى.

يقول أشعيا: ولا يقول المخصي ها أنا شجرة يابسة لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي إني أعطيتهم اسماً أبدياً لا ينقطع.

سفر أشعيا56: 4-5

لقد اعتبر النبي أشعيا أن الإنسان المخصي إنسان ناقص يجب الرأفة بحاله لئلا يشعر بهذا النقص، وهذا شعور إنساني نبيل من أشعيا. إلا أن السيد المسيح جاء ليعتبر هذا النقص كمال وفضيلة بل شيء مشرف لمن استطاع إليه سبيلاً، لذلك جدد خطيئة الوثنية في الخصاء وبعثها من جديد بقوله في إنجيل متى 19: 12 – لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل.

وهكذا تجد هذه الصرعة وبشكل أو زي رهباني سادت في المجتمع المسيحي وكأنك بصقت بلغماً على طريق ترابي في يوم صيفي فتجتمع حول بصقتك آلاف الذرات من التراب، أعداد لا تحصى من الرهبان قبروا زهرة شبابهم في صوامع طور عبدين وما شابه مبتعدين عن الناس والحياة الطبيعية حارمين أنفسهم من كل نعم ومواهب الطبيعة والمجتمع الإنساني وعاشوا حياة التقشف والزهد، كما حرموا المجتمع والمدنية من قدراتهم وإمكانياتهم لذلك فروا إلى هذه الصوامع قابرين حياتهم في الموت وهم أحياء، وكل من فيهم قال اللهم أسألك نفسي لأنهم وجدوا في هذه العزلة التنسكية الخلاص من طموح يقتضي جهاد، والتجأوا إلى خمول يؤدي إلى بلادة فقط تذرعاً بالآية القائلة: يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات.

عن هذه الجماعات يقول الجاحظ: وإذا كان النصراني فسلاً (أي أحمق) نذلاً مبغضاً للعمل ترهب ولبس الصوف لأنه واثق أنه متى لبس وتزيا بذلك الزي وتحلى بذلك اللباس وأظهر تلك السيما أنه قد وجب على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفوه ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال...»[4].

وهذا ما حمل النقاد العلمانيين لأن يطلقوا على هذه الأديرة وسكانها اسم القصور السود ودور العجزة ومأوي الكسالى وما شابه، وكان هناك أيضاً من كان متشدداً أكثر من غيره في نعتهم كإبراهيم اليازجي الذي أرسل زوبعته على كل رجال الدين بقوله:

---

(4) **كتاب الحيوان للجاحظ ج1–ص220.**

الخـــــير كـــــل الخـــــير في هـــدم الجوامـــع والكنـــائس
والـــشر كـــل الـــشر مـــا بـــين العمائـــم والقلانـــس
مـــا هـــم رجـــال الله فـــيكم بـــل هـــم القـــوم الأبالـــس
يمـــشون بـــين ظهـــوركم تحـــت القلانـــس والطلانـــس

هذا ما قاله إبراهيم اليازجي ولكن ماذا يقول إيليا أبو مـاضي؟ الحقيقـة إن أجمل ما قيل في وصف هذه الظاهرة المرضية، ما قاله إيليـا أبـو مـاضي في قـصيدة جميلة جداً اسماها الدير:

الدير

قيل لي في الدير قوم أدركوا سر الحياة
غير أني لم أجد غير عقول آسنات
وقلوب بليت فيها المنى فهي رفات
ما أنا أعمى فهل غيري أعمى.... لست أدري.
قيل أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت إن صح الذي قالوا فإن السر شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيون في البراقع
والتي لم تتبرقع لا تراها... لست أدري.
إن تكن العزلة تقى فالذئب راهب
وعرين الليث دير حبه فرض وواجب
ليت شعري أيميت النسك أم يحيي المواهب
كيف يمحو النسك إثماً وهو إثم... لست أدري.
إني أبصرت في الدير وروداً في سياج
قنعت بعد الندى الطاهر بالماء الأجاج
حولها النور الذي يحي وترضي بالدياج
أمن الحكمة قتل القلب صبراً ... لست أدري.

قد دخلت الدير عند الفجر كالفجر الطروب
وتركت الدير عند الليل كالليل الغضوب
كان في نفسي كرب صار في نفسي كروب
أمن الدير أم الليل إكتئابي... لست أدري.
قد دخلت الدير استنطق فيه الناسكونا
فإذا القوم من الحيرة مثلي باهتونا
غلب اليأس عليهم فهم مستسلمونا
وإذا بالباب مكتوب عليه... لست أدري.
عجباً للناسك القانت وهو اللوذعي
هجر الناس وفيهم كل حسن مبدع
وغدا يبحث عنه في المكان البلقع
أترى في القفر ماء أم سراب... لست أدري.
كم تمادى أيها الناسك في الحق الصريح
لو أراد الله أن لا تعشق الشيء المليح
كان إذ سواك بلا عقل وروح
فالذي تفعل إثم قال إني... لست أدري.
أيها الهارب إن العار في هذا الفرار
لا صلاح في الذي تفعل حتى القفار
أنت جان أي جان قاتل في غير ثأر
أفيرضى الله عن هذا ويعفو... لست أدري.

نعم حقيقة" إن هذا الفرار جريمة وعار، وهذا كان رأي إيليا أبو ماضي عن الرهبنة ولكن حبذا لو تصفحنا بلمحة سريعة ظاهرة الرهبنة المسيحية وأثرها في الأمة السورية خاصة والإنسانية عامة، لوجدنا إن مع بداية المسيحية أخذ بهذه الظاهرة بشكل فردي ومن ثم جماعي بدأ يتوسع شيئاً فشيئاً ومن الأمثلة على الرهبنة الفردية نذكر من القرن الرابع سمعان العمودي الذي ابتنى لنفسه عمود

قرب حلب، وأقام عليه أكثر من أربعين سنة منعزلاً عن الناس وكذلك مار متى الناسك التجأ إلى صومعة صخرية في جبل مقلوب بالعراق ومن ثم أصبح موقعه دير مار متي. ومن ثم تزايد عدد الرهبان وبدأ يعد بمئات الآلاف في جيل واحد موزعين على مئات الأديرة. ففي القرن الخامس مثلاً كان في الرها وحدها ثلاثمائة دير يقيم فيها تسعون ألف راهب، وفي دير مار متى بالعراق اثنتا عشر ألف راهب، أما في القرن السادس فقد بلغ عدد رهبان دير مار باسوس في حمص سورية ستة آلاف راهب. ومن المؤكد إن عدد الرهبان والراهبات السريان بلغ ستمائة ألف راهب وراهبة في ذلك العصر. (راجع كتاب كنيستي السريانية صفحة 54 للمطران إسحق ساكا).

إن هذا المرض السرطاني المدمر وبهذه الكثرة الجنونية جلب على الأمة السورية أكبر المصائب وخاصة كان الرهبان عالة على المجتمع الإنساني إذ لا عمل لهم سوى الأكل والمرعى وقلة الصنعة كما يقال، فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى إحدى هذه الأديرة وما لها من أوقاف فإنه فعلاً يبعث على الأسف والحزن المر لاستهلاكها واستنزافها بما لا ينفع، حتى ذهبت كلها هباء" منثوراً كمن يبلط البحر.

يقول يوحنا دولباني في أوقاف دير مار كبرئيل، ما عدا الأوقاف الكبيرة التي صارت للدير في أيام مؤسسيه قد أزاد أنسطاس الملك ومنح سبع قرى للدير وكان للدير كثير من الرحى(المطاحن) والبيوت والأراضي والكروم والبساتين، ويقول الدولباني: بأن مار شمعون الزيتوني اشترى بالذهب من مال ابن أخته حقولاً كثيرة ودوراً ودكاكين وأرحية وجنائن وبساتين وكلها في خدمة الدير لإعانة سكانه، كما اشترى للدير مزرعة دير العمود وجميع حقوله ومياهه وكل ماله، وغرس هناك أثنى عشر ألف غرسة زيتون إضافة إلى الكثير الذي لم يذكر من الذهب والأطيان والنذور والضرائب التي كانت تمنح للدير في كل مناسبة (أنظر كتاب دير مار كبرئيل بقلم يوحنا دولباني 1966). إن هذه الخيرات الكثيرة والأموال الطائلة والتي كان من الممكن أن تحل مشكلة مجاعة في بلد

كامل وتنهي كارثة إنسانية لو كرست في ما يناسب ويجدي نفعاً، لكانت قد غيرت مجرى التاريخ في الرفاهية والازدهار.

على أي حال إذا كان تقديم الضحية وهي على قيد الحياة كقربان للرب كما كان في الوثنية واليهودية كما لاحظنا إذا كان هذا دفن للحي بالموت تعبير عن حماقة وغباء، فهكذا يكون الخصاء وتعطيل أسباب استمرارية الحياة هو أيضاً دفن النسل بالموت وقبره قبل أن يخلق ويرى النور ومنه الخصاء الذي تستر بحلة الرهبنة أيضاً هو السجن المؤبد للنسل حتى الفناء، والثالوث القاتل هذا أي والحالات الثلاث هذه أحلاهم مر، بل أن أشرفهم جريمة بحق الإنسانية إلا أنها الجريمة الوحيدة التي لا يعاقب عليها القانون، وهي من أبشع الجرائم الإنسانية بحق الذات والمجتمع، وكيف كان للمنطق أن يقول من قتل نفس يستحق نار جهنم لأنه ارتكب جريمة لا تغتفر وقتل سلالة ونسلها من أساسها مسألة فيها وجهة نظر، وكيف كان لرجال الدين أن يستنكروا الإجهاض وحبوب منع الحمل وتحديد النسل وما شابه، أليست كل هذه الأساليب أسهل وأرحم وأشرف من الخصاء والترهبن، فما الحاجة للامتناع عن الزواج إذاً، وما الحاجة إلى هذا التدمير الذاتي الذي تستر بحلة الرهبنة السوداء ظاهراً ومضموناً ؟ لو تمعنا قليلاً في ما ورد في الكتب المقدسة من بدء سفر التكوين إلى ما بعد المسيح، نجد بأن آيات كثيرة تلزم الإنسان السوي بالزواج إن كان رجل دين كالشماس والأسقف، أو إن كان إنسان عادي ففي سفر التكوين2: 18 نجد التوراة تعبر لنا صراحة عن القصد الإلهي على أنه لا يحسن أن يكون الإنسان وحده فصنع الله له معيناً مثله ليكونا جسداً واحداً بالزواج، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بزوجته ويصيران جسداً واحداً تك2: 24 إلى أن يبارك الله لنوح قائلاً أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض.

وبغض النظر عن كل الأنبياء الذين تزوجوا بأكثر من امرأة، نقول بأن العهد الجديد يلزم رجل الدين بالزواج ويعتبر الزواج من أهم صفات الاستقامة والشرف.

يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواح مضلة وتعاليم شياطين مانعين الزواج

تيموثاوس الأولى 4: 1

هذه الآية وبكل صراحة تعتبر أن من يمتنع عن الزواج فهو يتبع أرواح مضلة وتعاليم شياطين.

فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة.

تيموثاوس الأولى3: 2

ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة.

تيموثاوس الأولى3: 12

أما حديثنا بشأن العاقر المحروم من ثمرة الإنجاب، نقول بأن آيات كثيرة جاءت في الكتب المقدسة لتعييب العاقر ففي إنجيل لوقا1: 24 – نقرأ:

وبعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة هكذا فعل بي الرب في الأيام التي نظر إلي لينزع عاري بين الناس (أي بعد أن كانت معابة بين الناس لكونها عاقر نزع الرب عنها هذا العار بأن منحها ثمرة البطن). وبالرغم من وجود آيات كثيرة بالتوراة والأناجيل التي تعيب العاقر، فالسؤال المذهل هنا: كيف كان للعاقر بخلقته الطبيعية أن يعار ويعاب وهو ليس له فيها خيار، وكيف كان لمن يعطل أو يكبت أسباب الإنجاب والرجولة والحياة ويجعل نفسه عاقر بملء إرادته، كيف كان له أن يرث ملكوت السماوات وملكوت الله، أليس هذا شر البلية الذي يضحك؟ ثم نقول أليست الحاجة الجنسية طبيعة إنسانية تستوجب الاحترام كأي حق من حقوق الإنسان؟ أي بمعنى آخر أليست الحاجة للهواء والطعام والراحة والنوم وما شابه كالحاجة الجنسية؟ صحيح أن احتياج الإنسان إلى الهواء أولى من احتياجه إلى النوم، والنوم أولى من الجنس، ولكن أليست كلها حقوق مقدسة يجب أن تصان؟ فأين هي منظمة حقوق الإنسان من هذه القضية بل من هذه الجريمة؟

الحقيقة أنه لا يوجد إنسان طبيعي لا يحتاج للجنس والذي يقول أني غير محتاج للجنس فهو واحد من اثنان لا ثالث إلا المستحيل: الأول معتل أي مريض عضوياً أو نفسياً أو كلاهما، والثاني كذاب وأحمق كما وصفه الجاحظ وبالنتيجة إن المستغني عن الحاجة الجنسية فهو مخصي إما في ذكورته أو في عقله، وليس أتعس

من الذي خصي في ذكورته إلا الذي خصي في عقله. ومن الجدير بالذكر أن رجال الدين وخاصة الممنوعين من الزواج كثيراً ما يرتكبون أخطاء تتمخض عنها فضائح مهتكة، وذلك بعلاقات جنسية مخزية ولا سيما مع النساء السذج اللواتي يؤدين طقوس الغفران باعترافاتهم عند الكهان بخطاياهم، أو بتورطاتهم بعلاقات جنسية غير مشروعة تحت ظروف معينة، على أساس أن الكهنوت بئر عميق لحفظ الأسرار والمغفرة. أضف إلى هذا النزاع الذي يحدث أحياناً بين الرجل وزوجته كثيراً ما يكون فرصة مشجعة لرجل الدين الذي تعرض عليه هذه المشكلة فينتهزها فرصة بالتعاطف مع الزوجة للنيل منها ولسوء حظ أحد المطارنة في قضية كهذه أن الزوج كان مصوراً ماهراً نشر صورة عارية لزوجته في أحضان ذلك المطران في الستينات من القرن الماضي، وذلك انتقاماً لتعاطف المطران مع زوجته ظلماً . وأبشع من هذا ما يحدث أحياناً في بعض المدارس الإكليريكية أو الأديرة من تورطات بعلاقات شاذة بين رجال الدين والتلاميذ، و كثيراً ما تعقب هذه السلوكيات الشاذة جرجرة إلى المحاكم ودور القضاء الذي يكلف الكنائس مبالغ أحياناً توصلها إلى حد الإفلاس.

ܠܣܒܐ ܚܕ ܡܢ ܐܡܪܬܗ ܙܢܝܬܐ ܐܢܬܝ
ܕܒܟܠܝܘܡ ܠܓܒܪܐ ܚܕܬܐ ܠܟܠܒ ܚܘܒܟ
ܘ. ܦܢܝܬܐ ܠܗ ܐܦ ܐܢܬ ܐܝܟ ܕܐܡܪܬ
ܐܢܬ ܕܝܢ ܗܘ ܐܝܟ ܐܡܪܬ ܕܡܬܚܙܐ ܐܢܬ

قال شيخ لمومس أنت سكرى ... كل يوم لك بصاحب ود

فأجابت أني كما قلت لكن ... هل أنت كما لدى الناس تبدو

الجامعة السريانية(ت2 ك1 1954 –الأرجنتين)

سأل الشيخ المومس فكانت صريحة صادقة بالجواب، ثم عادت بالسؤال للشيخ فلم يجب شيخنا ولكن هل يستطيع أن ينكر أي إنسان إلا إذا كان في منتهى الوقاحة من أن حوادث الزنى والاغتصاب التي يقترفها رجال الدين، فاحت

رائحتها في كل زمان ومكان ولا سيما الممنوعين منهم من الزواج؟ على أي حال إذا كان شيخنا التزم الصمت فعند الجميع العلم اليقين.

أورد شفيق مقار قصة جيسيكا هاهن التي مارست الجنس مع راعي الكنيسة ثم باعت صورها إلى مجلة PLAY-BOY. أنظر كتاب المسيحية والتوراة حيث تفاصيل الفضيحة ص 287.

كما ذكرت مجلة برج المراقبة في عددها الصادر في 15 كانون الأول 1990 تحت عنوان نظرة ثاقبة للأخبار تقول فيها: ممنوعين عن الزواج إذ يصفه أسقف لوثري بأنه مشكلة مخيفة لأجيال، فإن سوء السلوك الجنسي من قبل رجال الدين قد خرج من الخلوة أخيراً، ولكن تخبر لوس أنجلس تايمز أنه قد خرجت معه فضائح علنية مربكة، و دعاوي قضائية مكلفة دفعت بكنائس عديدة إلى الإفلاس. وتلاحظ تايمز أن وكلاء التأمين يقولون أن هناك ما يبلغ ألفين قضية إساءة جنسية معلقة في المحاكم تشمل رجال الدين- وتضيف مجلة المراقبة قولها- وقد أجرى ريتشارد سايب معالج نفساني وراهب سابق مقابلات مع ألف كاهن وخمسمائة رجل وامرأة آخرين، و كثير من هؤلاء المذكورين أخيراً يدعون أنهم اشتركوا في نشاط جنسي مع رجال الدين واستناداً إلى سايب فإن حوالي 28٪ من جميع الكهنة لديهم علاقات مستمرة بالنساء فيما فضلاً عن ذلك عشرة إلى ثلاثة عشر في المائة متورطين جنسياً مع رجال بالغين، وستة بالمائة يلاحقون الأولاد من أجل الجنس وعادة الصبيان، وأكثر من مئة تسوية لسوء سلوك رجال الدين في غضون الست سنوات الأخيرة كلفت السلطات الكاثوليكية بين المائة مليون والثلاث مائة مليون دولار أمريكي، انتهى مقال المجلة.

أنا لا أستبعد أن يكون هناك شيء من المبالغة بهذه الأخبار، ولكني لا أشك من أن فيها الكثير من الحقيقة. على أي حال الحقيقة الوحيدة التي يجب أن يعرفها كل من لا يعرفها هي أن الحل الوحيد لهذه المشكلة والفضائح المخزية هي الزواج. فنقول ونكرر بها أنه لا حاجة منطقية للامتناع عن الزواج لكي لا يصاب الإنسان

بعقدة الراهب، ليقال عنه بأن سواد ثيابه من سواد قلبه، لذلك يكون الزواج حكمة الشرفاء والأصحاء.

لدراسة ظاهرة الرهبنة أكثر ولمعرفة مسبباتها ودوافعها لا بد لنا من تتبع هذه الظاهرة من منشأها وحتى اليوم، وبلمحة سريعة ولكي نعرف بواعث أسبابها لا بد لنا من دراسة تطور الحياة الاجتماعية بإيجاز شديد منذ فجر التجمعات الشبه حيوانية للإنسان البدائي، حتى المجتمعات الراقية من حياة الإنسان.

مع تطور مفهوم الدين وأعرافه وتقاليده كانت تتطور كل العلوم ومنها الاجتماعية والنظم الأسرية، فعلم الاجتماع للإنسان البدائي على ضوء ما أتت به مكتشفات الأثريين ودراساتهم خلص بنتيجة، وهي أن سلطة الرجل المطلقة اليوم ولا سيما في المجتمعات المتخلفة بالرغم من قدمها في تاريخ البشرية، إلا أنها لم تكن دائماً كذلك إذ كان لها شكلها العكسي تماماً منذ البدء حيث كانت السلطة المطلقة للمرأة قبل تحولها للرجل، فسيدة الكهف هذه(المرأة) هي التي كانت الآمر الناهي والمتصرف في كل الأمور وتدبيرها، وتبلورت مفاهيم هذه النظم للحياة الأسرية البدائية ومفاهيمها وأعرافها بحكم الظروف الطبيعية للتجمعات الشبه حيوانية عند الإنسان البدائي، فربّ العائلة لم يكن دائماً ذاك الرجل صاحب العضلات القوية والمفتولة، ذلك الصياد والمحارب، بل كانت هي تلك المرأة الضعيفة عضلياً، والمسالمة طبيعياً، فتجدها بتلك العصور الغابرة في القدم وما قبل التاريخ المنفردة بالسيادة فهي ربة الكهف والعائلة وهي الطبيبة والكاهنة والمدافعة والمتكفلة براحة الأسرة ومعيشتهم والمسؤلة الروحية والجسدية عليهم، لا بحكم جمال أنوثتها ورقتها، ولا بحكم ضعف الرجل أمام حاجته الجنسية إليها، بل بحكم طبيعة عاطفتها الأمومية الحنونة المتأصلة فيها وراثياً وبيولوجياً . وبحكم هذه الأمومة تجدها بتلك الظروف البدائية تحتضن أطفالها مكونة أول أسرة بشرية، وكان الأب غريب نوعاً ما عن الأسرة لا علاقة له بالأطفال، بهذه الظروف الغامضة في معرفة أبوية المولود بل أكثر من هذا إذ كان الاعتقاد أن المولود كان هبة من الأم فقط قبل أن يدرك الإنسان أن الحبل هو نتيجة طبيعية للجماع الجنسي، لذا

فكان الأب والحالة هذه بمثابة الضيف أو الصاحب لهذه العائلة، لأن المرأة كانت زوج مشاع والرجل هكذا. أي أن المرأة كانت زوجة لأي رجل، و الرجل زوج لأي امرأة دون قيد أو شرط، وقد يأخذ الرجل كل يوم زوجة والمرأة هكذا. إنها مملكة حيوانية تماماً وطبعاً ليس هذا عند كل الحيوانات، لأن بعض الفصائل من الحيوانات لا تأخذ إلا زوجاً واحداً، وبعضها إن مات زوجها تحزن جداً ولا تتخذ زوجاً آخر، بل تمتنع عن الزواج وقد يكون هذا الأمر غريب علينا ولكن هذه الأمور يعرفها جيداً دارسو سلوك الحيوان.

هذه كانت المرأة في طبيعتها الضعيفة عضلياً والمسالمة أخلاقياً، إلا أنها كانت اللبوة الشرسة عندما كانت تتعرض أطفالها للخطر. أما انتقال السلطة للرجل فكانت مكتسبة بحكم ظروف ومتطلبات الحياة الاجتماعية ومع التطور العقلي للإنسان بعد انفصاله عن التجمعات الشبه حيوانية والمسيرة أكثر بالآلية الميكانيكية لطبيعة الكون، ففي مراحل سيادة المرأة كان لهذه الظروف أن تأخذ الألوهية صفة الأنوثة، أي أخذ اسم الآلهة قبل أن يكون اسم الله ذو الصفة الذكرية لأن صفة الرجولة كانت أقل مرتبة معنوية من الأنوثة في مراحل سيادة المرأة وكانت أول خطوة نحو تطور هذه العلاقات الأسرية والجنسية، إنها حرمت الزواج بين الأمهات وأبنائها، والآباء وبناتهم، ثم حرمت الزواج بين الأخوة والأخوات، وهكذا دور بعد دور تكونت رابطة الأسرة الثابتة بقيادة الرجل، عاطية حق الزواج أكثر قدسية وكرامة وهكذا تبدلت صفة الأنوثة للآلهة بصفة الذكورة أو الرجولة، وأصبحت الآلهة الله مع انتقال السلطة للرجل، وهذه استنتاجات استخلصها الأخصائيون دون رسالة كتابية أو قصة مدونة، لأنها سبقت عصر الكتابة بآلاف السنين. و لكن ما تركه إنسان ذاك العصر من تماثيل صغيرة وكبيرة وأشكال للمعابد والمدافن وصورها ونقوشها وطرق دفن الموتى وبقايا توابع أنعاشها وغيرها من الآثار، عبرت عن هذه الاستنتاجات والقناعات، ونترك هذه الأمور جانباً لنأتي إلى بيت القصيد ألا وهو الخصاء ومنه الترهبن، فكما ذكرنا مع بدايات التجمعات الإنسانية كانت المرأة هي ربة الأسرة والكاهنة،

وطبيعة هذه الظروف خلقت صورة الآلهة بالصفة النسائية أي بصفة الأنوثة، وكان الرجال الذين يقومون بخدمة هذه الآلهة بالهياكل والمعابد يهبون ذكورتهم كقربان وفداء للآلهة، حيث يقومون بإخصاء ذكورتهم، ويتقلدون الصورة النسائية قدر الامكان باللباس والشعر وما شابه، مفتخرين بهذه الصورة النسائية وقتئذ (التي أخذت سمة الرهبنة فيما بعد) كما هو الفخر بالمرجلة في هذه الأجيال، فالرجل بشعوره بالنقص مقابل أنوثة المرأة وجمالها (التي اعتبرت رمز العطاء والخصوبة) كان يعوض عن هذا الشعور بالنقص بهذه السلوكيات، كما تتميع اليوم بعض الشباب الشاذة عن المجتمع، حيث يقلدون النساء في زيهم وماكياجاتهم بتحمير الشفاه وتكحيل العيون، والرموش ونتف الحواجب، ووضع الحلق في الأذن وتقليد النساء حتى في نبرة صوتهم الناعم، وإطلاق أسماء البنات على بعضهم البعض كلقب للتحبب والدلال، إلى أن توصل البعض إلى تقليد النساء حتى باللباس الداخلي وهو ما يسمى بالترافستيتس (TRAVESTIET). هذا كله ليس إلا شعور بالنقص من هذه الشباب المايعة مقابل الفتاة التي هي أجمل منهم شكلاً برقة أنوثتها، فإذا فقد المرء التذوق لجوهر الرجولة وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى فليس كثيراً عليه أن يشذ ويتعلق بالقشور والشكليات. إن هذه السلوكيات الشاذة من هذه الشباب المايعة كان هناك ما يشبهها إلى حد ما في إحدى مراحل الصراعات الدينية المسيحية، ففي أواخر القرن الرابع للميلاد كان هناك جماعة من الرهبان الذين أزادوا في الطين بلة حول مفهوم الرهبنة وطقوسها، ولا سيما أنهم خلطوا ما بين الوثنية من جهة، ومقتادين بالآية الواردة في إنجيل متى 19: 12 من جهة ثانية، إذ أزادوا عن غيرهم في فنون وجنون الرهبنة فإضافة إلى أقسى أساليب التقشف وإنكار الذات كنت لا تميزهم شكلاً عن النساء، حيث قلدوا النساء تماماً وربوا شعرهم كالنساء بقولهم أن المسيح لم تسقط شعرة واحدة من رأسه، و بالرغم من استنكارهم للطقوس الدينية التي يمارسها الكاهن المتزوج، إلا أنهم اعتبروا إن الزواج جاء مخالف لتعاليم المسيح، و قالوا أن لا رجاء للمتزوجين عند الله مقتادين بالمسيح الذي لم يتزوج. وإلى جانب هذه الصورة

الجنونية كانت أشياعهم من النساء تقص شعرهن كالرجال وتلبس زي الرجال تماماً وإن للجنون فنون. (انظر كتاب الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة ص 505 من المجلد الأول للبطرك أغناطيوس الأول برصوم طبعة 1940). وهكذا وبعد تلك الأجيال الوثنية بقيت اللباس النسائية الفاخرة مقتصرة على الملوك، والأباطرة، وأسياد الأقوام والكهان، والشيوخ، ولكنها تلاشت عند أكثر الأقوام المتمدنة وهي في طريقها إلى المتاحف. إلا أنه لا زال بعض الرهبان محافظين عليها كما حافظوا بالظاهر على الصمود في وجه الزواج، إلا أنه بالواقع لم يصمدوا أمام الجنس لأنه سلطان، وليس شيطان كما ادعى بعض من انفضح أمرهم.

إن الرهبنة لم تبدأ بالمسيحية كما أسلفنا، فالتاريخ مليء بقصص وحكايات لرهبان قبل المسيحية عاشوا حياة تقشف وتنسك أقسى من حياة الرهبان المسيحيين في بعض الأحيان، ففي القرن الثاني قبل الميلاد ظهرت فرقة من العبريين الذين جمعوا ما بين اليهودية والوثنية إضافة إلى الكثير من فكر الصابئة والمندائيين وكانت تسمى هذه الجماعة الأسانيون أو الأسانيين، مارست هذه الجماعة الحياة النسكية في مذهب ديني يقوم حسب قناعتهم على علاقات روحية من نوع خاص مع الله، وكان لهذه الشيعة من الرهبان الأثر العميق والمباشر في المجتمع الفلسطيني قبل مجيء المسيح، وبالتالي انعكس هذا على المجتمع والفكر المسيحي في بدء نشأته. وقد عثر على مخطوطات عند البحر الميت في فلسطين 1947 تدل على أن خربة قمران كانت مقراً لفرقة منهم، وكانت لهذه المخطوطات أهمية بالغة لسبب التشابه بينها وبين بعض أسفار التوراة. والتسمية الأسانية مشتقة من الكلمة الآرامية آسيا وفي العربي آساواسي وتعني الطبيب ويسميها اليونان TheraPuty Theo أي أطباء الله.

مدخل إلى
الجنس في التوراة

قال الرب يهو:

فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً

بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الطفلات والنساء

اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات

سفر العدد 17:31

طقوس جنسية وعلاقات زواج

من بعض تلك العادات الوثنية والتي امتدت آثارها حتى اليوم مع التطور من شكل لآخر كان هناك أيضاً طقوس جنسية ونظم للزواج بأشكال غريبة قد لا تصدق فالعلاقات الجنسية في بعض مراحل الوثنية كانت مباحة كما سبق وأن نوهنا إليها إلا أن هذه الإباحة الجنسية لم تستأصل فجأة بقرار من المجتمع الإنساني لتكون كما هي بشكلها الراهن، إذ تطورت هذه الممارسات شيئاً فشيئاً من شكل إلى آخر إلى أن توصلت إلى أخلاقيات وآداب اليوم وإن فترت واتخذت منحاً سلبياً نوعاً ما في بعض المجتمعات الغربية أو على الأقل عند بعض الأسر المنحلة في الغرب، والأسر هذه هي منحلة أخلاقياً في رأي الأسر المحافظة والأسر المحافظة هذه هي أسر معقدة في رأي الأسر المتحررة من القيود الجنسية والخلاف كل الخلاف هو حول غشاء البكارة عند العذارى فالأسر المحافظة ترى فيه الحافظ الوحيد للشرف وصيانة شرف الأسرة والأقارب أيضاً .

والأسر المتحررة لا ترى فيه أكثر من غشاء يحفظ غباء المجتمع وعقدته الجنسية وهذا ما يجعل المجتمع أن يلتهي به عن الأمور المهمة والمشكلة هنا هي أن هاتين الأسرتين النقيضتين عندما يعيشان في بوتقة مجتمع واحد يصعب عليهما التطبع مع بعضهما ولا حتى بحل وسط لإنصعاق كل طرف من غرابة أطوار الطرف الآخر والعبارة الجميلة والمعبرة جداً عن هذا المجتمع الذي يحتوي على النقيضين في مفهوم هذه القضية قرأتها ذات مرة في إحدى مصاعد أبنية الطلاب والطالبات قرب أمستردام حيث كتبت إحدى الطالبات:

"ik ben sabrina ik ben achtien jaar oud ik ben nog maagd vinden jullie mij vader normaal..etc".

«أنا اسمي صابرينا عمري ثمانية عشر سنة ولا زلت عذراء هل تجدون أن أبي عادي الأطوار أم غريب الأطوار، هل كتم أبي على أنفاس سعادتي وأتعس حياتي وحرمني من أهم حقوقي، أم حفظني عروساً عفيفة للرب الأناني الذي طال انتظاري له وبدأ عدي التنازلي إلى دور العانسات والمعقدات؟».

نعود ثانية إلى تلك الآداب والأعراف السائدة في سالف الأزمان حيث كان متوجب على الفتاة التي تتأهب للزواج أن تقدم جسدها وبكارتها للغرباء في هيكل الرب قبل أن تتزوج لإرضاء الإله وبهذا تكون قد أصبحت زوجة محللة ومباركة لزوجها وكانت العائلات النبيلة وأشراف البلاد تفخر بتقديم بناتها إلى الهياكل المقدسة لممارسة هذا النوع من البغي الشريف، والذي كان يلد منهن من جراء هذا البغي المقدس في هيكل الرب كان البكر المفتخر به لكونه خلق بمباركة الإله ومن خلال طقوس دينية مقدسة وإلى جانب هذه الممارسات والطقوس الجنسية في الدعارة والتي كانت تمارسها كل الصبايا المتأهبات للزواج كان هناك أيضاً بالدير من النساء اللواتي كرسن كل حياتهن لهذه الدعارات الشريفة في المعبد فكن تلكم النساء بنظر المجتمع كما الراهبات اليوم من أشرف وأرفع الشرائح الاجتماعية لأنهن يقمن بإسعاد الغير مع فارق التشبيه في الوظيفة وتطابق الشبه في الغاية وهي الخدمة الدينية لهذا كان المجتمع يحترمهم كما تحترم رجال الدين الذين كرسوا كذلك حياتهم لخدمة المعبد وطقوسه.

كون الإنسان لقيط لم يعرف أبيه، هو من أقبح الذنوب اليوم وإن كان اللقيط بريئاً من يد القدر الذي حمله إلى هذا المصير المنبوذ، ولكن في العصور الغابرة لم يكن الأمر هكذا أبداً بل كان العكس تماماً، فهناك الكثير من الروايات التي تدور حول الوليد المنتشل من نهر أو اللقيطة من إحدى الزوايا المهجورة ومن تلك الأساطير نذكر قصة موسى بكونه لقيط من نهر وهذه الرواية ليست إلا تلفيق مقتبس من أعراف هذه المفاهيم كما أن اسم موسى والتي تعني لقيط ليست إلا تشرّفاً بهذه المذاهب كما أن قصة انتشال موسى من نهر هي اقتباس من قصة

سركون الاكادي قائد أكبر أمبراطورية في العالم القديم وكان سركون يفخر بكونه ابن إحدى موظفات المعبد اللواتي كرسن حياتهن للبغي المقدس حيث أنجبته أمه سراً من أب غريب.

يقول سركون في قصة حياته (مفتخراً بكونه لقيط):

أمي كانت إحدى كاهنات المعبد ولم أعرف لي أباً
وضعتني في سلة وأحكمت غطاءها ثم أسلمتني للنهر الذي حملني
التقطني أكي ناظر ماء القرابين وتبناني
رباني حتى شببت فصرت اعتني ببستانه
هناك رأتني عشتار
فأحبتني وجعلتني ملكاً.

وقد وصفت ولادة سركون هذه قصيدة آشورية تعود للقرن السابع قبل الميلاد أي بعد ولادته بأكثر من ألف وخمسمائة سنة.

تقول هذه القصيدة:

أنا شاروكين ملك أكاد القوي
أمي كانت متقلبة وأبي لم أعرفه
أحب أعمامي التلال وسكنوها
ازوبيرانو مسقط رأسي تقع على الفرات
حبلت بي أمي وبالسر ولدتني
في سلة من القصب وضعتني وبالقير غلفتني
ألقت بي في النهر ولم تغمرني مياهه
بل حملني النهر وإلى أكي البستاني أخذني
عني أكي بتربيتي وكأبن له اتخذني
ثم جعلني أكي البستاني بستانياً لديه
وأنا بستاني منحتني عشتار الحب والنعمة
وبفضل نعمتها مارست الملك تلك السنين

حكمت ذوي الرؤوس السود وملكت عليهم
بيلطات البرونز قهرت الجبال العظيمة
تسلقت السلاسل العليا
وعبرت السلاسل الواطئة
جبت بلدان البحر ثلاث مرات
قبضت على دلمون بيدي
وإلى دير العظيمة صعدت
وأي ملك يأتي من بعدي
فليحكم ذوي الرؤوس السود ويملك عليهم
ليقهر الجبال العظيمة بالبلطات
ليتسلق سلاسل الجبال العالية
وليعبر سلاسل الجبال الواطئة
وليدر في بلدان البحر ثلاث مرات
وليضع دلمون(*) في قبضة يده
ويصعد إلى مدينة دير العظيمة
من أكاد مدينتي

هكذا كانت الطقوس الدينية آنذك وهكذا كان يتباهى من كان يلد من تلك النساء اللواتي كرسن أنفسهن في المعابد الدينية لخدمة هذه الدعارات المقدسة. ولكن قد يخطر سؤال بالبال وهو إذا كانت العائلات النبيلة تفخر بهذه الممارسات وهذه الطقوس، فلماذا كانت تلدهن بالسر وترميهن في زاوية مهجورة أو يوضع الوليد في سلة عائمة في نهر ويرسل إلى قدره المجهول وهو فلذة كبد أمه كما حدث لسركون الآكادي.

الحقيقة إن البركة التي كان يحظى بها هذا المولود نتيجة لهذه الممارسات الجنسية المقدسة كانت قد تعطيه الفرصة لان يكون رجلاً عظيماً وقد يكون الملك

(*) جنة دلمون هي دولة البحرين اليوم.

المرتقب للبلاد، و هذا ما كان يقلق الملك الفعلي للبلاد خوفاً على الملك الـذي مـن المفروض أن يورثه لابنه من بعده لذلك كان ملك البلاد يأمر بقتـل الطفـل الـذي يلد من جراء هذه الطقوس وخوفاً مـن استبدال هـذا المولـود المبـارك بغـيره مـن الأطفال أي ضماناً لموت هذا الطفل بالذات كان الملك يأمر بقتل جميع الأطفـال إذا سمع أن طفلاً ما ولد لإحدى تلك الكاهنات ومن هذه الفكرة لفقـت قـصة قتـل فرعون لأطفال العبريين ولهذا السبب أيضاً روت التوراة أن موسى كان لقيطاً مـن نهر ثم أن فكرة قتل هيرودس لأطفال بيست لحـم عنـد ولادة المـسيح هـي لـنفس السبب والباعث، فحين جاء المجـوس إلى الملـك هـيرودس أخـبروه بـولادة هـذا الطفل طلب التعرف على هذا المولود ضامراً له الشر وحين تعثـر هـذا عليـه، أمـر بقتل جميع الأطفال لأن يسوع كان ملك إسرائيل المرتقب كما أن أمـه مـريم كانـت من خدمة المعبد.

هذه كانت مـن بعـض عـادات وطقـوس الـزواج والجـنس والـولادة في العصور الغابرة، ومن تلك العادات أيضاً والتي كانت تتشرف بها معاصريها كـما أسلفنا، كان متوجب على الفتاة المتأهبة للزواج وهي عروس على أن تـضاجع في ليلة زفافها المدعوون لحفلة الزواج ابتداءاً بالأكثر قرابة ثم الأصـدقاء الحميمـين وأخيراً يأتيها عريسها لأول مرة بعد أن تصلح له كزوجة شرعية محللـة ومخلـصة لزوجها، وكانت أشباه هذه العادات تمـارس أثنـاء وفـاة أحـد الـزوجين إكـمالاً للطقوس الدينية وجيلاً بعد جيل أصبحت التضحية بعذراويـة الفتـاة وبكارتهـا من أسمى وأرفع الخلق الاجتماعية والأعراف الدينية في الكرم والضيافة، آنـذاك بعد أن تخلصت المدنية من الإباحة الجنسية المشاعة، وحافظت الصبايا عندئذ على بتـوليتهم. إلا أن هـذه الـسلوكية كانـت قـد تلاشـت ممارسـتها في المجتمعـات المتحضرة قبل عهد رفيق أيل إبراهيم العبراني بأجيال بعيدة جداً ولم يبـقَ لهـا مـن أثر إلا في المجتمعات الكثيرة التخلف والانحطاط كالمجتمعات العبرية ولنا كثير من الأمثلة من التوراة تشهد على هذه الظاهرة المتفشية بين تلـك الجماعـات ففـي سفر القضاة وعلى سبيل المثال نقرأ:

17ـ هذا وجدهم جالسين في ساحة المدينة فسألهم: إلى أين أنتم ذاهبون ومن أين أتيتم.

18ـ فأجابه الرجل المسافر: نحن في طريقنا من بيت لحم يهوذا إلى الجانب النائي من جبل افرايم حيث أقيم وقد ذهبت إلى بيت لحم يهوذا وأنا الآن متوجه إلى بيت الرب وليس أحد يستضيفني في بيته. 19ـ مع أن لدينا علفاً وتبناً لحميرنا وكذلك خبزاً وخمراً لي ولأمتك وللغلام فلسنا في حاجة إلى شيء. 20ـ فقال الشيخ أهلاً بك في بيتي لا تبت في الساحة وأنا أقدم لك كل ما تحتاج إليه 21ـ واستضافهم في بيته وعلف حميرهم فغسلوا أرجلهم وتناولوا طعاماً وشراباً 22ـ وفيما هم يتنادمون وإذا بطغمة من أوغاد المدينة يحاصرون البيت طارقين على الباب صائحين بالرجل الشيخ صاحب المنزل: أخرج إلينا الرجل الذي استضفته لنضاجعه 23ـ فخرج إليهم صاحب البيت وقال لهم: لا يا أخوتي لا ترتكبوا هذا العمل المشين فالرجل ضيفي وقد دخل بيتي 24ـ هو ذا ابنتي العذراء ومحظيته فدعوني أخرجهما لكم فتمتعوا بهما وافعلوا ما يحلوا لكم ولكن لا ترتكبوا هذا العمل القبيح بهذا الرجل 25ـ غير أن الرجال رفضوا الاستماع إليه فما كان من الرجل إلا وأن أخرج لهم محظتيه (صاحبته) فظلوا يتناوبون بمضاجعتها طوال الليل حتى انبلاج النهار وعند بزوغ الفجر أطلقوها.

سفر القضاة (19)

أن يتناوب في حراثة تلك المسكينة طوال الليل أهل المدينة أو بعضهم فليس لنا بيت القصيد وإنما قصدنا هو أن نشرق بالخصال الحميدة والمشرفة جداً في تقاليد الكرم والضيافة عند شعب الله المختار وهو تقديم بكارة ابنته إكراماً للضيوف وهو سخاء ما بعده سخاء وشرف ما بعده شرف، لهذا قال صاحب البيت سأخرج ابنتي العذراء لتفعلوا بها ما يحلوا لكم أما ضيفي فلا وهذا ما قد يحمل المرء للتفكير بأن يحل ضيفاً على أسرة ما يهودية مؤمنة بقدسية هذه التوراة ومحافظة على هذه التقاليد المقدسة علها تكرمه وتقدم له بكرية عذراء من بناتها ضيافة كتراث وتقليد توراتي يتعلل بها حتى الصباح

ليكتب لها ثواب على حسن الضيافة، أو يكون حظه سيئ كغيره فيجبلون من دمه فطيراً لصهيون.

إن ما يؤكد على طهارة ومفخرة هذه الشمائل المشرفة في التراث التوراتي، هو أن النبي المقدس جداً والشريف جداً جداً والبار النبي لوط حدث معه تماماً ما حدث مع هذا الشيخ الكريم، ولابد لنا من سرد قصة لوط هذه بالرغم من التشابه الشديد بين القصتين إلا أن هذا النبي العفيف لوط أزاد على هذه القصة شرفاً وجمالاً وموعظة إذا كان هناك من يتعظ ويقتدي بالسلف الشريف حيث تروي القصة:

وكان لوط جالساً عند باب سدوم فما أن رآهما حتى نهض لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض. 2 ـ وقال يا سيدي انزلا في بيت عبدكما لتقضيا ليلتكما واغسلا أرجلكما وفي الصباح الباكر تمضيان في طريقكما لكنهما قالا: لا بل نمكث الليلة في الساحة 3 ـ فأصر عليهما جداً حتى قبلا الذهاب معه والنزول في بيته فأعد لهما مأدبة وخبز فطير فأكلا. 4 ـ وقبل أن يرقدا حاصر رجال المدينة سدوم من أحداث وشيوخ البيت ونادوا لوط: أين الرجلان اللذان استضفتهما الليلة أخرجهما إلينا لنضاجعهما 6 ـ فخرج إليهم لوط بعد أن أغلق الباب خلفه 7 ـ وقال: لا ترتكبوا شراً يا أخوتي 8 ـ هولي ابنتان عذراوتان لا تعرفان رجل أخرجهما إليكم فافعلوا بهما ما يحلو لكم أما هذان الرجلان فلا تسيئا لهما لأنهما لجئا إلى حمى منزلي 9 ـ فقالوا تنحى بعيداً وأضافوا: لقد جاء هذا الإنسان ليتغرب بيننا وهاهو يتحكم فينا الآن نفعل بك شراً أكثر منهم وتدافعوا حول لوط وتقدموا ليحطموا الباب 10 ـ غير أن الرجلين مدا أيديهما واجتذبا لوط إلى الداخل وأغلقا الباب. 11 ـ ثم ضربا الرجلان صغيرهم وكبيرهم الواقفين أمام الباب بالعمى فعجزوا عن العثور على الباب12 ـ وقالا الرجلان للوط ألك أقرباء في هذه المدينة أصهار وأبناء وبنات أو أي شخص آخر يمت إليك بصلة أخرجهم من هنا 13 ـ لأننا عازمان على تدمير هذا المكان إذ أن صراخ الشكوى من شره قد تعاظم أمام الرب فأرسلنا الرب لندمره 14 ـ فمضى لوط وخاطب أصهاره أزواج بناته

قائلاً : هيا قوموا وأخرجوا من هذا المكان لأن الرب سيدمر هذه المدينة فبدا كمازح
في أعين أصهاره 15 ـ وما إن أطل الفجر حتى طفق الملاكان يلحان على لوط
قائلين هيا انهض وخذ زوجتك وابنتيك اللتين هنا لئلا تهلك بإثم هذه المدينة
16 ـ وإذا توانى لوط أمسك الرجلان بيده وأيدي زوجته وابنتيه وقادوهم إلى
الخارج لأن الرب أشفق عليهم 17 ـ وما إن أخرجوهم بعيداً حتى قال أحد
الملاكان أنج بحياتك لا تلتفت ورائك ولا تقف في كل منطقة السهل أهرب إلى
الجبل لئلا تهلك 18 ـ فقال لوط ليس هكذا يا سيد 19 ـ ها عبدك قد حظي
برضاك وها أنت قد عظمت لطفك إذ أنقذت حياتي وأنا لا أستطيع اللجوء إلى
الجبل لئلا يدركني مكروه فأموت 20 ـ هاهي المدينة قريبة يسهل الهرب إليها أنها
مدينة صغيرة جداً فأنجو فيها بحياتي 21 ـ فقال له الملاك أني قد قبلت طلبك بشأن
هذا الأمر ولن أدمر هذه المدينة التي ذكرتها 22 ـ أسرع وأهرب إليها لأني
لا أستطيع أن أصنع شيئاً إلى أن تبلغها لذلك دعي اسم المدينة صوغر ومعناها
صغيرة 23 ـ وما إن أشرقت الشمس على الأرض حتى كان لوط قد دخل إلى
صوغر 24 ـ فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عنده من السماء
وقلب تلك المدن والساكنين فيها والسهل المحيط بها وكل مزروعات الأرض
26 ـ وتلفتت زوجة لوط السائرة خلفه وراءها فتحولت إلى عمود من الملح
27 ـ ومضى إبراهيم مبكراً في الصباح إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب
28 ـ وتطلع نحو سدوم وعمورة وسائر أرض السهل فأبصر الدخان يتصاعد
منها كالأتون 29ـ وهكذا عندما دمر الله مدن السهل ذكر إبراهيم فاخرج لوطاً
قبيل وقوع الكارثة حين قلب المدن التي قطن فيها لوط 30 ـ وغادر لوط وابنتاه
بعد ذلك صوغر واستقروا في الجبل لأنه خاف أن يسكن في صوغر فلجأ هو
وابنتاه إلى الكهف هناك 31 ـ فقالت الابنة البكر لأختها الصغيرة: إن أبانا قد شاخ
وليس في الأرض حولنا رجل يتزوجنا كعادة كل الناس 32 ـ فتعالي نسقيه خمراً
ونضجع معه فلا تنقطع ذرية أبينا 33 ـ فسقتا في تلك الليلة أباهما خمراً وأقبلت
الابنة الكبرى وضاجعت أباها فلم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها 34 ـ وفي اليوم

الثاني قالت الابنة البكر لأختها الصغيرة: أني قد أضجعت مع أبي ليلة أمس فتعالي نسقيه الليلة أيضاً خمراً ثم أدخلي وأضجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً 35 ـ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وأقبلت الابنة الصغيرة وضاجعت أباها فلم يعلم بإضجاعها ولا بقيامها 36 ـ وهكذا حملت الابنتان كلاهما من أبيهما 37 ـ فولدت الكبرى أبناً دعته موآب ومعناها من الأب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم 38 ـ أما الصغيرة فولدت أبناً ودعته بن عمي ومعناها ابن قومي وهو أبو بني عمون إلى اليوم. سفر التكوين **19**

من خلال التفاتة صغيرة إلى هذه الحكاية نقول: بما أن الشخصان كانا غريبان عن المدينة (سدوم) التي تعود أهلها الشذوذ الجنسي بمضاجعة الذكور لاسيما من الغرباء، كما أهل جبعة الذين من سبط بنيامين في القصّة السابقة. لذا قام أهل المدينة على لوط طالبين منه أن يخرج الغرباء من بيته ليضاجعوهما فخرج لوط إلى الباب وأغلقه ورائه قائلاً لا تفعلوا شراً يا أخوتي هو ذا لي ابنتان عذراوتان لم تعرفا رجل بعد فاني أخرجهما لكم لتضاجعوهما وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لإنهما دخلا تحت ظل سقفي أي أن من شيم الضيافة الكريمة، عرض لوط بكارة ابنتيه إكراماً للضيوف إلا أن بالرغم من تخطي المدنية هذه المسالك المشينة ومن أجيال بعيدة بل بعيدة جداً عن زمن الخليل نلاحظ بقايا لهذه الرواسب بالمجتمعات العبرية إلى أوقات متأخرة جداً، فإن كان معنىً لهذا السلوك الغريب فلابد أنه دلالة على مدى التخلف والانحطاط الأخلاقي والشذوذ الجنسي في أدبيات لوط، النبي المقدس جداً وأبشع من هذا هو ما قام به لوط من ثم حيث أنه ضاجع ابنتيه العذراويتان بذريعة أنه شرب الخمر وعلى ليلتين متواليتين، فهل حقاً أن شارب الخمر مهما شرب لا يعي ولو بعد فعلته الجنسية ما قام به وخاصة أنه بعد يوم من فعلته المشينة هذه أعاد الكرة ثانية، فمهما يكن من أمر فإن وصمة العار هذه يتسم بها كل من لوط وابنتاه اللتان أشربتاه الخمر لهذه الغاية. ولكن هذا الأب الفاضل لوط والمقدس بامتياز من الروح القدس ألم يعلم أن الخمر مسكر كما تعلم ابنتاه أم كان له ثلثي الخاطر في هذه المتعة؟ فأين قدسية

هذا اللوط وأين براءته من هذا الزنى؟ هل سيزعم المفسرون الأفاضل أن لوط أُشرب الخمر رغماً عنه كما الطفل الذي يجبر على جرعة الدواء حيث ربط من يديه ورجليه وأغلق أنفه وسكبت ابنتاه الخمر في فمه حتى أثمله؟

بأي أمانة وأي حق برأ بطرس لوط من هذه الدعارة كما جاء في رسالته الثانية وأنقذ لوط البار مغلوباً من سيرة الاردياء في الدعارة. 2 بط 2: 7 ـ هل أهل سادوم الذين انقذ لوط منهم أولئك الاردياء كانوا يمارسون الدعارة بابشع من هذه الصورة التي مارسها لوط ألم يكن العبريين دائماً أفسق من سادوم وعمورة.

حيٌ أنا يقول السيد الرب إن سادوم اختك لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك. (حز 16: 48) وهذا أيضاً سفر القضاة 19 يؤكد لنا على أن سبط بنيامين كانوا شاذين جنسياً يمارسون اللواط. ولكن هنا سؤالين لابد منهما أولاً أن هذه الكبائر في انتهاك المحرمات ولاسيما أن التوراة تقدس مرتكبيها كسلف صالح، ألا تجعل مريدي التوراة المؤمنين بقدسيتها وقديسيها يبررون سوء أعمالهم أن انحطت إلى مستوى سلفهم الصالح هذا في انتهاك هذه المحرمات ولا سيما أنه قد لا يخلو سجل نبي من الأنبياء دون حطة وسقطه من هذا القبيل أو ذاك؟ إن تمجيد التوراة للسفهاء والسفاحين، ألا تعطي مريديها حق الأقتداء بالسلف السفيه في ممارسة الزنا مع المحرمات مع التطمين بالمغفرة مهما كانت الذنوب؟. أما السؤال الثاني فهو: هل كان كتبة التوراة فعلاً نزيهين وصادقين في تدوين أو رواية هذه القصة، أم أن خلق هذه الحكاية كان تلفيقاً المقصود منه هو تشويه نسل جيرانهم العمونيين والموآبين بانحدارهم الغير شريف وجعلهم أبناء زنى لأن لوط ليس من نسل إبراهيم بل هو ابن هاران أخو إبراهيم؟ على أي حال الوجهان أجملهما قبيح قباحة ملمعي ومبرقي هذه الأساطير. ولكن إشارة إلى أسباب ترجيح الظن أن هذه الحكاية هي تلفيق باطل في حق العمونيين والموآبين أشير إلى ما ورد في الفقرة 17 وما بعد وفيها الكثير من الغباء الذي يحسب على الوحي، إذ يذكر أنه قال الملاك للوط أهرب إلى الجبل لئلا تهلك فقال له لوط مترجياً أن يسمح له بالهروب إلى مدينة صوغر لأنه يخاف أن يصيبه مكروه في هذا الجبل ولكن نلاحظ أن لوط

بعد أن سمح له الملاك بأن يذهب إلى صوغر عاد وذهب إلى الجبل الذي كان يخشاه فما هي الغاية من الذهاب إلى هذا الجبل أليست هذه التركيبة جاءت لتلفيق قصة زنا لوط مع ابنتيه اللتين أنجبتا العمونين والموآبين بحجة غبية وهي انقطاع الرجال في الجبل وهذا يهدد نسلهم بالانقراض مع أن صوغر لا تبعد إلا بضع كيلومترات.

والآن وبعد أن عرجنا على أهم عادات وتقاليد الشعب المقدس في الكرم والضيافة، نعود ثانية إلى العادات الوثنية في الجنس وآثارها اللاحقة لنقول أن مع تطور هذه المفاهيم والقيم من شكل لآخر جاءت الخطوة التالية والأفضل من سابقاتها وهي أن تقدم الفتاة المتأهبة للزواج مهراً رمزياً تأخذه من عريسها أو وليها وتقدمه إلى هيكل الرب إرضاءً للإله الذي يبارك زواجهما ويجعل السعادة والهناء في عشهم الزوجي، وهذه العادات غيض من فيض لكنها تلاشت يوماً بعد يوم ولم يبق من تلك العادات ما يشبهها إلا من بعيد كتهنئة العروس بقبلة أو كدفع رسم مادي للكاهن أو الشيخ الذي يكتب عقد الزواج ويحلل هذه الشركة الزوجية بين العريسين ومثلها تدفع جزية عند الوفاة أو الولادة وكمنشار النجار في كل قصة للكاهن حصة وفي كل عرس للشيخ قرص، وبالرغم من أن المسيح قال مجاناً أخذتم مجاناً تعطون.

الجنس في التوراة

إذ قال الشاعر:

ثلاثـــة هـــنّ أحـــبّ المنـــى   كـأس وأنغـام ووجـه صـبوح

قال عنه الأفاضل هذا سكّير فاسق وزنـديق مـارق مـأواه الجحـيم وبـئس المصير، أما إذا قال النبي الديوث هوشع:

ثلاثـــة هـــنّ أحـــبّ المنـــى   الزنـــا والخمـــر والـــسلاف

قال عنه الأفاضل هذا كلام وحي من الله، لأنه هكذا جاء بالكتاب المقدس.

الزنا والخمر والسلاف تخلب القلب.

هوشع 11:4

عزيزي القارئ، ولأننا بصدد الطقوس الجنسية لابد لنا مـن التطـرق إلى أجمـل المواضيع الجنسية في التوراة، أجملهم جنسياً وأبشعهم دينياً وتربوياً ألا وهو سـفر نـشيد الانشاد الذي كرس بكامله لتمجيد الجنس بكل فكرة مـن أفكـاره، وبكـل كلمـة مـن كلماته لا بل هو عبارة عن تمجيد مرفوع إلى عشتار ربة الجـمال واللـذة الجنـسية بأجمـل معاني التقريظ والمدح والمناجاة ويا حبيبي تعال وشوف مجد الله كيف تعالى.

من أمثال سليمان الحكيم زوج السبعمائة زوجة نخب أول وثلاثمائـة زوجـة نخب ثاني (غير رسمية) فأسأل من كان بها خبيراً.

الظبية المحبوبة والوعلة الزهية ليرويك ثدياها في كل وقت وبمحبتها أسكر دائماً.

أمثال 19:5

لهذا سكرة الجنس وخمرة ثدياها تقول طز للخمور كل الخمور مـن البابليـة المعتّقة حتى الفرنسية الفاخرة، أما ثدياها   فحبذا شارب الريان ومن كان.

عشتار ربّة الجنس

النبـي سـليمان كـان متعلقـاً بعبـادة الأوثـان حتـى آخـر أيـام حياتـه وشيخوخته فقد ذهب النبي سليمان لعبادة عشتاروت آلهة الفينيقيين الـسوريين بوحي من نـسائه الفينيقيـات اللـواتي تـزوجهن وحملـن معهـن هـذه المفـاهيم والعقائد الدينية عن إبائهن، فكان النبـي سـليمان يـذبح ويوقـد لهـذه الإلهـات الوثنيــة وكــان ولعــاً جــداً بنــسائه الموابيــات والعمونيــات والــصيدونيات والادوميات والحثيات وكلهن من بنات الأمم التي انهى الـرب بنـي إسرائيـل عن الزواج منهم قائلاً لهم: لا تتزوجوا مـنهم ولا هـم مـنكم لأنهـم يقـودون قلوبكم وراء آلهتهم، ولكن سليمان التصق بهم لفرط محبته لهن فكانت لـه سـبع مائة زوجة وثلاث مائة محظية فانحرفن بقلبه وراء آلهة أخـرى فلـم يكـن قلبـه مستقيماً مع الرب إلهه كقلـب داوود أبيـه ومـا لبـث أن عبـد عـشتاروت آلهـة الصيدونين وملكوم إله العمونين البغيض، وارتكب الـشر في عينـي الـرب ولم يتبع سبيل الرب بكمال كما فعل أبوه داوود، وأقام عـلى تـل شرقـي أورشـليم مرتفعاً لكموش إله الموآبين الفاسق، ومولك إله بنـي عمـون البغـيض وشـيد مرتفعات لجميع نسائه الغريبات اللواتي رحن يوقـدن البخـور عليهـا ويقـربن المحرقات لآلهتهن. **سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر: 1 ـ 8**

إن عبادة الملك سليمان للآلهة عشتار لم تكن نزولاً عند رغبة نسائه ومذاهبها العشتارية وحسب وإنما أيضاً بسبب عبادة آبائه وأجداده لها أيـضاً حيـث وصـلت هذه العبادات والقيم والمفاهيم الدينية في الجنس إلى أمثال النبـي سـليمان أبـاً عـن جد. فمن هي عشتار في الأساطير السورية وما هي آثارها في التوراة؟

عشتار تتحدث عن نفسها:

أنا الأول وأنا الآخر

أنا البغي وأنا القديسة

أنا الزوجة وأنا العذراء

أنا الأم وأنا الابنة

أنا العاقرة وكثرة هم أبنائي

أنا في عرس كبير ولم اتخذ زوجاً

أنا القابلة ولم أنجب أحداً

وأنا سلوة أتعاب حملي

أنا العروس وأنا العريس

وزوجي من أنجبني

أنا أم أبي وأخت زوجي

وهو من نسلي.

إذاً عشتار هي الأول وهي الآخر فمنها بدأت الأشياء وإليها ينتهي كل شيء، هكذا تحدثت عشتار عن نفسها وهكذا تحدث من جاء بعدها من الآلهات وهذا يهو أيضاً يتحدث عن نفسه ويقول أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري - أشعيا 44: 6 - إلى أن جاء المسيح ليقول كذلك أنا الأول وأنا الآخر أنا البداية وأنا النهاية.

أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء - رؤ 1: 8

أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر - رؤ 22: 13

إذاً أخذ المسيح من الحرفين الأول والأخير رمزاً له بكونه البداية والنهاية، الأول والأخير، ففي اللغة العربية يقال أنا الألف والياء وفي اللغة اليونانية يقال أنا الألفا والأوميكا وفي اللغة السريانية يقال أنا الأولف والتاو، فالألف والتاء هما الحرفان الأول والأخير في الأبجدية السريانية (الآرامية) التي هي على الشكل التالي(**أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت**) وتقديساً للثالوث أضيف إلى

هذين الحرفين حرف ثالث وهو حرف الباء، فأصبحت كلمة أبت الثالوث الشفيع والمقدس في المسيحية ورمزاً للإله الواحد ـ كما اعتبرت كلمة أبت لقب شرف وزيادة تعظيم للقديسين والرؤساء الروحيين ورؤساء الرهبان والأديرة المميزين جداً . انظر معاجم الرائد والمنجد وغيرهم، أما العرب قبل الإسلام وحتى اليوم عندما يقسمون اليمين المثقل يضيفون هذه الحرون الثلاثة للإله فيقولون (و الله وبالله وتالله) ولا سيما عرب البادية، وفي أنجيل لوقا جاءت كلمة أبت بشكل استنجاد أبتاه كمن يقول وامعتصماه عن المعتصم.

وصلى قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. لوقا **22: 42**

وفي إنجيل مرقس جاءت هكذا أبا الأب وهذا تشويش وتزوير غير متزن لأنه لا معنى لهذه الكلمة.

وقال يا أبا الأب كل شئ مستطاع لك فاجز عني هذا الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت. مرقس **14: 36**

أما في أكثر الأناجيل المترجمة إلى لغات حديثة جاءت بمعنى الأب الوالد مضافاً إليها كلمة أبا / Abba / Vader / Abba father

هذه بعض معطيات عشتار وآثارها في الديانات اللاحقة. فمن هي عشتار سليمان التي غنى لها وغنت له؟ هذا هو بيت قصيدنا ومربط فرسنا.

إن عشتار أو عشتاروت هي البعلة آلهة الحب والجمال بل هي ربة الجنس عند السوريين في العهد الآشوري والبابلي، وهي نفسها أنانا الإلهة العذراء الأم بالعهد السومري، وكانت ترمز لها بنجمة الصبح وكان لها قصص وأساطير غرامية معروفة آنذاك، وتقول إحدى هذه الأساطير التي تدور حول عشقها لأخيها تموز الراعي، أن تموز خرج يوماً إلى الصيد وبينما كانت تحاصر كلابه خنزيراً شرساً، رمح تموز برمحه إليه ليقتله، إلا أن الضربة على ما يبدو لم تكن قاضية بل جرحته فثارت ثائرة الخنزير الجريح وهجم على الإله تموز ومزقه فاستنفر دمه متطايراً مبعثرا ولطخ الطبيعة واصطبغت الأزهار بلون دمه الأحمر. ومن هنا أخذت

إحدى أصناف الأزهار الربيعية اسمها من هذه الأسطورة، وتسمى هـذه الأزهـار بشقائق النعمان وهي أزهار رقيقة بلون أحمر جميل ومنقطـة بالـسواد مـن الـداخل، فالسواد في القلب لحزن الأزهار على تموز والأحمر لون دمه المتطـاير والـنعمان مـن أسماء وصفات تموز وتعني الناعم الجميل والنواعم هم الجمـيلات، ومنهـا معـاني الجنة والرضا والبركة. نعيم. نعم. نعمـة..أمـا الأزهـار البيـضاء التـي تنـاثرت في الحقل بين شقائق النعمان فهي قطرات الدموع التـي تنـاثرت كـاللآلئ مـن عيـون عشتار نحيباً على أخيها تموز. إن كثـرة هـذه الأسـاطير حـول عـشتار ربـة الحـب والجنس وعشقها لأخيها تموز رب الشباب والربيع، شاعت عند كثير من الشعوب كاليونان الـذين أسـموا عـشتار اسـتر واسـتير واسـترتي، كـما أسـموا تمـوز أدون وأدونيس، وهذه الأسماء وردت حرفياً بالتوراة.

عودة ثانية إلى موت تموز وبعد أن صعد صراخه إلى أخته عشتار آلهة الجـمال والجنس نزلت إليه ملهوفة ويا لروعة المأساة لما شاهدت من كارثة. وهكـذا مـات تموز إله الشباب والربيع وسـقط إلى الحيـاة الـسفلية في الجحـيم عنـد آلهـة المـوت أريشيكجال فتتوقف الحياة على وجه الطبيعة ويعم الجفاف والقحط وينتشر الذعر بين العباد والآلهة وعلى حد سـواء، إلى أن اخترقـت حبيبتـه الـدنيا الـسفلى وعـالم الأموات لتنقذه من براثن آلهة الجحيم إلا أن آلهة الموت عشقته وتمسكت به بعد أن انسحرت بجماله وشبابه وعلى أثرها رفعـت القـضية إلى كبـير الآلهـة الـذي قـضى حكمه بأن يبقى تموز طيلة الخريف وبعض الشتاء بصحبه آلهة المـوت ويعـود ثانيـة إلى أخته عشتار عشيقته آلهة الجنس طيلة الربيع وبعض الصيف.

(تعبر هذه الأسطورة عن موت النبات في الخريف وانبعاثه في الربيع).

لقد أوجزنا سرد هذه الأسطورة لنقـول أنهـا ليـست إلا إحـدى الأسـاطير الكثيرة التي سردت حول غراميات الإله تموز وأخته عشتار، والتي حملـت آثارهـا الغرامية الأجيال اللاحقة، ومن ثم حملتها لنا التوراة حتى اليوم حيث شغلت أحد أجمل أسفارها وهو نشيد الإنشاد فكما عشق خليل الله أخته سارة وتزوجها متـأثراً بهذه الرواسب من الأعراف، هكذا جاء سلميان النبي ليعبر لنـا عـن هـذه النزعـة

الجنسية الوثنية خير تعبير في أصول الحب والعشق حتى أنـه لم يحـافظ عـلى حـدود الأدب في غزل عذري شريف طـاهر، بـل تجـاوز حـشمته إلى أن صـال وجـال في وصف أعضاء جسم معشوقته بالشكل الذي يشجع القارئ لأن يـشاركه في هـذه الصلاة الممتعة والتي تحمل مرارة الحرمان والحسرة بنفس الوقت، حيـث لم يـسلم من هتكة سليمان في وصف جمال أعضاء الخليلة إلا عورتهـا أو مـا يـسمى بمثلـث عشتار أو مركز الأنوثة، وهذا أيضاً أرجّح أنه أسقط من النص مؤخراً حفاظاً عـلى الحشمة والأخلاق والورع في صفحات الوحي المقدس.

فإذا تصفحنا بعض آيات الغزل الجنسي في سفر نشيد الإنشاد والمفعم بعشق الخليلة والهياج بإغراءات مواهبها البارزة من جسدها الناعم حيث كل عـضو مـن أعضائها على لسان سليمان يقول يا حبيبي تعال اشرب من سـلاف خمـري، هكـذا تتجلى لنا بوضوح هذه النزوة والشبق الجنسي الذي يتطاير سحره من بين كل كلمة من كلمات هذا النشيد حيث نار الحب كأنها نار الرب كما يقول سليمان خاتماً السفر بهذه الكلمات.

أما مفسري الكتب المقدسة فلهم رأي آخر، ولكن مهما حـاولوا أن يـضفوا عليها الهالة المقدسة وأن يستروا ويطمسوا هذه الفواحش والهستريا الجنـسية، فـإن مضامينها ليست باهتة إلا على أعمياء البصيرة. فقد تخيل سليمان نفسه الإله تمـوز، كما توهم بأن عشتار ربة الحب والجنس هي أخته وعشيقته التي ناجته الغرام فلبـى لها النداء وكان الهيام من قلب طريح في نار العشق الجنـسي بعـد أن أسـكرته خمـرة لماها أكثر من أطيب الخمور البابلية المعتقة، ورائحـة جـسدها الأعبـق مـن عطـور جنائن بابل المعلقة ليعيشا قصة غرام تصل إلى حدّ العبادة المتبادلة من خلال مناجاة الأرواح بأبيات شاعرية رومانسية رنانة تضرب على أوتـار القلـب لتكويـه بلظـى الشوق والحرمان من لقاء العاشقين.

نشيد الإنشاد
نجوة حب في هيكل الرب

السفر الثاني والعشرون من أسفار العهد القديم وهو أحسن الأسفار الشعرية.

الإصحاح الأول:

شولوميت (عشتار): ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر لرائحة أدهانك الطيبة أسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى. أجذبني وراءك فنجري أدخلني الملك إلى حجاله (مخدعه) نبتهج ونفرح بك نذكر حبك أكثر من الخمر بالحق يحبونك أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى اين تربض عند الظهيرة لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك.

سليمان (تموز): إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة.

شولوميت (عشتار): صرة المر حبيبي لي بين ثدييّ يبيت.

سليمان(تموز): ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان.

شولوميت(عشتار): كم أنت وسيم يا حبيبي وجذاب حقاً أنت حلو واريكتنا مخضرة.

الإصحاح الثاني:

سليمان (تموز): كسوسنة بين أشواك هكذا حبيبتي بين البنات.

شولوميت (عشتار): أتى بي إلى قاعة احتفاله وعلمه فوقي محبة شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني.

حبيبي كظبي أو كالأيل الفتى هاهو واقف وراء جدارنا يتطلع من النافذة يوصوص من الشبابيك خاطبني حبيبي وقال:

انهضي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي معي فها الشتاء قد انقضى وكف المطر وزال وأزهرت الأرض وحل موسم التغريد وتردد هديل اليمام في أرضنا قد أنبتت التينة فجها ونشرت الكروم أريجها فانهضي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي.

سليمان (تموز): يا حمامتي اللائذة بشقوق الصخر ومخابئ المعاقل أريني وجهك وأسمعيني صوتك لأن صوتك عذب ومحياك رائع.

شولوميت (عشتار): حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن.

الإصحاح الثالث:

شولوميت (عشتار): طوال الليل على مضجعي طلبت بشوق من تحبه نفسي فما وجدته سأنهض الآن أطوف في المدينة وأتجول في شوارعها وساحاتها ألتمس حبيبي فما وجدته عثر علي الحراس المتجولون في المدينة فسألت: أشاهدتم من تحبه نفسي وما كدت أتجاوزهم حتى وجدت من تحبه نفسي فتشبثت به ولم أطلقه حتى أدخلته بيت أمي ومخدع من حملت بي.

الإصحاح الرابع:

سليمان (تموز): لشدة ما أنت جميلة يا حبيبتي لشدة جمالك عيناك من وراء نقابك كحمامتين وشعرك لسواده كقطيع معز منحدر من جبل جلعاد أسنانك كقطيع مجزوز خارج من الاغتسال كل واحدة ذات توأم وما فيها عقيم شفتاك كخيط من القرمز وحديث فمك عذب وخداك كفلقتي رمانة خلف نقابك نهداك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن كلك جميلة يا حبيبتي ولا عيب فيك تعالي معي من لبنان يا عروستي تعالي من لبنان انظري من قمة جبل أمانة من رأس شنير وحرمون في عرين الأسود من

جبال النور قد سلبتي قلبي يا أختي يا عروستي قد سلبتي قلبي بنظرة عينيك وقلادة عنقك ما أعذب حبك يا أختي يا عروسي لكم حبك ألذّ من الخمر وأريج اطيابك اشذى من كل العطور شفتاك تقطران شهداً أيتها العروس وتحت لسانك عسل ولبن وأريج ثيابك كشذا لبنان أنت جنة مقفلة يا أختي العروس أنت عين مقفلة وينبوع مختوم أغراسك فردوس رمان مع خيرة الأثمار والحنان والناردين.

شولوميت (عشتار): استيقظي يا ريح الشمال وهبي يا ريح الجنوب هبي على جنتي فينتشر عبيرها ليقبل حبيبي إلى جنته ويتذوق أطيب أثمارها

الإصحاح الخامس:

سليمان (تموز): قد جئت إلى جنتي يا أختي يا عروس وقطفت مري مع أطيابي وأكلت شهدي مع عسلي وشربت خمري مع لبني

جوقة الصبايا المنشدين: كلوا أيها العشاق واشربوا حتى الانتشاء أيها المحبون

شولوميت (عشتار): قد نمت ولكن قلبي كان مستيقظاً آه اسمعوا ها صوت حبيبي قارعاً قائلاً : افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي فإن رأسي قد ابتل من الندى وخصائلي من طل الليل. فقلت: قد خلعت ثوبي فكيف أرتديه ثانية غسلت قدمي فكيف أوسخها مد حبيبي يده من كوة الباب فتحركت له مشاعري فنهضت لأفتح له بيدين تقطران مرا وأصابع تفيض عطر على مزلاج الباب فتحت لحبيبي لكن حبيبي كان قد انصرف وعبر ففارقتني نفسي حين ابتعد بحثت عنه فلم أجده دعوته فلم يجب وجدني الحراس المتجولون في المدينة فأنهالوا علي ضرباً فجرحوني نزع حراس الأسوار إزاري عني استحلفكن يا بنات أورشليم أن وجدتن حبيبي أن تبلغنه أني مريضة حباً.

الإصحاح السابع:

تموز: ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم دوائر فخذيك مثل الحلي صنعه يدي صناع سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ثدياك كخشفتين توأمي ظبية عنقك كبرج من عاج عيناك كالبرك في حشبون عند باب ربيم أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد قلت أني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر.

الإصحاح الثامن:

ليتك كأخ لي الراضع ثديي أمي فأجدك في الخارج وأقبلك ولا يخزونني وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء.

تموز: تحت شجرة التفاح حيث حبلت بك أمك وحيث تمخضت بك وانجبتك أيقظت فيك أشواقك.

عشتار: اجعلني كخاتم على قلبك كوشم على ذراعك فإن المحبة قوية كالموت والغيرة قاسية كالهاوية ولهيبها لهيب نار كأنها نار الرب.

تضاربت كثيراً أراء مفسري الكتاب المقدس حول سفر نشيد الإنشاد والذي نسب للنبي سليمان فهناك من قالوا بأن شولوميت كانت مخطوبة لراعي شاب وأراد النبي سليمان أن يوقعها بحبائله ليستميل قلبها ويجذبها إليه، إلا أن هذا الرأي ساقط جداً لأن النبي سليمان كان بإمكانه أن يمد يده ويأخذ أي امرأة أو فتاة تحلو له حتى لو كانت متزوجة، كما فعل أبوه مع أوريا الحثي الذي أغتاله وأخذ زوجته بتشبع وأنجب منها النبي سليمان صلى الله عليه وسلم، وهناك أيضاً من قالوا بأن هذه الرواية تقتصر على النبي سليمان وحبيبته شولوميت، إلا أن

أصحاب هذا الرأي لا يجدون مبرراً أو تفسيراً لبعض الآيات كالتي تتحدث عن الحبيب الراعي كما ورد في 2: 16 و6: 3 ـ كذلك لا يجدون معنى للإشارات إلى المراعي والجبال وبعض مناهج المراهقين الصبيانية كقوله في 2: 9 حبيبي واقف وراء جدارنا يختلس النظر من النافذة ويوصوص من الشبابيك ومختفي خلف الجدار فهذه الأمور كلها لا تتفق وطبيعة حياة الملوك الذين يدهم طائلة ولاسيما أن حبيبته راعية كما ذكر، وبوجه خاص النبي سليمان ذلك الفحل الذي كان له خير باع بهذا الشأن وهو زوج لسبعمائة امرأة وثلاثمائة من المحظيات فهل من أحمق يصدق أن النبي سليمان كان محروماً من الحبيبة حتى يتكون لديه هذا الولع والتحرق الجنسي نتيجة لكبت قاهر يمنعه من الوصال مع عشيقته؟ فهذا طبعاً ليس وارد مطلقاً.

أما حول الآراء الأخرى والتي تفلسفت بالرمزية والمجازية وبكثير من الخزعبلات كقولهم: إن الكلمات الواردة بنشيد الإنشاد ليست إلا كلمات رمزية يقصد بها ليس الحب كما هو ظاهر بين كاتب القصيدة وحبيبته وإنما يقصد بها بالضبط المحبة الإلهية للعباد، فالله هو الحبيب والعباد هم الحبيبة ويستشهدون برسالة يوحنا الأولى 4: 8 والتي ورد فيها: ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبة. وقال آخرون أن المسيح هو الحبيب والكنيسة هي الحبيبة مع أن نشيد الإنشاد كتب قبل المسيحية، إلا أن الرد الوقح من المفسرين بهذه الترهات يقولون هذه نبوة من العهد القديم نقول لاولئك المنافقين إن لم تستحوا فقولوا ما شئتم. ثم أن نسل الزناة لا يكفيهم أن يتلاعبوا بالألفاظ والمعاني، بل حذفوا وأضافوا إلى درجة أنك تقرأ اليوم شيء، وغداً يختفي هذا من على صفحات التوراة وبؤرة العيوب هذه لا تنضب.

ومن هذه الأمثلة أشير إلى ما جاء في 2 صم 1: 25 فهناك عشر نسخ أو أكثر مختلفة كل واحدة منها عن الأخرى وهي تفسر العلاقة الجنسية الشاذة بين داوود ويوناثان. ولكننا الآن في نشيد الإنشاد، فقد جاء في 8: 5 تحت شجرة التفاح حيث حبلت بك أمك وحيث تمخضت بك وأنجبتك أيقظت فيك أشواقك نش 8: 5

وفي الطبعات الحديثة جاءت هكذا تحت شجرة التفاح شوقتك هناك خطبت لك أمك هناك خطبت لك والدتك. بهذه القباحة وبهذه النذالة يرتدي أولئك المنافقون جلباب النزاهة والأمانة وهم أبعد ما يكونون عن كل أمانة ونزاهة. ومن الكلمات المرشحة للاختفاء أو التزوير قريباً جداً كلمة اللفّاح التي من السهل جداً أن تصبح التفاح، حتى إن بعض النسخ كما في اللغة الهولندية ترجمتها إلى تفاح الحبّ (Liefdes appelen) وهي من المفروض أن تترجم (Alruin)، وهذا هو اسمها الحقيقي في الهولندي. انظر صورة اللفّاح كما جاء في المعاجم الهولندية، ولكن اللفّاح وما أدراك ما اللفاح الذي سحره يفوح أكثر من سحر تفاحة حواء التي شاركت آدم في أكلها بالجنة! وهنا أريد أن أتوقف قليلاً عند ثمرة اللفاح هذه أو اليبروح لأهميتها الجنسية والاخصابية عند ملقن الوحي على الأقل.

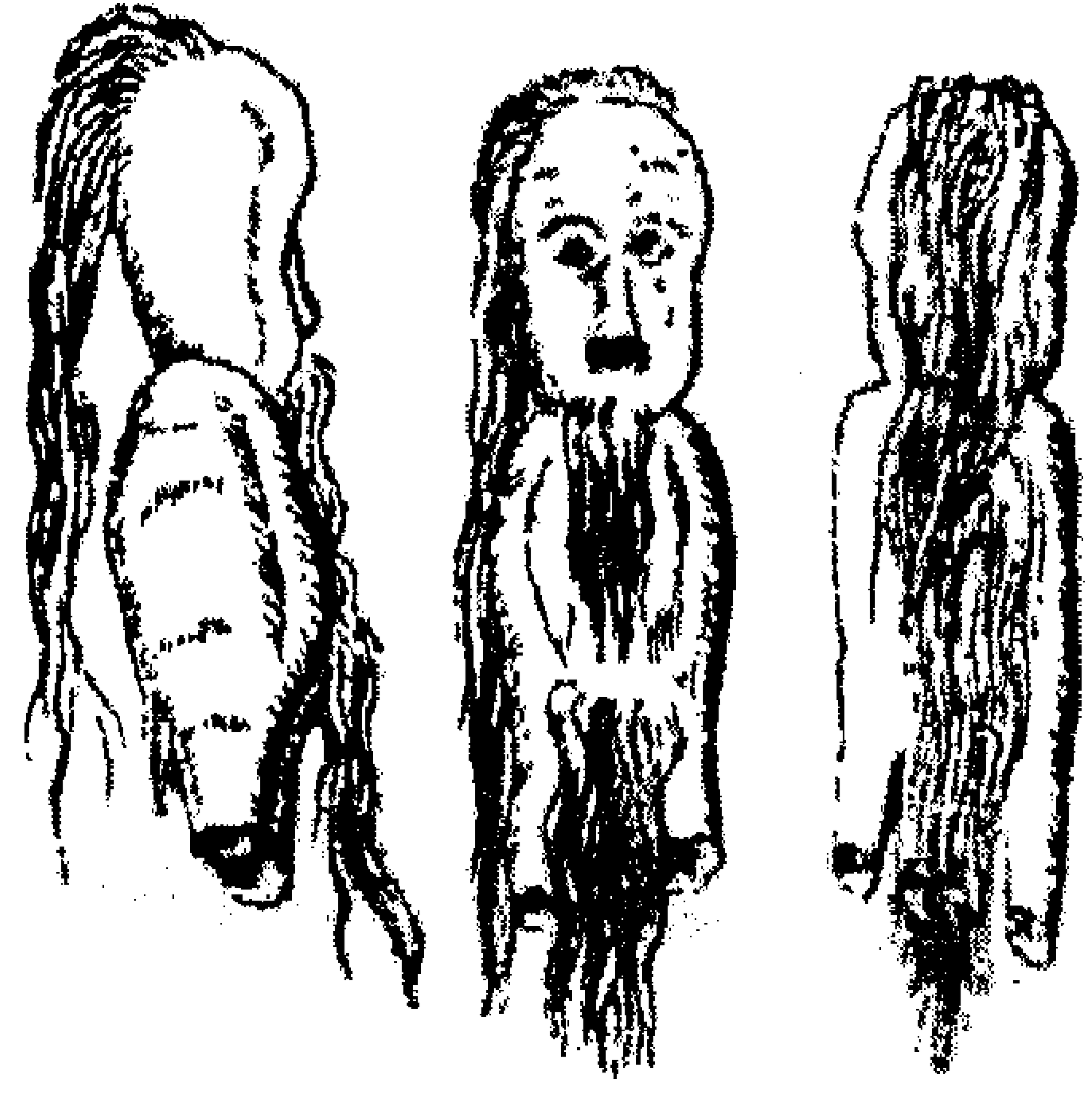
يقول الجاحظ: اللفّاح بالضم وتشديد الفاء نبت عريض الورق وله ثمر في حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض فإذا نضج مال إلى حلاوة ما. ويسمى بالشام تفاح الجن وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه لذلك يسمى بالسريانية يبروحا أي ينقصه الروح ويسمى بالفارسية هزار كشاي أي يحل ألف عقدة.

كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة 110

ولكن محقق وشارح الكتاب عبد السلام محمد هارون أخطأ في تفسيره من أن كلمة يبروحا تعني ينقصه الروح، وكان عليه أن يراجع الناطقين باللغة السريانية ليعرفوه من أن يبروحا تعني عكس ما ذهب إليه تماماً، فكلمة يبروحة كلمة مركبة من كلمتين معناها واهب الروح أي يبعث الطاقة الجنسية، وعندما توصف فتاة ما بالجاذبية الجنسية يقال عنها في الأمثال الشعبية السريانية تبعث الروح كاليبروح.

انظر قاموس سرياني عربي، فكلمة يهاب تلفظ ياب، بمعنى يهب ويعطي لأن الحرف الذي تحته خط يكتب ولا يلفظ بحسب قواعد اللغة السريانية وكلمة روحا تعني الروح كما في العربي إذاً يبروحا معناها واهب الروح.





أوراق اللفاح فوق التراب إلى اليمين،
جذور اللفاح تحت التراب إلى اليسار.

أما قاموس الكتاب المقدس يقول عن اللفاح: نبات من العائلة البطاطية ويسمى باللاتينية mandragora officinarun كانوا يعتقدون أنه تعويذة أو دواء يثير في الشخص عاطفة الحب (تك 30: 14 – 16) وهو معدوم الساق تشبه أوراقه أوراق التبغ وأزهاره أزهار الباذنجان ويزهر في الربيع وله ثمر أصفر يعرف باليبروح ولهذا النبات رائحة طيبة (نشيد الإنشاد 7: 13) وتتفرع أصوله على شكل الجسم البشري يوجد في وادي الأردن وعلى ضفاف الأنهر التي تصب فيه. هذا رأي قاموس الكتاب المقدس ولكن ليس من العيب أن يخطأ المفسر بحسن نية كما عند الجاحظ، ولكن ما نرفضه في قاموس الكتاب المقدس وهو يدري من معطيات التوراة أن الاعتقاد كان أنه مثير جنسي ومخصب ويسمى بالإنكليزية (mandrake) وفي قصة زوجتي يعقوب (إسرائيل) إنّ راحيل وهي الزوجة المدللة لإسرائيل كانت قد هبطت لديها طاقة الرغبة الجنسية لأن إسرائيل كان قد أهمل زوجته لية والتصق بها وعندما رأت راحيل اللفّاح في يد راوبين قالت للية: أعطني من لفّاح ابنك فأعطيك زوجي لليلة واحدة وعندما عاد يعقوب من الحقل خرجت لية

لملاقاته وقالت له تضجع الليلة معي لأني استأجرتك بلفّاح ابني (تك 30:14-16) وهكذا يا رفيق أخذت راحيل اللفّاح لتتنشّط جنسياً، هذا كان الأعتقاد في سالف الزمان.

اللفاح يفوح رائحته وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي. - نش 7: 13

نعم يا سيدي أن رائحة اللفاح فاحت وأثارت شهوة الجنس الجامحة لدى شولوميت، فخزنت داخل أبوابها كل نفائس الطاقة الجنسية هذه، من جديدة وقديمة منتظرة حبيبها الذي ستقوده إلى داخل هذه الأبواب حيث أمها تعلمها كيف تسقيه من الخمر الممزوج من سلاف رمانها نعم هناك حاجة لدرس خصوصي من الحماة لهذه القضية الروحانية.

وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني - نش 8: 2

تصور يا سيدي حماته ستعلمه كيف يرتوي من سلاف ابنتها تصوري يا سيدتي الفاضلة إذا كنت حماة فإن ابنتك المدللة أليس تدخل صهرك المدلل كوركيس خلف الكواليس لتشرفي أنت على التدريس. فبربك يا صادق لو حضر ابليس إلى غرفة العمليات هذه أو غرفة الخمور كما تسميها التوراة، أليس أرحم من حضور الحماة في هذا الجو المحرج؟

أما السؤال الهام والخاص جداً للأفاضل الأفاضل فقط، الأفاضل مربي الأجيال ودعاة الحشمة والأدب وهو كيف سيكون موقفهم من المجتمع حين تقتدي إبنتهم العاشقة بالسلف الصالح وتخرج في أنصاف الليالي بحثاً عن المعشوق استقاء" وامتثالاً للتربية الدينية التي تتلقاها من الكتاب المقدس الذي هو وحي من الروح القدس؟

في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته أني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي طلبته فما وجدته.

نش 3: 1 – 2.

وليتصور هذا الأب الفاضل أن ابنته عفيفة أو أخته شريفة انطلقت في أنصاف الليالي بحثاً عن الحبيب وقبض عليها العسس ورفعوا قليلاً عنها ثيابها ليفلحوا بها كمن هو على عجل من أمره مثلما حدث لشوشو حبيبة النبي سليمان صلوات الله عليه.

وجدني الحرس الطائف في المدينة ضربوني جرحوني حفظة الأسوار رفعوا إزاري عني. نش ه: 7 ـ نعم يا سيدي رفعوا عنها إزارها قليلاً، أتظن يا سيدي أنهم رفعوا إزارها عنها لغير فلاحتها، أتظن أنهم رفعوا عنها إزارها فقط من باب الفضول ليعرفوا هل أنبت الله لها شعر أم لا؟ إن كنت تظن هذا فحتماً أن أحدنا وقح أو ساذج إما أنا أو أنت ولا أظنك تخالفني الرأي ولكن مهما كان من أمر فإن شولوميت مشهود لها بمحبتها الصادقة ومشاعرها النبيلة تجاه حبيبها وإن اغتصبها العسس فهذه لا تحسب لها خيانة لمعشوقها، لأنها لم تسمح لهم برفع أزارها عنها إلا بعد أن ضربوها وجرحوها ومن ثمّ أشبعوها، ومن الجدير ذكره أن الطبعات القديمة لا تقول رفعوا إزاري عني وإنما جاء فيها: نزعوا إزاري عني أي عروني كما خلقتني يا ربّ.

ولكن ألا يكفيها فضيلة أنها اعترفت بما حدث لها، اعتقد وإن كان خطأ منها أن خرجت في أنصاف الليالي بحثاً عن الحبيب إلا أن الاعتراف بالخطأ بحد ذاته فضيلة. هكذا قال أحدهم، نعم بالرغم من كل هذا لابد من تمجيدها.

إن التعتيم والتزوير والتشويه الذي ينتهجه مفسري الكتاب المقدس لنشيد الإنشاد، لا يجدي مع ذوي البصيرة في كل الأحوال ومهما حاول أولئك الأمناء والنزيهين جداً من تشويه حقيقة معاني هذه القصيدة الجنسية التي تتحدث مقلدة قصة غرام الإله تموز وأخته عشيقته عشتار بل هي صلاة تسبيح وتمجيد متبادلة يرفعها كل من الإلهين عشتار وتموز لبعضهما لذلك نقول أن كل كلمة أو عبارة فيها فمعناها واضح وجلي لكل ذو بصيرة، فلو استحضرنا بعض الشواهد من القصيدة على سبيل المثال لا الحصر لنسأل ما هو الشعور الذي يعتري رهبان وراهبات محرومون من الجنس تتوقد فيهم عنفوان

وطاقات الشباب حين يقرؤون هذا الغزل وهذه الإثارة الجنسية؟ وماذا يعني لهم شفتاك يا عروس تقطران شهداً تحت لسانك نش 4: 11 ـ؟ هذه الآيات المنعشة ألم تبعث الروح في الراهبات البائسات للحلم في متعة ما تحت اللسان من شهد مقدس إلى أن تتاح لهن فرصة ارتشاف شهد الرضاب لإطفاء لظى القلب المتعطش للجنس؟ أليست هذه الإثارات من وراء الفضائح الجنسية التي فاحت رائحتها في كل زمان ومكان بين رجال الدين وخاصة الممنوعين عن الزواج؟

تحت شجر التفاح حيث حبلت بك أمك أيقظت فيك أشواقك. **نش 8: 5**

قل لي بربك يا هذا زير النساء سليمان تحت شجر التفاح حيث حبلت بها أمها أي أشواق سيوقظ فيها غير الأشواق الجنسية التي لهيب نارها كأنها نار الرب والمحبة قوية كالموت كما يقول هذا المراهق في نشيد 8:6؟ ثمّ أليس حبل الأم تحت شجرة التفاح طقس جنسي تتعلمه البنت من أمها؟ ألم يمارس الجنس في المجتمعات العبرية تحت كل شجرة خضراء كطقس وثني؟ فهذا النبي أرميا يفضح العبريين بممارساتهم الجنسية كطقوس وثنية تحت الأشجار بقوله: وتحت كل شجرة خضراء أنت أضجعت زانية. ارميا 2: 20والأبشع من هذا كانت ممارسة الجنس بين العبريين شبه مشاعة من كثر خيانة الزوجات لأزواجهن، حتى أن كل واحد صهل على امرأة قريبه (حسب تعبير التوراة). سلبتي قلبي يا أختي يا عروستي قد سلبتي قلبي بنظر عينيك ما أعظم حبك يا أختي يا عروستي لكم حبك ألذ من الخمر نش 4: 9 – 10 الحب ألذ من الخمر، نعم يا سليمان الحكيم هذه أصدق حكمة نطقت بها، ولكن لا يجهلها إلا من لم يتجاوز سنّ الطفولة بعد، فهي مسلّمة لدى المراهق وحتى الشيخ الذي انزلقت إحدى رجليه في القبر، لكنها حكمتك المفضّلة وزوجاتك الألف تشهد لك.

عزيزي القارئ ماذا يجد المفسرون أيضاً في تفسير معنى جمال الفخذين ودوائرها والصرة المدورة مثل كأس الخمار حيث تسكر دون الحاجة للشراب.

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم، دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع، سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن.

نشيد الأنشاد 7: 1 -2

وكأن الشاعر قصدها في قصيدته حين قال:

ذي خمر صرف التي عهدي بها باقي تغني عن الخمر والخمار والساقي

قحباً ومن قحبها تزيد في إحراقي خبأتها في الحشا أطلت من أحداقي

أليست هذه السكرة هي سكرة الجنس عينها التي تحدث عنها سليمان في أمثاله حين قال:

الظبية المحبوبة والوعلة الزهية ليرويك ثدياها في كل وقت وبمحبتها أسكر دائماً. **سفر الأمثال 5: 19**

هل علينا أن نفهم أن الارتواء من ثديي الظبية والسكر بمحبتها هو ارتواء معنوي وسكر رمزي يراد منه مياه الحياة الأبدية وإن كنت لا أعلم ما هي مواصفات هذه المياه.

ماذا يقصد سليمان عندما يقول: ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد قلت أني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم.

نش 7: 6- 8

فأي لذات هي تلك التي يتحدث عنها سليمان غير لذات الجنس الذي تشعه ثدياك يا حلوة، وبماذا يفسر المراءون قوله ليقبلني بقبلات فمه لأن الحب أطيب من الخمر. نعم قبلات فمه المقدسة أطيب من الخمر وهذا صحيح وحبيبي لي بين ثديي، وأي ثديين يبيت فوقهم وعلمه مرفوع محبة هذا سليمان، ثم لم يشبع من كل هذا حتى انحرف للتغزل بالطفلة العشراوية التي لم تنهد بعد ثدياها فكاً لعقدة مزمنة في أعماق نفسه الدنيئة وما فكّت، فكتب عنها يقول: لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان فماذا نصنع لها يوم تخطب. نش 8: 8 إلى أن جاء النبي حزقيال ليزيد في الطنبور نغماً وفي التوراة شرفاً حيث قال: نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية. حزقيال 16: 7

فهل يقدر الاباتي الفاضل أن يفسر بصدق ونزاهة وشجاعة لطلاب وطالبات الرهبنة في الدير هذه الآية المقدسة كيف نهد ثدياها وأين أنبت لها شعر؟ تلك الطفلة العشراوية التي كانت عريانة وعارية، وهل سيزعم هذا الأب الروحي أن الشعر النابت المقصود منه هو شعر الرأس؟ واليوم حتى الأطفال لا يصدقون هذا الرياء ويعلمون أن الشعر يكون في الرأس منذ الولادة والتي لا شعر برأسها يقال لها قرعة صلعة، أما المجردة من ثيابها يقال عنها عارية. ولنفرض في خضم هذا الدرس الناري الممتع أن الشيطان قرص إحدى الراهبات الشابات المكبوتات فصرخت بعفوية: يا أبتي. نعم يا ابنتي. يا ابتي أين أنبت لها شعر وبكل روح رياضية وهدوء الحكماء العقلاء أجابها الاباتي الفاضل أنبت لها شعر العانة يا ابنتي ثمّ قالت الراهبة ثانية" وبحماس المتعطش للمزيد وما هو شعر العانة يا ابتي فقال لها أبونا ولا حياء في العلم، يا ابنتي شعر العانة هو ما تحت البطن من شعيرات وعنّدت هذه الشقية والمشاكسة والمكبوتة ايضاً وإن الشيطان ركبها ووجدتها فرصة ذهبية للتنفيس عن كبتها المسعور وقالت بصوت تتناغم فيه نبرات الحنية وسحر الأنوثة التي روضت أنكيدو يوماً وهي تزداد شوقاً وعشقاً وقالت لم أفهم بعد يا ابتي فهل لك أن تزيدني علماً؟ فكيف سيفسر لها هذا الأب الفاضل بقية الفزورة، هل سيقول لها أن هذا شرحه عسير ومعقد يحتاج إلى درس خصوصي وشرح ميداني؟ قد يقول قائل ما هذه الفرضيات الساطانية، وما هذه الكلمات الخالية من دسم الأدب والحشمة؟ ولكن أنا أقول هل غرفت يا سيدي كل هذا الكلام من جعبتي، أليست التوراة وأيحاءاتها المورد الذي انهل منه هذه الاحتمالات المعقولة جداً والواردة أحياناً إن كنت لا تدري وأظنك تدري.

والآن نأتي إلى مشهد غير ضبابي من المشاهد الساطعة كالشمس في الممارسة الجنسية وبعد ذلك الجهد البار والمبرور والسعي الجداً مشكور: أدخلني إلى بيت الخمور وعلمه فوقي محبة شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني.

نش 2: 4 ونش 8: 3

نعم يا سيدي بيت الخمور أقدس موضع ترفع فيه الأطراف وتوضع على الأكتاف للتسبيح وتمجيد الرب.

علمه فوقي محبة وشماله تحت رأسي ويمينه تعانقني

بربك يا سيدي الفاضل، أليست هذه الآية المقدسة مشهد جلي وواضح يصور حالة غرامية من مشاهد البلاي بوي(playboy) في وضعية الممارسة الجنسية بين راكب ومركوبة؟ حلفتك بربك بل بشرفك أجب بصدق وشجاعة ولو لمرة واحدة كيف يكون بين ثدييها وشماله تحت رأسها واليمين تعانقها إن لم تكن شوشو (شولوميت) مستلقاة على ظهرها فارجة رجليها كما الرقم المقدس؟ لو قالت حسناؤنا الفاتنة شماله خلف رأسي ويمينه تعانقني لاختلف الوضع، وكنا سنقول عندها أن هناك عاشقين متعانقين يرتويان من عصير الشفاه وشهد الرضاب لإطفاء لظى القلب على الواقف وعلى رأي الحاجة أم كلثوم، ولكن أن تكون الشمال تحت الرأس واليمين تعانق فليس لها تفسير أخر حتما ولا يمكن ان تكون دون انشطاح وانبطاح، ولتجرب كل من لم تصدق أو تستوعب هذا التفسير، قد تكون التجربة عملياً أقرب إلى الفهم والإدراك للعقل البليد، ولكن حذاري ثمّ حذاري أن تتحول هذه التجربة يا سيدتي الفاضلة إلى هواية لأنها قد تنزلق بك بعد الهواية إلى عالم الأنحراف والاحتراف في الانبطاح للانشراح وبقيت يا سيدتي عبارة مهمة جدا وهي لب القضية ألا وهي: علمه فوقي محبة.أنا لم افهمها إلا بكونها ملصقة بدل عبارة أخرى محذوفة والتي كانت أصلا قضيبه فوقي منتصباً، وإلا فان علمه فوقي محبه فهي ثرثرة لا معنى لها، وخاصة في وطيس عراك هذا الجو الجنسي الساخن.

ثم كيف تعرف النبي سليمان على جمال الثديين دون تعري، ولنفرض وهو الحكيم ذو النظرة الثاقبة الذي اخترقت ما يستر جسمها رأى قوائم مواهبها البارزة ونهدها الناهد من تحت اللباس، ولم يراهن بالعين المجردة، بل عرفهم بالعقل كما يتفلسف البعض، ولكن عن أي عقل يخرف أولئك البلهاء الظرفاء، فهل من فيه عقل يهلوس بهذه الخزعبلات والترهات؟ ثم نسأل ثانية كيف تعرف سليمان ذلك الحكيم على دوائر الفخذين وجماهن الساحر، أنا لا أظن أن تلك المراهقة كانت لابسة الميني جوب الذي كان يهوي لها ما يثلج قلبها المضرم بنار الهوى والهيام، ولا أظنها كذلك كانت لابسة بنطال ملصق يستر ويفسر ويخفي لون جسدها ويترجم أبعاد أعضائها، أنا لا أظن هذا ولا ذاك؟ولكن لنفرض هذا أو ذاك والقالب غالب ولكن ماذا عن حلاوة

سرتها وجمال بطنها، هل كل هذه الجماليات لهذه الأعضاء الرائعة الجمال رآها بخياله النبوي واعتبرت له نبوة لأنه نبي؟ على أي حال نتوقف عن الأسئلة الكثيرة التي قد تبدو للبعض مشاكسة، ولكن لا بد لنا من أن نقول إن هذه المقدسات ليست إلا من مخلفات الأزمنة الغابرة للمعتقدات الوثنية السورية وعلينا أن نعلم أيضا أن بعض الأنبياء كان يذهب بها أكثر من غيره، وكان بعض الأنبياء يستنكرها استنكارا مطلقا، فإذا كان النبي سليمان وأمثاله تعشقوا وعبدوا لعشتار آلهة الجنس السوري وقالوا فيها هذه الصلاة وهذه التسابيح. إلا انه كان هناك أنبياء آخرين كالنبي يوشيا حرموا عبادة عشتار واحتقروها، لأنهم كانوا وراء آلهات أخرى.وعن هذا نقرأ في سفر الملوك الثاني:

ونجس الملك جميع المرتفعات المواجهة لأورشليم القائمة عن يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان الملك لعشتاروت آلهة الصيدونيين.

سفر الملوك الثاني 12:23

لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزق المملكة من يد سليمان لأنهم تركوني وسجدوا لعشتروت.

سفر الملوك الاول 31:11

فذهب سليمان وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين. **ملوك الأول 5:11**

هذا كان سليمان الذي يصفه الوحي المقدّس بأنه كان حكيم زمانه، لا بل لم يكن حكيم مثله لا قبله ولا بعده لا موسى ولا حتى المسيح لم يكونا بحكمته، يقول الرب لسليمان:

هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك.

سفر الملوك الأول 12:3

هذا كان سليمان وهذه كانت عشتار آلهة الجنس وهذه كانت آثارها في التوراة وهذه هي معبودة سليمان.

والحب كده وصال ودلال ورضا على رأي الحاجة أم كلثوم.

القمر

وفي أول الشهر عندما تشرق على كل البقاع
ستظهر بقرنين يعينان ستة أيام
وفي اليوم السابع يكتمل نصف تاجك
وفي منتصف من كل شهر ستغدو بدراً في كبد السماء

من اللوح الخامس في التكوين البابلي

صنع القمر للمواقيت

مزمور 19:104

عبادات القمر

كانت الأجرام السماوية المنيرة والمتناثرة في صفحة السماء جاذبة الأنظار ومحيرة العقول لدى الإنسان قديماً فاعتقد بأن هناك أسباب للقضاء والقدر تحدث بفعل قدرة وقوة هذه النجوم ولكن أكثر ما لفت اهتمام الإنسان وفتن قلبه آنذاك كان بهاء القمر مصدر الوحي والإلهام برقة شاعريته وسحر جماله وليونة نوره حيث تبلورت المذاهب والاعتقادات بكونه الإله المهيمن والمانح للحياة من نبات وحيوان ولاسيما الإنسان ذو العلاقة المميزة بهذا الإله، ومن خلال هذه المذاهب كان الاعتقاد السائد آنذاك بان هذا الإله القمر في مرحلة غوصه خلف الأرض وغيابه يومين من كل شهر يعود للظهور في اليوم الثالث بعد أن منح البذار الميت والنبات والأشجار اليابسة حياة تنبعث من جديد في فصل الربيع. أي بنزوله لعالم الأموات يمنح الحياة للأموات فهذا الشكل من الألف الثاني قبل الميلاد خير ما يعبر لنا عن هذه العقيدة، إذ اعتبر الإنسان قديما إن الحياة تكمن في الموت كما إن الموت يكمن في الحياة، فهما جزءان لا يتجزءان لديمومة واحدة هي قضية استمرارية الحياة، فهذه الصورة الوثنية نقرأها في التوراة بوضوح، حيث يقول موسى رجل الله عن يوسف في مباركة بني إسرائيل.



كريت أواخر
الألف الثاني قبل الميلاد

13- مباركة من الرب أرضه بنفائس السماء،

14- ونفائس منبتات القمر **تثنية 33**

فهذه الآية تؤكد بوضوح من أن القمر هو من وراء استنبات البذور، ومن التوراة انتقلت هذه العقيدة إلى النصرانية، إلا إن في العهد النصراني جاءت أكثر وأكثر وضوحاً وصراحة حيث يقول السيد المسيح: الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتموت فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير.

يوحنا 24:12

أما الرسول بولس جاء قداسته ليفهمنا هذه الفكرة بأسلوب مؤدب جداً إذ يقول: يا غبي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت.

الرسالة الأولى

لكورنثوس36:15

هكذا اعتبرت هذه الآيات إن الموت يكمن في الحياة كما أن الحياة تكمن في الموت، فهما وجهان لعملة واحدة، وما يطبق على فكرة الموت والحياة يطبق تماماً على كل المتناقضات. ولنأخذ الظلام والنور مثلاً :في بدء التكوين عندما خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة خالية وعلى وجه الغمر ظلمه، فقال الله: ليكن نور فكان نور وفصل الله بين النور والظلمة فخلق الله النور من ظلمة.

تك 1: 1-4

وإن الله الذي قال ليشرق نور من الظلمة.

رسالة بولس الثانية إلى

كورنثوس 4: 6

فالحقيقة إن لا شيء يأتي من العدم، كما إن لاشيء يعدم، فالموت كامن في الحياة والحياة كامنة في الموت، فهما سبب ونتيجة متكاملتان متناوبتان لديمومة قضية واحدة هي قضية استمرارية الموت والانبعاث، فكما إن البذرة إن لم تمت لن تحيي الثمرة، وكما أن القمر بموته يومين وولادته في اليوم الثالث، هكذا الرب المخلص المسيح بموته يومين وقيامته في اليوم الثالث أحيا المؤمنين بقيامته من بين الأموات، وكذلك الإله تموز بموته ونزوله إلى العالم الأسفل كان سبباً لانبعاث الحياة كما جاء في الأساطير الكثيرة عن موت الإله تموز وانبعاثه.

كان القدماء السوريون ولازال بعضهم حتى اليوم يحتفلون في الأول من نيسان عيد الربيع وهو عيد رأس السنة السورية، عيد انبعاث الإله تموز من بين الأموات وتصادف السنة 6750 سورية سنة 2000 ميلادية مسيحية. وعن السوريين أخذ العبرانيين هذا التقليد ولاسيما عند إقامتهم في بابل فاحتفلوا بالأول من نيسان كرأس سنة وعيد فصح، وعيد الفصح كلمة سريانية معناها الفرح. لذلك كانوا يضربون بالبوق والدف ويرقصون احتفالاً بهذا العيد.

انفخوا في راس الشهر بالبوق عند الهلال اليوم عيدنا لان هذا فريضة لإسرائيل حكم لإله يعقوب.

مزمور 81: 3

وكان العبرانيون يسمون شهر نيسان آبيب أثناء إقامتهم في مصر:

احفظ شهر ابيب واعمل فصحاً للرب إلهك لأنه في شهر ابيب أخرجك الرب من مصر ليلاً.

تثنية 1:16

وبعدما سمي بالسبي البابلي أعادوا ثانية تسميته نيسان، وبقي شهر نيسان رأس الشهور عند العبرانيين، كما في بابل حتى بعد سقوط بابل.

في الشهر الأول أي في شهر نيسان.

استير 7:3

انظر قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان آبيب، ومن جميل الصدفة أن العالم أجمع يحتفل بعيد الأول من نيسان كعيد تحلل فيه الكذبة المحرمة كل أيام السنة، إن هذه الكذبة وما تختزنه من كبت وجدت لها متنفساً في هذا اليوم، ولكن ما علاقة هذه المناسبة في مذاهب الأولين؟ فلا بد من أن لها علاقة إذ أن الوجدان الجماعي حمل تلك الآثار جيلاً بعد جيل، واستمر حتى اليوم بعد إن نست ذاكرة المجتمع كثير من تلك الطقوس حيث كانت مقدسة، كما إن تقاليد الاحتفالات برأس السنة كانت أولاً في بلاد مابين النهرين، وتعود جذورها إلى الألف الثالث قبل الميلاد وكانت هذه الاحتفالات تدوم عدة أيام

يمنع فيها معاقبة وإزعاج أي كان حتى العبيد، وكان من حق الطفل أو العبد رفض أي أمر يتلقاه كما أن من حق أي إنسان الكذب دون أن يلقى لوم أو عتاب. فكان العبد يخدع سيده أو يورطه بعمل ما، ويبدو أن على أساس من هذه المفاهيم والنظم تسلطن الإله الثانوي ساطانائيل على سيده، وبعد انتهاء مراسم العيد بقي متمرداً على سيده كما سنرى في قصة سقوط الشيطان. ومن المناسبات التموزية المحتفل بها سابقاً مناسبة موت هذا الإله الذي كانت تحزن له الطبيعة والبشر على حد سواء، فالطبيعة كانت تعبر عن هذا الحزن بالجفاف والقحط بعد نضارة الربيع وجماله، أما العباد فكانوا يحزنون ويندبون تموز وينوحون عليه ويعفروا رؤوسهم ويلطمون خدودهم في الأول من هذا الشهر المنسوب إلى تموز وهو الشهر السابع، فهذا النبي حزقيال يؤكد لنا على هذه الطقوس المعمول بها من قبل العبرانيين حيث يقول:

فجاء بي الملاك إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز.

سفر حزقيال 14:8

وأثناء عودة اليهود من بابل حملوا معهم هذه الطقوس، إلا أن النبي نحميا أمرهم بألا يحزنوا وينوحوا بهذا الشهر بقوله في سفره الإصحاح الثامن: 2- فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع في اليوم الأول من الشهر السابع 9- ونحميا أي الترشاتا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون المفهمون الشعب قالوا لجميع الشعب هذا اليوم مقدس للرب إلهكم ولا تنوحوا ولا تبكوا لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة.وبقيت هذه المعتقدات السورية عند العبريين إلى أن جاءت المسيحية وأخذت منها اتجاهاً معاكساً حيث لا يزال حتى اليوم من المسيحيين في سورية من يقوم بكسر الجرار والأواني الخزفية والبلورية في الأول من شهر تموز، ويقولون كسرنا الشر ولقينا الخير، أي تركنا الوثنية واهتدينا إلى المسيحية (كفرنا بتموز وآمنا بالمسيح).ويصف المسيحيين تموز بالشيطان وفي طقوس

وشعائر التنصير (التعميد) يقول الكاهن كفرنا بالشيطان وآمنا بالمسيح، فيرد العراب وراءه نيابة عن المتنصر.

أما عن التقويم المسيحي أو التاريخ الميلادي فكان من المفروض أن يبدأ باليوم الذي ولد فيه المسيح ليصح التقويم، إلا أن الآراء حول يوم ولادة المسيح متضاربة جداً ومعرفة تاريخ الميلاد الصحيح هو ضرب من المستحيل، والسبب في ذلك هو أن تاريخ الميلاد عمل به في بداية القرن السادس أي بعد أكثر من خمسمائة سنة من الميلاد فكان مجهولاً كل هذه القرون لذلك يرى البعض أن تاريخ الميلاد يصادف الخامس والعشرين من كانون الأول، وآخرون يرون بأنه يصادف السادس من كانون الثاني، والشهود اليهود يرون أنه الأول من تشرين الأول ويدعمون رأيهم بأنه لا يمكن أن تحدث ولادة المسيح في عز الشتاء لأسباب الغيوم التي تخفي النجوم أمام المجوس، والثلوج التي تغطي الأراضي أمام المواشي والبرد، القارص الذي لا يمكن أن يحتمله الرعاة في الخارج على ما ورد في رواية المجوس الذين رأوا نجمة الميلاد في السماء وتبعوها إلى بيت لحم، إلا أن ولادة المسيح العجائبية وأحاديث المعجزات التي تتحدث عنها الكتب السماوية على رأي الغير: هل يستحيل أن تحدث ولادة المسيح بهذه الظروف من رعاة وغنم ومجوس يراقبون النجمة إلى آخره. على أي حال عند جهينة الخبر اليقين، بل مع مريم السر الدفين!

عودة ثانية إلى موت القمر واختفائه يومين من كل شهر ليظهر في اليوم الثالث، لم تفسر هذه الظاهرة في عقائد الوثنية سبباً لانبعاث النبات وحسب، بل جاء أيضاً ليعبر هذا المعتقد على كونه سبباً لاستمرارية حياة البشر أيضاً ولاسيما بشأن خصوبة المرأة حيث ربط الإنسان قديماً بين النظام الشهري للقمر والنظام الشهري للمرأة (العادة الشهرية) فثلاثة أيام المرآة من ذروة طمثها ودورتها الاعتيادية هي ثلاثة أيام خسوف القمر، وهذا الخسوف من القمر هو موته الذي يتسبب في خصوبة المرأة لذلك سادت أعراف في تلك الأجيال بان المرأة العاقر تشرب من الماء المعرضة لأشعة القمر بعد أن تعرض

جسدها عارية لضوئه وهو هلال أو في ذروته المتزايدة أي المكتمل بدراً، لكي يمنحها الإله ثمرة البطن وكما كانت تحذر العذارى من شرب الماء المعرضة لضوء القمر لكي لا يحبلن. هذه كانت بعض تلك الأعراف والمعتقدات إلا أن من تلك الآثار والمفاهيم لازال حتى اليوم من يعتقد بان من شاهد الهلال في طوره الأول أو المكتمل بدراً، فهذه بشرى خير وما كان على المشاهد إلا أن تمتلئ نفسه بهجة وسرور ليقوم بتقبيل أول شخص يصادفه بعد مشاهدة القمر ليقول تعال لأقبلك لأني وجدت القمر على وجهك وكتب الشعراء مستبشرين برؤية القمر، وغنى المطربون لرؤية القمر على وجه الحبيب ولازال في شرقنا حتى اليوم من يؤمن بهذه المفاهيم، ومن الجدير بالذكر أن في اللغة الإنكليزية يقال قمر العسل: Honey moon بمعنى شهر العسل ولم يقال Honey month والتي تترجم حرفياً بمعنى شهر العسل، وعندما تنعت الفتاة بالجمال الكامل يقال عنها بنت أربعة عشر نسبة لليوم الرابع عشر من الشهر القمري حيث يكتمل نور البدر وقرصه. ومن هنا أخذت أسماء القمر والبدر كناية عن الجمال، والهلال كناية عن البشرى، كما أن طلال تعني الهلال المطل بالبشرى. هذا عن الجانب الايجابي من القمر، أما من الجهة السلبية فقد كان ومازال حتى اليوم أيضاً من ينسب بعض الأمراض إلى الهلال عندما يكون في أقنومه الثالث أي مرحلة تناقصه وتلاشيه، لذلك يقال وقع بالشهر والشهر من أسماء القمر ومن الأمراض التي كان يصاب بها الواقع بالقمر حسب قناعة الاقدمين أمراض الصرع والجنون، وكلمة مصروع اليونانية مشتقة من اسم القمر لاعتقادهم بهذه المفاهيم التي غزت كثير من اللغات القديمة والمعاصرة كاللغة الإنكليزية حيث دخل اسم القمر Moon في تركيب بعض المفردات ليعطي معاني سلبية مثل كلمة Moonstruck والتي تعني مختل عقلياً أو ممسوس وكلمة Mooncalf والتي تعني مخبول وأبله ويمكن أن تطلق أيضاً على الحيوان أو النبات ذو صورة أو بنية غير سوية، ومن أمراض القمر أيضاً ما يسمى بعمى القمر Moonblind وليس هذا بعماء تام وإنما سوء رؤية.

كل هذه الأمراض وكثير غيرها وفي كثير من اللغات اشتقت من اسم القمر لاعتقاد سابق من أن القمر في طوره السلبي يصيب بالمرض ولا سيما الأطفال. وكل هذه الآثار وصلت إلى هذه الأجيال من الوثنية وكان للتوراة فضل كبير في ترسيخها بعد أن ثبتت هذه التصورات بالتوراة كما جاء في مزمور 121: 6

لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر في الليل.

صحيح أن حرارة الشمس قد تسبب ضرراً والتهابات، ولكن ليس من المنطق إن ضوء القمر ممكن أن يصيب بالمرض فالمعتقدين بضربة القمر وأمراضها يقولون: إن أطباء اليوم لا يفهمون بهذه الأمراض فمعالجتهم تتم بان تغمس الإصبع في الماء المعرضة لأشعة القمر في طوره الايجابي أو أثناء كمول البدر ويرسم على الجبين صليب أو هلال ثلاثة مرات كل يوم إلى أن يشفى المريض ثلاثة مرات كناية عن أطوار القمر الثلاث ويرى الجاحظ أن أوان الصرع الأهلة وأنصاف الشهور ولزيادة القمر إلى إن يصير بدراً اثر بين في زيادة الدماء والأدمغة. عن كتاب الحيوان.ج 5-ص479

وعن هذا أنشد دعلج بن الحكم:

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب ... وشيطانه عند الأهلة يصرع

الحيوان ج6-ص243

الثالوث المقدس

الثالوث المقدس

الثالوث هو العقيدة الجوهرية الأهم في المعتقد المسيحي فهل تعلم به التوراة أم تستنكره وكيف انبثقت هذه العقيدة حتى تطورت إلى أن أصبحت العقيدة المركزية المسيحية؟

بالرغم من أن كلمة ثالوث مقدس لم تذكر صراحة بأي كتاب سماوي إلا أن الإشارات إليها كثيرة فالثالوث له قدسيته وتؤكد عليه الكتب السماوية إضافة إلى كتب مقدسة في ديانات أخرى ولكن بالشكل العفوي حيناً والجهر أحياناً بين الإشارة والرمز وتستطيع أن تقول بان المسيحية هي أكثر المذاهب وضوحاً وعلانية في إقرار قدسية الثالوث وقبل دراستنا للثالوث المقدس في الوثنية وعند معظم الديانات لا بد لنا من توضيح مفهوم الثالوث في المعتقد المسيحي لأنه الدين الأكثر جهراً في تقديس هذا المعتقد.

موجز مفهوم الثالوث المقدس

الثالوث الهي لم يظهر أو ينبثق أو يخلق أي من أقانيمه بوقت من الأوقات بل كان منذ الأزل وليس كائن لوقت من الأوقات بل أنه دائم أبداً فهو سرمدي. والثالوث هو ثلاثة أقانيم لفظاً وواحد جوهراً أي ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة فلا فرق ولا تمييز ولا تفاوت أو تفاضل بين الأقانيم الثلاثة: ألآب والابن والروح القدس نور من نور، من نور وبالرغم من هذا لا يوجد تناقض في كون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة لأنه أبعد من إدراك العقل فيجب الإيمان به كإله واحد متساويين في الجوهر والمجد.

هذه هي العقيدة المركزية المسيحية ولكن كيف أوحي بهذا المفهوم وكيف تطور جيلاً بعد جيل منذ أن بدا الإنسان يخطو خطوته الأولى في طريق الإيمان.

تبلور ونشوء مفهوم الثالوث الإلهي

رفع الإنسان قديماً رأسه لينظر إلى السماء بعد أن استقام وانفصل عن المملكة الحيوانية وبدأ مغامرته الأولى في تصوراته وتفسيراته وإذا بالقمر يشد انتباهه ويهيمن على قلبه ويوقض تأملاته وأحاسيسه فأخذ يتمعن في أطوار القمر الثلاثة: المرحلة الأولى عندما يظهر القمر بشكل هلال رفيع باهت يتزايد نوره يوماً بعد يوم من خلال طوره الأول إلى أن يتم بشكل بدر تكتمل دائرته البدرية فيكون طوره الثاني وهو الكمول إلى أن يتناقص شيئاً فشيئاً من خلال طوره الثالث. إن هذه التبدلات الثلاثة في شكل القمر جعلت للرقم ثلاثة مكانة مميزة في التعظيم والتقديس في أعماق ضمائر عبادات الإنسان القديم فأصبح الإله الواحد من خلال عبادات القمر مجسداً في ثلاثة أقانيم لا تتجزأ، فهو الهلال في مرحلة التزايد وهو البدر في مرحلة الكمول وهو الهلال في مرحلة التناقص، فهم ثلاثة في واحد إنه القمر. إن هذه العقيدة التثليثية منذ بدايات الديانات الوثنية استمرت عبر كل الديانات الوثنية والسماوية جيلاً بعد جيل يتفاوت جلائها من دور إلى أخر وكلما اقتربنا إلى سماويات اليوم زاد وضوحها من شكلها العفوي إلى المدرك، ففي مذاهب السومريين كانت المياه البدئية هي الآلهة الأم التي تتضمن الأرض والسماء قبل أن ينبثقا عنها فكانت آلهات ثلاثة في واحدة فهي المياه وهي الأرض وهي السماء يعيشان في رتق وسكون مطلق مازجين كيانهم بوحدة وانسجام تام ومن ثم انبثق عنهما كل شيء، وفي أسطورة التكوين البابلي أيضاً نقرأ:

في البدء عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء

وفي الأسفل لم يكن هناك أرض

لم يكن من الآلهة سوى أبسو أبوهم

وممو وتعامة التي حملت بهم جميعاً

أي ثلاثة في واحد، إنها تعامة الأم التي تمخض عنها زوجها ابسو وابنها ممو بعد أن كانوا كياناً واحداً منسجماً كل الانسجام وكان هذا المفهوم الثلاثي من وحي ثلاثية القمر ترسب في اللاشعور عند الإنسان القديم مما عكسه على تصوراته وسلوكه، أما في التكوين ألتوراتي قبل البدء وفي الأزل الأبدي كانت المياه التي تحتوي على السماء والأرض في كيان واحد منسجم: وفي البدء خلق الله السماء والأرض من هذه المياه بفصله بين المياه التي من فوق وقال عنها سماء والمياه التي من تحت وقال عنها الأرض، وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد.

سفر التكوين الإصحاح

الأول:1-7

المقصود من المياه التي تحت الجلد الكتل المائية من بحار وأنهار، أما المياه التي فوق الجلد أي فوق السماء المقصود منها الأمطار للاعتقاد بأن المياه كانت تنزل من السماء قبل معرفة ماهية الغيوم وبقي هذا الاعتقاد حتى اليوم بالتوراة. والجلد أي السماء تلفظ الجيم بالآرامية كما يلفظها المصريين ومن هنا جاءت التسمية الكلدانية لتخصص الكلدان بالكلد أو الجلد (بالسماء والنجوم والفلك).

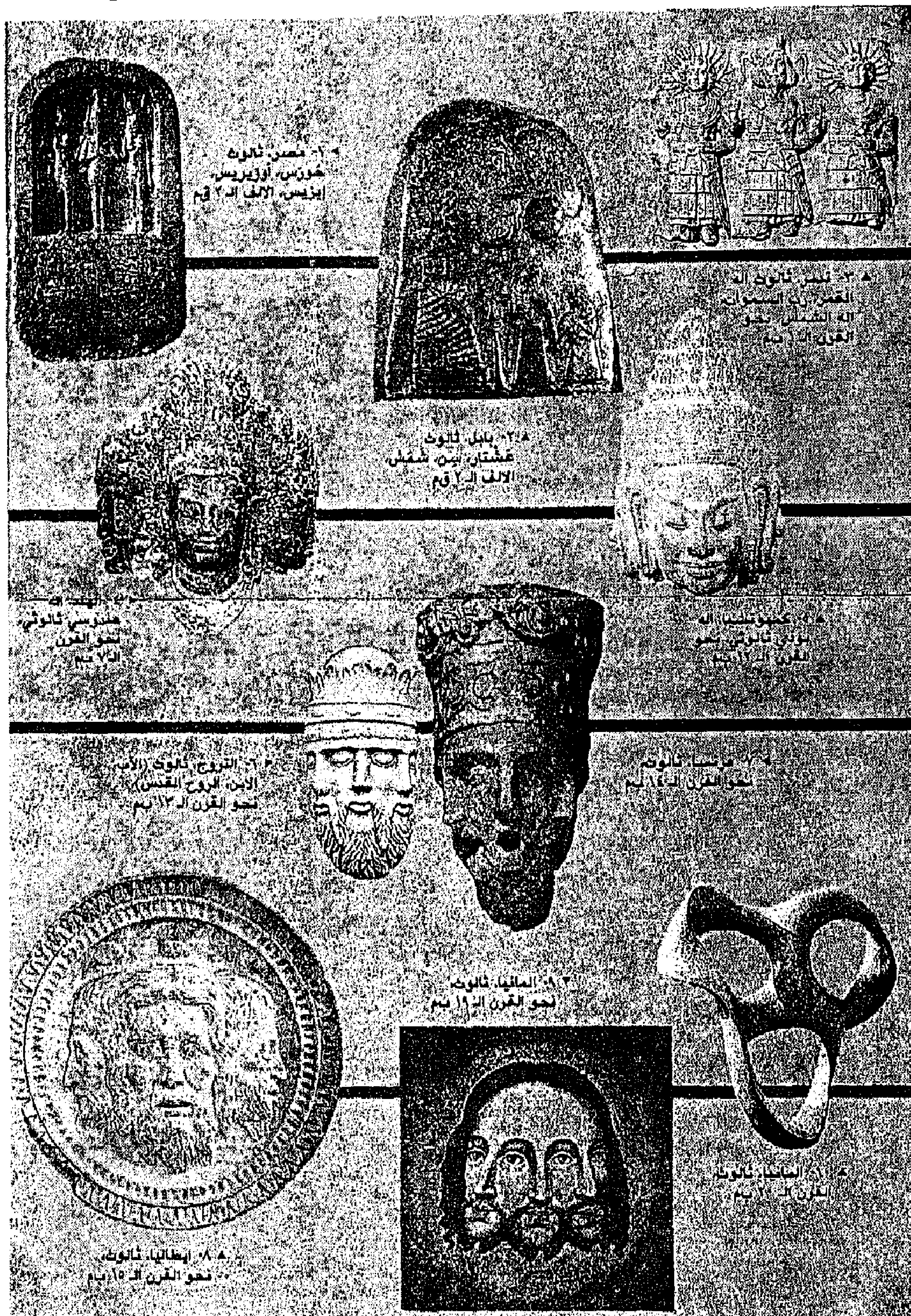
إن عقيدة الثالوث الواحد وإن بدأت قمرية إلا أنها لم تقتصر على الديانات القمرية وحسب لأنه قلما تجد مذهب من مذاهب العباد لم تؤثر فيه هذه العقيدة التثليثية، ففي مصر مثلاً ظهرت عدة عقائد دينية تثليثية شملت ثلاثة اقانيم نذكر منها:

أوزيس الأب وزوجته إيزيس الأم وحورس الابن.

إخناتون الذي أخذ من قرص الشمس وأشعتها وحرارتها وحدوية الإله المجسد في ثلاثة أقانيم.

وفي الهند تتجسد عقيدة الثالوث الإلهي في براهما الإله الخالق ورب الكون الذي يشاركه في الثالوث الإلهي الهندوسي سيفا رب التدمير والخراب وفشنو الإله

الذي يحفظ الكون من الأرواح الشريرة ويحرسه. وفي تدمر كانت عقيـدة الثـالوث مجسدة في ثلاث آلهات هم إله واحد- الشمس والقمر والسماء أنظر الصور.



على أي حال وكما أسلفنا تكـاد لا تخلـو أي عقيـدة مـن التثليـث منـذ بدايات الدين وحتى اليوم وبالتالي انعكس هذا على سلوك المؤمنين فعلى سـبيل

المثال لو أراد العبد أن يؤكد عل فعل أو قول ما فهو يثلث هذا الشيء بذكره أو فعله ثلاث مرات تقديساً للثالوث فهذا سركون الآكادي منذ الألف الثالث قبل الميلاد جاء ليروي لنا في قصة حياته عن أثر هذه العقيدة التثليثية في أعماق نفسه بقوله:

جبت بلدان البحر ثلاث مرات

وأي ملك يأتي من بعدي

ليدر في بلدان البحر ثلاث مرات

أما العبريين الذين استقوا أكثر ثقافتهم عن البابليين ولاسيما أثناء ما أسموه بالسبي البابلي نجدهم يقدسون سلوك التثليث كما في الوثنية حيناً وأكثر أحياناً ولشدة تقديس هذه العقيدة وتيمناً بها تسمى بالثالوث أشخاص(*) كثيرة من العبريين وأسموا أماكن ومدن باسم الثالوث المقدس

أما في سفر اشعيا 3:6 نقرأ: قدوس قدوس قدوس، وفي أرميا 4:7 هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو- 29:22 يا أرض يا أرض يا أرض اسمعي كلمة الرب، وفي حزقيال 27:21 الخ آيات كثيرة يصعب حصرها جاءت لتؤكد على قدسية الرقم ثلاثة فإن دلت هذه الظاهرة على شيء إنما تدل على أن أطوار القمر الثلاثة بتأثير العبادات القديمة كان لها أثرها العميق في نفس العبريين وسلوكهم ومعتقداتهم.

وفي سفر التكوين 18 تتكرر هذه الظاهرة في قصة إبراهيم حيث يظهر الرب لإبراهيم مجسداً بثلاث أشخاص فيخاطبه حيناً بصفة الجمع وأخرى بصفة المفرد أي أن إبراهيم يخاطب الثالوث الإلهي وكأنه شخص واحد وحيناً آخر كأنهم ثلاث أشخاص. فنقرأ في تكوين 18

1- ثم ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا وقت اشتداد الحر نهاراً -2- فرفع عينيه وإذا به يرى ثلاث رجال ماثلين لديه فأسرع لإستقبالهم

(*) شلشة أخبار الأول 37:7، بعل شليشة 2مل 42:4 (شلشة يعني ثلاثة وبعل شليشة يعني الثالوث الإلهي)

من باب الخيمة وسجد إلى الأرض- 3- وقال يا سيدي إن كنت قد حظيت برضاك فلا تعبر عن عبدك-4- بل دعني أقدم لكم ماء تغسلون به أرجلكم وتتكؤن تحت الشجرة-5- ثم آتي لكم بلقمة خبز تسندون بها قلوبكم وبعد ذلك تواصلون مسيرتكم لأنكم قد دخلتم إلى بيت عبدكم فأجابوه حسناً ليكن كما قلت-6- فأسرع إبراهيم إلى داخل الخيمة إلى زوجته سارة وقال: هيا أسرعي واعجني ثلاثة كيلات من أفضل الدقيق واخبزيها-7- ثم أسرع إبراهيم نحو قطيعه واختار عجلاً رخصاً طيباً وأعطاه للغلام كي يجهزه-8- ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي طبخه ومدها أمامهم وبقي واقفاً في خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون-9-- ثم سألوه أين زوجتك فأجاب هي في الخيمة فقال إني أرجع إليك في مثل هذا الوقت ثم نهض الرجال الخ.

من خلال قراءة هذه الحكاية نجد أن الله يظهر لإبراهيم بشكل ثالوث فيخاطبهم إبراهيم حيناً وكأنهم شخص واحد وحيناً يخاطبهم كأنهم ثلاثة أشخاص، ثم تأكيداً على التثليث يكرر إبراهيم تثليث الطلب قولاً كقوله عجلاً رخصاً طيباً ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل...الخ..

إن مخاطبة إبراهيم للثالوث بصفة الجمع حيناً وبصفة الفرد حيناً آخر، حمل أصحاب مدرسة الشك إلى الظن أن حرارة الشمس القوية عملت عملها في رأس إبراهيم، مما جعله يهذي بلا وعي حتى تداخل في لفظه الجمع بالمفرد دون التفريق ولاسيما أن القصة تشير في بدايتها إلى شدة الحرارة.

إن ظاهرة التثليث هذه وبمختلف أشكالها وأساليبها في الديانات جميعها بالرغم من عفويتها أحياناً إنما لم تأتِ من فراغ فإن كانت اليهودية قد أعطت للتثليث قيمة وقدسية ووضوح أكثر من الوثنية، إلا أن المسيحية جاءت لتعطي لهذا الثالوث المقدس أكثر اعتباراً من كل سابقاتها فعندما تعمد السيد المسيح في نهر الأردن ظهرت الروح القدس على شكل حمامة وصوت من السماء يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت - أولاً المسيح، ثانياً الروح القدس وثالثاً صوت الله من السماء.

وفي جبل التجلي ظهر المسيح وموسى وإيليا، فقال بطرس للمسيح يا معلم لنصنع ثلاث مضال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة. **لوقا 33:9**

لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وليالي هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاث أيام وليالي. **متى 40:12**

وفي رؤية يوحنا 8:4 نقرأ قدوس قدوس قدوس الرب كما في التوراة في اشعيا 3:6 وفي رسالة يوحنا 8:5 الذين يشهدون في الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وفي طفولة المسيح عندما افتقداه وجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل يناقش المعلمين (لو 46:2) ولما أكمل المسيح ثلاثة عقود من العمر، بدأ برسالته التي استمرت ثلاث سنوات من التبشير إلى أن صلب عند الساعة الثالثة وبعد ثلاث ساعات كانت ظلمة على الأرض كلها. مت 45:27 ومر 33:15 وبعد ثلاث ساعات اسلم الروح وقبل هذا قال المسيح لبطرس سوف تنكرني ثلاث مرات قبل صياح الديك. وأكثر هذه الآيات وضوحاً في العقيدة التثليثية ما نقرأه في انجيل متى 19:28 فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، كما نقرأ في نفس المعنى في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثس ولتكن معكم جميعاً نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس 2كو 14:13 آيات كثيرة في العهد الجديد جاءت لتؤكد على أهمية وقدسية التثليث ومنها أعطيت لتوحيد الإله صفة الأقانيم الثلاثة في الواحد (ألآب والابن والروح القدس).

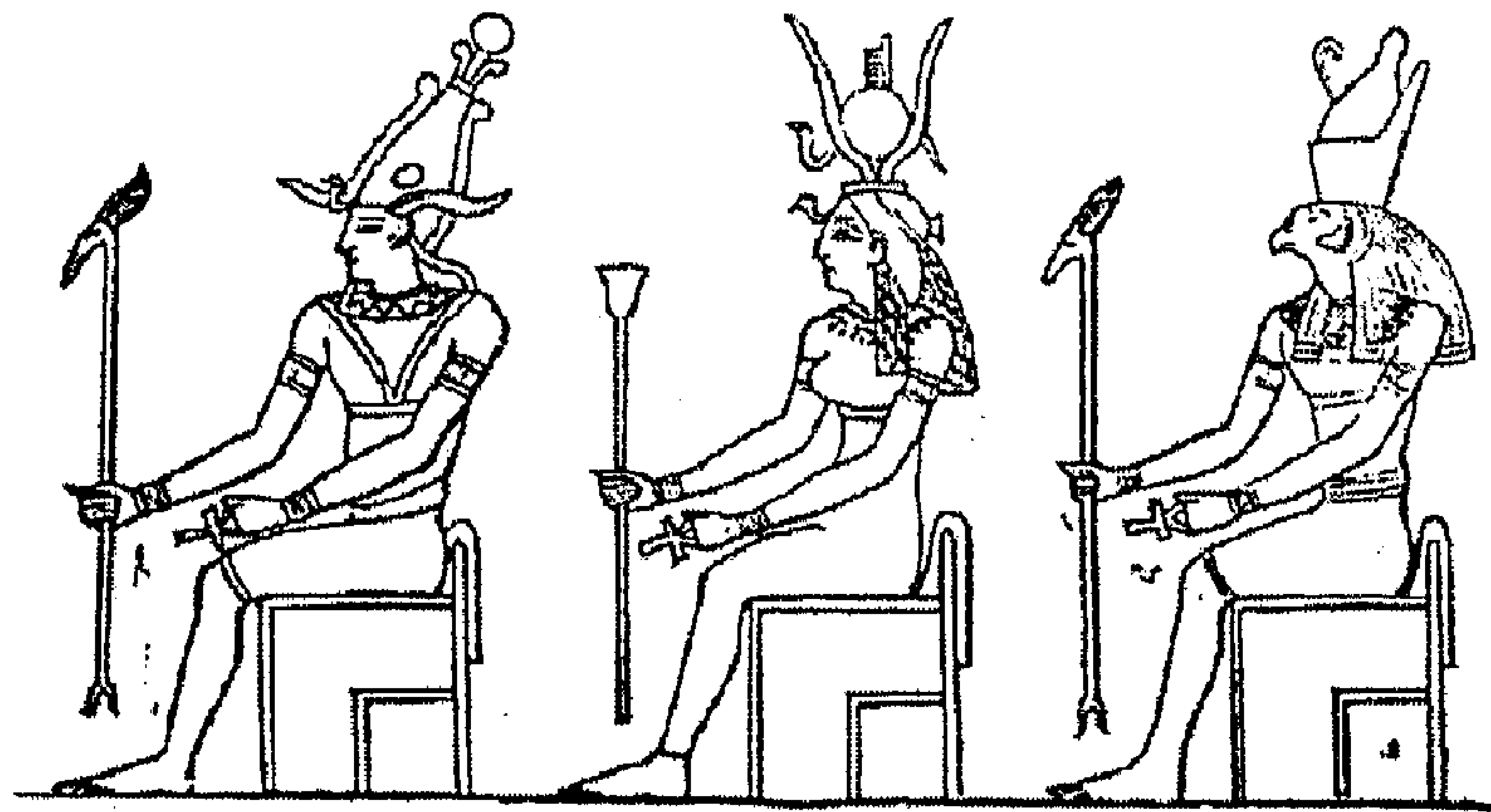
وكان العرب قبل الإسلام ولازالوا يعطون نفس القدسية لهذا الرقم فإذا أقسم العربي مثلاً يقسم والله وبالله وتالله. انظر إلى تفسير أبت هذه الحروف الثلاثة المضافة إلى اسم الله في موضوع عشتار تتحدّث عن نفسها من قسم الجنس في التوراة، وتقديساً لهذا الثالوث كان العرب ولازالوا يقسمون قسماً بالثلاثة أو ثلاثة بالله العظيم، وكانت عبادة الثالوث المقدس في شبه الجزيرة العربية متمثلاً في ثلاثة آلهات هن اللات والعزى ومناة كما أن العزى نفسها كانت مجسدة في ثلاث شجرات من شجر السمار كما أورد الجاحظ في كتاب الحيوان الجزء الرابع صفحة

483 و484، وانظر أيضاً كتاب الأصنام لابن الكلبي ص25 وكتاب لغز عشتار لفراس السواح ص 88

يقول علي بن برهان الدين الحلبي: ليلة ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام بلياهن (انظر السيرة الحلبية الجزء الأول صفحة 116). وفي نوادر الأصول للترمزي قال صلعم. (هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الإيمان في قلبه ثابتاً)، انظر نفس المصدر ص 105

هذا عن التثليث وأثره في الأجيال التي تلت الوثنية، وحتى اليوم وبالرغم من ورود عشرات الآيات في كل الديانات التي تعبر عن قدسية التثليث كما أسلفنا، إلا أنها جميعها لم تتجاوز الشكل العفوي حتى في المسيحية لم تذكر الأناجيل بأن الثالوث المقدس صفة من صفات الله أو عقيدة يجب أن نؤمن بها أما شكلها الصريح فقد تبلور وترسخ وثبت بعد المسيح بعدة أجيال وعلى عدة مراحل وخطوات ومن خلال مجامع آباء الكنيسة المسيحية ففي نهاية القرن الثاني قال ترتليانوس أن المسيح مساوي للآب في الجوهر، فأخذت الفكرة تتوسع وتنتشر بين أقطاب المسيحية وخلال سنوات قليلة اشتد الخلاف بين مؤيد ومعادي للفكرة وكان عهد الملك قسطنطين الكبير آنذاك كان أبو قسطنطين وثني يعبد الشمس التي لا تقهر، وكانت أمه هيلانة ابنة قسيس مسيحي وبعد أن شب قسطنطين وتسلم زمام المملكة وكانت أمه توحي له بالديانة المسيحية وتلقنه مبادئها وتعاليمها حتى اعتنقها، وفي مجمع نيقيا 325م بينما يشتد الخلاف حول ألوهية المسيح والثالوث وكانت نسبة مؤيدي الفكرة أكبر فحسم قسطنطين الخلاف بأن ناصر الفكرة وعلى أثرها حرم أريوس المقاوم لهذه العقيدة ومن ثم أعلنوا قانون الإيمان المسيحي الذي يقر بألوهية المسيح ومساواته للجوهر الإلهي (الآب) وفي مجمع القسطنطينية سنة (381)م أكد المجتمعون موافقتهم على القانون المسيحي للإيمان الذي صيغ على الشكل التالي:

نعبد إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم هم (الآب والابن والروح القدس) هذا عن تشخيص عقيدة الثالوث-مصدرها تطورها آثارها.

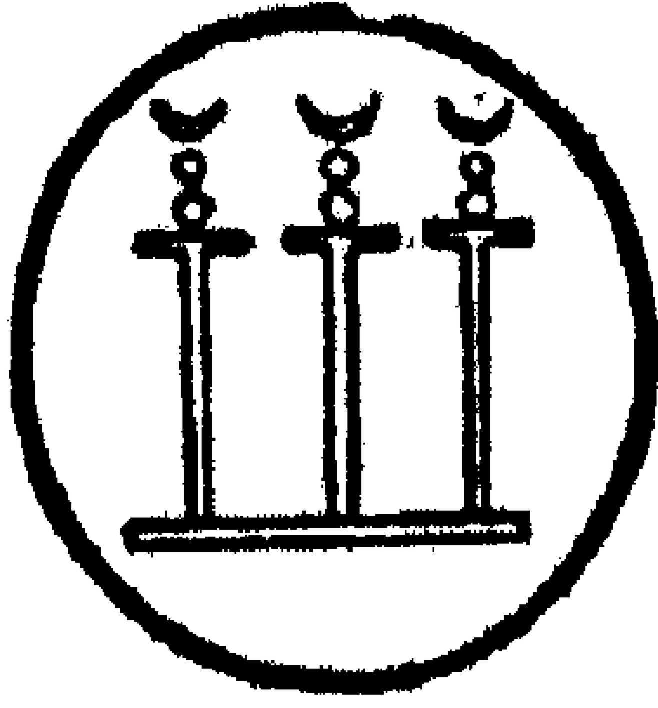


الثالوث المصري وإيزيس وحورس وآوزيريس

الصليب

كما أن عقيدة الثالوث انبثقت من أطوار القمر الثلاثة هكذا الصليب شكله انبثق من هذه الأطوار الثلاثة للقمر، فلو تمعنا بالآثار الكثيرة التي صورها فنانو المذاهب القمرية القديمة تتجلى لنا هذه العقيدة وتطورها من أطوار القمر ففي الشكل الأول يرمز لنا هذا العمل إلى أطوار القمر الثلاثة





نصب فينيقي (أطوار القمر الثلاثة) نقش فينيقي

من خلال هذه الأعمدة الثلاثة، حيث وضع البدر فوق العمود الأكبر ليقول هذا العمود أنا القمر في شكل البدر أو في مرحلة كونه بدر ويحتضن هذا البدر هلال مشيراً بطرفيه إلى العمودين الأصغر ليقولا هذين العمودين نحن القمر في شكله الهلالي أو في مرحلة كونه هلال فالعمود الأول يرمز إلى الهلال في طوره المتزايد والعمود المتوسط وهو الأكبر يرمز للبدر الكامل أما العمود الثالث فهو يرمز للهلال في طوره المتناقص كما في الصورة. أما في الشكل الآخر نشاهد ثلاث صلبان يعلوهم ثلاثة أهلّة تعبيراً عن وحدة الأقانيم الثلاثة، فالدورة الشهرية للقمر من خلال طوره الأول هلال متزايد مخترقا المرحلة الثانية بدر

ومروراً بالمرحلة الثالثة هلال متناقص وانتهاءً بالمرحلة الرابعة الخسوف، أعطى شكل الصليب الذي جاء ليقسم الوجود إلى الاتجاهات الأربعة المقدسة، كما قسم الزمن في دورته الشهرية كما في الشكل وأيضاً انظر مراحل تشكل الصليب.

وكما هو معروف أن السوريين بوحي من هذا النظام القمري قسموا الزمن إلى نظام ستيني والذي ما زال معمولاً به حتى اليوم في كل أنحاء العالم وطبعاً هذا استنبط من حكم الدورة القمرية لذلك جاءت النجمة السورية المصلبة ذات الأطراف الأربعة والتي تحتضن بين كل قطبين ثلاث خطوط رمزاً لثلاث شهور الفصل السنوي، فيكون المجموع الزمني لهذا النظام اثنتا عشر شهراً كما نجده في شكل النجمة السورية أو كوكب أشور أنظر الشكل.



وعن هذا التقسيم الشهري نقرأ ما جاء في اللوح الخامس من سفر التكوين البابلي:

وفي أول الشهر عندما تشرق على كل البقاع

ستظهر بقرنين يعينان ستة أيام

وفي اليوم السابع يكتمل نصف تاجك

وفي المنتصف من كل شهر ستغدو بدراً في كبد السماء

من اللوح الخامس في سفر التكوين البابلي

نستخلص من هذه العقيدة أن الشهر المكون من ثلاثين يوم يوازي ثلاثين درجة من مجموع درجات محيط الدائرة، فثلاثة شهور الفصل السنوي وهو ربع القسم من الصليب أو النجمة الرباعية هذه يشكل تسعون درجة وهكذا كل ربع يساوي تسعون درجة، بزاوية قائمة فيكون مجموع درجات الزوايا 360درجة وهي أيضاً عدد أيام السنة القمرية وهذا النظام الرياضي هو المعمول به حتى اليوم وهي عقيدة علمية ودينية سورية من العهد السومري.

إن هذه العقيدة المستوحاة من الدورة الشهرية للقمر لم تتراوح فقط على النقوش الحجرية التي جسدها الفنان السوري بل عملت عملها أيضاً في الديانات اللاحقة ومنها السماوية أيضاً .

فإبراهيم الخليل عندما نزح عن أور الكلدان كان قد حمل معه هذه المفاهيم والتصورات في أعماق نفسه وأسقاها من ثم لأحفاده من بعده ففي سفر التكوين 48 في قضية مباركة يعقوب (إسرائيل) لابني يوسف تتجلى لنا هذه الحقيقة بوضوح، إذ يعبر لنا إسرائيل بتصرفه عن عقيدة الإيمان بالصليب حيث قدم يوسف ابنه الكبير منسى للمباركة واضعاً إياه عن يمين إسرائيل والصغير افرايم عن يساره كما جرت العادة، حيث يأخذ البكر البركة وطبعاً يبارك باليد اليمنى فنجد إسرائيل لم يضع يمينه على الكبير منسى كما يجب، بل وضع يمينه على الصغير افرايم الذي يقابل يساره ويضع إسرائيل يساره على منسى الكبير مشكلاً في هذه الحركة صليب من تقاطع يمينه بيساره، فيسأله يوسف محتجاً يا أبي إن

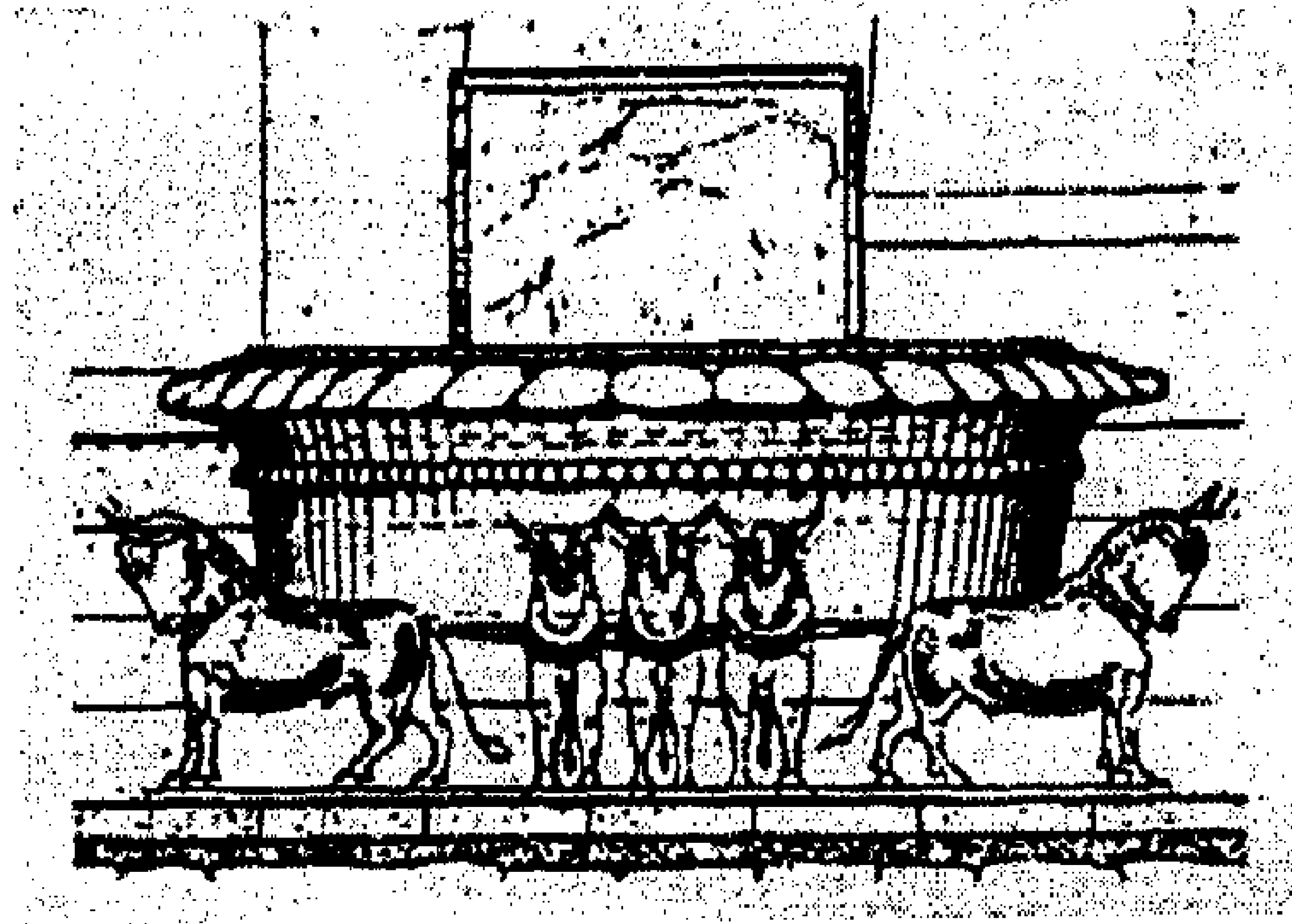
منسى البكر على يمينك لماذا هكذا فعلت فقال إسرائيل نعم وأنا عارف ماذا أفعل تك 48: 13-19 وحافظ العبريين على هذه العقيدة أثناء إقامتهم في مصر فعندما أمر الله العبريين أن يضعوا إشارة على بيوتهم لكي يميزوا عن المصريين، كانت هذه العلامة عبارة عن إشارة الصليب ففي سفر الخروج 22:12 يقول موسى للعبريين خذوا باقة زوفا وأغمسوها في الدم الذي في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. أي إشارة من فوق وإشارة على اليمين وأخرى إلى اليسار فتكون في هذه الحالة رمزاً للصليب والثالوث كما يصلب المسيحيين بإشارة على الجبين وأخرى إلى اليسار وأخرى إلى اليمين. الآب والابن والروح القدس وبوحي من هذه الحادثة وإشارة إلى هذه العلامة أيضاً طلب النبي حزقيال رسم هذه الإشارة أي الصليب على جباه الإسرائيليين، كما جاء في حزقيال 4:9 وكان العبريين أثناء خروجهم من مصر وخلال أربعون سنة في التيه كلما ضربوا الخيام كانت تشكل صليب ثلاثة أسباط إلى الشرق وثلاثة أسباط إلى الغرب وثلاثة أسباط إلى الشمال وثلاثة أسباط إلى الجنوب، مشكلين صليب تتوسطهم خيمة الاجتماع وهذا ما أوحى إلى كاتب سفر الرؤيا بأن يصف مدينة أورشليم السماوية ذات ال12 باباً من الشرق 3 من الشمال 3 من الجنوب 3 ومن الغرب 3 رؤيا 13:21، أما النبي حزقيال فقد ظهر له إله المجد من فوق الثور المجنح (الكيروب) حز 3:10 ليفتح عينيه على شكل الصليب مكوناً من أربع ثيران مجنحة بقوله:

9- ونظرت وإذا بأربع بكرات بجانب الكيروبيم-11- لما سارت سارت على جوانبها الأربعة لم تدر، عند سيرها بل إلى الموضع الذي توجه إليه الرأس ذهبت وراءه.

حزقيال 10:9-11

أي صليب مكون من أربع ثيران كل ثور متجه إلى إحدى الجهات الأربع، وعندما ساروا أكدوا على شكل الصليب في سيرهم إلى الجهات الأربع المقدسة وهذه الثيران المصلبة كما في مضارب الخيام المصلبة وضعها سليمان في

معبده تحت البحر المسبوك كما سيمر معنا وعلى شكل صليب أنظر شكل البحر المسبوك ملوك الأول 25:7 ص ثلاثة إلى الشرق وثلاثة إلى الغرب وثلاثة إلى الشمال وثلاثة إلى الجنوب.



البحر المسبوك: «وهو الحوض البرونزي الذي كان يتوضأ به الكهنة اللاويين قبل الخدمة وبعد تقدمة الذبائح»

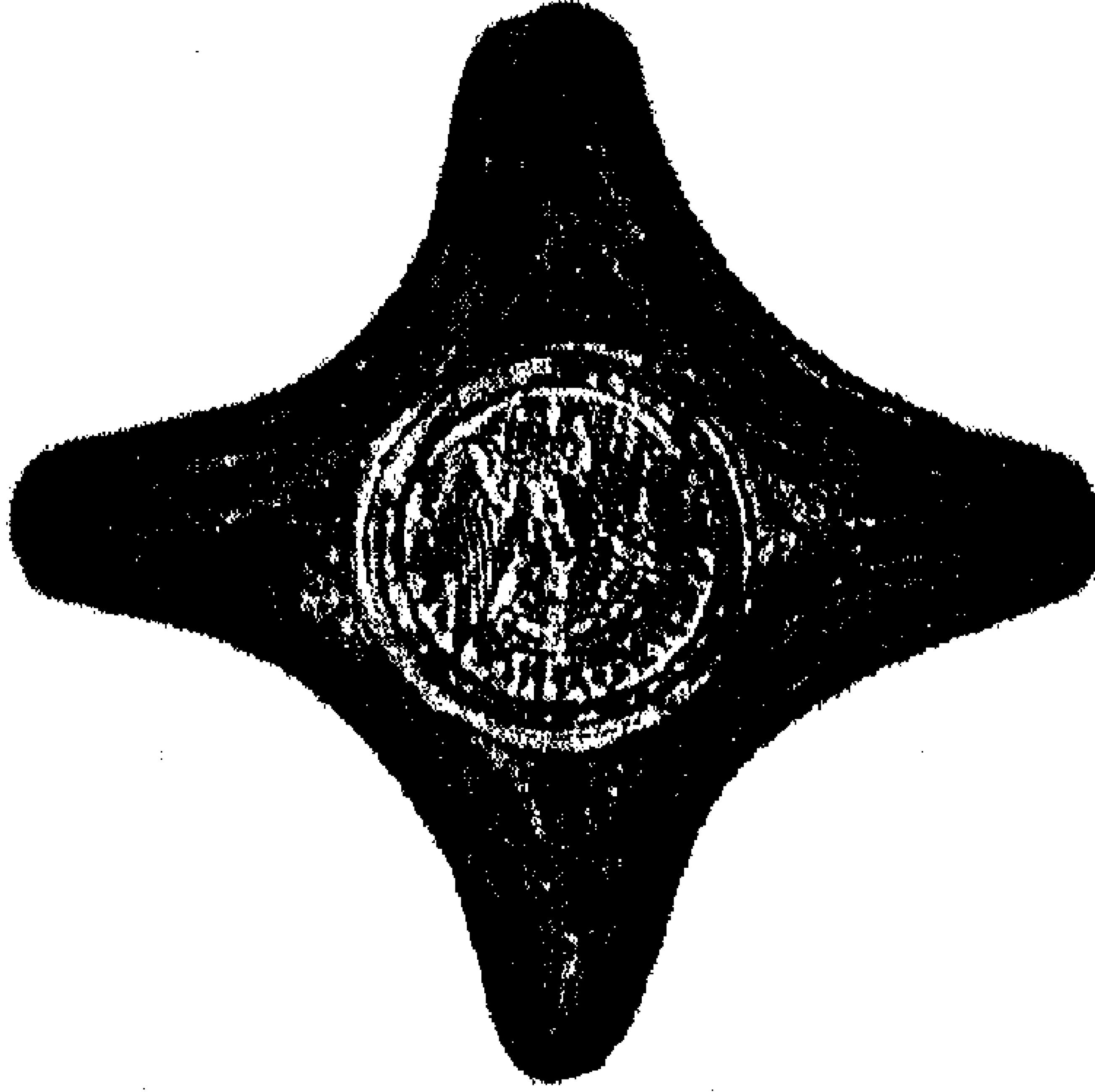
في الخامس والعشرين من آذار من كل سنة أي قبل رأس السنة السورية بأسبوع يقوم بعض السوريين وحتى اليوم بعجن قليل من القمح دون خميرة ووضعه خارجاً تحت ضوء القمر ليختمر بقدسية القمر، ثم يصنع منه خبز على شكل النجمة السورية المصلبة بحسب عدد أفراد الأسرة بعد أن يوضع بإحدى هذه الصلبان قطعة نقدية، ومن ثم توزع على أفراد الأسرة ومن كان نصيبه الصليب الذي يحتوي لهذه القطعة يكون صاحب الفأل الحسن، وإن سعادة الأسرة ونجاحها يكون بسببه ويسمى هذا اليوم عيد الروزونو أي عيد السر الرباني أو عيد السر المقدس الذي يقدر المصائر، وتيمناً بقدسية هذه الطقوس كان العباد يسمون بأسماء روزون كما جاء اسم ابن اليداع في ملوك الأول 23:11

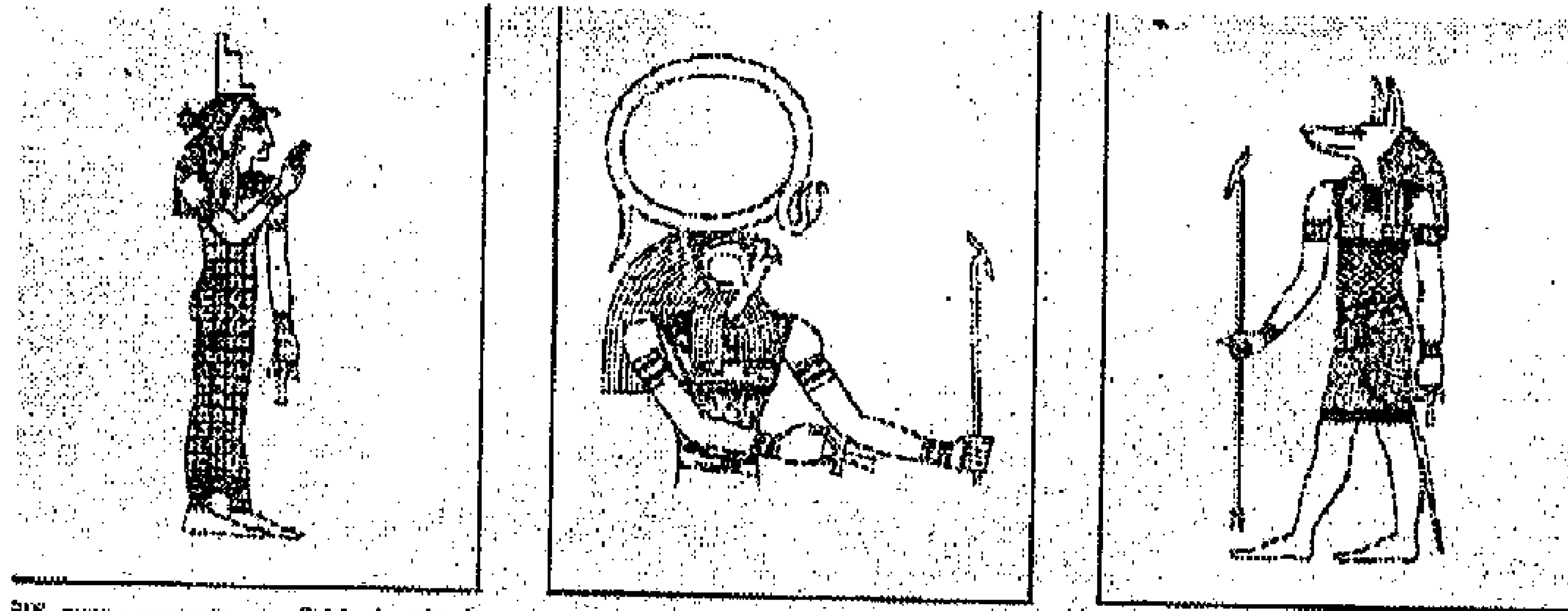
وأثناء ما يسمى بالسبي البابلي تعود العبريين على هذا التقليد، وبالرغم من أن النبي أرميا استنكر هذا التقليد إلا أن العبريين كانوا مصرين على هذا لذلك ردوا على النبي أرميا قائلين:

لن نطيعك في ما خاطبتنا به من كلام باسم الرب، بل نعمل بمقتضى ما تعهدنا به فنحرق بخوراً لملكة السماء (القمر) ونقرب لها السبائك كما سبق أن فعلنا نحن وآبائنا وملوكنا ورؤسائنا في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم فكانت وفرة من الطعام وتمتعنا بالخير ولم يصبنا شر ولكن منذ أن أهملنا إحراق البخور لملكة السماوات وتقريب السكائب لها افتقرنا إلى كل شيء وفنينا بالسيف والجوع، وقالت النساء عندما أحرقنا البخور لملكة السماء وقربنا لها السكائب وعملنا أقراصاً مماثلة لصورتها هل فعلنا ذلك بغير علم أزواجنا.

سفر أرميا **16:44**

قالت النساء وعملنا اقراصاً مماثلة لصورتها أي أن هذه الأقراص كانت مماثلة لصورة النجمة السورية المصلبية كوكب آثور كما في الشكل. والمستنبطة كما رأينا من أطوار القمر والتي ما زال حتى اليوم بعض السوريين يمارسون هذا التقليد. والآن نأتي إلى أكثر النصوص التوراتية وضوحاً وتأكيداً على هيمنة عقيدة الصليب والثالوث المقدس على تصورات العبريين وهذا ما جاء في سفر الخروج 10:17-15 وخاصة أنه جاء صورة مشابهة لصلب المسيح مع لصين. صورة مشابهة من حيث الشكل والمضمون مع اختلاف بسيط في الأسلوب.





الصليب عند الفراعنة

فعندما صلب المسيح كان مصلوبا لصاً عن يمينه وآخر عن يساره فقال اللص الذي عن يسار المسيح ساخراً إن كنت أنت المسيح ابن الله فخلص نفسك وخلصنا، وهنا يعبر اللص عن النزعة السوداء في طبيعة البشر وهو رمزاً لطور القمر السلبي المتناقص، أما اللص الذي على يمين المسيح فرد عليه زاجراً نحن صلبنا وهذا جزاء ما نستحق أما المسيح فهو بريء، ثم التفت إلى المسيح قائلاً : يا يسوع اذكرني في ملكوتك فقال له المسيح اليوم ستكون معي في الفردوس وهنا عبر هذا اللص عن الطبيعةالخيرة في الإنسان ورامزاً إلى طور القمر في مرحلة التزايد والاتجاه نحو الكمال، أما المسيح فكان رمزاً للخير المطلق أو الكمال ورمزاً للقمر في طوره الثاني وهو بدر في مرحلة الكمال لوقا 23:29-43 هذه الصورة يجب أن نقارنها بصليب موسى، ففي حرب العبريين مع العماليق يصعد للجبل ثلاثة رجال موسى وهرون وحور فكان موسى عندما يرفع يديه بشكل صليب كان العبريين ينتصرون، وعندما يتعب وينزل يديه كان العبريين ينكسرون فوقف هرون وحور إلى جانبي موسى داعمين يديه مشكلين صورة صلب المسيح مع اللصين تماماً وهي نفسها صورة لأطوار القمر الثلاثة، فجاء موسى رمزاً للمسيح المصلوب ورمزاً للقمر في مرحلة كموله بدر وهو الخير المطلق، أما هرون أخو موسى فكان يرمز للص الذي نال الخلاص بالمسيح ورمزاً لطور القمر المتزايد الاتجاه نحو الكمال، أما حور فجاء ليرمز للص الذي سخر من المسيح ورمزاً لطور القمر المتناقص الاتجاه السلبي نحو العدم ولا سيما أن اسم حور وهو مختصر لاسم حورس وهو الإله المصري الذي يشكل مع أمه وأبيه الثالوث الفرعوني المقدس.وما يوثق هذا المشهد الصليبي أن الرب قال لموسى دون هذا لذكري فقام موسى وشيد مذبحاً للرب ودعا اسمه يهو نسي والتي تعني يهو رمزي فنيسا ونيشا اونيسو ونيشو تعني رمز أو علامة ونيسان أو نيشان تعني رمزنا وعلامتنا أي صليبنا ووسامنا، وكذلك سمي الشهر الأول بالتقويم السوري نيشان أو نيسان وفي يومه الأول يكون عيد الميلاد السوري أو رأس السنة السورية وهو عيد ميلاد القمر والإله تموز، وهذه الإيديولوجيا السورية وثقت المشهد الصليبي العبري في

قصة صليب موسى التي ذكرناها ويبدو أن هذه هي الفكرة التي حقنت في أسطورة قسطنطين الكبير التي تروي بأن الملك قسطنطين رأى علامة صليب في السماء أثناء المعركة كتب عليها بهذه العلامة تنتصر فقام قسطنطين برسم هذه الإشارة على سيوف الجنود وكان النصر حليفه.

فعودة ثانية إلى سفر الخروج 10:17

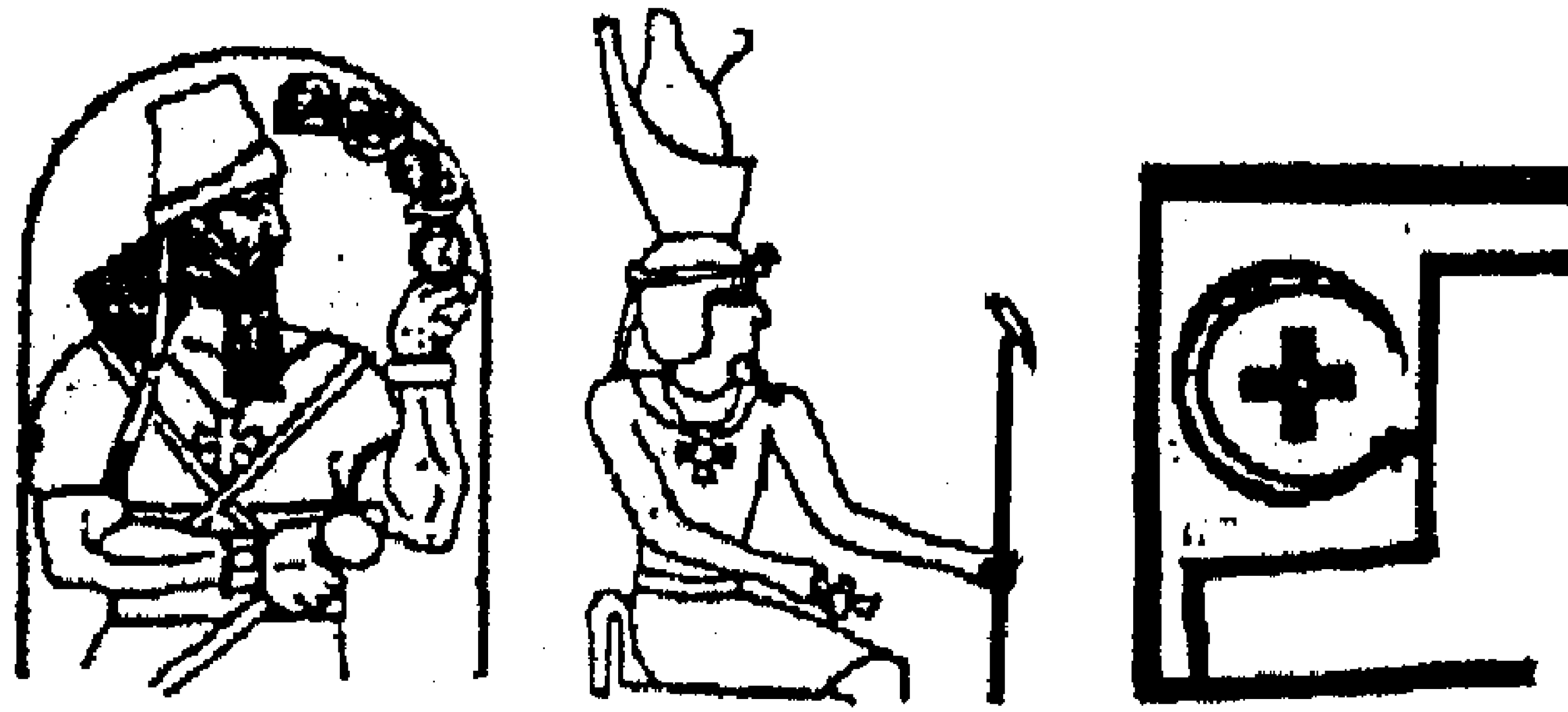
وأما موس وهرون وحور فصعدوا على رأس التلة.

11-وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب.

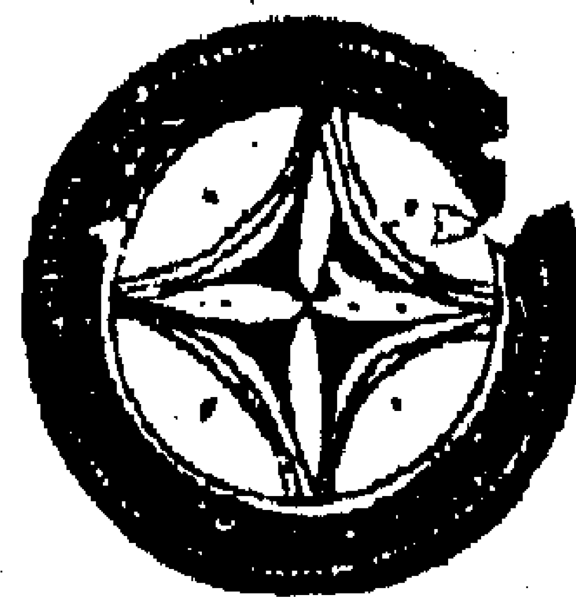
12- فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف.

14- فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء

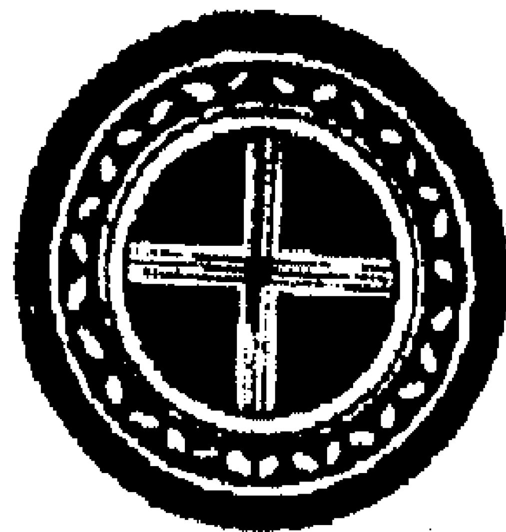
15- فبنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يهوه نسي أي يهو رمزي (يهوا صليبي)



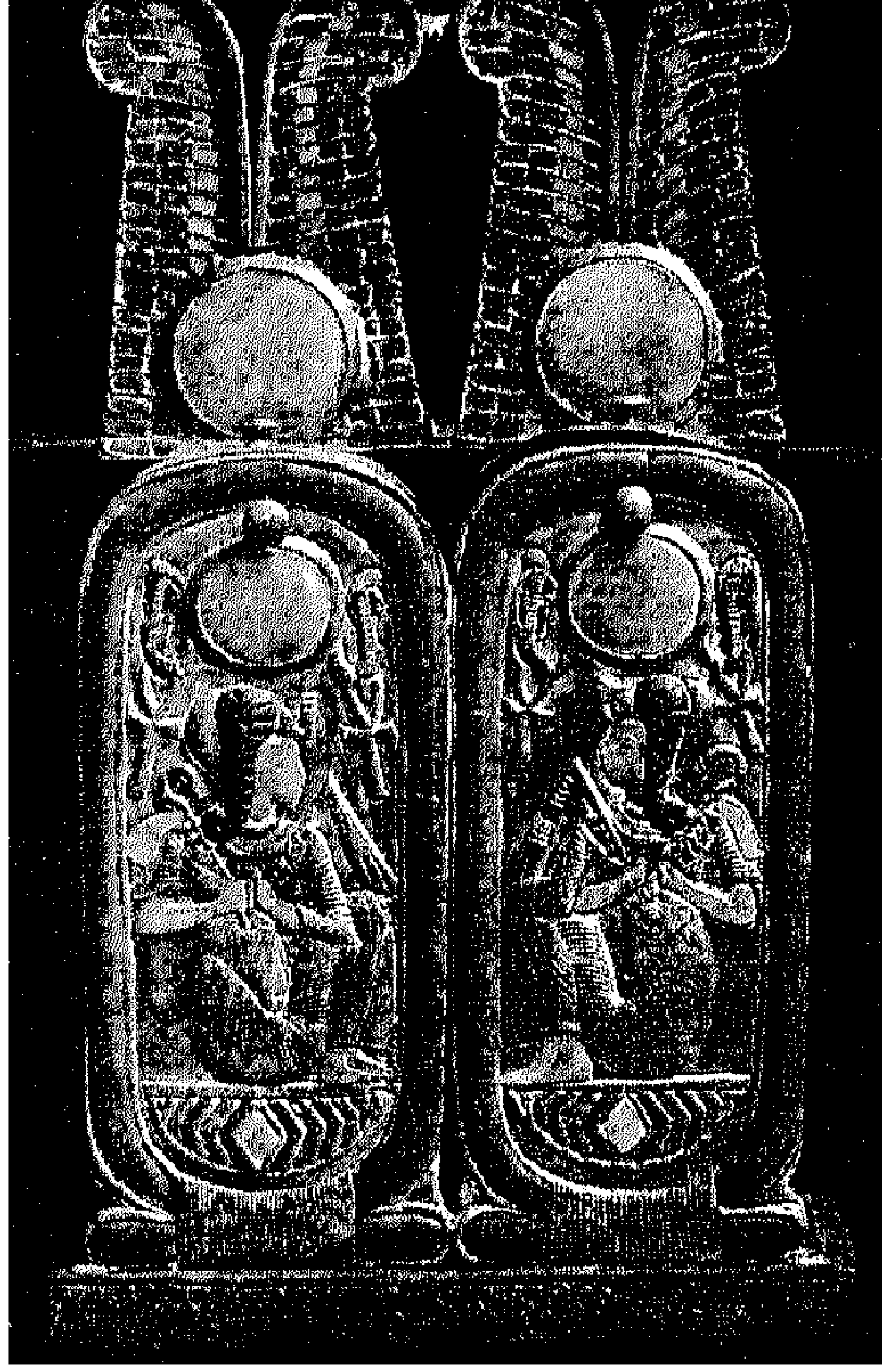
صليب عصر الكتابة من اليسار بابل - مصر - إيران



نقش على الفخار - تل حلف



نقش على الفخار أريدو



وهنا ملاحظة أود أن أشير إليها قد تبدو ساذجة لكني جاد فيها كل الجدية، وهذه الملاحظة مفادها أن خلال مراقبتي لشاشات التلفزة أكثر من سنة لم أر مشهد للرئيس الامريكي كلينتون يجمع مسؤول إسرائيلي ومسؤول عربي إلا وكان الطرف الإسرائيلي على يمين كلينتون، فقط مرة واحدة ظهر فجأة فاروق الشرع على يمين كلينتون وسرعان مازاحمه يهود باراك ودفعه إلى يسار كلينتون وأخذ موقعه، هذا المشهد عرض بالتلفزة أكثر من مرة وذهب كلينتون وجاء بوش الابن ولا زلت أراقب ولم ألاحظ ما يخالف ما ذهبت إليه طبعاً أنا لا أعتقد أن يهود باراك يؤمن بهذه الإيديولوجيات كإلهيات مقدسة لكن لا أشك أيضاً من أنه ينهج هذه السيناريوهات الإيديولوجية لأنها تزيد من رصيده في الانتخابات، لأن المؤمنين بقدسية وإلهية هذه التصورات التوراتية ليسوا بها يستهان بهم كثقل سياسي في المجتمع الإسرائيلي، ثم لولا أساطير التوراة هذه لما كان شيء اسمه إسرائيل هذه الدولة الصغيرة التي تنمو على أحلام اليهود وعلى أكتاف دافعي الضرائب في أميريكا والتي أصبحت كمسمار أمريكا في الشرق لا بل كالخازوق الذي دق ولن يقلع.

أعتقد أني تحدثت بها فيه الكفاية عن عقيدة الصليب المقدس وبقي أن أشير إلى أنه بالرغم من أن شعوب كثيرة خلفت لنا أثار لصلبان في فارس وبلاد الشام ومصر (أنظر الأشكال). إلا أنه بنفس الوقت كان هناك من يحارب هذه العقيدة لا سيما عند الديانات الشمسية. ففي مصر ترك لنا الفراعنة صور للصليب على جدران معابدهم ومقابرهم وأحياناً يظهر الصليب في أيديهم ويتقلدون به في أعناقهم ويعتبرونه مفتاح الحياة الخالدة (انظر الصور) إلا أن بنفس الوقت كان هناك من المذاهب التي تضطهد هذه العقيدة حتى جرت العادات والتقاليد بصلب المذنب بتعليقه على خشبة الصليب حتى الموت بعد أن يدق مسامير في أطرافه في أكثر الأحيان وكان النبي موسى الذي تربى في حضن فرعون يعاقب الضحايا بالصلب. انظر عدد 25: 4

وبقي هذا الأسلوب العقوبي معمولا به حتى أيام المسيح ومروراً بداوود 2صم21:9 وكان داريوس قد أصدر أمراً بالصلب كل من يخالف أمره.

(عزرا **11:6**).

إذاً الصليب كان عقوبة المذنب أما بعد صلب المسيح تحول مفهوم الصلب من اللعنة إلى البركة لأن المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة. غلاطية 13:3.

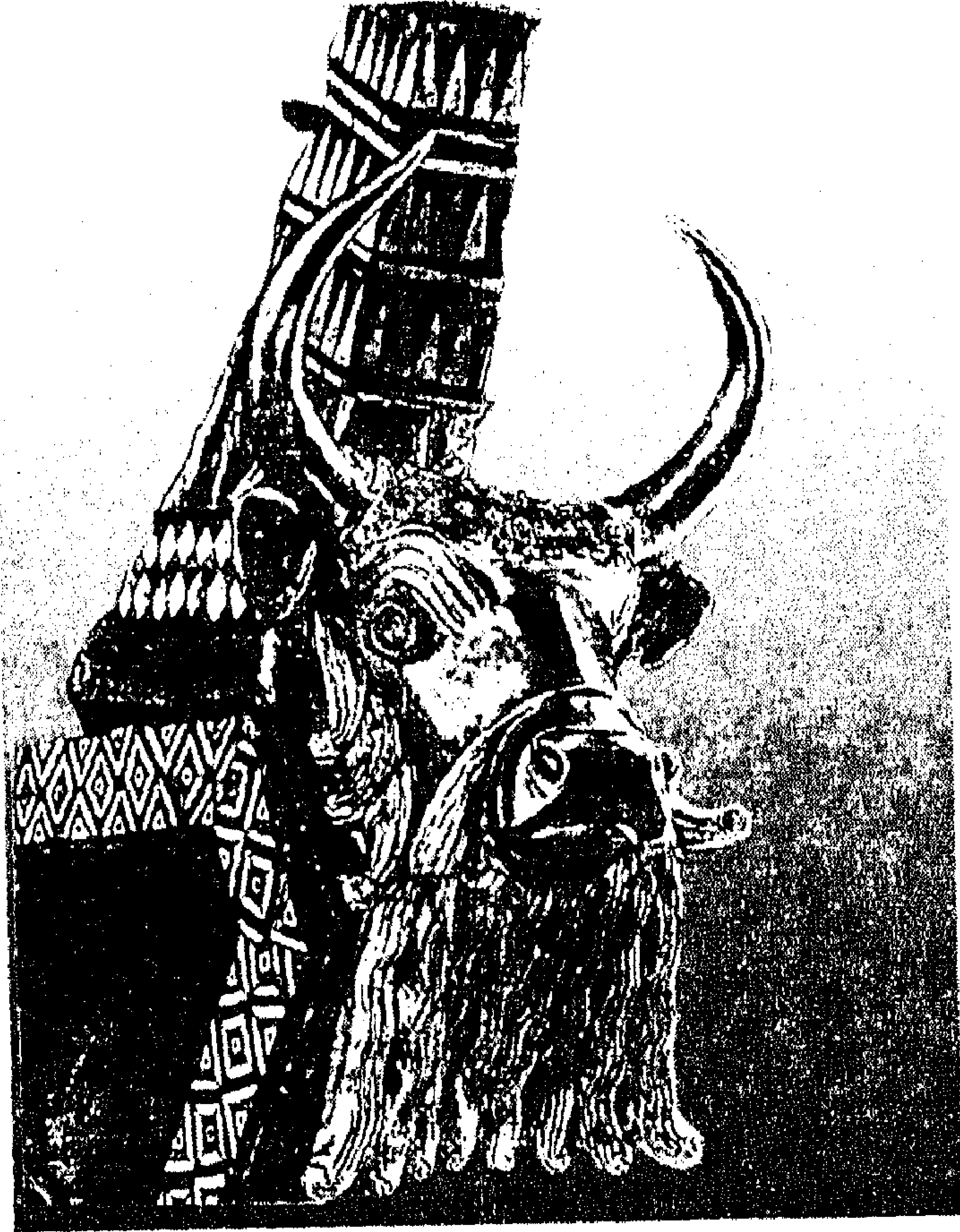
القرن

كما كان لأطوار القمر الثلاثة أثـره في ضـمائر الـديانات البدائيـة ووجـدانها وبالتالي انتقال هذا الأثر إلى الديانات المعاصرة هكذا كان لشكل القمر نفس الأثـر العميق في وجدانية العباد منذ فجر الوثنية وحتـى اليـوم، فإضـافة لاعتبـار القمـر كرمز معبر عن المذاهب الدينية القديمة فإن شكله وهو هـلال جعـل لقـرني الثـور نفس الاعتبار والمكانة المقدسة للتشابه الشكلي بين الهلال وقرني الثور، لذلك نجـد الفنان الوثني والسماوي كثيراً ما يعبران لنا عن هذه العقائد من خلال أعـمال فنيـة وآيات كتابية.

نقرأ في سفر الملوك وصنع صدقيا ابن كنعنة لنفسه قرني حديد وقـال هكـذا يقول الرب بهذه تنطح الأراميين حتى يهلكون وتنبأ جميع الأنبياء بهذا الكلام.

سفر ملوك الأول22:11

القرن
فهو في جلاله كالثور البكر وقرناه مثل قرني ثور وحشي
ينطح بهما الشعوب. (سفر التثنية ٣٣ : ١٧)



رأس ثور من ذهب، جزء من قيثارة ملكية، المتحف العراقي
بغداد، العهد السومري الألف الثالث ق.م.

في هذه الصورة من التوراة نجد لها شبيهات في عشرات النصب الوثنية كما في الشكل، وكان نارام سن أول من لقب نفسه ذو القرنيين، كما كان الإسكندر الأكبر أشهر من لقب نفسه ذو القرنيين فالنبي صدقيا يستمد قوته الإلهية بتوشحه بالقرون لأنها رمز المجد والقوة الإلهية كما تؤكد لنا التوراة عن هذه العقيدة من خلال دانيال 7:20-24 وزكريا 1:18 وتثنية 17:33 وفي المزمور 5:44 يصور لنا الإله ياهو ذوقرون ينطح بها مضايقي وأعداء شعب الله المختار أما في مراثي

أراميا 3:2 وأيوب 15:16 وصاموئيل الأول 1:2 فجاءت هذه الآيات لتقول أن القرون هي العز والشرف والدين والكرامة فارتفاع هذه القرون هو ارتفاع لهذه القيم الدينية المقدسة، وانحطاط هذه القرون هو انحطاط للأخلاق والدين ومنها جعلت المذابح في المعابد اليهودية بقرون لتؤكد على قدسيتها كما كانت الوثنية تجعل مذابح المعابد لآلهتها بقرون، وعن هذا ما نقرأه في بعض الأسطر مما جاء في أسطورة التكوين البابلي (الاينوما-إيليش):

وبعد أن أنهوا برجه المدرج

بنوا في الداخل مسكناً لمردوخ

وأنليل وآيا ثم جلس مردوخ

أمامهم في جلال ومن الأسفل شخصوا

بأبصارهم لقرون البرج الرائعة

هكذا جعل الإسرائيليين مذابحهم بقرون إيماناً بقدسية القرون مقتادين بالعقائد الوثنية وكما كان الوثنيين في طقوسهم الدينية يربطون الذبيحة في قرون المذبح لتتأهل للتقدمة الإلهية هكذا قلدهم العبريين بتقديم الذبيحة للرب بعد ربطها في قرون المذبح كما نقرأ في أغاني التوراة.

الرب هو الله وقد أنار لنا أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح.

مزمور27:118

فإذا لم تربط الذبيحة إلى قرون المذبح كان من المتوجب على الأقل بعد ذبح التقدمة أن يوضع من دمها على هذه القرون فنقرأ في سفر اللاويين.

وقدَم بني هرون إليه الدم فغمس إصبعه في الدم وجعل على قرون المذبح.

لاويين 9:9

لأنه هكذا قال الرب لموسى: وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بإصبعك. خروج **12:29**

فذبحه وأخذ موسى الدم وجعله على قرون المذبح مستديراً بإصبعه. **لاويين 15:8**

مستديراً كناية عن هالة البدر.

وأكثر ما يعبر عن هيبة القرون هذه وحرمتها المقدسة والمحرم إنتهاكها أن المذنبين من العباد كانت تستنجد بها في الظروف والمواقف الحرجة لتنقذهم من الموت المحتم وهذا ما أثبته لنا سفر الملوك حيث جاء فيه:

وخاف أدونيا من قبل سليمان وقام وانطلق وتمسك بقرون المذبح وأُخبر سليمان وقيل له هو ذا أدونيا خائف من الملك سليمان وهو قد تمسك بقرون المذبح قائلاً : ليحلف لي اليوم الملك سليمان أنه لا يقتل عبده بالسيف فقال سليمان لأدونيا إذهب إلى بيتك فعفى عنه.

ملوك الأول 1:50 - 53

هكذا إنتقل مفهوم القرون وقدسيتها من الوثنية عبر التوراة ثم المسيحية فجاءت المسيحية ثانية لتعتبر القرون باب النجدة والخلاص كما في اليهودية.

وامتلاء زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً : مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داوود فتاه.

انجيل لوقا 1:67

أما رؤيا يوحنا 6:5 فقد جاءت لتخبرنا بأن القرون هي روح الله المرسلة إلى الأرض.

ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع عيون هي أرواح الله المرسلة إلى الأرض.

رؤيا يوحنا 6:5.

الثور المجنح البابلي

(الكيروب في التراث العبري - البراق والملاك حامل العرش في التراث الإسلامي)

عندما استهوى قلب الإنسان الإله القمر وانسحر له وربط بينه وبين قرون الثور للتشابه الشكلي بين الهلال والقرن، لم يتوقف الإنسان عند هذا الحد من الاعتبار المقدس للقرون حتى شمل البقرة الأم كلها بقدسية الهلال واعتبرها رمز العطاء والخصوبة التي منها كل شيء فهي الأم العذراء التي أنجبت زوجها الثور وابنها العجل فكانوا ثلاثة آلهات في كيان واحد قبل أن يتمخض عن الأم الكبرى، ومع انقلاب العبادة الأنثوية إلى عبادة الذكورة أثناء انتقال السلطة للرجل تجسد في الثور رمز القوة الإلهية.

ولعبادة الثور أهمية خاصة ومميزة في عبادات الإنسان القديم فشاعت أساطير الثور المقدس وقدسية الثور في سورية ومصر ومن تلك الأساطير أن الثور المقدس ولد من شعاع نور سماوي حل في بقرة عذراء أنجبت عجل مقدس له مثلث أبيض فوق جبهته وهلال على جانبه الأيمن وهو الإله الفرعوني آبيس، وفي صلاة سومرية إلى أنانا من عصر سركون الأول نقرأ:

أيتها البقرة البرية الجموح أنت أعظم من كبير الآلهة آن.

ولكن عبادة هذا الثالوث المقدس للبقرة وزوجها الثور وابنها العجل لم تتحطم على عتبة الديانات العبرية، بل تجاوزتها ووجدت لها مسارب سهلة إلى نفوس العبريين ظهرت خصائصها جلية في المقدسات العبرية، فكان لعبادة الثور بل الأصح كان لعبادة ما يرمز إليه الثور في سورية أن حمل آثاره العبريين عندما نزح إبراهيم الخليل من أور الكلدانين، ومن ثم زواج ابنه اسحق وحفيده يعقوب (إسرائيل) من أبناء أهلهم وعشيرتهم، إن صحَت رواية التوراة.

كان لهذا كله أن حملوا بوجدانهم مفاهيم عبادة الثور إلى كنعان حيث وجدوا هناك الجو المناسب لهذه العبادة، ومن ثم وجدوا لهذه العبادة التربة الخصبة في مصر أيضاً وذلك أثناء إقامتهم أربعمائة سنة هناك، لأن عبادة الثور كانت منتشرة في مصر آنذاك كما أشارت إلى هذا أسطورة العجل أبيس وهذا ما حمل هارون أخو موسى لصناعة العجل والتعبد له.

ولما رأى الشعب أن موسى أبطىء في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في أذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب.

خروج 1:32

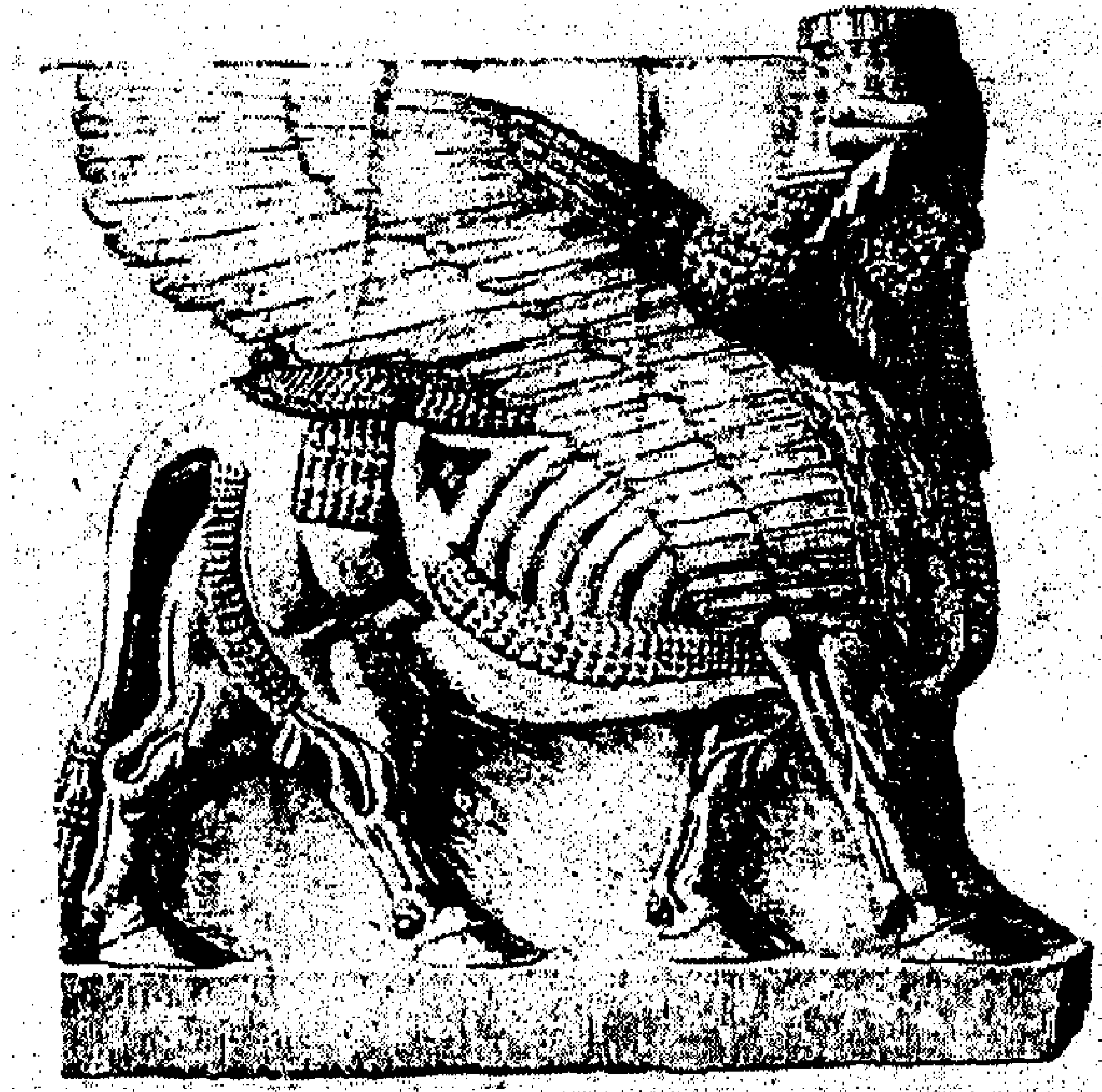
وهنا صح المثل القائل: إذا كان رب البيت في الطبل قارعاً فما على أهل البيت إلا الرقص والتزمير، على أية حال إن أي تفسير يبرر سلوك هارون فهو مردود ومرفوض وخاصة إن بعض مفسري الكتاب المقدس ذهبوا في قولهم إلى أن النبي هارون عندما طلب الذهب من الإسرائيليين لصناعة العجل كان يتوقع منهم أن يتقاعسوا من تقديم الذهب وبهذا تفشل هذه الصنيعة. ولكن هذا ادعاء سخيف باطل وساقط لأنه لا يوجد أي إشارة لتصديق هذا الرأي بل العكس تماماً إذ أن هناك تأكيد على أن هارون كان يقدس الثور وهو قيامه ببناء هيكل لعبادة هذا الثور مع أن بني إسرائيل لم يطلبوا منه هذا. وبالرغم من ورود عشرات الآيات التي جاءت على لسان بعض الأنبياء مستنكرة لهذه الطقوس والعبادات فهل تخلص العبريين من تقديس الثور؟ الحقيقة أن التوراة تخبرنا صراحة أنه وبعد موسى بأكثر من خمسمائة سنة لازالت هذه العقائد الوثنية في عبادة الثيران راسخة في طقوسهم وسلوكياتهم فعند بناء هيكل سليمان المزعوم، أكد اليهود على هذه العقيدة بجعل للثور هذا أصناماً في الهيكل الذي بناه الملك سليمان وعن هذا نقرأ في سفر الملوك الأول 25:7

وكان البحر المسبوك قائماً على إثنة عشر ثوراً ثلاثة متوجهة إلى الشمال وثلاثة متوجهة إلى الغرب وثلاثة متوجهة إلى الجنوب وثلاثة متوجهة إلى الشرق والبحر عليها من فوق وجميع أعجازها إلى الداخل. انظر الشكل البحر المسبوك.

فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثيراً عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر.

ملوك الأول 12:28

وقبل متابعة سردنا للمفهوم الديني للثور المقدس في المذاهب العبرية لا بد لنا من أن نتعرف على الثور المجنح والذي يسميه العبريين الكيروب، والكلمة من أصل آرامي بمعنى الحارث وهومن أسماء الثور/ انظر قاموس سرياني عربي / وكان هذا الثور المجنح قد اشتهر في المذاهب الدينية والأعمال الفنية السورية ولاسيما في عهد الآشوريين، حيث كانوا ينصبونه أمام معابدهم ويزخرفون به جدران قصورهم ومعابدهم وحدائقهم. أنظر حدائق بابل المعلقة أو جنائن الملكة شميرام (سميراميس) وهكذا إلى أن جاء النبي حزقيال إلى بابل مع المسبيين ليقول إن هذا الثور المجنح هو إله الحق وكل شيء من دونه باطل، وبصورة أدق قال هذه هي صورة الله. نعم الثور المجنح هو صورة الله في التوراة.



الثور المجنح (الكيروب)

إن الثور المجنح هو عبارة عن صنم أعني تمثال مصنوع من الحجارة أو أي مادة أخرى كالذهب أو النحاس وغالباً ما كان يصنع من المرمر الأزرق الذي اشتهرت به نينوى (الموصل اليوم)، كالثور المجنح الموجود في متحف لندن وبرلين وهذا المرمر الأزرق وثيرانه المجنحة كانوا يوحون لأنبياء ياهو في رؤاهم أن العرش الإلهي كمنظر حجر العقيق الأزرق محمولاً على الثيران المجنحة.

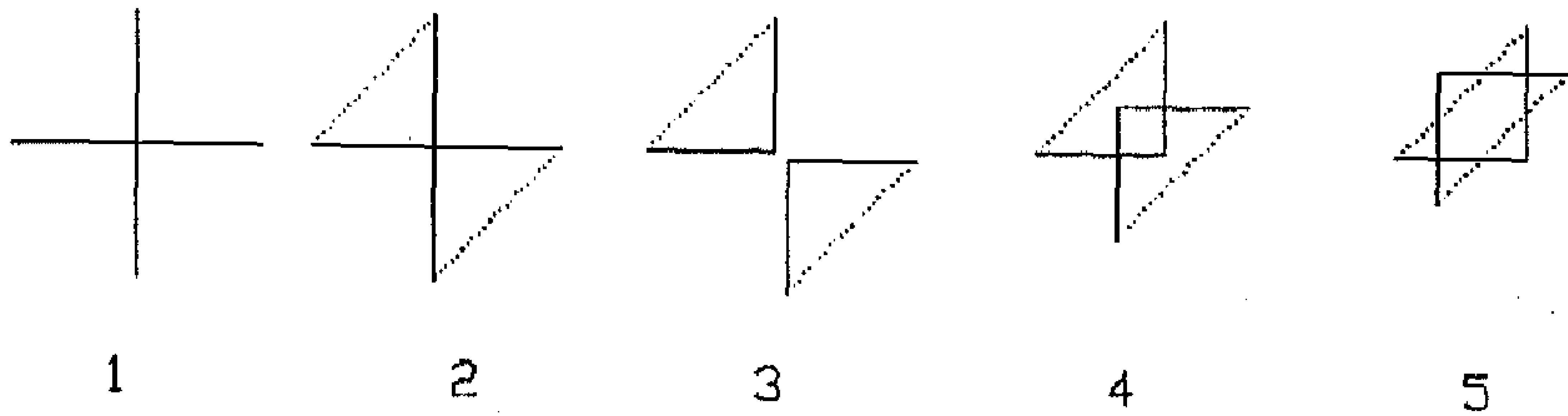
وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش كمنظر إنسان.

سفر حزقيال 26:1

ثم نظرت وإذا على المقبب الذي على رأس الكيروبيم شيء كحجر العقيق الأزرق كمنظر شبه عرش.

سفر حزقيال 1:10

وبالتالي كان هذا العرش الإلهي العقيقي بلونه الأزرق والمستوحى من الثور المرمري النينوي الأزرق هو الذي أعطى لونه إضافة إلى لون نهري الفرات والنيل للعلم الإسرائيلي أخيراً، أما نجمة داوود (نجم داوود أو مجن دوواد كما يقرأه البعض معكوساً) فهي قضية أخرى، إنها قضية اختراق أو تطابق ثلاثي الذكورة لمثلث الأنوثة على ما يراه البعض.أما أنا فما أراه هو تداخل زاويتي صليب بهذا الشكل:



وهو الصليب الذي رسمه إسرائيل من تقاطع يديه أثناء مباركة أبناء يوسف كما مر معنا.

أما رموز هذا الثور المجنح في المذاهب السورية فقد كان له رأس إنسان رمزاً للإله نبو وهو إله الحكمة والعقل وأرجل ثور رمزاً للإله أيل الذي رمزه الثور

وهو سيد القدرة الإلهية الراسخة على الأرض وله جناح نسر رمزاً للإله عليون سيد السماء وله جسم وذيل أسد رمزاً لإله القوة والجبروت، وتيمناً بهذا الإله الرباعي سميت باسمه بعض المدن مثل أربيل العراق أي أربع أيل: الآلهات الأربع وفي العهد الآشوري عرفت باسم أربا ايلو وكذلك مدينة أربد الأردنية اسمها القديم أربيلا أي أربع ايلا (أنظر قاموس المنجد في الأعلام – اربد) ويروى أن الفينيقيين السوريين الذين قدموا إلى فرنسا قبل خمسة آلاف سنة وحيث رست سفنهم أسموا المكان مرسى ايل التي هي مرسيليا اليوم.

والإله نبو والذي يشير إليه النبي اشعيا في 1:46 كان يتسمى باسمه البابليين كالملك نبوختنصر ابن نبوبلاسر وقائده نبوزرادان ورئيس الخصيان نبوشزبان (أنظر قاموس الكتاب المقدس)، أما الإله عليون وكان الإله العلي الذي كان كاهنه الملك الكنعاني ملكي صادق تكوين 18:14 ومن ثم عبده العبريين. تثنية8:32 ومزمور 7: 7 و7:21 أما الإله أيل أصبح أهم الآلهات العبرية وكذلك الأسد أُدخل الهالة المقدسة تأثراً بالثور المجنح حيث رسمه النبي سليمان على عرشه ملوك الأول 19:10 و20 وكذلك في الهيكل ملوك الأول 29:7 ولا زال العبريين يتسمون باسم هذه الحيوانات الأربعة المكونة الكيروب مثل آريل (أسد الله) والتي تعني آريو أي الأسد وأيل أي الله، وأخيراً أخذت هذه الكيروبيم صفة الملائكة الذين أقامهم ياهو أمام باب الجنة وبأيديهم سيوف ليمنعوا الدخول إلا بإذن ولم يؤذن لأحد تكوين 24:3 ورسمت على تابوت العهد خروج 18:25 و19 وأخبارالأيام الثاني 10:3 – 13 وكانت أجنحتهم أحياناً تغطي تابوت الرب وأحياناً يركب ياهو هذا البراق الكيروبيمي. مزمور 10:18 وكما لاحظنا هذه الكيروبيم كيف تحمل عرش الله في سفر حزقيال 22:11 و19:1 و16:10... الخ...

كانت عبادة الحيوانات الأربع هذه منتشرة أيضاً في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ونستشهد على هذا في بيت شعر أورده الجاحظ وورد أيضاً في كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للويس شيخو ص 276.

ملائكة العرش

وفي الرواية أن النبي (صلعم) أنشد قول أمية بن أبي الصلت:

رجل وثـور تحـت رجـل يمينه ... والنسر للأخـرى وليـث مرصـد

فقال: صدق وهذه صفة حملة العرش الإلهي ونُقل عن شرح ديوانه لمحمـد بن حبيب:

يقال إن حملة العرش ثمانية: رجـل وثـور ونـسر وأسـد هـذه أربـع وأربعـة أخرى، فأما اليوم فهم أربعة فإذا كان يوم القيامة أُيدوا بأربعة أخرى. عـن كتـاب الحيوان للجاحظ، الجزء السابع ص 46.

كما أن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي شرح هذه القضية بتوسع في كتـاب الفتوحات المكية الجزء الأول صفحات 147 و148 و149 وبدأها في سبع أبيات من الشعر يقول فيها:

العـــرش والله بـــالرحمن محمـــول ... وحـــاملوه وهـــذا القـــول معقـــول

وأي حـــول لمخلـــوق ومقـــدرة ... لـــولاه جـــاء بـــه عقـــل وتنزيـــل

جـــسم وروح وأقـــوات ومرتبـــة ... غيـــر الـــذي رتبـــت تفـــصيل

فذا هو العرش إن حققـت سـورته ... والمستوى باسـمه الـرحمن مـأمول

وهـــم ثمـــانية والله يعلمـــهم ... واليـوم أربعـــة مـا فيـه تعليـــل

محمـــد ثـــم رضـــوان ومـــالكهم ... وآدم وخليـــل ثـــم جبـــريل

والحق بميكال إسرافيـل لـيس هنـا ... ســوى ثمانيــة غــرَ بهــا ليـــل

وبعد سلسلة من الشروحات والتفسيرات يـشير الـشيخ إلى واحـد مـن هـذه الملائكة فيقول إن الله لما شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير عـين واحـداً مـن هـؤلاء الملائكة الكروبين (الكيروبيم في التوراة) وهو أول ملك ظهر من ملائكـة ذلـك النـور سماه العقل والقلـم ص 148، وقـد ورد معنـا أن رأس الثـور المجنح هـو رمـز لإلـه الحكمة عند الآشوريين وهو الإله نبو ومنه اشتق اسم النبي. وأخيراً يختم هـذا البـاب بقوله: فإنَ لله ملائكة يحملون عرشه على كواهلهم هم اليوم أربعة وغداً يكونون ثمانيـة

لأجل الحمل إلى أرض الحشر وورد في صورة هؤلاء الأربعة الحملة ما يقاربه قول ابن مسرَة فقيل الواحد على صورة الإنسان والثاني على صورة الأسد والثالث على صورة النسر والرابع على صورة الثور. الفتوحات المكية الجزء الأول ص 149.

وقيل أن العرب في العصر الجاهلي جعلت لهذه الحيوانات أصنام وأسموها: سواع ويغوث ويعوق ونسر.

وقال الواقدي: كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة النسر من الطير.

ابن الجوزي – زاد المسير ج8 / 373-374 عن غرائب القرآن وتفسيره (لأبي عبدالرحمن اليزيدي المتوفي سنة 237 هجرية). تحقيق وتعليق محمد سليم الحاج ص392

هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله إسرائيل عند نهر خابور وعلمت إنها الكيروبيم.

سفر حزقيال 20:10

إن رواية ملائكة العرش هذه جاءت تصديقاً لما أورده كاتب رؤية يوحنا اللاهوتي الذي انفتحت له أبواب السماء ورأى العرش الإلهي فوق الحيوانات الأربع.

والحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر.

رؤيا يوحنا اللاهوتي 7:4

وبالتالي هذه الروايات كلها جاءت تصديقاً لما أورده النبي حزقيال في رؤياه بالإصحاح العاشر فمن هو حزقيال النبي؟

إن اسم حزقيال مركب من كلمتين حزقي أيل، أي قوَتي أيل أو الله قوتي، والثور هو رمز هذا الإله وكان حزقيال كاهن لاوي عاش في فلسطين وأخذ مع المسبيين إلى بابل وهو أحد الأنبياء الأربعة الكبار في إسرائيل. يروي لنا في رؤياه بالإصحاح الثامن بأنه كان هناك من المسبيين اليهود الذين يسجدون للشمس (الإله شمش) وآخرون يسجدون للبهائم ومن يسجد للأصنام والنساء تبكين

وتندبن الإله تموز وتسجدن له وفي أيـديهم المجـامر التـي تتـصاعد منهـا روائـح البخور العطرة إلى عنان السماء، إلا أن النبي حزقيال استنكر لكل هذه العبـادات ونجاساتها ليقول بأن هناك إله أعظم وأقدس من كل هذه الوثنيات. ولكـن هـل الإله الذي أوحى لحزقيال وتكلم عنه في وحيـه ألم يكـن إلـه مثـل بقيـة الإلهـات الوثنية تلك؟

تعالوا نقرأ مفسرين الإصحاح الأول من سفره، وهو تفسير الصورة غلاف هذا الكتاب.

يقول النبي حزقيال في الإصـحاح الأول:4- فنظـرت وإذا بـريح عاصـفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظـر النحاس اللامع من وسط النار.

5- ومن وسطها شبه أربع حيوانات وهذا منظرها لها شـبه إنـسان (أي لهذا الإله رأس إنسان كما في شكل الثور المجـنح، أنظـر صـورة الغـلاف).6- ولكل واحد أربع أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة.7- وأرجلها أرجـل قائمـة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقـة كمنظـر النحـاس المـصقول (أي أن هذا البراق كان له أرجل ثور كما هو الثـور المجـنح).8- وأيـدي إنـسان تحـت أجنحتها على جوانبهـا الأربعـة ووجوههـا وأجنحتهـا لجوانبهـا الأربعـة.9- وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم تدر عند سـيرها كـل واحـد يـسير إلى جهـة وجهة (يقصد حزقيال أن أربع ثيران مجنحة كل واحد مـنهم متجـه إلى إحـدى الجهات الأربع المقدسة مشكلاً صليب).10- أما شكل وجوهها فوجه إنـسان ووجه أسد لليمـين لأربعتهـا ووجـه ثـور مـن الـشمال لأربعتهـا ووجـه نـسر لأربعتها... ويتابع النبي حزقيال ليقول:28- هذا منظر شـبه مجـد الـرب ولمـا رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم.

أي هذا هو صوت الله الذي أوحى لحزقيال وهذه هـي صـورته. إنـه الإلـه الوثني التوراتي الكيروبيمي (الثور المجـنح)، إذاً هـذه هـي صـورة الله في التـوراة بحسب سفر حزقيال 28:1 وهذا هو موضوع غلاف الكتاب الذي بين أيديك.

كانت الجزيرة العربية مجموعة من القبائل المستقلة عن بعضها والمتناحرة أحيانا كما في حرب البسوس، كذلك كانت سورية مجموعة من الممالك المستقلة عن بعضها والمتحاربة أيضاً، وأحياناً كانت تخضع كل سورية والجزيرة العربية لقيادة واحدة كما أثناء حكم سركون الآكادي ونبوختنصر وغيرهم، ولكن بكل مراحل التاريخ لم يكن حاجز ثقافي بين كل تلك القبائل والممالك وبالتالي كانت الثقافة السورية حاضرة دائماً في الجزيرة العربية، فإشارة إلى هذا الحضور نذكر حديث الشيخ محي الدين بن عربي في قوله: إن الله لمّا شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير عيّن واحد من هؤلاء الملائكة أسماه العقل والتدوين كما مر معنا قبل قليل والمقصود من هذا الملاك كما قلنا نبو إله الحكمة والنبوة الذي رمزه رأس الإنسان في الثور المجنح.

والأبجدية السريانية / أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت/ عددها اثنان وعشرون حرفاً، وحركات هذه الأبجدية خمسة فيكون مجموع عدد الأحرف مع الحركات سبعة وعشرين وهذا يوازي جوهر العهد الجديد حيث أربع مبشرين بأربع أناجيل ألحق بهم أعمال الرسل وواحد وعشرين رسالة موجهة إلى المؤمنين وختم برؤيا يوحنا. إذاً سبعة وعشرين سفر بحسب عدد الأبجدية السورية مع حركاتها أما جوهر البشارة المسيحية هي أربعة أناجيل عنها يقول الأب لويس شيخو أن نبوة حزقيال التي رآها حيث ظهر له رجل ثم أسد ثم ثور ثم نسر هي الحيوانات الرمزية المشار بها إلى الأربعة إنجيليين، أعني متى الذي بدأ إنجيله بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبه ثم مرقص الذي افتتح إنجيله ببشارة يوحنا المعمدان كزئير الأسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء إنجيله ضحية زكريا في الهيكل وأخيراً يوحنا الذي ارتفع كالنسر لوصف مولد ابن الله الكلمة الأزلية. (النصرانية وآدابها ص 276).

أنا لا أفهم كيف فهم لويس شيخو أن لوقا في بدء إنجيله ذكر ضحية زكريا التي هي البقرة أو الثور، لأن لوقا في بدء إنجيله لم يذكر الضحية كبقرة أو ثور وإنما ورد في لوقا 69:1 وأقام لنا قرن خلاص. والقرن هو رمز للثورهنا كنسبة الكل

إلى الجزء، نسب الثور إلى القرن، أما الضحية كعجلة عمرها ثلاث سنوات فقد وردت في الأناجيل المنحولة كما سيمر معنا بعد قليل.

إن تيار عبادة الثور المقدس لم يهدأ ويستكين عند حد الديانات العبرية وإنما اخترق أيضاً جدار المسيحية وتسرب إلى الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى، فالثور المجنح الذي ألهم حزقيال النبي هو نفسه الذي أَلَهم كاتب سفر رؤية يوحنا كما رأينا. وفي ختام هذا الموضوع نود أن نقول أن التيار الجارف للبقرة المقدسة الذي عصف في أذهان العباد منذ آلاف السنين لم يهدأ حتى وصل إلى السيدة العذراء آخر أم كبرى أو أم إله.

يقول الأب الدكتور متري هاجي أثناسيوس في كتاب الموسوعة المريمية:

يذكر طقس عيد تقدمة مريم في الكنيسة البيزنطية أن الطفلة كانت في الثالثة من عمرها عندما قدمها أبواها وهذا تأييد لما جاء في الأنجيل المنحول قانون العيد في الأوديات 1-3-4-5 ويصفها واضع نصوص هذا العيد بعجلة إذ يقول: إن والدة الله بالجسد لما قدمت للرب عجلة ذات ثلاث سنين تقبلها زخريا كاهن الله ووضعها في الهيكل وإذا سميت مريم عجلة فهذا من الفن اليوناني الغنائي لأن العجلة كانت معبودة الجماهير. (عن الموسوعة المريمية ص 82).

وتورد التوراة بأن اسم إحدى زوجات النبي داوود كان عجلة(*)، كما نعلم أن هذا يعني تيمناً بقدسية العجلة، أما عبارة عجول شفاهنا الواردة في عبريين 15:13 فهذه لم أفهمها ولكن ممحاة التقاة كالعادة مسحتها لتدشن عبارة أخرى محلها وهي ثمرة شفاه معترفة باسمه. وبالرغم من أن حشر الجملة بالآية

السالفة الذكر جعل كل الآية ثرثرة لا معنى لها إلا أن المؤمنين بأن(حرفاً لم ينقص من الكتب السماوية حتى يزول العالم) يصابون بخيبة عند مقارنة الأناجيل المطبوعة حديثاً نسبياً مع قاموس الكتاب المقدس الذي طبع بالسبعينات معتمداً على الأناجيل القديمة وفيه إثبات هذه الآية المحذوفة من الأناجيل.

(*) صموئيل الثاني 5:3 وأخبار الأيام الأول 3:3

الأفعى

ماذا قال القدماء السوريون عن الحية؟

وكيف زحفت هذه الحية عبر آلاف السنين لتبقى حتى اليوم رمزاً للطب وما إليه؟

لماذا وكيف عبد العبريين الحية إلى أجيال بعيدة بعد موسى؟

هل أوصى الله بعبادة وتقديس هذه الحية؟

ألم يلعن الله الحية في بدء سفر التكوين حين خدعت أمنا حواء وأبونا آدم؟ ألم يجعلها الله تزحف على بطنها بعد أن كانت تدب على أرجلها، ألم يجعل الله طعامها التراب بعد أن كانت وجباتها من العشب الطاهر واللحم الحلال. **تك 14:3**

إذا استطاعت الحية أن تنال مكانة مقدسة عند العبريين، هل عجزت من اختراق جدار المسيحية وأن تنال صدر القداسة كما الصليب؟

إذاً ما هي المكانة المقدسة للحية في الكنيسة المسيحية؟ ولماذا قال إنجيل متى كونوا حكماء كالحيات. **متى 16:10**

الحية إله الطب

من الأمثلة والحكم السورية القديمة هناك حكمة للفيلسوف السوري احيقار مستشار الملك سنحاريب ووزيره الأول (681 ق. م) تقول هذه الحكمة: يا بني إذا أكل الفقير لحم الأفعى يقول عنه الناس بأنه يأكلها من الجوع، وإذا أكل الغني لحم الأفعى يقول عنه الناس بأنه يأكلها لأنها دواء.

لسنا الآن بصدد الجمال الفلسفي للحكمة ولا بعمق إنسانيتها، ولكن جاءت هذه الحكمة من الآف السنين لتقول: بأن القدماء السوريين قالوا عن الحية بأن فيها الدواء الشافي لكثير من الأمراض وهذا ما يذكرني بهذه الأسطر من قصة الملك السوري جلجامش في ملحمة الطوفان التي يرويها له اوتانابشتم الخالد (المماثل لنوح في الطوفان العبري) عندما كان جلجامش في رحلته باحثا عن سر الخلود والحياة الأبدية فتقول هذه الأسطورة في بعض أسطرها:

لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقد عانيت التعب والعناء

فما عساني أن أمنحك حتى تعود إلى بلادك

سأفتح لك ياجلجامش سرا خفيا

أجل سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة

يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه

إنه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد

فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الأبدية

وما إن سمع جلجامش هذا القول حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى المياه العميقة وربط برجليه أحجار ثقيلة ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر

النبات، فأخذ النبات الذي وخز يديه وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه فخرج من الأعماق إلى الشاطىء ثم قال جلجامش لاورشنابي الملاح: يا أورشنابي إن هذا النبات نبات عجيب يستطيع المرء أن يطيل بـه حياتـه لأخذنـه معـي إلى أوروك الحمى والسور وأشرك معي الناس ليقطعوه ويأكلوه وسيكون اسـمه (يعود الشيخ إلى صباه كالشباب) وأنا سآكله في آخر أيامي حتى يعود شبابي ثم بعد هذا سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد وبعـد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل وبعد ذلـك أبـصر جلجـامش بركـة ماؤها بارد فنزل فيها ليغتسل في مائها

فشمت حية صل عرف النبات

وخرجت من الماء واختطفت النبات

وفي عودتها نزعت عنها جلدها الخ

أي أن الحية بتأثير ذلـك النبـات العجيـب جـددت شبابها بتجديـد جلدها، ومن هنا أطلق اسم الحية على هذا الحيوان لأنها تحيا طـويلا. ومـن ألقاب الأفعى: الحكيمة والـصل وهـو نـوع مـن الأفـاعي الخبيثـة يـسميه العرب بالداهية ومن هذه الخلفية قال متـى كونـوا حكـماء كالحيَـات متـى 16:10 ولهذه العلاقة بين الحية والحكمـة كـان القـدماء يـسمون الأطبـاء بالحكماء ولازالت هـذه التـسمية حتـى اليـوم، ومـن هـذه المفـاهيم عمـل السوريون على رسم الحية منتصبة ومن جانبيها ذاك العشب العجيب الذي تكلم عنه جلجامش أو رسموا وعاء تـصب الحيـة فيـه سـمها لتعـبر هـذه الصورة على أن الصيادلة تعتمد على هذين المصدرين (الحيـة والعـشب) في اسـتخلاص الأدويـة والـسموم. ولا زالـت هـذه الـصورة رمـزاً للطـب والصيدلة بجميع أنحاء العالم في المشافي وعلى عربات الإسـعاف وقـسائم الأدوية وكل ما يتعلق بالطب.

وكان الأطباء نفـسهم صـيادلة وكـانوا يلقبـون أيـضاً بالعـشابين، وغالبـا ما كانوا من الكهنة الذين درسـوا بملاحظـتهم الذكيـة طبيعـة الحيـة وخـصائص

الأعشاب وأصنافها وميزوا مابين النافع والضار فاستخلصوا منها السموم والعقاقير والمنبهات والمخدرات، فرسمت هذه الصورة على راية ليقول قدماء السوريين بان هذا هو إله الطب وحسب مفهوم وعقلية الإنسان قديما إلى أن خرج الطب من نطاق الكهنة وأصبح علم قائم بحد ذاته، وكان الملك حمورابي أول من حدد بشرائعه حقوق وواجبات الطبيب. ولكن الآن نأتي إلى صلب موضوعنا لنعرف ما مدى تأثير هذا المعتقد بالمفاهيم الدينية المعاصرة وليس بالعلمية فقط.

فلو تصفحنا الكتب المقدسة منذ أن كتبت الأسفار الخمسة الأولى والتي نسبت إلى موسى، فإننا نجد هذا الأثر لازال كما كان في الوثنية إن لم يكن أكثر فهذا النبي موسى أعظم أنبياء إسرائيل جاء بدوره ليقول لأتباعه عندما خرجوا من مصر وكثرت الأفاعي ومات الكثير منهم بسببها وخاف الشعب وتذمر وتندم من الخروج فجاء موسى ليرسم لهم هذا الإله الوثني على راية ليقول لهم يا بني إسرائيل إن هذا هو دوائكم ومنقذكم من ينظر إليه يشفى ومن لم ينظر يموت.

فقال الرب لموسى أصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا

سفر العدد 8:21 - 9

وبهذا الخصوص يذهب بعض أخصائيي الميثولوجيا السورية ومفسري الكتاب المقدس إلى أنه من الغريب جداً أن يقوم موسى بهذا العمل الوثني كما قام هرون بصناعة العجل الذهبي مع أن موسى كان قد تلقى وحي من الله بأن لا يصنع له أية صورة أو تمثال مهما كان.

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن.

سفر الخروج20

إلا أن تفسيرنا الوحيد لهذا السلوك الوثني هو أن موسى وهو أعظم أنبياء إسرائيل لم يتخلص من الوثنية، وإنما هذه الآثار قليلة من كثير ما زالت معلقة بالتوراة بعد موسى بأجيال كثيرة وبالرغم من أن موسى عاد ثانية ليؤكد بقوله: لا تصنعوا لكم أصناماً ولا تقيموا لكم تماثيل منحوتة أو أنصابا مقدسة ولا ترفعوا حجراً مصوراً في أرضكم لتسجدوا له لأني أنا الرب إلهكم.

لاويين 1:26

إلا أنه بعد أن توارى موسى عن الأنظار بأكثر من أربعمائة سنة نجد هذه الآثار تتحدث عن عبادة هذه الأفعى التي تحدث عنها جلجامش وأحيقار والتي كانت إله الطب في المفاهيم والمذاهب السورية القديمة فجاء سفر الملوك الثاني 3:18 - ليخبرنا أن الملك حزقيا قد عمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داوود أبوه وهو أزال المرتفعات وكسر حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ويعبدونها ودعوها نحشتان أي حية النحاس الحنش وتيمناً وإيماناً بقدسية هذا الحنش تسمى الكثير من العبريين ناحاش أي الحنش أنظر 2 صم/25:17 وبقيت هذه الحية إلهاً مقدساً يعبده الإسرائيليين إلى أن حطمه الملك حزقيا ووبخ عليه كثير من الأنبياء، إلا أن الأغلبية الساحقة من اليهود حافظوا على عبادتها إلى أيام المسيح وكان لهذا أن انعكس على الفكر المسيحي.

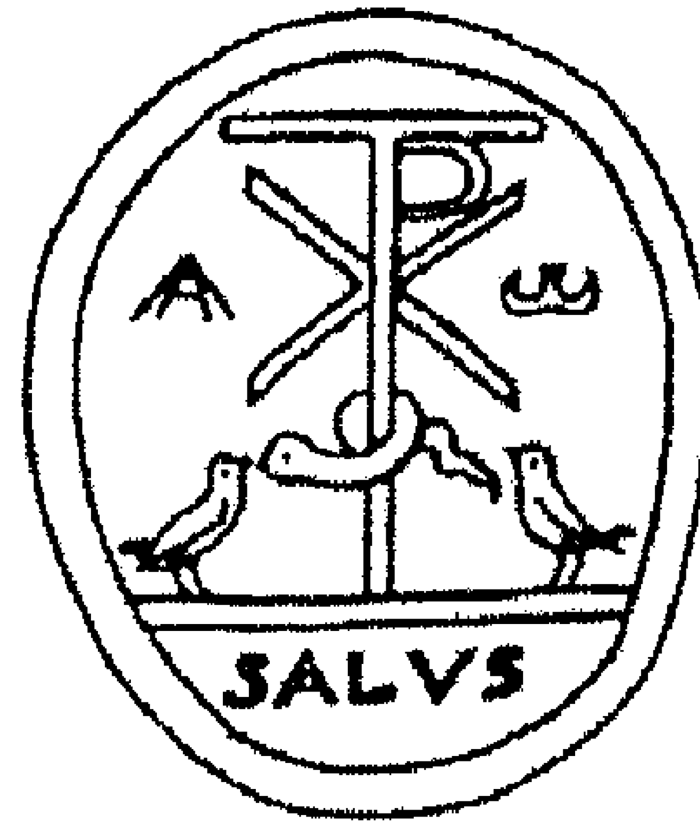
إن الحية المقدسة التي استنبطها الفكر السوري وجاء موسى ليكرسها للعبادة، اعتبرها نجوم المسيحية رمزاً مقدساً لا تقل قدسيته عن الصليب ولذلك نجد آباء الكنيسة يرفعونها جنباً إلى جنب مع الصليب في كل مناسبة ذات اعتبار أنظر الصورة حيث صورها القادة الروحيين على صولجاناتهم وهي مصنوعة من نحاس بل أحياناً من الذهب الخالص فتجد صولجان البطريرك أو البابا مرسوماً عليه أفعى أو اثنان وعندما يبارك رجل الدين لهذا الشعب الساذج يرفع هذا الرسم الوثني فوق الجمهور ليقول: بارك الله المؤمنين.



تسربت هذه السلوكيات الوثنية من التوراة إلى الأناجيل، وترسخت بالفكر المسيحي إمتثالاً للآية الواردة في أنجيل يوحنا 3:14 – والتي تقول (وكما موسى رفع الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان (المسيح) لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) وهذه الآية دسّها اليهود المتنصرين في العهد الجديد.

يُفهم من هذه الآية بأنه كما أن موسى رفع الحية وقال لبني إسرائيل هذا هو إلهكم ومنقذكم من الموت والهلاك ومن نظر إليه وآمن به يخلص، هكذا يجب أن يقدس المسيح ويؤمن به فتلك آلهة وهذا إله.

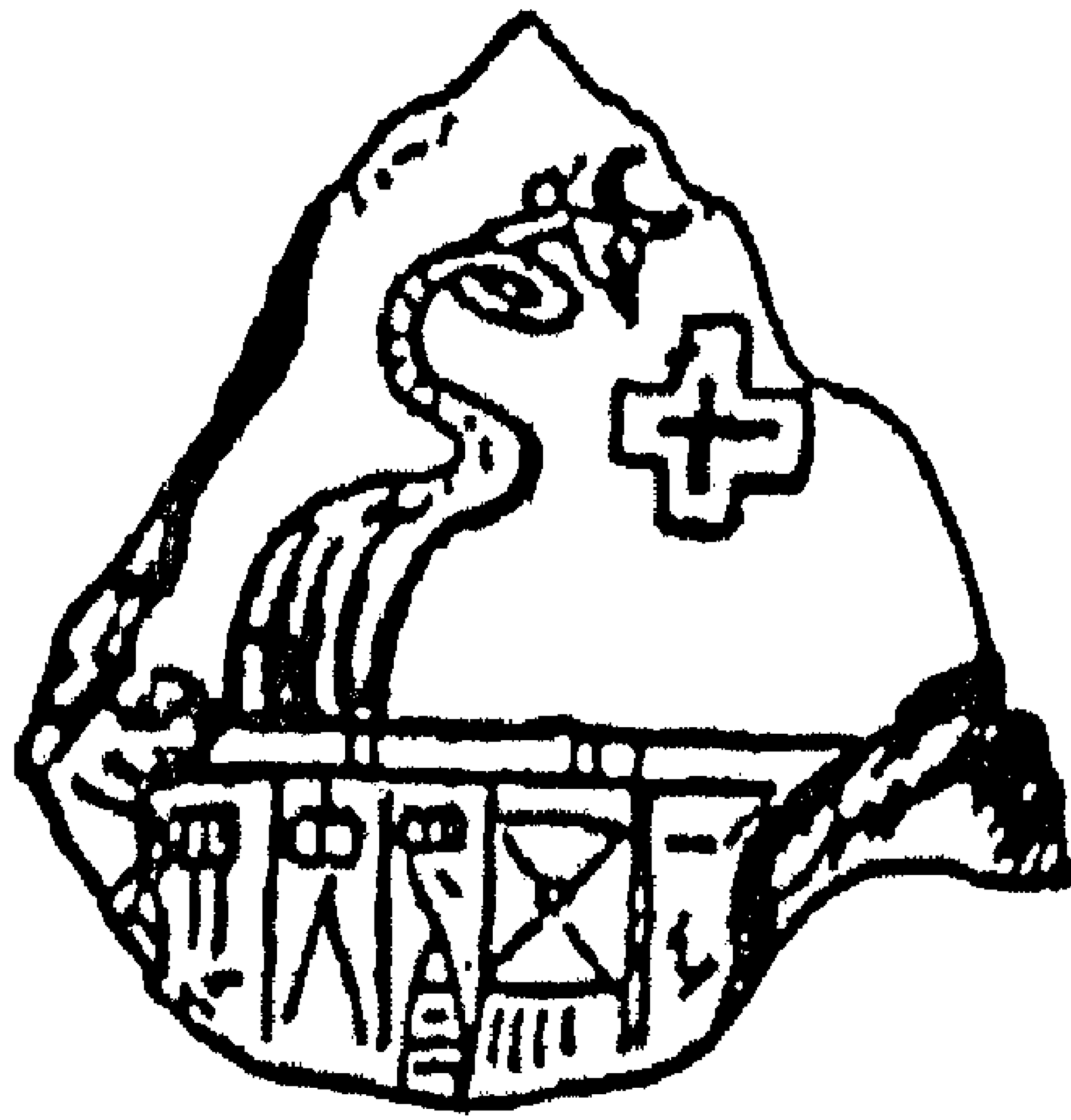
مع أن العهد الجديد مراراً نبه بعدم اعتبار الأصنام والأشياء الملموسة كما قال بولس برسالته الثانية إلى كورنثوس 5:7 (نسلك بالإيمان لا بالعيان) ومختصر القول أن بالرغم من وصاية الله والأنبياء بسحق الأصنام والأشكال الملموسة وأبعادها عن المعابد، إلا أننا نلاحظ صنم الحية لا زال ماثلاً في الكنيسة ولا زالت الأعمال الفنية تتحدث على هذه العبادة، وإلى جانب الحية لا زالت صور وأصنام أخرى في أكثر الكنائس.



الصليب والأفعى والحمامة نقش
من الفترة المسيحية الأولى



المسيح - الأفعى على الصليب
ألمانيا القرن السادس عشر



سوسة - إيران عشتار الأفعى

ريمون

وكانت أعمدة الهيكل مرسوم عليها رمانات حول التاج

ملوك الثاني 25:17

كل الأعمال العظيمة التي قام بها الإنسان منذ فجر وجوده إلى الآن، إنما قام بها والألم ينير له طريق الحياة كمصباح منير وكل الأفكار الجميلة السامية التي أتاها عباقرة التاريخ إنما انتزعوها من مهج متألمة وقلوب ممزقة لم يرو لنا التاريخ أن رجلاً مسروراً قام بعمل عظيم في هذه الحياة، ولكنه يروي أن الألم قذف إلى الحياة الأفكار البشرية الإلهية الخالدة التي تدفقت من ينبوع الآلام البشرية.

إن الزهرة البعيدة عن قصف الرعود ووميض البروق هي بحق بعيدة عن حياة الزهور الحقيقية فبقدر ما تشاهد هذه البروق وتلك الرعود بقدر ذلك تنال فتنة وجمالاً وأرجا منعشاً

العلامة بولس بهنام

وهكذا يكون الإنسان بأعماله العظيمة مدان إلى عجف الطبيعة وقسوتها، لا إلى سخائها ورخائها ومن النادر جداً أن نرى قصراً أفرز عظيماً، فالمسيح مثلاً كانت أمه من خدمة الهيكل، واسحق نيوتن أخرجته أمه من المدرسة لسوء الحالة المادية، وبوذا هجر قصره بلا عودة وانقطع للدراسة عند بعض الرجال الصالحين والفيلسوف الصيني كونفوشيوس توفي والده وهو صغير وعاش مع والدته حياة قاسية من الفقر والعوز. فلو ذكرنا البؤساء في هذه الحياة الذين أناروا طريق البشرية فلا تكفينا مجلدات لتستوعب بعضهم.وهذه الظروف القاسية كانت من وراء جعل الأشقياء من اللقطاء عظماء كما سركون الآكادي فعندما كانت كاهنات المعبد ترسل مواليدهن في

سلّة عبر نهر ليلقى مصيره المجهول فإذا مات كان في خبر كان وإذا نجى تجعل منه قساوة الحياة والظروف رجلاً عظيماً

يقال في الأمثال: ولا يثمر البطن إلا بعد آلام المخاض.

فبقدر ما يضني الضنا بهذا القدر تكون السعادة بالولادة التي تمسح كل آلام المخاض.

الإله رمون

اسم الإله رمون مشتق من اسم ثمرة الرمانة، وهو من أصل آكـادي وكـان رمون اسماً لإله الأمطار والبرق والرعد والعواصف عند قـدماء الـسوريين حيـث كانوا يعتقدون أن غضب الطبيعة من خلال هـذه العنـاصر يبـث في الثمـرة اللـذة والنكهة الطبيعية، وهذه العقيدة لم تكن محصورة بالنبات بل كانت تشمل الإنـسان أيضاً فمعاناة الإنسان من مأساة أو عوز دائماً يكون مبعث إلهام للفكر الـذي يبـدع سداً للحاجة، لذلك قيل الحاجة أم الابتكار.

إيماناً بقدسية رمون ومرادفه هدد كانت العباد تسمى رمـون هـدد أو رمـون أو هدد، وكان اسم ملك صوبة في أرام سورية هـدد عـزار أي المـستعين بهـدد صـاموئيل الثاني 3:8 والإله هدد رمون إليه تنسب مدينة هدد رمون في مرج ابن عامر قرب مجـدو التي جرى فيها عدة معارك شهيرة بالتاريخ (زكريا 11:12)وتسمى هذه المدينة اليـوم الرمانة قرب الناصرة وعن السوريين أخذ العبريين في تقديس هذا الإلـه وإيمانـا مـنهم وتيمنا به كانوا يسمون أبناؤهم باسم هذا الإله رمون 2صم 2:4 كما سميت مدن باسم رمون مثل مدينة رمون جنوب يهوذا وأخرى في حدود زبولون وعندما انهزم البنياميين التجأوا إلى صخرة حمتهم من أعدائهم فأسموها صخرة الإلـه رمـون (قـضاة 45:20) و(13:21) وكان لهذا الإله رمون معبد في دمشق من أكبر المعابد في العالم القديم حيث كان قد اعتاد الملك السوري بنهدد (ابن هدد) أن يسجد فيه ويقدم طقوس العبادة مـع قائد جيشه الملقب بنعمان السوري عن هذا نقرأ في سفر الملوك الثـاني: عـن هـذا الأمـر يصفح الرب لعبدك عند دخول سيدي إلى بيت رمون ليسجد هناك ويستند عـلى يـدي فأسجد في بيت رمون فعند سجودي في بيت رمون يصفح الرب لعبدك عن هذا الأمر.

سفر الملوك الثاني 18:5

إن هذا المعبد هو المكان الذي شيد على أنقاضه الملك قسطنطين كنيسة كرست ليوحنا المعمدان سنة 379م وبعدها جاء الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة 668 – 715م وحولها إلى مسجد إسلامي وهو المعروف اليوم بالجامع الأموي وهو من أكبر المساجد الإسلامية في العالم، ولا غرابة إذا تحول هذا يوماً إلى متحف تلتقي فيه العبادات والمذاهب السورية كما حدث لكنيسة الحكمة المقدسة أو آجا صوفيا في استانبول التي بناها الإمبراطور يوستينياس الأول حوالي سنة 532 ثم حولها محمد الثاني إلى جامع بعد الفتح العثماني وهي الآن متحف من أجمل المتاحف التركية.

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الأضداد

إن الإله رمون لما كان له من الهيمنة على المعتقدات العبرية ومذاهبهم الدينية قديماً ذهب اليهود عند بناء هيكل سليمان المزعوم لأن يرسموا لهذا الإله (رمون) صور كثيرة في كثير من الأماكن في الهيكل وبهذا الخصوص يذهب بعض مفسري الكتاب المقدس والكفار بالوثن إلى أن أثناء بناء هذا المعبد نحتت صور لهذا الإله في أماكن شتى تحت تأثير عقيدة الفنانين السوريين (الفينيقيين)الذين بنوه ولكن هذا الهراء ليس له أي أساس من الصحة لأن العبريين إن لم يكونوا من الذاهبين وراء عبادة هذا الإله، لما وجدت هذه الآثار في المعبد وعلى لباس الكهنة اللاويين التي تؤكد التوراة بأنها كانت بأوامر إلهية إلى أن سمي باسم هذا الإله كثير من العبريين تيمنا به لذا نقرأ في سفر الملوك:

وعمل للعمودين صفين من الرمان في مستديرهما على الشبكة الواحدة لتغطية التاج الذي على راس العمود وهكذا عمل للتاج الأخر والتاجان اللذان على راسي العامودين من صبغة السوسن كما في الرواق هما أربع اذرع وكذلك التاجان اللذان على العامودين من عند البطن الذي من جهة الشبكة صاعدا والرمانات مائتان على صفوف مستديرة على التاج الثاني...الخ

سفر الملوك الأول 18:7

أما كهنة اليهود عندما كانوا يقومون بمراسم الصلاة كان لابد لهم من أن يلبسوا ثياب الكهنوت التي طرز عليها صور لهذا الإله (رمون) لتكتمل قدسيتها اي حتى يجوز الصلاة بها وطبعا كان هذا بأوامر إلهية:

وتضع على أذيالها رمانات من اسما نجوني وأرجوان وقرمز على أذيالها حواليها وجلاجل من ذهب بينها حواليها جلجل ذهب ورمانة على أذيالها حواليها.

سفر الخروج 33:28

هكذا قال الرب لموسى وهكذا صنع المؤمنين كما أوحى الله لموسى وصنعوا جلاجل نقي وجعلوا الجلاجل في وسط الرمانات على أذيال الجبة حواليها للخدمة كما أمر الرب.

سفر الخروج 26:24:39

صورة هذا الإله رسمت في الهيكل وعلى جبة الكاهن وتسمى باسم هذا الإله أشخاصاً تيمنا وكثير من هذه الأمور فكيف لرجال الدين أن يقولوا أن صورة الرمانات في الهيكل جاءت بتأثير الفنانين الفينيقيين الذين بنوا معبد سليمان؟

جنة عدن

الفردوس المفقود

لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما.

الجامعة 19:3

انطلاقاً من هذه العقيدة كانت جنة سليمان جنة أرضية صرفة لهذا يقول: عملت لنفسي جنات وفراديس. **جامعة 5:2**

علينا أن نتيقن بأنه لو قلبنا كل صفحات التوراة وبالرغم من ورود ذكر لعشرات الآيات التي تذكر الجنة والفردوس؟ إلا أنها جميعاً موصوفة كبساتين وحدائق طبيعية وعادية جداً خاصة بالملوك ولا نعثر بكل صفحات العهد القديم على أية إشارة تعبر عن عقيدة أو تصور لوجود جنة سماوية ينتهي إليها مصير الصالحين كثواب لحسن أعمالهم كجنة دلمون التي انتهى إليها أوتونابيشتم الصالح جد جلجامش بحسب أسطورة الطوفان السومرية.

استنكاراً لعقيدة الآخرة يقول النبي سليمان:

ليس خير من أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى نفسه خيراً في تعبه.

جامعة 24:2

لأن الإنسان كالحيوان من التراب وإلى التراب. أما الجنات التي أشارت إليها التوراة هي جنات أرضية تخص الملوك وأشهر تلك الجنات هي جنة عدن، وهذه سنأتي عليها بالتفصيل، أما أطيب تلك الجنات وألذها فهي معبودة سليمان الجنة التي يصف لذة خمورها وسلاف رمانها وعبق عطورها نشيد الإنشاد، إلا أنها جنة مغلقة لا يدخلها غير سليمان.

أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم. نشيد **12:4**
لازالت هذه الجنة بكر بتول عذراء إلى أن اقتحمها سليمان
قد دخلت جنتي يا أختي العروس قطفت مري مع طيبي أكلت شهدي مع عسلي شربت خمري مع لبني... نش **1:5**

فالثواب التوراتي هو ثواب أرضي، ومفهومه طول العمر، والمتعة بالنساء والطعام، وخلفة صالحة تخدم الشيخوخة. هذا كل ما جاء في التوراة وخاصة في سفر الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد وهم من أسفار حكم سليمان.

فالجنة وجهنم السماويات هي من معطيات العهد الجديد، أما اليهودية فجنتها عدن في مابين النهرين والى الشرق منها مدينة أشور. كل الدلائل تشير إلى هذا وبداية أشير إلى إحدى تلك الدلالات حيث جاء في تكوين 16:4 فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك وكان يبني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه.

إذاً أرض نود التي بنى فيها قايين مدينة تقع شرق عدن فإذا كانت عدن تقع في السماء فهذا يعني إن قايين بني مدينة في السماء في أرض نود شرق جنة عدن، أما جحيم التوراة فهو وادي هنوم في إسرائيل وهو الوادي الذي يفصل بين حدود بنيامين ويهوذا ويمر إلى الجنوب والغرب من مدينة القدس وهو الوادي الذي كان العبريين يحرقون فيه أبناءهم إلى أن جاء المسيح فاسماه جهنم. وبكلمة مختصرة إن موقع جهنم هو في إسرائيل ولم يكن لهذا الجهنم وجود قبل دخول العبريين، أورشليم التي كانت ديار السلام أصبحت مدينة الجحيم والقتل والدم. انظر قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان جهنم حيث يثبت أن جهنم في إسرائيل، أما جنة عدن فقد حدد مدونو التوراة مكانها بشكل لا يدع الشك على أرض جغرافية موقعها بلاد مابين نهري دجلة والفرات والى الشرق منها مدينة أشور، وهذا موقع جغرافي لا يجهله أحد. ولكن خمرة الهوس الديني أوحت إلى مدوني التوراة أن هناك أيضا نهران آخران يحيطان بهذه الجنة وهما نهرا فيشون وجيحون وهنا تبدأ المشكلة في الإرباك عند مفسري الكتاب المقدس، فذهب البعض إلى أن النهر

الثالث فيشون هو نهر اراكس في أرمينيا، وذهب آخرون إلى أن جيحون هو اراكس بل قال بعضهم أن نهر الكورا هو النهر الرابع. على أية حال إن الحقيقة هي أن لا وجود لنهر فيشون وجيحون إلا على صفحات التوراة.

إن المذاهب السماوية تقر بأن البشرية بدأت في سورية، حيث ذكرت التوراة أن الله خلق آدم ووضعه في جنة عدن، والحقيقة هي أن ليس آدم خلق في سورية، بل إن بذور الديانات السماوية هي التي نشأت في سوريا أولاً فجنة عدن التي وضع الله فيها آدم هي في سورية (ما بين النهرين) على ما أشارت إليها التوراة بقولها في سفر التكوين 2:8 – 14 وغرس الرب الإله جنة عدن شرقاً ووضع هناك أدم الذي جبله وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحيوة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش واسم النهر الثالث حداقل (الدجلة) وهو الجاري شرق أشور (مدينة أشور) والنهر الرابع الفرات.

هكذا أشار الكتاب المقدس بكون الجنة في سورية (ما بين النهرين) ولكن ما الذي يجعل رجال الدين أن يموهوا عن هذه الحقيقة بالرغم من أن الكتاب المقدس أشار إلى مواقعها صراحة؟

هناك عدة أسباب نذكر منها التناقض بين القديم والحديث الذي يذكر أحيانا أن الجنة تقع في السماء وما تسمى بملكوت السموات التي يختطف إليها الأبرار والقديسين كما ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 2:12

أعرف إنساناً في المسيح قبل أربعة عشر سنة في الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم اختطف هذا إلى السماء الثالثة إنه اختطف إلى الفردوس... الخ...

وبالرغم من أن العهد الجديد يناقض نفسه بقوله في يوحنا 13:3 وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء.

وإذا كان المقصود من الصعود إلى السماء هو صعود الروح فقط كما يدعي البعض، فهذا إيليا الذي صعد إلى السماء في مركبته النارية بينما كان ماشياً مع أصحابه حسب ما جاء في ملوك الثاني 11:2 ومثله صعد أخنوخ إلى السماء.

وسار أخنوخ مع الله ثم توارى من الوجود لأن الله نقله إليه.

تكوين 24:5.

وقد ذكرت أخنوخ الرسالة إلى العبريين مفسرة صعوده إلى السماء لكي لا يموت بل يبقى خالداً .

بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله. **عبرانيين 5:11**

إن رجال الدين يهمهم التمويه عن الخيوط التي تقود إلى حقائق تاريخية، تبين مراحل وكيفية تطور الدين ومفاهيمه حسب أساطير ومثيولوجيات الديانات المتتالية من الوثنية وحتى اليوم.

يذهب بعض المفسرين إلى أن عدن هو اسم المكان الذي تكون فيه الجنة، والحقيقة هي أن عدن ليست اسم المكان الذي تكون فيه الجنة وإن سمَيت جنة عدن، وإنما عدن كلمة سريانية تعني الوقت أو الزمن ونحن نعلم أن كل الأسماء لها معانيها ودلالاتها كما سبق وأسلفنا في معاني أسماء الآلهات، لذلك نقول أن الأساطير السورية تكلمت عن الخلود في جنات ليس فيها مرض ولا شيخوخة ولا خوف أو قلق، مملكة من الأمان والجمال فيها كل ما يحتاجه الإنسان وتشتهيه النفس مثل جنة دلمون (البحرين اليوم)، إن هذه الأساطير أوحت للملوك السوريين بإنشاء جنات خاصة بهم كالجنائن التي أنشأها الملك نبوختنصر في تيماء بين دمشق ومكة، كما أنشأ جنائن بابل المعلقة أو جنائن الملكة شميرام (سميراميس) والتي تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع، ومن تلك الجنائن جنة عدن وعدن هو اسم ذلك البستان الملوكي فكان العامة من الناس يحلمون بأن يدخلوا هذه الحدائق ويستمتعوا بجمالها.

وهكذا بقيت جنة عدن في أذهان العبريين والذي نقلها إلى خيالهم إبراهيم بن تارح عندما نزح من أور الكلدانيين (سورية) وأخيراً ضخمت صورة الجنة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع وبعد أن دونها كتبة التوراة في أسفارهم، إلا أن جيلاً بعد جيل نسيت بل تناست بعض خصائصها إلى أن صورت الجنة في السماء بالرغم من أن التوراة أعلنت صراحة عن موقعها بكونها في سورية كما أشرنا إليها. وحول هذا التجاهل أو التضليل الذي يسعى إليه رجال الدين في تحديد موقع الفردوس يقول المطران اسحق ساكا: إن الآباء القديسون ميزوا بين عدن والفردوس فجعلوا عدن محلاً واسعاً خصباً تتكاثف فيه مختلف الأشجار ووسطها بقعة أغدق الله عليها خصباً وبهاءً وحباها جمالاً وفتنة أضعاف عدن تسمى بالفردوس، فكما أن عدن هي أفضل من الأرض بكثير، هكذا الفردوس أفضل من عدن بكثير والنسبة بينهما كالنسبة القائمة ما بين عدن والأرض.

فنقول إذا كانت عدن اسم مكان وإن لم تكن اسم حديقة ملكية كما أسلفنا، فأين تقع من الأرض باعتبار أن التوراة ذكرت بصريح العبارة بأن الفردوس العدني يقع في سورية وشرق مدينة أشور تحديداً ؟ فهل مدينة أشور ونهري الدجلة والفرات الذين أشارت إليهما التوراة بكونهم من أنهار الجنة هل يقعان في السماء؟ تقول التوراة (وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً) وانطلاقاً من هذا الوحي المدون في التوراة يقول القديس باسيليوس: إننا نتجه في الصلاة نحو المشرق لا لأن الله الذي لا يرى موجود في تلك الجهة دون سواها، إنه موجود في كل مكان ولا يدرك. بل لاعتقادنا أن موطننا الأول هو المشرق فهناك حياة الفردوس التي فقدناها. وقال القديس مار سويريوس الإنطاكي في ميمره المعنون ب (لماذا نسجد إلى جهة الشرق) لأن الفردوس هو في المشرق وقد طردنا منه وننتظر العودة إليه. أنظر كتاب دراسات سريانية صفحة 53 للمطران اسحق ساكا.

يشرح التكوين التوراتي تفصيلاً في إصحاحه الأول كيف خلق يهوه الكون يوماً بيوم حيث أكملت السموات والأرض وكل جندها في ستة أيام ورأى يهوه هذا الكمال حسناً جداً وفرغ في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع أعماله الذي عمل.

تكوين 2:1

ولم يذكر ياهو شيئاً عن خلق الجنة بالرغم من أن الوحي قال أن الله أكمل خلق كل شيء واستراح فهل أصاب العجز ذاكرة عجوزنا ياهو حتى نسي أن يخلق الجنة وجلَ من ينسى، بعد أن استراح ياهو وأطلق العنان لفكره وتأملاته تذكر أن عليه أن يهيئ مسكن لعبديه ثم أن الله من الأزل ولم يزل ألم يكن دائماً مسكنه الجنة؟ أم أن جنة يهو غير جنة عدن!

يسأل أحدهم: إذا كان الفردوس قد خلق لأجل آدم، وآدم طرد منه عاجلاً فيبقى إذاً وجوده عبثاً إذاً خلق الجنة أساساً كان عبثاً لا حاجة له وهل يجدر بالحكمة الإلهية أن تعمل شيئاً عبثاً ؟ ثم لماذا تأخر يهو في اكتشاف أن الجنة لا تليق بعبد عاصي كآدم وحواء.

يقول القديس يوحنا المتوحد في مقاله عن علة هذا العالم ويقول بالحرف الواحد: لا يظن أحد أن أشجار الفردوس لم تكن حقيقية لأن قول الله يؤيد ذلك، فإن موسى قال عن حواء أنها مدت يدها فقطفت وأكلت وكيف تستطيع أن تقطف ما لا يمس وأن تأخذ ما هو روحي؟ في حين أن الشيء الروحي لا ينقسم وبالتالي لا وجود مادي له. كان هذا رأي يوحنا المتوحد ولكن بالرغم من أن الكتاب الوحي الذي نقرأ فيه عن الفردوس ونراه بأنه حديقة عادية تحتوي على أشجار وفواكه وأزهار كما في تكوين 2:8 – 14 – وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، فهي والحالة هذه كبقية البساتين الطبيعية إلا أن بعض المخزعبلين يرونه وما يتبادى لهوسهم فمنهم من يراه شيء روحي ومادي بنفس الوقت، كما أن البعض يراه شيء معنوي لأخذ العبر وإلى ما هنالك من الترهات التي لا تتعكز على منطق يستوعبه عاقل.

وأمر الرب الإله آدم قائلاً : كل ما تشاء من جميع الأشجار في الجنة ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت.

تكوين 2:16 – 17

يفهم من هذه الآية أن الله لا يريد لآدم أن يموت لذلك قال الله له إن تأكل من هذه الشجرة حتماً تموت، وبالتالي إن الله لا يريد لآدم أن يموت لذلك حذره من الموت بتحذيره من الأكل من هذه الشجرة. نترك هذا الأمر جانباً لنعود إليه من ثم ونقول بأن آدم عندما أكل لم يمت بل تفتحت عيناه وعرف الخير والشر، ولكن في الآية 22:3 من سفر التكوين جاء فيها: ثم قال الرب الإله ها الإنسان قد صار كواحد منا يميز الخير والشر وقد يمد يده ويتناول من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب من جنة عدن، وأقام ملائكة الكيروبيم وسيفاً نارياً منقلباً شرقي الجنة لحراسة الطريق المؤدية إلى شجرة الحياة.

فبمقارنة هاتين الآيتين نجد في الآية الأولى أن الله يقول لآدم إذا أكلت من هذه الشجرة موتاً تموت. أي أن الله لا يريد لآدم أن يموت لهذا منعه من الأكل، وفي الآية الثانية يخشى الله من أن يمد آدم يده إلى شجرة الحياة الأبدية ويأكل ويحيا إلى الأبد، أي العكس تماماً فإذا كان الله لا يريد لآدم أن يموت لماذا يحذره من شجرة معرفة الخير والشر ويمنع عنه شجرة الحياة الأبدية؟ مع أن الكتاب المقدس من أول أسفاره إلى آخرها يكرر مراراً مقدساً الحياة وكارهاً الموت.

على أي حال إن التناقض الواضح بين هذين الموقفين من الله جاء ليعبر عن سذاجة الكاتب وتلبك الوحي في الإملاء.

فقصة آدم وحواء وشجرة الحياة التوراتية خير ما يعبر عنها ما جاء مصوراً في ختم سومري من الألف الرابع قبل الميلاد (أي قبل تدوين التوراة بأكثر من ثلاثة آلاف سنة)، في هذا الختم تظهر صورة آدم وحواء تتوسطهم شجرة الحياة ومن خلف حواء حية تهمس لها بأن تأكل من هذه الشجرة. أنظر الشكل.



شجرة الحياة ختم سومري

وأخيراً لنا ملاحظة حول قول الله لآدم إذا أكلت من هذه الشجرة موتاً تموت، وجاءت الحية لتكذب الله بقولها لحواء بأن هذا ليس صحيحاً، بل أن الله يعرف أنه إذا أكلتما منها فستنفتح أعينكما وترون النور وتميزان بين الخير والشر والصالح والطالح، فأكلت حواء من الشجرة لتختبر صدق الحية أو كذبها فكانت النتيجة أن حواء لم تمت بل انفتحت عينيها وأصبحا يميزا النور من الظلام والخير من الشر، وبالتالي الله كذب وصدقت الحية. سفر التكوين 3:1-7

أساطير التكوين

إن أساطير التكوين الوثنية كثيرة جداً، ومن أقدم أساطير التكوين هـذه (التكوين السومري) الذي شيّد بناءه على ما سبقه من أفكار وتـصورات أبنـاء سورية وبالرغم من أن هـذه الأسـطورة لم تـأت كاملـة بكـل أجزائهـا لتـشوه بعضها إلا أن ما وصل لأيدي المختصين أثبت بكونـه الأسـاس الـذي اعتمـد عليه ما تلاه من حكايات وأساطير تكوينية، ومع أفول نجم السومريين سـطع نجم البابليين وازدهرت علومهم في شتى المجـالات ومنهـا الدينيـة، فجـاءت أسطورة التكوين البابلية والتي تعتبر من أجمل ما خلفته لنـا الأجيـال الـسالفة من أساطير.

جاءت هذه الأسطورة لتروي لنا قصة التكوين ومن ثمّ الطوفان، اللتان تعتبران جزءان لا يتجزأان في التعبير عن مذاهب الأولين وثقافـاتهم الدينيـة.و في مرحلة ما يسمى بالسبي البابلي حمل معهم اليهود الكثير من هـذه الأسـاطير والتي أصبحت فيما بعـد أساسـاً لعقائـدهم الدينيـة، ولأن التـوراة ومـدونيها اعتمدوا على أكثر من مصدر في تدوين حكاياتهم الدينية، لذلك ظهرت عليهـا هذه الملامح في اعتمادها عـلى اكثـر مـن قـصة وهـذا مـا نلاحظـه مـن خـلال صفحات هذا الكتاب.

فأسطورة التكوين البابلي جاءت منذ الألف الثاني ما قبل الميلاد على لـسان الملك جلجامش الـذي ملـك عـلى مدينـة أوروك في الألـف الرابـع قبـل المـيلاد، ونحتت على سبعة ألواح من الحجر بـالحرف المـسماري وأخـيراً جـاءت الـديانات السماوية لتروي لنا قصة الخلق في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح فيه الـرب كـما في هذه الأسطورة والتي سنوجز أهم أخبارها:

في الأزل المطلق وما قبل البـدء لم يكـن هنـاك زمـن ولا شيء إلا الثـالوث الإلهي في كيان واحد منسجم انسجاماً مطلقاً - الأب ابسو والأم تعامة والابن ممو - ثلاثة الهات في كيان واحد (الأب والابن والأم) قبل بدء الزمن.

ثمّ أنجبت هذه الكينونة الإلهية لخمو ولخـامو، ومـن ثـمّ كيـشار وانـشار، وهكذا تتوالد الإلهات جيل بعد جيل وتمتلئ جوف الأم تعامة بأبناء الإلهات هذه وهذا ما أقلق راحة الإلهات الكبار بكثرة حركتهم وضجيجهم ذهابـاً وإيابـاً، لأن الحيوية والنشاط والتي لا تخلو من الفوضى أحياناً هي مـن طبـائع طلائـع الجيـل الجديد كما نلاحظ هذه الظاهرة مع الأولاد الصغار في الأسرة البشرية اليوم حيـث لا يستطيع الولد الهدوء كثيراً وهذا ما يقلق راحة الآباء والأمهات. ويبدو انه لهذه الأسباب تشاورت الإلهات الكبار ابسو وممو مع تعامة للقضاء على الجيـل الجديـد من الإلهات هذه والتي عكرت صفو الهدوء على الكبار، إلا أن تعامة الأم بـالرغم من أن هذه السلوكيات الفوضوية من الإلهات الصغار أزعجتهـا لكنهـا لا زالـت تحفظ لهم حنية الأمومة لذا لم ترتح لقرارات هـذه الفكـرة الـشريرة الـسوداء. وفي هذه الأثناء يعلم الإله ايا زعيم الجيل الجديد مـن الإلهـات بـما ينويـا ابـسو وممـو فيبتكر آيا ضدّ هذه الخطة الشريرة هالة سحرية خدّرت ابـسو، وهـو مستـسلم في غيبوبة قام بذبحه فاستوطن الأمن والاستقرار. وبعد فترة يلد مردوخ ابـن الإلـه ايا الذي فاق كل الإلهات عظمة وجبروت.

ومع الأيام تثار المشكلة ثانيةً فتعامة التي تجاهلت مصير زوجها الـذبيح ضاقت نفساً من ازعاجات الآلهة الصغار ثانيةً، إلا أنها في هذه المـرة هـي التـي تقرر القضاء عليهم لتخلد إلى الراحة والسكون فتخلق قوة حربيـة هائلـة مـن حيوانات عملاقة رهيبة جـداً وتـسلمها لزوجهـا كينغـو الـذي اختارتـه مـن البانثيون (مجمع الآلهة) وتزجه في المعركة، وفي هذه الأثناء علم الإله ايا بخـبر هذا الخطر القادم لذلك يذهب إلى جده انـشار ليطلعـه عـلى الأمـر، فيطلـب انشار من ايا مجابهة الموقف إلا أن ايا يقدم الأعذار مبيناً بعـدم تكـافؤه لهـذه الحرب الضروس الطاحنة حتى أن كل من رأى هذه العاصفة الشعواء يتملكـه

الفزع فيرجع مذهولاً مما يرى وأخيراً تذكّر ايا ابنه مردوخ الذي فاق كل الإلهات جرأةً وشجاعة.

جاء مردوخ مشترطاً على صحبه بأن تكون لكلمته قوة الحق والسيطرة والتمكن فقبلوا بهذا الشرط مقابل مجابهته لتعامة.

وفي حفلة حضرتها مجموعة من الآلهة التي طابت نفسهم من نشوة الخمر، قام الإله مردوخ ابن ايا بأولى معجزاته إذ طلب أن يحضروا له قطعة ثوب، فقال لها زولي فزالت، ثمّ قال لها كوني فكانت ثانيةً، فتأكدوا من أن مردوخ إذا قال لشيء كن فيكون، فانطلق لجبهة القتال وهو واثق من قدرته لوضع حدّ لهذا الخطر المداهم حيث تدور رحى المعركة بين مردوخ وتعامة إلى أن يكون النصر حليف مردوخ الذي قضى على تعامة، وشطر جسمها إلى قسمين رفع الأول جاعلا منه السماء، وأبقى الثاني جاعلا منه الأرض وهكذا فتق الرتق كما يقال فتتكون السماء والأرض ومن ثمّ يقوم مردوخ بخلق النجوم والأجرام السماوية وأخذت الأرض تنبت وتخرج الأعشاب والحيوان بكل ما هبّ ودبّ كما جمعت بأمره المياه إلى الأنهر والبحار وهنا يسلم مردوخ إدارة النجوم إلى الإلهات الصالحة والتي ما زال حتى اليوم بقايا من الناس الذين يقدسون هذه النجوم وهم ما يسمون بالصابئة. وكان أغلب أهل حرّان من اتباع هذه النجوم حيث كانوا يعتقدون بأن لهذه النجوم الأثر في تسيير أحداث العالم بقضاء وقدر، وهذا القضاء والقدر نسميه اليوم ميكانيكية الكون. ففكرة تسليم مردوخ النجوم للآلهات الخيّرة أوحى للديانات اللاحقة إلى أن هذه النجوم هي رموز إلهية وفي الديانة اليهودية أصبحت هذه الرموز الإلهية جند السماء (فأكملت السموات والأرض وكل جندها. **تكوين 1:2**)

يقول يهو (يداي أنا نشرتا السموات وكل جندها. اشعيا 12:45) وجند السماء هذه أصبحت فيما بعد جنود الرب ومن ثمّ أصبحت في المعتقدات اللاحقة الملائكة (قد شاهدت الرب جالساً على كرسيه وكل أجناد السماء وقوف عن يمينه وعن يساره. **أخبار الأيام الثاني 18:18**) وكانت هذه الأجناد الربانية والملائكة

ترتدي الدروع وتلبس الخوذ وتسحب السيوف من أغمادها بدءاً من لهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحيوة في الجنة ومروراً بتأديب قليلي الأدب كما في عدد 23:22

حيث أبصرت الاتان ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده حتى المشاركة في الحروب لمناصرة الشعب المختار لإبادة الأغيار لأنه هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون.

اشعيا 4:31

وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش اشور مائة وخمسة وثمانون ألف ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثثاً ميتة.

ملوك الثاني35:19.

إذا صدقت التوراة بهذا ولن تصدق، فيكفي لجيش اشور شرفاً بهذه الحرب مهما كانت النتيجة ويكفي لنمرود شرفاً أنه كان جباراً في مقاومة الرب ذلك الإله الشرير كما سنثبت في فصل صفات الله في التوراة.

نترك هذه النجوم وهذه الجنود جانباً لنتابع سفر التكوين البابلي، حيث أمسك مردوخ بزمام الأمور وتصدّر الآلهات وأصبح إله النور الأعظم، والشمس إحدى رموزه بعد أن قام بتلك الأعمال الخلاصية ضد الفوضى وعمل على استقرار الأمن وقلدته الآلهة أسماء الآلهات الصالحة الخمسين فأصبحت له الأسماء الحسنى التي نقرؤها من خلال الأسطر الأخيرة من اللوح السابع لملحمة الخلق البابلي، والألواح السبعة هذه هي الأيام السبعة في التكوين العبري.

إن اشتراط مردوخ على صحبه أن تكون لكلمته قوة الحق والسيطرة ومن ثم تقليده أسماء الآلهات الحسنى أدخل القارئ في شيء من الحيرة وأختلطت عليه الأسماء فيقرأ أسماء آلهات كثيرة مثل العظيم القادر القوي الحي سيد النور سيد المكان...إلخ، على القارئ أن يعلم أن هذه كانت أول خطوة نحو التوحيد، وإنَ كل تلك الآلهات ألغيت ليحل محلها الإله الأوحد وإن اختلفت أسماء الله من مكان إلى آخر ومن دور وآخر. وبعد هذه الأحداث المهمة تشاور مردوخ مع الآلهة قائلاً :

يحفزني قلبي على عمل مبدع نعم وسيكون اسمه الإنسان وليكن موكلاً منا على الأرض التي صنعتها فأجابه ايا إذا قررنا هذا فلابدّ لنا من دم إلهي لنجبل به هذا المخلوق الفريد ليكون على شكلنا ومثالنا نحن الآلهة ومن هنا إضافةً إلى فكرة تقديس أرواح الأجداد جاءت فكرة أن الآلهة تشبه الإنسان وبقيت صفة الجمع ملازمة لهذه الجملة.

وقال الله نعمل الإنسان على شكلنا ومثالنا. **سفر التكوين 26:1**

وفي أصل الآية جاءت هكذا: وقال الوهيم (الآلهات) نعمل الإنسان على شكلنا ومثالنا.

قد يذهب البعض إلى أن التكلم بصفة الجمع هو بغاية التعظيم والدليل أن كل الكتّاب والخطباء مثلاً حين يتكلمون أو يكتبون فإنهم يتكلمون بصفة الجمع في التعبير عن آرائهم فأقول إن الخطأ في هذا الزعم هو أن الكاتب حين يقول كتابنا ورأينا وتفسيرنا يقصد أن كتابة المؤلف هو من رأيه ورأي غيره وتفسيره وتفسير غيره.

والآن عودة إلى التكوين البابلي حيث أن مردوخ يسأل مجمع الآلهة عمن حرّض تعامة ضدّه فقالوا له إنّه كينغو وزير حربها فأحضر الآلهة كينغو مربوطاً وقطعوا شرايين دمه الذي صنع منه الإنسان (وجبل الرب الإله ادم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمةً حيوة فصار آدم نفساً حية. **سفر التكوين 7:2**).

إذن خلق الله الإنسان من علق والعلق هو قطعة يسيرة من الدم وهو أيضاً قطعة من الطين العالقة في اليد ولأن هذا المخلوق صنع من الدم أصبح اسمه ادم وكلمة آدم وهي آرامية من أصل سامي تعني الدم في كثير من اللغات. ومن هنا جاءت كلمة الأديم بمعنى السماء والأرض وتأثرا بفكرة أن الله نفخ في أنف آدم نسمة حيوة أصبح لكلمة آدم معنى النفسْ أي نسمة الهواء الذي يتنفسها الإنسان. في بعض اللغات كالهولندية مثلاً يقال Adem أي نفس (نسمة الهواء).

إن أسطورة التكوين العبرية وكذلك الطوفان اعتمدتا على عشرات الأساطير مما سبقها، وهذا أفقدها الترابط المنطقي وكرر الحوادث بتباين زمني

وكيفي وبشكل فاضح وكغيرها من أساطير التكوين كان الإله دائماً موجوداً من الأزل وإلى الأبد ومن ثمّ بدأت منه الأشياء ففي اليوم الأول وهو بدء الخلق جاء في تكوين 1:1-في البدء خلق الله السموات والأرض والمياه..

3-وقال الله ليكن نور فكان نور... 4-وفصل بين النور والظلمة.. وكان مساءً وكان صباح يوماً واحداً.

إذن في أول يوم عمل خلق الله السماء والأرض والمياه وقال للنور كن فكان وفصل بين النور والظلام. وهذا يعني أنه خلق النور والظلام أيضاً، وسنجد بعد قليل إلهنا يعود ثانيةً لخلق النور والظلام، والفصل بينهما في اليوم الرابع، أما في اليوم الثاني يعود الله ثانيةً لخلق السماء من جديد تكوين 6:1 - وقال الله ليكن جلد في وسط المياه 8-ودعا الله الجلد سماء وكان صباح يوماً ثانياً. وفي اليوم الثالث أظهر الله اليابسة المغمورة وأنبت منها كل أنواع النبات تك 13:1 وكان يوماً ثالثاً وهذا كلّه تكرار لما خلق في اليوم الأول عدى النبات حيث خلق الله السموات والأرض والنور.وبعد أن خلق الله النّور في اليوم الأول يعود ثانيةً لخلق النور في اليوم الرابع تكوين 14:1- وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل..15- لتنير الأرض..18- ولتفصل بين النور والظلمة وكان يوماً رابعاً. إذن يعود الله ثانيةً لخلق النّور والفصل بينه وبين الظلمة كما كان قد فعل في اليوم الأول.

وفي اليوم الخامس يخلق الله كلّ الحيوانات في البحر والأرض والجو. تك - 20:1-23- وهنا يتنحى جانباً هذا الراوي المهلوس الذي خلط أوراق أيام الخليقة لعجزه عن التركيز المنطقي، ويأتي راوي آخر بأسلوب جديد مغاير للأول، ومن المفروض أن يتمم ما بدأه سابقه إلا أنّه على ما يبدو لم يتذكّر لبعض ما ثرثر به سابقه فيقول: وفي اليوم السادس خلق الله الحيوانات بأجناسها بعد أن كان سابقه ذكر خلقها في اليوم الخامس، إلا أنه يضيف إلى هذه الحيوانات حيوان جميل ونبيل شبيه خالقه وهو الإنسان الذي لم يذكر خلقه في اليوم الخامس.

تكوين 24:1- وقال الله لتُخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها.. 25 فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها..26- وقال الله نعمل

الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم... 31- ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً . ولكن أنا آسف هنا إذا قلت بأني لم أفهم ما هو قصد كاتب الوحي من هذه الجملة فخلق الله الإنسان على صورته ذكراً وأنثى؟ هل قصد كاتب هذا الوحي أن الله خلق شخصين أحدهما ذكر والأخرى أنثى أم خلق هذا الإنسان خنثة أي ذكراً وأنثى في شخص آدم كما سيتضح لنا من خلال رواية ثانية عندما استأصل جدنا ياهو الأنثى حواء من آدم.

وينتهي هنا الإصحاح الأول من سفر التكوين ليبدأ الإصحاح الثاني هكذا: تكوين 2:1 – فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع أعماله الذي عمل. نعم ضرب الجد كفاً بكف نافضاً ذلك الغبار العالق في يديه من العلق الذي صنع منه تلك الإبداعات، ومسح شيئاً من ذلك العرق المتصبب من جبينه وهو ينظر إلى نتيجة أعماله ورأى أن كل ما عمله فهو حسن وكان نهاراً وكان ليلاً يوماً سادساً و استراح باليوم السابع بعد ستة أيام من الأعمال المضنية فعلاً ولاسيما عندما جبل أكثر من مليون شكل من أشكال الحيوانات ولكل منها له شكله المغاير للآخر. جبل من الأرض تلك الحشرة النورانية (الأصغر من البرغوث الذي كان يلعب بذقنه الثلجي اللون) والتي لا يمكن أن ترى تلك الحشرة، إلا ليلاً كبريق عيون الذئب والتي تحتاج إلى أيدي صغيرة ودقيقة جداً، لصناعتها وإلى الفيل الذي يحتاج جبله أكف أكبر من الرفش، لذلك لابدّ من يوم راحة بعد ذلك العناء والجهد. ولكن بعد ذلك اليوم السابع الذي عينه للراحة لم يخبرنا كاتب الوحي إذا كان الله عاد ثانية للعمل أم لا ولكن هذا ليس مهم لأن المهم أن تلك الآية قالت: فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع.

إذن هذه الآية ختمت أعمال الله في الخليقة ومن ضمن هذه الخلائق جند السماء التي لم يرد ذكرها مع ما خلق الله في الأيام الستة للخليقة، ولكن إن كنت تظن يا سيدي أن جند السماء هي المخلوقات الوحيدة المنسية في الأيام الستة

للخليقة فأنت مخطئ، لأن هناك أشياء في كثير من الأهمية إلا أنها نسيت آنذاك وجاء ذكرها متأخراً ربما لم يفطن الله لحاجته إليها وقتئذ مثل الجنة التي ورد ذكرها بعد أن خلق الله الإنسان واستراح، ومن ثمّ يتذكر ياهو أنّ من يعمل جميلاً عليه أن يتمم معروفه، وهنا بحث يهو عن موطن لائق لهذا الشبيه لجلالته ذلك الإنسان الذي سيكون وكيلاً لياهو على الأرض، لذلك شيّد له جنة في عدن كاملة الأوصاف، وزد على هذا أنّ هناك مخلوقات لها وظائف استراتيجية في غاية الأهمية في حتوتات التوراة لا نعلم متى خلقها الله مثل الملائكة والشيطان لأن ستة أيام الخليقة في التوراة لا تذكر شيئاً عن زمن وكيفية خلق هذه المخلوقات العجيبة، وفي كل أسطورة الخليقة لا يوجد أي ذكر للملائكة وأول ذكر لملاك كان في قصة لوط تكوين 19 : 1 أما الشيطان فأول ذكر له كان في سفر أيوب والأهفأ من كل هذا وذاك أنّ الله خلق جنة عدن دون أن يفطن لخلق جهنم أو الجحيم الذي ورد ذكره لأول مرة في إنجيل متى، بينما العهد القديم بكامل حتاتيته لم نعثر على ذكر لجهنم – أبعدنا واياكم عن شرّ ضيافته وبئس مصيره– وبعد أيام الخليقة الستة واليوم السابع يوم الراحة، تبدأ رواية ثانية ومخالفة للأولى:

ففي الرواية الأولى لم يذكر شيء عن كيفية خلق الإنسان، بل كل ما ذكرته تلك الرواية أن الله قال نعمل الإنسان على صورتنا ذكراً وأنثى على مبدأ كن فيكن دونما حاجة إلى مادة خام للتصنيع.

أما في الرواية الثانية فهناك حاجة إلى مادة أولية ليصنع منها هذا الإنسان وهي التراب والهواء، والدم وكلمة الدم هنا لفظت آدم «وهي كلمة آرامية من أصل سامي كما سبق ذكره وهي مؤلفة من ألف التعريف ودم فتصبح آدم أي الدم».

وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حيوة فصار آدم نسمة حية. **تكوين 7:2**

وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً وصنع هناك آدم الذي جبله. وكلمة غرس لا تفيد الخلق بل تعني أن هناك وجود سابق لأشياء غرست. إذن أحضر الله أغصان أو شجيرات وغرسها في عدن فأصبح فردوساً، ولكن من يستطيع أن

يُقشع غشاوة بصيرتي ويمسح جهالتي ويعلمني من أي مكان أحضرت شتلة شجرة الحيوة، وشجرة معرفة الخير والشّر اللتين غرسهما الرّب في عدن.

وبعد أن أبدع الله في صنع هذه اللوحة الفردوسية الخلابة، أوصى آدم بأن لا يأكل من شجرة الحيوة وشجرة معرفة الخير والشّر.نعم هذا العجوز أراد من آدم أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشّر ليعيش هذا الإنسان خبط عشواء لا بل هذا الرّب المحتال قال لآدم عن شجرة الحيوة أنها شجرة الموت. حقاً إنه الخبث بعينه ! كيف يقول الرّب إن أكلت من شجرة الحيوة تموت وهي شجرة الحيوة التي تحي إلى الأبد. نعم أكل آدم من شجرة المعرفة وعرف كل شيء ولكن حبذا لو أن حواء أكلت أولاً من شجرة الحيوة وأعطت آدم قبل أن تأكل من شجرة المعرفة لكنا نحن أحفادهم خالدين إلى الأبد كما الآلهة، هكذا نقول إن صحَت الرواية. والآن فهمت لماذا الشيطان هو خالد أبداً حتماً لأنه أكل من شجرة الحيوة لهذا استطاع أن يحيا إلى الأبد كما الله والملائكة.

وقال الرّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشّر والآن لعله يمدّ يدّه ويأخذ من شجرة الحيوة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. **تكوين 3:22.**

هل تعلم يا عزيزي القارئ أنّ حواء المعتّرة والمظلومة دائماً لم تبلغ مطلقاً بهذه الممنوعات وبالرغم من هذا نالت أولى اللعنات الربّانية وقبل أن يلعن الشيطان، وطبعاً هذا كان بغير حق لأن وحيد الله آدم كان لا يزال بعد خنثة أي أنّ حواء لم تستأصل بعد من آدم حين أبلغه الله بتلك الممنوعات في الجنّة انظر سفر التكوين الإصحاح الأول ولكن تبرير هذه اللعنة من أصحاب الأذيال الطويلة تقول إن حواء استحقت اللعنة لأنها كانت في صلب أبونا آدم كما استحقّ الشعب المختار البركة لأنه كان في صلب جدّنا إبراهيم، وبالتالي العقد الذي أبرمه الله مع إبراهيم نافذ وساري المفعول مع نسله من بعده، ولكن يا أبناء اللبوة الفاتيكانية لماذا تبرؤن من قال اصلبوا المسيح ودمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا كما جاء في متى 27: 25 وطبعاً الجواب معروف في نمطه وألفناه جيداً وهو أن هذه كانت مشيئة الله ولا اعتراض عليها لأنّ كل شيء كان مقدراً من الرّب وإنّ لله في ما يشاء

شؤون تبعد عن إدراك البشر وإلى ما هنالك من الثرثرة والجدل الذي إن بدأ لا ينتهي لهذا من الأفضل أن أعود إلى سفر التكوين.

وبعد أن كان الله قد قال في تكوين 24:1 – لتخرج الأرض كل ما هبّ ودبّ من الحيوانات، يعود مجدداً جدو ياهو لخلق كل هذه الحيوانات من جديد ولكن ليس كالمرة الأولى حيث قال الله لتخرج الأرض كل ما هبّ ودبّ فأخرجت وإنما في هذه المرة تصنع كل هذه الحيوانات من إحدى تلك المواد الأولية التي صنع منها الإنسان ألا وهي مادة التراب.

نعم جبل الله في هذه المرة الحيوان من التراب فقط ولكن التوراة سبق وأن ذكرت أنّه كان هناك ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل الأرض تكوين 6:2 – وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء تكوين 19:2 –إذن خلق الرّب الحيوان هذا الكائن الحي من تراب وضباب ولكن دون دم ودون نفس أيضاً كما الإنسان. والظّن أن للحيوان دم ونفس كما للإنسان هو كفر بأسفار الوحي، لأنّ الله نفخ من روحه في الإنسان فقط ليكون على شكله ومثاله أما الحيوانات الأخرى من حشراتها إلى ديناصوراتها ومن أقردها إلى أجملها فلا.

ولكن أنا أرى أنّ للحيوان أيضاً دم وروح كما للإنسان والجامعة أيضاً ترى ما أنا أرى. فيا قارئي العزيز أنت ماذا ترى فيما أنا والجامعة نرى؟ هل ترى ما نرى أم ما لا نرى يا هل ترى؟. عفواً لهذه الثرثرة الذي يروق للبعض تسميتها سجع

وإليك ما تقوله الجامعة:لأنّ ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأنّ كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما من يعلم روح بني البشر هل تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض. **الجامعة 3:19–21.**

نعم يا سيدي للإنسان والحيوان نسمة واحدة وكلاهما من التراب وإلى التراب.إنّ أصحاب الكرازة الملهمين من الروح القدس من السهل عليهم جداً

الهروب من هذه الإحراجات بقولهم لا تجادل – لا يعلم مراده إلا الله – إنّ القصد الإلهي هو شيء آخر.

نعود ثانية إلى الحيوان شريكنا في النفس والتنفس في هذا الكون وهذه الحياة. الرّب الإله جبل من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو أسمها تكوين 19:2 أما حيوان البحر من أصغر أحيائه ولا حاجة للمجهر إلى أضخم حيتانه فكان يخرج من البحر بقفزة بهلوانية شقلوبية ويعود ليغطس ثانية فيراه آدم ويعطيه اسمه أما الأحياء الثابتة في عمق البحار كالشعب المرجانية والأحياء الغريبة التي عرفها الإنسان مؤخراً وأخذت اسمها من مكتشفيها وكان لبعض تلك الأحياء أن أوقعت الإنسان في حيرة تصنيفها إن كانت نباتاً أم حيوان، أما آدم فكان قد عرفها وأعطاها اسمها بعد أن هيأ له الرّب مغطس زجاجي مغلق كالصندوق ونزل به إلى أعماق البحار ولا أعرف كيف طاف في كل الأعماق ورأى كل تلك الأحياء ودعاها باسمها وطبعاً الله لم ينس أنّ مون في هذا الصندوق الزجاجي الهواء الكافي لرحلة آدم الاستكشافية (أقصد عبوات الأوكسجين التي تأخر الأنسان في اكتشافها).

إذن أعطى آدم اسماً لكل كائن حي من الديناصور المنقرض إلى الأحياء التي لم يكتشفها الإنسان بعد وحتى الحيوانات التي ستفرزها الطبيعة في المستقبل وبما فيها الأحياء المجهرية وهنا سوف يصرخ صاحب المدرسة الإيمانية مهلاً مهلاً قف عندك يا كافر عن أي حيوانات تتكلم وكيف ستفرز هذه الطبيعة الحيوان دون أن يجبله الرب من التراب. نعم سيكون الجواب هذا رأي العلم ونظريات العلماء أنّ الطبيعة أفرزت آلاف الحيوانات لم تكن موجودة في بداية الحياة وإن استمرت هذه الحياة لزمن كاف ستبقى هذه الحياة تفرز أنواع وستنقرض أنواع كما نرى، وإن دمرت الحياة في هذه الدورة الأرضية التي نعيشها ستعود إليها الحياة بعد ملايين السنين من جديد وبدورة جديدة (في حرب هرمجدون كما يرى اللاهوتي. رؤيا 16:16) وهنا سينفجر صوت المؤمن ثانيةً ويقول بأعلى صوته طز على العلم

والعلماء، أهم يعلمون أم أنّ الله عالم؟ لا طبعاً الله أعلم ولكن سيدي الفاضل هل تستطيع أن تقول لي هل الله خلق البغل أيضاً وسيجيب هذا المؤمن بحماس وعفوية: طبعاً طبعاً الله خلقه ولكن يا عزيزي الحمار عفواً البغل لا يخلف كجنسه ولا كغير جنسه والفرس أحياناً تخلف كغير جنسها وهذا يتوقف على مزاجها فإن حنّت إلى الحصان خلفت كجنسها وإن خانت بني جنسها وزنت مع الحمار خلفت بغل. ثمّ إنّ ذلك البغل إذا كان الله قد خلقه ولا حاجة لخلقته وهل يخلق الله شيئاً عبثاً دونما حاجة إليه أليس الله من قال في وحيه لأنبيائه إنّ كل شجرة تبذر كبذرها وكل حيوان يخلّف كجنسه؟

انتبه يا سيدي إلى كلمة كلّ حيوان دون استثناء وهكذا سوف لا ينتهي الجدل والعناد هل الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة؟ ولسنا لهذا بحاجة إلا لهذه الإشارة الصغيرة إلى أحد الآباء القديسين الذي كان يزعم أنّ البغال كانت في البدء تخلف كجنسها إلى أن أصابها الله بالعقم كما عاقب الله الحية بقطع أرجلها وجعلها تزحف على بطنها بسبب خطيئتها، أما البغل أصابه الله بالعقم لا لكونه أخطأ وإنما لأنّ أمه الفرس والذي كان هو في صلبها حين خانت زوجها الحصان وزنت مع الحمار فعاقبها الله في خلفتها لأنّ حكمة ياهو وسنّته كانت تقول إن أكل الآباء الحصرم يضرس الأبناء إلى أن جاء النبي أرميا وعدّ ل هذا المرسوم الإلهي بقوله: في تلك الأيام لا يقولون الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست بل كل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه. أرميا **29:31.**

عودة ثانية إلى آدمنا الذي تجاوز سنّ الطفولة بعد لهو ممتع ليوم كامل مع تلك الحيوانات المسلية في تسميتها وكانت جميعها أليفة ومؤدبة جداً مع خالقها لا تعرف معنىً للأفتراس. وهكذا أصبح آدم في سن البلوغ ولا زال حاملاً وسام العفة من خطيئة الجنس المميتة ولكن وإن كان ذلك اليوم مسلياً وممتعاً، إلا أنّه كان يوماً شاقاً ومرهقاً جداً لأن تسمية كل تلك الحيوانات حتماً أكثر من مليون نوع من الحيوانات بدءاً من الكنغر الذي قفز من استراليا وسقط بمظلة بين هذه التظاهرة الحيوانية دون أن يصاب ما في جرابه بأذى إلى الدب الشمالي الرشيق والآخر

الجنوبي، كل تلك الحيوانات من الشرق إلى الغرب أرهقت آدم في تسميتها فأوقع الرّب عليه سباتاً أعمق من سبات الضفادع فنام نوماً هنيئاً بل قل مخدراً إن شئت، وبعملية جراحية إلهية ناجحة جداً وبمشفى ميدانية سقفها السماء ونجومها أكثر من خمسة أخذ الرّب واحدة من أضلاعه دون أن يحسّ أو يصحو آدمنا من غفوته الهنيئة وكوّن منها أجمل ما يحلم به آدم ويشتهيه فكانت الحسناء الهيفاء حواء ولا أعلم إن كانت شقراء أم سمراء؟ هل كانت بملامح شرقية أم غربية وهل كانت بنعومة الصينية أم بضخامة الهولندية ولكن ما أعلمه جيداً وهو المهم أنه اسماها امرأة لأنها أخذت من امرؤ وطبعاً جدّنا العجوز يكره الاستنساخ من الخلايا لأنّه من كفر العلماء، لهذا فضّل ضلع آدم الضلع كل الضلع وصنع منه هديته الرائعة ثمّ يهو لم يصنع من ضلع آدم المخلوع رضيعة لأنّها كانت ستحتاج لأم ترعاها وهذا كان سيجمع آدم وحماته في الجنّة وتحت سقف واحد مما كان سيحمله لتشكيل فرار من الجنّة إلى جهنّم ويصرخ ملء حنجرته:

جنّة بالذّل لن أرضى بها   وجهنّم بالعزّ أفخر منزل

وطبعاً بطاقة البحث هنا لا تجدي لأنّ الشرطة الفردوسية الكيروبيمية التي أوقفها ياهو أمام باب عدن بسيوفها النّارية المتقلبة، ليست مكيفة لظروف جهنّم بسبب ريش أجنحتها السريعة الإشتعال وكذلك طبعاً ياهو لم يخلق حواء أربعينية في سن اليأس لأنّ هذا أيضاً كان سيصيب آدم بعقدة الماما وحنان الماما الذي لا يعوّض، وهذا كان سيحيجه إلى طبيب نفساني ليحل له هذه العقدة التي أصابت البعض ممن يحسبون على العظماء والذين من ثمّ انحرفوا لعشق الطفلات دون سن البلوغ. لذلك لابدّ من أنّ ياهو صنع حسنائنا بأجمل إبداع صنعها قمر أربعة عشر أي بالغة ناضجة يانعة وحان قطافها ربّما عمرها ثماني عشرة أو عشرين سنة سنّ النضج والبلوغ، ولكن لو أنّ الله زاد لطفه وكرمه وبدلاً من أن يصنع من الضلع حواء واحدة كامرأة بالغة حبذا لو قسّم هذا الضلع المخلوع من آدم إلى نصفين مثلاً وشكّل من كل نصف ضلع توأم طفلة ذات تسع أو عشر سنوات. ألم يكن هذا حسناً من الله لإرضاء نزوات بعض معقدي الطفولة الذين تزوجوا من

زهرات بعمر الطفولة دون العشر سنوات كما أسلفنا. ثمّ أليس زيادة الخير خير ولكن حبّذا لو سمح لي بسؤال آخر فعندما دعا آدم تلك الحيوانات بأسمائها وبما فيها الدودة الشريطية الوحيدة التي خرجت من أسته لماذا لم يسميها مثلاً آدمية؟ لأنها خرجت من آدم أسوةً بمبدأ أنّ حواء سميت مرأة لأنها أخذت من مرء كما نطقت التوراة مع عظيم احترامي لحواء لفارق الشبه وعفوك يا حواء على هذا التشبيه التي حملتني إليه تداعيات معطيات التوراة وهنا عفواً سؤال آخر والأسئلة على ما يبدو لا تنتهي، فبأي لغة كان يتكلم الله مع آدم؟ هل كانت اللغة العبرية كما ينسب معلمو التوراة كل شيء توراتي إلى أصول عبرية حتى ولو كانت تلك الأشياء سابقة لإبراهيم العبراني كما جاء في قاموس الكتاب المقدس أنّ كلمة أور أصلها عبري وتعني نور أو لهب؟ وهذا تفسير سخيف جداً كسخافة مفسريه لأنّ أور كلمة سورية كانت تستعمل في كل أراضي سورية من أور الكلدانيين أي ديار الكلدانيين التي ولد فيها إبراهيم إلى أورشليم الكنعانية والتي تعني ديار السلام والتي كانت كذلك دياراً لا تعرف إلا السلام، والتوراة تشهد على ذلك حيث ملكها ملكيّ صادق كان معروفاً بملك السلام وبقيت كذلك أور السلام إلى أن دخلها اليهود وأصبحت أور الدم والقتل، ولا زالت طالما فيها إنسان يؤمن باليهودية، وهذه الأخبار اليومية شواهد حيّة على ما أقول وتلك أقوال أنبيائها تشهد أيضاً .

ونعود ثانيةً إلى ذلك المشهد أو العرض المسرحي لجميع الحيوانات الذي شهده آدم ونسأل عن اللغة التي بها دعا آدم كل تلك الحيوانات، فلو ذكرنا الأسد على سبيل المثال فبأي اسم دعاه آدم هل سماه سبع أم ليث أم ورد أم حيدر أم الغضنفر أم ضرغام أم ماذا؟ ثمّ ماذا نقول عن آلاف اللغات المنقرضة وآلاف اللغات المعاصرة وآلاف اللغات التي ستفرزها الظروف السياسية والمستجدّة في المستقبل، وكل لغة لها لفظ مخالف لغيرها في نطق اسم هذا الحيوان أو ذاك؟ هذا سؤال ينتظر جواب من الإيمانيين، ولكن أكره أن أسمع أي جواب سخيف يستغبي العقل ويتجاهل المنطق.

الطوفان

إنّ أسطورة التكوين العبرية -كما اعتمدت على عشرات الأساطير الوثنية- هكذا اعتمدت التوراة في تدوين أسطورة الطوفان على سابقاتها من الأساطير الطوفانية الوثنية وقبل مقارنتنا لأوجه التشابه بين أسطورة الطوفان التوراتية من جهة وإحدى الأساطير من العهد الوثني يجدر الإشارة إلى رأي بعض مفسريّ الكتب الدينية بخصوص التكوين والطوفان التوراتيان.

ذهب بعض مفسري الكتاب المقدّس إلى أنّ الإصحاح الأول من سفر التكوين يجب أن يكون إعلاناً إلهياً وهذا الإعلان قد أعطي قبل عهد موسى بوقت طويل، لأنه واضح من الروايات والأساطير العديدة التي كانت شائعة بين الوثنيين في القديم. فما كتبه موسى ليس صحيحاً لمعتقدات الفينيقيين أو البابليين أو غيرهم من عبدة الأوثان فلابدّ أنّ الله في وقت ما قد ذكر بنفسه قصة خلقه للعالم وقد حفظ هذا الإعلان بكيفية إلهية حتى لا تنجسه معتقدات أولئك الذين يؤمنون بتعدد الآلهة وغيرهم من أصحاب الأوهام والخرافات. وقد قصد الله بوحي منه أن تسجل هذه القصة في كتاب موسى ذي الخمسة أسفار...

هذا كان رأي بعض مفسري الكتاب المقدّس والرد على هذا المنطق غير المقبول أصلاً والذي يشبه منطق الخرافات القديمة للإنسان البدائي حيث كان الإنسان قديماً يسرد الأساطير دون أن يعبر بشكل عقلي ومنطقي عن صحة الأحداث ومنطقيتها، وهكذا جاء المفسرون لتبرير هذا الكلام بثرثرة لا تحمل أي معنى علمي أو منطقي أما بالنسبة لقولهم: (بوجود قصص وروايات مشابهة للتوراة قبل عهد موسى بوقت طويل وإنّ هذا واضح من خلال الروايات والأساطير التي كانت شائعة قبل عهد التوراة)

فنقول نعم إنّ هذا صحيح وهذه قصة الخليقة التي سردنـا أخبـار أحـداثها (التكوين البابلي) هي واحدة من مئات الروايات والأساطير القديمة تلك.

ولكن قولهم ما كتبه موسى ليس صحيحاً لمعتقدات الفينيقيـين أو البـابليين أو غيرهم من عبدة الأصنام، فردّنا على عدم صحة ادعائهم هذا هـو أن المفـسرين لا ينصفون التاريخ حقه وليسوا بنزيهين حين يخلطوا مـا بـين الحـقّ والباطـل، أي ليس من العدل أن يغلقوا عيونهم كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمـال لـئلا تـرى الحقيقة الماثلة أمامها.كذلك يغلق رجال الدين عيونهم عن الأقنية التي مرّت مـن خلالها معتقدات الفينيقيين والبابليين إلى أن وصلت إلى التـوراة ومـا بعـد ولكـن قول المفسرين بأن الله حفظ هذا الإعلان بكيفية إلهية إلى أن أتـى موسـى، فـسؤالنا هنا هو كيف حدث هذا إن لم تكن الأجيال الوثنية - كـما يـسميها رجـال الـدين - تناقلته على شكل أساطير وحكايات دينية من جيل إلى آخر؟

فكما أسلفنا أن أسطورة التكوين التوراتية وكما اعتمدت على سـابقاتها مـن أساطير التكوين هكذا اعتمدت التوراة في أسـطورة الطوفـان عـلى سـابقاتها مـن الأساطير.

فنأخذ بعض الأسطر من أسطورة الطوفان البابلي على سبيل المثال لمقارنتهـا بالطوفان التوراتي:

الطوفان البابلي من الألف الثاني قبل الميلاد المستمدّة من الطوفان السومري المدونة في الألف الرابع قبل الميلاد:	الطوفان التوراتي من الألف الأول قبل الميلاد المستقاة من الأسطورة البابلية:
يا رجل شوروباك ابن اوبارا توتو اهجـر ممتلكاتك وانج بنفسك، اعمـل عـلى حمـل بذرة كل ذي حياة.	فقال الله لنوح تك 13:6 ومن كل حي من الطيـور كأجناسـها اثنـين تـدخل إليـك لاستبقائها تك 19:6.

الطوفان البابلي	الطوفان التوراتي
والسفينة التي أنت بانيها ستكون وفقاً لمقاسات مضبوطة فيكون عرضها معادلاً لطولها.	اجعل لنفسك فلكاً تك **14:6** وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراع عرضه وثلاثين ذراع ارتفاعه تك**15:6**.
لقد سكبت ستة شارات من القير في الكوة. وازدادت شدّة في مهبها حتى غمرت الجبال.	وتطليه من الداخل والخارج بالقار.تك **14:6** وتعاظمت المياه كثيراً جدا: على الأرض فغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء تك **19:7**.
واحسرتاه لقد عادت الأيام القديمة إلى طين لقد سلطت الدمار على خلقي.	فمحا الله كل قائم على وجه الأرض تك **23:7** وقال الرّب في قلبه لا أعود أيضا: أميت كل حي كما فعلت. تك **21:8**
ومضت ستة أيام وسبع ليالي ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطى عباب الطوفان الأرض ولما حل اليوم السابع خفّت وطأة زوابع الطوفان في شدّة وقعها وهدأ أليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان فتحت كوة فسقط النور على وجهي.	وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه. تك **8:1–3**. وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوح فتح طاقة الفلك.تك **6:8**. فكشف نوح الغطاء عن الفلك. تك **13:8**

الطوفان البابلي	الطوفان التوراتي
واستقرّ الفلك على جبل نصير (جبال اشور)	واستقر الفلك... على جبل ارارات تك 4:8
ولمّا أتى اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها طارت الحمامة ثمّ عادت رجعت لأنّها لم تجد موضعاً تحط فيه وأخرجت السنونو وأطلقته. ذهب السنونو وعاد لأنّه لم يجد موضعاً يحط فيه ثمّ أخرجت غراباً وأطلقته. فذهب الغراب ولمّا رأى المياه قد انحسرت أكل وحام وحطّ ولم يعد.	ثمّ أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك فلبثت أيضاً سبعة أيام وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح أنّ المياه قد قلّت على الأرض فلبث أيضاً سبعة أيام أخرى وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه. تك 12- 8:8 وأرسل الغراب فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض. تك 7:8. فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه وكل الحيوانات خرجت من الفلك. تك 18:8.
وعند ذلك أطلقت كل شيء إلى الجهات الأربع وقرّبت قرباناً وسكبت الماء المقدّس على قمة الجبل وكدّست تحتها القصب الحلو وخشب الأرز والآس فتنسم الآلهة عرفها.	وبنى نوح مذبحاً وأصعد محرقات على المذبح فتنسّم الرّب رائحة الرضا وقال الرّب في قلبه لا أعود أميت كلّ حيّ كما فعلت. تك 21-20:8

الطوفان البابلي	الطوفان التوراتي
ولمّا حضرت الآلهة العظيمة عشتار رفعت عقد الجواهر الذي صنعه انو وفق هواها وقالت: أيها الآلهة الحاضرون كما لن أنسى عقد اللازورد هذا الذي على جيدي سأتذكّر هذه الأيام ولن أنساها.	فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم. تك **14:9**

وقفة على شاطئ الطوفان

بعد أن نظمت الآلهة الكون وخلقت الإنسان الأول من تراب (جسد تعامة) ودم الإله كينغو يبدو أنّ بعض الإلهات هذه خشيت من هذا المخلوق الجديد (الإنسان) الذي بدأ مسيطراً على الطبيعة بنموّه وطموحه ولاسيما أنّ الإله مردوخ أعطاه صورته الإلهية ونفخ فيه من روحه لذلك فكّروا بإبادته قبل أن يقوى عليها. هكذا بررت بعض الأساطير الوثنية أسباب الطوفان ودواعيه فقالت: بأن تضع حدّاً لطموحات هذا المخلوق، كما خاف الإله التوراتي من طموحات آدم عندما أكل من شجرة المعرفة التي في وسط الجنّة وأصبح يميّز الخير من الشّر:

وقال الرّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحيوة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرّب الإله من الجنّة

تكوين 22:3

ولكن بعض الأساطير الأخرى حملت أسباب الطوفان إلى الإنسان الذي تعاظمت ذنوبه وخلّف فساداً وظلماً في الأرض لذلك، فكّرت هذه الآلهة بإبادته هذا ما عبّرت عنه أسطورة الطوفان البابلي التي جاءت على لسان جلجامش بقولها:وفتح آيا فمه قائلاً : حمل المذنب ذنبه والآثم إثمه.

ومن ثمّ جاءت التوراة لتحمل أسباب الطوفان إلى خطيئة الإنسان الذي فسد وامتلأ قلبه شرّاً .

ورأى الرّب أنّ شرّ الإنسان قد كثر في الأرض وإنّ كل تصور أفكار قلبه إنّما هو شرير كلّ يوم فحزن الرّب أنّه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه.فقال الرّب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم

تكوين 5:6.

فيأتي الطوفان ويهلك فيه الإنسان وكل الأحياء ولا ينجو من الطوفان إلا نوح وفلكه فيعود الرّب ثانية للندم... وقال الرّب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأنّ تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت تكوين **21:8.**

ويعاهد الله الإنسان بأن لا يأتي إليه ثانيةً بمثل هذا الطوفان متخذّاً من القوس قزح ميثاقاً بينه وبين الإنسان والحيوان كما في الأسطورة البابلية، عندما رفعت الآلهة عقدها اللازوردي الذي قصد منه القوس قزح. فقالت الإلهة العظيمة عشتار: أيها الآلهة الحاضرون كما لا أنسى هذا العقد اللازوردي الذي يزين عنقي فإني لن أنسى هذه الأيام قطّ وسأذكرها دوماً ..

وهكذا وضع الله قوسه في السحاب قائلاً : وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل ذي نفس حيّة في جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد.

تكوين 9:13-16.

فما هو القوس قزح؟ وما الذي جعل الأساطير الطوفانية أن تتخذ منه ميثاقاً وبشرى أمان وسلام؟

القوس قزح هو عبارة عن ظاهرة فيزيائية طبيعية تحدث رزمة ضوئية مقوسة مؤلفة من سبعة ألوان (بنفسجي أزرق نيلي أزرق سماوي أخضر أصفر

برتقالي أحمر) وتظهر هذه الصورة في السماء بعد أن تخف شدّة هطول الأمطار بسبب تساقط بقايا رذاذات المطر، أي بعد أن تفرغ الغيوم ثقل حملها ولم يبق من الأمطار إلا بقايا القطيرات التي يتأخر سقوطها لدقّة حجمها وخفتها.

وقد لاحظ الإنسان منذ القديم هذه الظاهرة، وتعلّم أنه بعد ظهور القوس الملوّن في السماء لا يعقبه أمطار كثيرة إذن ليس هناك ما يخيف. ويكون أكثر مشاهدة للقوس قزح عندما تكون الشمس من خلف الناظر إلى الغيوم، فالنور الذي تعكسه تلك الرذاذات الدقيقة والمختلفة الأبعاد عن الناظر تعطي ألوان القوس قزح ويتكوّن أحياناً عند الشلالات والنوافير أو إذا كنت تسكب وترش المياه من خرطوم تتدفق مياهه بقوّة وبشكل رذاذات دقيقة.

أما عن حقيقة الطوفان فليس له وجود بهذه الصورة إلا في الأساطير والروايات، ولكن بشأن اكتشافات علماء الآثار عن آثار لطوفان حدث في بلاد الرافدين بتلك الأزمان فهذا لا يعني بأنّه حدث طوفان بالعالم أجمع وكان شامل، وإنّما قد يكون حدث طوفان بشكل أو بآخر وعلى نطاق ضيق على ضفاف نهري الدجلة والفرات كما يحدث على ضفاف كثير من الأنهار وذهب ضحيته من ذهب، فنسجت حوله قصص وأساطير الطوفان الدينية إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الأساطير من المبالغة والخيال، حتى أصبح العالم كلّه يغرق بأسطورة الطوفان من آلاف السنين ولا يزال البعض يغرق في بحر من الأوهام والهوس الديني.

وأخيراً نختم ملاحظتنا حول أسطورة الطوفان بآيات طوفانية من عدّة مصادر حيث تتفق بوجه وتختلف بآخر:

ولّما كان نوح ابن ستة مائة سنة صار طوفان الماء. فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه الطوفان. سفر التكوين 6:7 –7 من التوراة.

ومن كل حي اثنين تدخل الفلك. تكوين 19:6 –التوراة.

ومن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكر وأنثى.تك 2:7 –التوراة.

إنّ ما ورد من تناقض في هاتين الآيتين يشير إلى أنّ الرواية التوراتية هذه مستمدّة من مصدرين مختلفين.

انبذ الملك وخلّص حياتك واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة.

أسطورة بابلية من مكتبة أشور بانيبال.

وإلى السفينة التي صنعت اجلب وحوش البر وطيور السماء.

أسطورة سومرية من أطلال مدينة نيبور.

ادخل الفلك وأغلق عليك الباب وأحمل إليها الحبوب والمتاع والمواشي زوجك وعائلتك وأقرباءك وأصحاب الحرف.

ملحمة أتراحيس من العهد السومري.

قايين وهابيل

وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرّب 2 – ثمّ عادت فولدت أخاه هابيل وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض 3 – وحدث من بعد أيام أنّ قايين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرّب 4 – وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرّب إلى هابيل وقربانه 5 – ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه 6 – فقال الرّب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك 7 – إن أحسنت فلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها 8 – وكلّم قايين أخاه وحدث إذ كانا في الحقل ان قايين قام على هابيل أخيه وقتله 9 – فقال الرّب لقايين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي؟ 10 – فقال ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض 11 – فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك 12 – متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون في الأرض 13 – فقال قايين للرّب ذنبي أعظم من أن يحتمل 14 – إنّك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني 15 – فقال له الرّب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده 16 – – فخرج قايين من لدن الرّب وسكن في أرض نود شرقي عدن 17 – وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك وكان يبني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك.

سفر التكوين الإصحاح الرابع.

نعم قام الرّب بتكوين وتنظيم الكون وخلق الأحياء وكان الإنسان إحدى هذه الإبداعات الجميلة التي أبدعها الباري.

بعد أن خلق ياهو الإنسان الأول آدم يسقط هذا الآدم بالخطيئة الأولى كاسراً عصى طاعة العجوز ومتجاوزاً تهديداته المميتة وذلك بأكله من شجرة المعرفة المحرّمة فطرد من هذا الفردوس العدني ونصب ياهو الثيران المجنّحة الكيروبيم أمام البوابة وبأيديهم سيوف نارية مكتوب عليها الدخول ممنوع والعتب مرفوع. فجاء آدم إلى الأرض خائباً ومكسور الخاطر ليترجم سيرة حياته من خلال ما خلّف من فساد وإصلاح فجسّد طبيعة الخير والشّر الكامنة في أعماق نفسه.

فقال الله لآدم اكثروا واملئوا الأرض، فولد لآدم وحواء ابنيهم قايين وهابيل.

قام قايين على أخيه هابيل فقتله. فكانت أوّل جريمة يجنيها الإنسان على وجه الأرض، ولكن كيف وبماذا ذبحه وهو جديد في هذه الأرض لا يعلم أيّ شيء عن الذبح والموت؟

ثمّ من علّمه الذبح ولأجل ماذا ذبحه؟ والأسئلة كثيرة لا تجد لها موضعاً في المعقول.

وبالرغم من أنّ الشيطان لم يذكر مطلقاً في هذه الحكاية، إلا أنّ الاجتهادات الشخصية لذوي الخيال التوراتي الدائم الخصوبة ابتدعت أساطير شفوية مؤخّراً لترقيع هذه الغباءات من المدوّن التوراتي وذيلتها إلى الأساطير المدوّنة بالتوراة إلا أنّها بقيت موروث شفهي لم يجرؤ أحد لتثبيته بالتوراة.

ومن هذه الحكاية الشفهية يستمدّ المفسرون إجاباتهم عن سبب وكيفية الجريمة القايينية بقولهم بأنّ الشيطان ظهر لقايين متجسّداً في شخصيتين يتعاركان أمام قايين إلى أن بطح أحدهم الآخر آخذاً حجرة صوان حادة كالسكين وذبحه فيها وعندما يشهد قايين هذا المشهد، يقوم بتمثيله مع أخيه هابيل فيذبحه.

ونعود ثانيةً لنسأل لماذا ذبح قايين أخيه هابيل؟

التوراة تشير إلى شيء من السلوك العنصري من ياهو في تفريقه بين قايين وهابيل حين قدّم هابيل ليهو قرباناً من أبكار أغنامه وسمانها، بينما قايين ليس لديه أنعام وأغنام وفاقد الشيء لا يعطيه.

لهذا قدّم قايين من خيرة ثماره، ثمّ أنّ قايين لم يكن يعلم أنّ ياهو يحبّذ تقدمة الذبائح الدموية ولا حتى ياهوكان قد أبلغ قايين أنّ رائحة اللحوم المشوية تنعشه.

وهكذا نظر ياهو إلى هابيل وقربانه أما إلى قايين وقربانه فلم ينظر وهذا ما أغاظ قايين فقام على أخيه وذبحه.

وهناك أساطير شفوية تروي أنّ لآدم وحواء كان ابنة جميلة وكانت سبب هذا الخلاف. وأساطير أخرى تروي بأنّ كان لقايين وهابيل أختين إحداهن جميلة وهي التي كانت سبب هذه الجريمة.

ولكن هذه الأساطير كما أسلفنا لم تدوّن بالتوراة إلا أنّ بعض آباء الكنيسة دونوها في كتب ذات شأن لأنها كانت تعتبر مراجع موثوق بها مثل كتاب " تاريخ مختصر الدول " للعلاّمة غريغوريوس أبي الفرج المعروف بابن العبري اليهودي المتنصر والذي جاء في صفحته الثامنة: وعلى رأي مار ثوديوس بعد ثلاثين سنة للأنتفاء من الجنّة باشر آدم حواء فولدت قايين وقليميا أخته توأمين وبعد ثلثين أخرى غشيها فولدت هابيل ولبوذا أخته توأمين، وبعد سبعين سنة أخرى حاول آدم تزويج كل واحدة منهما بتوأمة أخيه فأبى قايين طالباً توأمته.

هذا ما جاء في كتاب «تاريخ مختصر الدول» لأبن العبري والذي كتب في القرن الثالث عشر. لم يذكر أولئك القديسين أي المصادر اعتمدوها في هذه المعلومات ولم يذكروا أيضاً أن الله أوحى لهم بهذه الأخبار، هل أوحى الله لهذا الرجل أنَّ بعد ثلاثين سنة للانتفاء من الجنة باشر آدم حواء فولدت قايين وقليما أخته توأم، وبعد ثلاثين أخرى غشيها...إلخ. وكل هذه الأخبار كيف عرفها مارثوديوس ولماذا لم يخبر بها الله موسى؟ وكذلك الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام رئيس قسم الفلسفة في جامعة الكويت يزعم أن قابيل قتل هابيل بسبب أن

آدم أراد أن يزوج قابيل أخت هابيل والعكس –حيث كانت حواء تلد ذكر وأنثى في كل مرة فأبى قابيل لأن توأمته كانت أجمل فطلب آدم منهما تقديم قربان للفصل بينهما فقُبل قربان هابيل[5].

لم يذكر الأستاذ الإمام من أي مصدر استقى منها هذه المعلومات ولم تذكر الكتب المقدسة هذه التفسيرات ولكنها كما ذكرنا كانت أساطير شفوية ليس لها أي علاقة بالمدونات المقدسة. أما قضية قتل قايين لهابيل فيربطها البعض بالآيتين الواردتين في سفر التكوين 16:3و 7:4

وقال للمرأة تكثيراً كثر أتعاب حملك بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.

تكوين 16:3

إن أحسنت فلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.

تكوين 7:4.

فهذه العبارة (وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك) تعبّر عن الخطيئة التي كانت رابضة عند الباب وهي المرأة التي يسود عليها الرجل وإليه اشتياقها.

إنّ أسطورة قايين وهابيل هذه والواردة في التوراة لم تكن الأولى والوحيدة التي سطّرها الإنسان عبر التاريخ بل سبقتها أساطير كثيرة مشابهة لها مثل قصة لهار وأشنان وقصة أنكمدو ودموزي وقصة ايميش وأنتين.

إنّ ما يميز هذه الأساطير الوثنية عن أسطورة قايين وهابيل هي أنّ مدوني التوراة جعلوا الرّب ينحاز إلى الراعي دون المزارع بغير حق، على عكس ما دونته الأساطير الوثنية التي جعلت الرّب يفضل المزارع على الراعي مبينةً السبب، وفي أسطورة التوراة تنتهي القصة بالقتل بينما الوثنية تنهيها بالسلم والقبول.

---

(5) عن معجم الديانات وأساطير العالم ص28.

وقبل التقصي للأسباب التي جعلت مدوني التوراة أن يجعلوا الرب منحـازاً للراعي دون المزارع وأيضاً قبل بحثنا عن أسباب تفضيل المـزارع عـلى الراعـي في الأساطير الوثنية، لابدّ لنا من أن نشير إلى أنّه مـن المعـروف ومنـذ أقـدم العـصور وحتى يومنا هذا، أن الراعي يتسم بعدم المدنية والاستقرار وعلى عكس مـا اتـسم به المزارع من مدنية وتحضر إضافةً إلى كون المزارع مـسالم، بيـنما الراعـي ذو طبيعـة شرانية شرسة تتجه إلى الشر والذبح، أما المدني لا يقوى على ذبح دجاجة.

وخير ما يعبّر عن هذه الأخلاقيات التي اتسم بها كل من المـزارع والراعـي ما ورد في أسطورة أنكمدو ودموزي من العهد السومري:

في هذه الأسطورة يكون الخلاف بين الراعي والمـزارع حـول مـن سـيتزوج أنانا العذراء، كما كان الخلاف بين قايين وهابيل حول من سيتزوج أختهم حـسب ما ادّعت إليه بعض الأساطير الـشفوية والتـي لم تـدون بـالتوراة.وجـاءت هـذه الرسالة أيضاً لتقـول إنّ اول جريمـة قتـل حـدثت بـسبب امـرأة، ففـي أسـطورة انكمدو ودموزي تقرر أنانا العذراء بأنّها ستتزوج أنكمدو المـزارع ذو الحـسنات والخيرات الوفيرة إلا أنّ أخيها يطلب منها الزواج من دوموزي الراعي الذي تبدو فيه (من خلال النص) طبيعة الشر والتسلط بالقوة فيتدخل الراعي عارضاً حسناته على أنانا العذراء طالباً منها الزواج. ويبدو أنّ أنانا تقبل بالزواج منه ولا نعلم عـن السبب في تغيير انانا لموقفها بقبولها الزواج من الراعي لتشوه بعض الأسـطر هـذه، إلا أنّ أنانا رجحت الراعي ربما تفادياً لشره. ولكن الراعي لا يكتفـي بهـذا الفـوز بل طبيعته الشرانية تدفعه إلى حقل المزارع ليستفزه ويتسبلاه في عقـر داره فيجرجـر ماشيته لتلتهم المزروعات، ولكنّ المزارع يتفادى الصدام معـه بالتقـديم لـه الهـدايا والعطايا تجنباً لشره.

وهكذا ينتهي النّص بانتصار الراعي بالقوة العضلية الزائفة، إلا أنّ المـزارع يحقق انتصاره بقوة الحكمة والعقل، وتبقـى الحـضارة والمدنيـة هـي الـسائدة عـلى البداوة والرعوية.

أنكمدو ودوموزى

أنا العذراء سأتزوج المزارع
الفلاح الذي يزرع النباتات ويعطي الغلال الوفيرة
الفلاح الذي ينتج الحبوب الغزيرة
(يتدخل أخوها ويحضها بالزواج من الراعي)
أي أختاه عليك بالراعي
الكثير الأنعام
أنانا أيتها العذراء لماذا تعرضين عنه
إنّ زبدته لطيبة وحليبه لسائغ
وكل ما يمسه يصبح براقاً
أي أنانا إنّ دوموزي الكثير الأنعام
مليء بالجواهر والأحجار الكريمة فلماذا عنه تعرضين
ستأكلان معاً من زبدته الطيبة
وهو البطل حامي الملك فلماذا عنه تعرضين
(ويلي هذه الأسطر تشوه في النص ثمّ يتدخل دوموزى قائلاً :)
أفضل مني أفضل مني ما لدى الفلاح أفضل مني
إذا أعطاني نبيذه أعطيه لبني
وإذا أعطاني خبزه أعطيته الجبن اللذيذ
(وبعد أن تقتنع أنانا بالزواج من الراعي لا يكتفي الراعي بهذا الفوز بل يذهب إلى المزارع ليشاجره إلا أن المزارع يتسامى عن هذا السلوك في حل النزاع)
أيها الراعي لماذا تريد أن تبدأ خصاماً

أي دوموزي لماذا تريد أن تبدأ معي خصاماً
ولماذا نعقد بيننا المقارنة
ألا فلتدع مواشيك تأكل عشب الأرض
وفي مروجي الخضراء فلترتع قطعانك
وفي سهول زابالام فلتأكل الحبوب
ولتشرب من ماء نهري أونم
(يتبلى الراعي للمزارع بقوله:)
أنا الراعي لن تحضر حفل زفافي يا أنكمدو كصديق
أيها المزارع كصديق لي أيها المزارع كصديق لي لا تأت
(وأخيراً يعرض المزارع عطاياه على الزوجين تفادياً للشجار)
ما الذي أستطيع تقديمه سأجلب عدساً لك
عدس ال( ) سأجلب لك
وأنت أيتها العذراء أنانا فكل ما يسرّك
أيتها العذراء أنانا سأقدمه لك

ايميش الراعي وأنتين المزارع

تعتبر قصة ايميش الراعي وأنتين المزارع من أقدم النصوص المشابهة لقصة قايين وهابيل والتي توصلت إلى أيدي الأخصائيين، فجاءت هذه الحكاية بالخط المسماري بما يقارب الثلاثمئة بيت منذ الألف الرابع قبل الميلاد من العهد السومري.

فتقول هذه الأسطورة في بعض أسطرها:

لقد أجرى أنتين ماء الحياة في كل بقاع الأرض
وأنتج للآلهة كل شيء إنّه مزارع الآلهة
فيا أيميش يا بني كيف تقارن نفسك بأنتين أخيك
هذه كانت كلمات أنليل المقدسة العميقة المعبّرة
فانحنى أيميش وركع أنتين.

قايين وهابيل في التوراة

وحدث من بعد أيام أنّ قايين قدّم من ثمار الأرض قرباناً للرب، وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرّب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر.

سفر التكوين 3:4

قايين وهابيل في العهد الجديد

بالإيمان قدّم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين فيه شهد له أنّه بار إذ شهد الله لقرابينه وبه وإن مات يتكلم بعد. الرسالة إلى العبرانيين 4:11

من خلال مطالعة هذه الآيات الواردة بالكتب السماوية، نفهم بأنّ الرب انحاز إلى هابيل الراعي. وفي هذا الانحياز غير المبرر وغير العادل كانت مصيبة هابيل ومقتله. لهذا يقال ومن الحبّ ما قتل أي أنّ حبّ الله لهابيل كان قاتله.

أما فإلى ذلك المعتر المزارع قايين فلم ينظر يهو وهذا ما فجّر غيرة قايين وغضبه مما دفعه إلى قتل أخيه أما في الآيات الواردة في الأسطورة السومرية فإننا نجد العكس، حيث أنّ الرب ينحاز إلى المزارع ويفضلّه على الراعي، إلا أنّ الرّب في هذه الأسطورة يبرر هذا التحيز بقوله:

إنّ أنتين المزارع أجرى الماء في كل بقاع الأرض وأنتج للآلهة كل شيء.

إذن فهو عامل نشيط ومتحضّر وهنا يقتنع ايميش بهذا الحكم العادل ولا يحمل حقداً لأخيه فيسجدا الاثنين للرّب وتنتهي القصة دونما جريمة على

عكس ما انتهت إليه القصة التوراتية فلو كان يهو عادلاً ومنطقياً كان من المتوجب عليه أن يفضّل قايين على هابيل لأنّ قايين امتثل لأمر الله حين قال الله: افلحوا وازرعوا واثمروا الأرض.

فكان قايين نموذجاً للشعوب المتحضّرة، مجاهداً كادحاً ناشطاً في الأرض التي خلق الله الإنسان ليعملها، بينما هابيل كان كما العبريين لاهياً كسولاً يسرح مع الأغنام ويلعب بآلته الموسيقية.

إنّ وقفة انتباه وتأمل لأسباب وبواعث هذا التفضيل والتحيّز الربّاني، يتجلى لنا من خلال سببين منطقيين، مع أنّ تقدمة ثمار الأرض أطهر من تقدمة الدم والذبح التي تطبع بها العبريين في تقدمة قربانهم الدموي.

إلا أننا نقول لماذا الرب التوراتي ينحاز إلى الراعي دون المزارع؟ وبالتالي استمرّ هذا التحيز في سماويات اليوم.

ولماذا الإله الوثني في الأسطورة السومرية انحاز إلى المزارع دون الراعي كما رأينا؟

أولاً نأتي إلى الأسطورة الوثنية من العهد السومري وتفسير أسباب تحيّز الرّب إلى المزارع وتفضيله على الراعي.

من المعروف عن الإنسان البدائي قبل أن يعرف الزراعة وتربية الماشية والتدجين، كان بحكم غريزته واحتياجاته يعتمد على صيد الحيوانات الداشرة والتقاط ما تفرزه الأرض من ثمار دون أن يكون قد سبق له أن زرعها وذلك لتأمين قوت يومه فكانت الزراعة تنمو حسب مفهومية ذلك العهد بقدرة الإله بعل، لذلك كانت تسمى زراعة بعلية حيث لا زالت هذه التسمية في سورية سارية حتى اليوم، محمولة على صفحات التوراة:

لا يقال بعد لأرضك موحشة بل تدعين حفصيبة أي (مباركة) وأرضك تدعى بعولة لأن الرب يسر بك وأرضك تسير ذات بعل. سفر اشعيا 4:62.

أي أنّ اشعيا يقول عن اسرائيل سوف لا تبقى كأرض مهجورة بلا صاحب بل تكون بعلية يتولاها الإله بعل برعايته وحكمته.(الزراعة في الجزيرة السورية 75٪ بعلية والبقية سقي).

وهكذا ومن ثمّ تعلم الإنسان مهنة الزراعة والحال هذه كان على المزارع الاستقرار في الأرض وبناء القرى والمدن، وبالتالي تمدّن وأصبح حضارياً أكثر من الراعي الذي بحكم ظروف مهنته الرعوية لم يعرف الاستقرار والمدنية، حيث كان ينقل خيامه وينتقل من مكان لآخر لطلب الكلأ والمراعي الخصبة والمياه الوافرة. ففي هذه الظروف كان لابد من أن تتضارب مصالح المزارعين مع الرعاة لاسيما في ظروف ندرة الكلأ والقحط فكانت الماشية تزحف نحو الأراضي المزروعة وتلتهمها مما يخلق الخلافات والمناوشات بين الرعاة والمزارعين وبالتالي يقوم الراعي بقتل المزارع ويهرب، بينما المزارع لا يجرؤ على القتل لارتباطه بالأرض، أمّا الراعي طبيعة ظروفه بين حطّ وترحال لا تمنعه من القتل والفرار.

ولكن التوراة بكل أسف عكست الآية بقولها أنّ المزارع قايين قتل الراعي هابيل وهذا من أبسط الأمور التي شوّهها العبريين مما سرقوه من حضارات الأمم، كما أن قضية القتل كانت خصوصية يهودية أدخلوها في أسطورتهم أما الأساطير الوثنية لم تورد قضية القتل لأنها لم تكن محببة لديها، ولا كانت من طبيعة الأمم القتل والذبح الذي تطبّع به العبريين.

وكلم قايين أخاه هابيل وحدث إذ كانا في الحقل أنّ قايين قام على هابيل أخيه وقتله فقال الرب لقايين تائهاً وهارباً تكون في الأرض. (تك **8:4**)

إنّ هاتين الخاصتين المتعاكستين بين الراعي والمزارع كانت وما زالت آثارها حتى اليوم حيث حوادث قتل الرعاة للمزارعين نشهدها حتى اليوم في بلاد الشرق.

إنّ هذه الملاحظة تجعلنا نشير بالبنان إلى أسباب انحياز الإله الوثني إلى المزارع وتفضيله على الراعي.

وبما أنّ أول من عرف الحضارة كان الإنسان المزارع بحكم ظروف استقراره وتمدنه وبطبيعة الحال هو الذي سبق الراعي إلى الثقافة والكتابة، لذلك كان لابد له من أن يدون الأسطورة مفضلاً المدنية على الرعوية والبدوية ولكننا نأتي إلى النقطة الثانية لنسأل كيف ولماذا انتقل تحيّز الرب إلى الراعي بعد أن كان منحازاً إلى المزارع؟

نقول بها أن الإسرائيليين كانوا جماعة من الرعاة الرحّل ولم يعرفوا الاستقرار إلا آخر الأقوام ولأنهم من وراء كتابة التوراة فكان لهم أن حوّروا الأسطورة بما يناسبهم ولاسيما أنهم كانوا يكرهون الشعوب والأقوام المتمدنة ممن يجاورهم.

ولكن الله لو اختار بلا تحيّز كان من المفروض حتماً أن يختار تقدمة المزارع لأسبابها الواضحة. وبالرغم من اعتماد المسيحية على اليهودية كمصدر للفكر الديني الأسطوري إلا أن المسيح بطبعه المسالم جاء على رتبة الكاهن ملكي صادق ذلك الكاهن الكنعاني الغريب عن العبريين الذي كان يقرب للرب قربانه من الخبز والخمر:

حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس الكهنة إلى الأبد.

عبرانيين 20:6

اقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

مزمور 4:110

وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك وكان يبني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك.

تكوين 17:4

قايين بنى مدينة ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن أنّ التوراة لم تقل أنّ قايين بنى بيت أو قرية صغيرة بل مدينة، فكيف كان له أن يبني مدينة وهو وحيد ليس من يعينه إلا زوجته؟ ثمّ، لمن بنى كل هذه المدينة؟ ثمّ سؤال آخر وهو من هي زوجة قايين وما اسمها وابنة من هي ولم يكن بالدنيا سوى آدم وحواء وقايين حسب ما جاء بالتوراة؟

ثمّ جاء في تك13:4 فقال قايين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل إنّك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني فقال الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده

السؤال هنا أن قايين بقي وحيداً لآدم وحواء بعد أن قتل أخيه.

أولاً ما هي هذه العلامة التي وضعها الله لقايين؟

هل أنبت له ذيل كأصحاب الآذان الطويلة؟ أم قرون كعلامة فارقة لينطح بها كما الرب الذي ينطح بقرونه أعداء شعب الله المختار؟

ثمّ ممن كان يخاف قايين أن يقتل، ولم يكن بشر بالدنيا سوى آدم وحواء بعد أن قتل أخيه؟

ثمّ قوله أنك طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي. فالسؤال هنا أيضاً أنّ الله طرد قايين عن وجه الأرض ولكن إلى أين؟ هل ارتفع إلى المريخ مثلاً؟ ثمّ يقول قايين ومن وجهك أختفي. أليس وجه الله في كل مكان؟ فكيف سيختفي من وجه الله؟

الحقيقة أنّ الذي يأتي بالمبررات لهذه الترهات إن لم يكن ساذجاً فهو حتماً دجّال وبامتياز من الروح القدس.

أبناء الله

في أساطير التكوين الوثنية كانت الآلهات تتوالد جيل بعد جيل كما رأينا بالتكوين البابلي، ومن أبناء الآلهات هذه في بعض الأساطير الأخرى تزاوجت مع البشر، فولد لهم أحفاد جبابرة وعماليق نصف آلهة ونصف إنسان. إنّ كثرة هذه الأساطير الوثنية التي تدور حول هذه الفكرة شاعت عند كثير من الشعوب القديمة وكان من آثار هذا الشيوع أنّها تسرّبت إلى التوراة فنقرأ عن هذه القضية في سفر التكوين 6:1 –

وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات إنّ أبناء الله رأوا بنات الناس أنّهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروه فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه وتكون أيامه مائة وعشرين سنة كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولد لهم أولاد هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذو اسم.

تك 6:1

إنّ هذه العقيدة الوثنية (أبناء الله) جاءت مشابهة للفكرة التي دونّها الكاهن البيروتي سنكن يتين حيث ذكر حسب المذهب الكنعاني أنّ الآلهة ولدوا جبابرة من بنات الناس وأعطوا أسمائهم للمناطق التي سكنها أولئك الجبابرة ومنها لبنون (لبنان)، وحرمون (الحدود السورية اللبنانية)، وقاسيون الجبل المطل على دمشق، وقلمون (النبك في سورية).

إنّ هذه العقيدة الوثنية (أبناء الله) الواردة بالتوراة يسميها مفسري الكتاب المقدس بحقبة الجبابرة، إلا أنّه مهما وجد مفسري الكتاب المقدس من معنى لأبناء الله هذه الواردة هنا فإنّها تتناقض والمذاهب السماوية. وأهم تفسير يعتمده اللاهوتيون لمعنى أبناء الله هو الملائكة الذين تركوا حالتهم

السماوية من حول عرش العزّة الإلهية واتخذوا لأنفسهم زوجات من بنات الناس.

سوف لن أطيل الحديث كثيراً حول حيرتنا من سبب الملل الذي أصاب هذه الملائكة حتى هجرت من مجد السماء ونعيمها بحثاً عن اللذة الجنسية، إلا أننا نقول من المؤكد في المذاهب السماوية أنّ الملائكة لا يمكن لها أن تتزوج لأنها أرواح منزهة عن المادة كالموسيقى والنور وبالتالي لا تشغل فراغ مادي ملموس وهذا الرسول مرقس يؤكد لنا بأنّ الملائكة أرواح غير مادية لا يمكن لها أن تتزوج.

انجيل مرقس 5:12.

الله وغيره من الإلهات

قبل أن يتوجه الإنسان بتفكيره نحو التوحيد آمن بعدة آلهات ولكل إله اختصاصه ووظيفته، ومع تبلور مفهوم التوحيد بالشكل الأفضل نوعاً ما تلاشت أكثر أسماء الالهات تلك وبقي البعض منها مرفوض مثل الإله تموز وعشتار ومولك وساطانائيل مع أنّ التوراة تؤكد على أنّ الكثير من العبريين استمروا في عباداتهم لهذه الإلهات حيث كانوا يقربون لهم الذبائح والبخور وهناك أيضاً من الإلهات التي استمرّت قدسيتها حتى اليوم كالإله ايل وبعل واهية ويهو ومع فكرة التوحيد أصبحت هذه الإلهات المعتبرة صفة من صفات الله أو أسم آخر للإله إلا أنّ هناك أيضاً من الإلهات التي لاحقاً أخذت شكلاً آخر في المذاهب الدينية قبل التوحيد الصحيح وهي الملائكة تلك الإلهات الثانوية ولاسيما التي كانت من أتباع الإله ايل مثل جبرائيل وميخائيل وساطانائيل (الشيطان) ولم يكن الشيطان مكروهاً من قبل كما سيمر معنا في قصة سقوط الشيطان، وكان هناك أيضاً ملاك الرب وملاك العهد (تك 7:16 وحز 20:23 واع 7:30-38)وملائكة أخرى كثيرين سنتجاوز ذكرها لئلا نصيب القارئ بالملل ولكننا نقول إنّ هذه الملائكة الكثيرة كانت آلهات ولكن بدرجات متفاوتة إلا أنّ جميعها كانت معبودة ويسجد لها في مذاهب العبريين.

نقرأ في سفر التكوين:

فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالساً في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض.

تكوين 1:19

إلى أن جاء بولس الرسول بالعهد الجديد ليقول:

لا يخسركم أحد الجعالة راغباً في التواضع (السجود) وعبادة الملائكة

رسالة بولس إلى أهل كولوسوي 18:2

نفهم من هذه الآية التواضع يعني السجود والعبادة، وعلى هذا يؤكّد كاتب رؤية يوحنا اللاهوتي حين يقول:

فخررت أمام رجليه لأسجد له (يوحنا) فقال لي (الملاك) انظر لا تفعل أنا عبد معك أسجد لله فقط.

رؤية يوحنا اللاهوتي 10:19

السجود والعبادة لله فقط، نعم أعجبتني جداً هذه الفكرة أو هذه الكرازة، إلا أنّ وعظة أبو الفتوح أحمد بن محمّد الغزالي الواعظ أعجبتني أكثر، حيث كان يقول أن الشيطان هو سيّد الموحدين وقال يوماً من على المنبر: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق 'أمر أن يسجد لغير سيده فأبى. (انظر كتاب اليزيدية للدكتور خلف الجراد ص 84 – شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج 1 ص 305)

نحن نعلم أنّ الشيطان في السماويات ملاك خاطئ بسبب كبريائه ولكن أسم الشيطان لم يذكر بكل أسفار العهد القديم إلا في سفر أيوب وأخيراً أقحم في زكريا 1:3 –2– أما في أيوب فقد أشار إليه بكونه من أبناء الله الذين يمتثلون لجلالته من وقت إلى آخر.

وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله (الملائكة) ليمتثلوا أمام الرب وجاء الشيطان في وسطهم ليمثل أمام الرب. سفر أيوب 1:2

لم يتبختر الشيطان بالسماء وحسب، بل يدخل مع الله في جدل طويل إلى أن يتمكن أخيراً من إقناع صاحب الجلالة بأن يسقط أيوب في مستنقع من العذاب، هذا أيوب العبد التقي والمحبوب ليهو جداً حيث أنعم الله عليه ما لم ينعمه على غيره.

إنّ هذه الملائكة وطبعاً من ضمنها الشيطان أو مجموعة الشياطين ولأنها من زمرة الآلهة كما أسلفنا لذلك أخذت صفة الخلود والروحانية المنزهة عن المادة

وسرعة الانتقال من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء ولها قدرات إلهية عجيبة إلى آخر ما هنالك من صفات الآلهة.

إنّ هذا النمط من المذاهب لا يمكن أن يكون دين موّحد على الإطلاق بل هو كوكتيل أديان ما بين ايلي وبعلي ويهوي وغير ذلك.

ويرى البعض أنّ عقيدة التوحيد تتبلور عند العبريين ابتداءً من النبي عموس وهو أول الموحدين وكان هذا نحو القرن الثامن قبل الميلاد أي بعد إبراهيم رفيق الله بألف سنة.

لكننا نجد بعد عاموس بمائة عام لا زال الإيمان بتعدد الآلهة فهذا النبي حبقوق يقول في إصحاحه الأول:

5_ انظروا بين الأمم 6_فهاأنذا مقيم الكلدانيين الأمة القاصمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها 7_هي هائلة ومخوفة... 11_ هذه قوتها إلهها.

فاعتراف حبقوق بإله هذه الأمة هو تثبيت وجود أكثر من إله. أما بقية صفحات التوراة ففيها أكثر من ألف شاهد وشاهد على أنّ العبريين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة وإن ورد ذكر لبعض الآيات التي تبدو وكأنّها آيات توحيدية كما في تثنية:

اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربّ واحد. تث **4:6**

فمثل هذه الآية ينذر وجودها بالتوراة وربّما أقحمت بالتوراة بهمة الصديقين ذوي النوايا الحسنة أو ربّما يكون المقصود منها كمن يقول: اسمع يا فلان نحن شعب واحد لنا علم واحد بلد واحد ولكن هذا لا ينفي وجود أعلام أخرى أو بلدان أخرى.

على أية حال مع ندرة وجود آيات كهذه أذكر بعض تلك الآيات التي تنقض التوحيد وتؤمن بوجود مؤسسة إلهية فيها كثير من الإلهات بالرغم من أن ممحاة ومقصات التقاة لم تبطل بين قصّ وشطب وإضافة في كل طبعة جديدة من الكتاب المقدس.

وحتى الأمس القريب كنا نقرأ في قصة آدم وحواء أنّ الحية قالت لحـواء إن أكلتما من هذه الشجرة ستكونان مثل الآلهة. واليوم أسقطت هذه الآية لتنبت محلّها الآية التالية:

بل الله عالم أنّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونـان كـالله عـارفين الخـير والشّر. تك5:3

إذاً الآلهة أصبحت الله

الاصحاح الثالث

... اخبث من جميع وحوش الارض التي عمل الرب
... الحية للمراة لماذا امركما الله ان لا تاكلا من جميع شجر
... *فاجابتها المراة من ثمرة الشجر الذي في الفردوس ناكل
... ثمرة الشجرة التي في وسط الفردوس امرنا الله ان لا ناكل
... تمسها لئلا نموت *فقالت الحية للمراة لن تموتا *لان الله
... في اي يوم تاكلا منها تنفتح عيونكما وتكونا كالالهة تعرفان الخير
... *فرات المراة ان الشجرة طيبة الماكل وجميلة للعيون وشهية للنظر
... من ثمرتها واكلت واعطت بعلها وهو فاكل *وانفتحت عيونهما
... انهما عريانان وصلا من ورق التين وصنعا لهما مآزرا *وسمعا صوت
... الاله ماشيا في الفردوس عند مهب الهوا بعد الظهر فاستتر ادم
... عن وجه الرب الاله في وسط شجر الفردوس *فدعا الرب
... ادم وقال له اين انت *فقال ادم اني سمعت صوتك في

(3) B 2

على كل حال أبدأ بالإشارة هنا إلى سفر تك 22:3:

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منّا.

فمع من كان يتحدث هذا الرب ولمن كان يقول (هو ذا الإنسـان قـد صـار كواحد منّا) أليس يعني هذا أنّ الله كان يتكلم مع غيره من الآلهة؟

أمـا في حكايـة العهـد بـين إسرائيـل وخالـه لابـان تأكيـد عـلى الـشركة الإلهية بقوله:

إله إبراهيم وآلهة ناحور يقضون بيننا. **تك 53:31**

إذن هناك إله لإبراهيم وأكثر من إله لناحور.

ومن إسرائيل ننتقل إلى موسى الذي يزمر تزميرته المعروفة:

من مثلك بين الآلهة يا ربّ. **خروج 11:15**

طبعاً هذا اعتراف صريح من موسى بأنّ ثمة آلهة غير ربّه إلا أنّ ربّه ذو امتياز لا مثيل له بين الآلهة، وفي قصة لوحي الحجر يقول موسى: أعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبع الله.

تث 10:9.

إذن الرب هو إله والله هو إله آخر. فلو كان موسى يعتقد أنّ الرب هو نفسه الله لقال:

أعطاني الرّب لوحي الحجر المكتوبين بأصبعه.

ومن موسى نقفز إلى النبي ارميا لنقرأ أو نسمع منه ما يقوله عن التوحيد والإشراك في اليهودية: لأنّه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا.

سفر ارميا 29:2

نعم إنّ كل مدينة من مدن يهوذا كان لها الهتها الخاصّة بها.

لا أريد أن أقلّب كل صفحات التوراة لأجني منها كماً كبيراً من آيات الإشراك، ولكني أشير هنا فقط إلى الأغاني المنسوبة لحبيب يهو كما يحلو لبعض الأفاضل تسميته أقصد مزامير داوود والذين يجعلون اسمه مشتقاً من كلمة ياديد بمعنى حبيب (وديد من الود).

ولكن التوراة التي قلبت كل المفاهيم لماذا لا نقلب نحن أيضاً قراءة نجم داوود مثلا ونعيدها إلى أصلها؟ لتصبح مجن دواد لكثرة المجون والفساد الذي عثّه في الشعب الإسرائيلي كملك جائر مغتصب نساء أصحابه والغادر بهم كما اغتصب زوجة أوريا الحثي قائد جيشه ومن ثمّ غدر به ليتزوجها.

أما في ذكر بعض الأمثلة من آيات الإشراك في مزامير داوود فنورد القليل من كثير.

نعم داوود يؤمن بأنّ هناك كثير من الآلهة لكن هناك إله خاص بالصفوة المقدّسة وهو أقوى من كل تلك الإلهات الغريبة. إله الآلهة الرب تكلم.

مزمور 1:50.

إذن هناك آلهة وهناك إله أكبر يتزعمها هو إله الآلهة.

الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي. مزمور 1:82 وأصل الآية:

الله قائم في وسط الآلهة يقضي. / يقاضي الخلافات والمناوشات الإلهية.

اسجدوا له يا جميع الآلهة. مزمور7:97. إذن فلتسجد الآلهة الصغار للإله الأكبر.

لأنّك يا ربّ... علوت جداً على كل الآلهة. مزمور 9:97.

لا مثل لك بين الآلهة يا ربّ مزمور 8:86.

احمدوا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته. احمدوا ربّ الأرباب لأن إلى الأبد رحمته.

مزمور 2:136 -3.

حتى الإلهات لها إله هو إله الآلهة وربّ الأرباب.

أيّ حماقة تنكر هذا الإشراك؟ وأي حمامة سكرة أوحت بهذه العقيدة التعددية وقالت عنها توحيدية؟ ثمّ من قال إنّ الدكتاتورية والانفراد بالقرار خير من التعددية؟ أليست الديمقراطية صورة حضارية مشرقة وأكثر عدلاً ؟ أليس لإله الآلهة مجمع شورى كنموذج رائع للديمقراطية يحاوره في كل عمل يقوم به كقوله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منّا حين تآمرت هذه الآلهة على الإنسان وطرد من جنّة عدن التي بقيت مقتصرة على تلك الآلهة. وفي قصة هاجر خير دليل على أنّ العبريين يؤمنون بتعدد الآلهة، لا بل يؤمنون أنّ الملائكة هي من زمرة الآلهة.فنقرأ في سفر التكوين 10:16:

وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر من نسلك فلا يعد من الكثرة (فهل يستطيع إكثار النسل غير الله؟ إذن ملاك الرب هو الله).

11- وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه اسماعيل لأنّ الرب قد سمع لمذلتك.

13- فدعت اسم الرّب الذي تكلّم معها أنت ايل رئي.

إذن ملاك الرب الذي تكلم معها هو الرب عينه. ألا تكفي هذه الشواهد للقناعة بأنّ التوراة مذهب يؤمن بالتعددية الإلهية؟ حسناً قد يصّر

أصحاب الأذان الطويلة إطالة عنادهم أكثر من طول أذيالهم ويزعمون بأنّ العهد القديم دين موحد والملائكة ليسوا من الإلهات في مفهوم التوراة، وقصة هاجر هذه لا تفي في إقناعهم بحل عصابة التعمية التوراتية من عيونهم. ولا بأس أن أشير هنا وبعجالة إلى قليل من الشواهد ثانيةً للمقارنة مع حارّ الرجاء بالتعقّل علّهم أخيراً يعقلون وينزلوا من على حمار العناد الذي يسمّنه الثبات والرسوخ بالإيمان، فإذا هم ساروا في هذا التغابي وأوشك أن ينتهي حظهم من هذه الحياة فليرحموا أحفادهم من هذا المنزلق القذر لئلا يلعنهم أحفادهم كما هم لعنوا أجدادهم الجاهلين، وصفة الجهل هي أرحم كلمة ذكرت بها الأجداد بعد الإيمان. وعلى رأي المثل بالكيل الذي تكيلون يكال لكم ويزاد

أم تعلمون هذا وأنّكم تعملون بالمثل القائل: لا يؤلم العنزة الميتة سلخ جلدها عنها، ولا يهمكم بعد موتكم ما يقال عنكم.

والآن لابدّ أن أشير ثانيةً لما يثبت الهوية الإلهية للملائكة لمن أراد أن لا يطمس الحقيقة في عمى الورع الديني وباختصار شديد أقول:

ورد في زكريا 13:1 - فأجاب الرب الملاك الذي كلمني بكلام طيب وكلام تعزية

14- فقال لي الملاك الذي كلمني ناد قائلاً هكذا قال ربّ الجنود.

فهنا نجد زكريا يسمي الله الربّ الملاك وربّ الجنود والملاك ولاسيما قوله: فأجاب الرّب الملاك... إذن الرّب هو الملاك.

وفي سفر هوشع في قصة مصارعة يعقوب مع الله نقرأ هذه الآية: في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله جاهد مع الملاك. هوشع 3:12 -4- إذن الله هو الملاك لأن جاهد مع الله يفسرها ويوازيها جاهد مع الملاك.

جاء في مزمور 4:44- أنت هو ملاكي يا الله. أي أنّ الله هو ملاك داوود كمن يقول أنت هو إلهي يا ربّ. ولكن الأمناء على كل حرف من حروف الوحي لم يجدوا صعوبة بتحريف هذه الجملة إلى:

(أنت هو ملكي يا الله) فجعلوا الله ملك لداوود وكأنّه متاع أو زوجة يمتلكها دون شريك له في ملكيتها، وأظن أنّ هذا التحريف لم يحل لهم هذه المشكلة وإنّما قبّح الصورة أكثر وقصّر في عقولهم أكثر وطوّل في آذانهم أكثر.

وفي سيناريو وحوار داوود مع الله في سفر الأخبار الأول 21 ورد: 16- ورفع داوود عينه فرأى ملاك الرّب واقفاً بين الأرض والسماء.

17-وقال داوود لله:ألست أنا هو الذي أمر بإحصاء الشعب...إذن ملاك الرب والله هو ذاته. وفي سفر القضاة نقرأ:

20-فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أنّ ملاك الرّب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران فسقطا على وجهيهما إلى الأرض.

21- ولم يعد ملاك الرّب يترأى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنّه ملاك الرب. فقال منوح لامرأته إننا نموت موتاً لأننا قد رأينا الله. **قضاة13**

منوح وزوجته رأوا ملاك الرب فعرفوا أنّه الله. إذن الملاك هو الله.

ألا تكفي هذه الأمثلة للاقتناع من أنّ الملائكة هي إلهات في مفهوم العهد القديم؟؟؟

ألا تكفي هذه الأمثلة لإقناع الحر بالمراجعة والتفكير قليلاً، بدل سلاح التكفير الذي أصبح بالي وغير حضاري ونحن نخطو الألفية الثالثة؟ هل رمى القارئ يمين الطلاق على العقل والمنطق والصدق؟ هل انصهر وتلاشى العقل بأحضان الدين كما تتلاشى الفريسة في أحضان الأخطبوط الذي يبثّ سمومه لصهر فريسته (هل الخطأ الدارج خير من الصواب الغائب) ألا يكفينا تخبّطاً كل هذه الآلاف من السنين في مستنقع الدجل والرياء، ام أصبح النفاق، بل ثقافة النفاق أهم العناصر المكونة لدمنا وتراثنا؟

وفي ختام حديثنا حول الإلهات الكثيرة والوارد ذكرها في أسماء مختلفة مثل بعل وايل وادوناي وياهو ولامجال لذكر جميعها لكثرتها. نأتي الآن إلى تفسير الآية

الواردة في سفر الخروج 14:3 والتي فيها يسأل موسى الله عن اسمه ليعرف أي إله هو من الإلهات الكثيرة التي يعرفها، فماذا تقول هذه الآية:

فقال موسى لله ها أنا آت إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله آباؤكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: اهية أشراهية وقال هكذا تقول لبني إسرائيل اهية أرسلني إليكم.

ولكن بإيمان التقاة أحرقت كلمة اشر، وذرّ رمادها على عيون قرّاء التوراة ومريديها لئلا ينظروا إلا بمنظار الأفاضل رعاة الرعية، وللحال نبت محلّها كلمة الذي فأصبحت الآية: اهية الذي اهية. ولكن كيف يفسّر اللاهوتيين هذه الآية التي أدخلتهم في نفاق ليس له نفق وفي هرج ليس منه مخرج.

بحسب تفسير معجم اللاهوت الكتابي جاءت: أنا الكائن الذي أنا الكائن.

وبحسب تفسير الكتاب المقدّس ترجمت: الكائن الذي الكائن.

وذهب البعض لترجمتها أنا هو أنا أو أنا الذي أنا وكثير من الآراء والتفسيرات المتباينة وجميعها لا تحمل أي معنى يمكن لعاقل أن يتقبله كمن يفسّر الماء بعد جهد بالماء.

فليس من المنطق حتماً عندما يسأل موسى ربّه عن اسمه فيقول له الله إنّ اسمي هو أنا الذي أنا أو ما شابه، وكلها ثرثرة تبلبل المفسرين بسبب هذا التشويه في نصّ الآية الذي جاء من فضل الأفاضل أصحاب النوايا الحسنة.

والآن نأتي لأصل الآية وتفسيرها كما جاءت في النسخ السريانية: (النص السرياني) فقال الله لموسى اهية اشر اهية هكذا تقول لبني إسرائيل إله آباؤكم أرسلني. فماذا تعني اهية وماذا تعني اشر؟

من المعروف عن الذاهبين وراء عدة آلهات كانوا يطلقون اسم على كل إله من خلال خصوصية وظيفته. أي أنّ اسم الإله كان يعبّر عن طبيعة وظيفية. فالإله حيه كان يرمز إلى الحياة ووظيفته منح الحياة. ومن المعروف أيضاً أنّ حرف الحاء يلفظ عند بعض القبائل هاء فعند جماعة الصابئة مثلا

وهي تتكلم الآرامية إنّ كلمة روها تعني الروح، كما أنّ بسملة هذه الجماعة لا زالت مصاغة على الشكل التالي: بشمة اهية أي باسم الحي أو إله الحياة وهو الأسم الذي عرّف به الله عن نفسه لموسى حين قال اهيه اشر اهيه وفي رؤية هاجر عندما ظهر لها الرب عند البئر أسمت ذلك المكان باسم إله الحياة اهيه / بئر رؤية الحي / وكما هو معروف أنّ أبو الأنبياء كان آرامياً تائهاً (تثنية 4:26) وبالنتيجة إنّ اهيه هو الإله الحي عند الآراميين، لأن حيه أو هيه تعني حياة والألف للتعريف فتصبح اهيه أي الحي الذي هو إله الحياة الحيّ القيوم، وهذا ما أراد أن يقوله موسى لبني إسرائيل وبقي لنا أن نعرف ماذا تعني كلمة اشر التي أسقطت من قلب الآية وهي اسم للإله الأزلي اشر أو اشور وكان الآراميون يقسمون بالإله اشر أو اشور حتى أصبحت كلمة اشر أو اشور تعني الصدق فيقال.

هيمن واشر أي آمن وصدّق أو قسماً بالإله اشور. انظر قاموس سرياني عربي.

وهنا أذكر ثانيةً أنّ اسم إسرائيل جاء من تركيب اسم الإلهين اشر وايل وكما ذكرنا أيضاً أنّ بعض الأسباط كانت تلفظ حرف السين شين وبعض الأسباط الأخرى كانت تلفظ العكس.

والآن لابد من النظر إلى مرجع يعتبر حجة المسيحية في قدسيته وهو غريغوريوس ابن العبري اليهودي المتنصّر. فماذا يقول هذا القديس في تعليقه على هذه القضية وبالحرف الواحد جاء في كتابه مختصر تاريخ الدول صفحة 29 الذي كتبه بالقرن الثالث عشر. قال موسى: فان قالوا لي ما اسم ربّك ماذا أقول لهم قال: قل اهيا اشر اهيا أي الأزلي الذي لا يزال. إذاً ابن العبري يصادق على ما ذهبنا إليه من أن آشر هو إله الأزل.

نعم هذا ما نقله ابن العبري من التوراة حرفياً، واليوم حذفت كلمة اشر من بعض الطبعات الحديثة، كالعربية والأنكليزية ولا زالت في بعض اللغات كالسريانية. انظر إلى النص بالسرياني، وكذلك في النسخة العربية القديمة:

13 ܬܦܠܚܘܢ ܩܕܡ ܐܠܗܐ ܥܠ ܛܘܪܐ ܗܢܐ܀ *ܘܐܡܪ
ܡܘܫܐ ܠܐܠܗܐ. ܗܐ ܐܢܐ ܐܙܠܢܐ ܠܘܬ ܒܢܝ ܐܝܣܪܝܠ:
ܘܐܡܪ ܠܗܘܢ. ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܕܐܒܗܝܟܘܢ ܫܕܪܢܝ
ܠܘܬܟܘܢ. ܘܢܐܡܪܘܢ ܠܝ ܡܢܘ ܫܡܗ: ܡܢܐ ܐܡܪ
14 ܠܗܘܢ. *ܘܐܡܪ ܐܠܗܐ ܠܡܘܫܐ. ܐܗܝܐ ܐܫܪ ܐܗܝܐ.
ܘܐܡܪ. ܗܟܢܐ ܬܐܡܪ ܠܒܢܝ ܐܝܣܪܝܠ. ܐܗܝܐ
15 ܫܕܪܢܝ ܠܘܬܟܘܢ. *ܘܐܡܪ ܬܘܒ ܐܠܗܐ ܠܡܘܫܐ.
ܗܟܢܐ ܬܐܡܪ ܠܒܢܝ ܐܝܣܪܝܠ. ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ
ܕܐܒܗܝܟܘܢ. ܐܠܗܗ ܕܐܒܪܗܡ. ܐܠܗܗ ܕܐܝܣܚܩ.

١١ الان ارسلك الي فرعون فتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر *فقال
موسي لله من انا حتي اذهب الي فرعون واخرج بني اسرائيل من
١٢ مصر *فقال له الله انا اكون معك وهذه علامة لك اني انا ارسلتك
اذا اخرجت شعبي من مصر تعملون ذبيحة قدام الله علي هذا الجبل
١٣ *فقال موسي لله هوذا انا اذهب الي بني اسرائيل واقول لهم اله
١٤ ابائكم ارسلني اليكم فان قالوا لي ما اسمه ماذا اقول لهم *فقال الله
لموسي اهيه اشراهيه وقال له هكذا تقول لبني اسرائيل اهيه ارسلني
١٥ اليكم *وقال الله ايضا لموسي هكذا تقول لبني اسرائيل الرب اله
ابائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ارسلني اليكم هذا اسمي
١٦ الي الدهر وهذا هو ذكري الي جيل الجيل *اذهب اجمع شيوخ
(67) F 2

فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. متى **18:5**.

السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. **2 تيموثاوس 16:3**

كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعلم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البرّ. وكل كلام الأنبياء والقديسين والرسل يتطابق مع كلام الوحي.

عجب والله عجب! عجب بابا عجب!!

الشيطان

والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم
حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام

العهد الجديد رسالة يهوذا (6)

الساطان (لوسيفور - حامل النور)

إنّ قصص وأساطير الديانات المعاصرة وما يجد فيها المؤمن من كمال وجمال وقدرات إلهية عجيبة ومقدّسة قد ينظر إليها الإنسان في المستقبل القريب كقصص وأساطير خرافية مؤسسة على البساطة والسذاجة والتخلّف العقلي والمنطقي، كما نحن ننظر للقصص والأساطير الدينية عند الوثنيين والتي مرّ على بعضها أكثر من خمسة آلاف سنة. إنّ الأساطير التي اعتنقها الوثنيين في مذاهبهم الدينية كثيرة جداً. ومن أجمل تلك الأساطير والتي امتدّت جذور أعرافها ومفاهيمها حتى اليوم قصة الملك طاووس أو قصة سقوط الشيطان. وإني أجد حاجة لسرد موجز لأهم أحداثها وذلك لعدم وجود قصة واضحة عن ماهية الشيطان وكيف أبعد هذا الشيطان عن الحضيرة الإلهية من خلال الكتب السماوية إلا بإشارات وتلميحات بما لا تشفي الغليل، ولكن كقصة كاملة واضحة لم ترد في الكتب المقدسة.

وقبل سردنا لهذه الأسطورة لابد لنا من التعرف على ماهية الشيطان الذي سيطر على عقولنا وسلوكنا منذ آلاف السنين من خلال طبيعته ومهمته الشرّانية، ثمّ ما هي بواعث الاعتقاد بوجود هذا الملاك الخاطئ وما هي خطيئته؟

بعد أن خدع الشيطان (من خلال الحية) لآدم وحواء ليرتكبوا الخطيئة الأولى في الجنّة بتمردهم على وصية الرب حتى طردوا من الفردوس إلى هذه الأرض، نجد الشيطان يخدع قايين ثانيةً في الأرض ولكن كيف جاء هذا الشيطان إلى الأرض بعد أن كان في الفردوس مع زمرة الملائكة ينعم بنعيم السموات؟

يتفاوت مفهوم الشيطان عند الناس بين جيل وآخر ثمّ يتفاوت مفهومه أيضاً بين شخص وآخر ومن خلال مستوى تفكير الفرد ومدى تفهمه لتطور

المذاهب الدينية وماهيتها بشكل عام ونوعية المذهب الديني الذي يعتنقه هذا الفرد بشكل خاصّ.

ثمّ إنّ كل مذهب ديني له مفهومه الخاص بشأن ماهية جوهر الشيطان، وأغلب المذاهب الدينية تعطي الصورة السوداء للشيطان والبعض يعطيه صفة القداسة وكرامة الأنبياء والملائكة، ومن الناس من لا يعطيه أكثر من صفة الوهم والخرافة المتداولة بين الناس عبر الأجيال. فطائفة اليزيد اليوم مثلاً يؤمنون بالله ولا يكفرون بالشيطان بل يكرّمونه على أساس أنّه من طبقة الملائكة وكون الشيطان من زمرة الملائكة هو من عقيدة الديانات السماوية أيضاً إلا إنّه الملاك الخاطئ.

فاليزيد بالرغم من أنّهم يعتبرونه أخطأ عندما كان في الحضيرة الإلهية، إلا أنّهم يقولون: بما أنّ الله غفور رحيم فلابد أن يسامحه يوماً لكثرة رحمته. فعندها يعود الشيطان إلى الحضيرة الإلهية وسيكون شفيعهم بعد أن استردّ وضعه السابق في البر والقداسة.

أما أهل عقرون الوارد ذكرهم بالتوراة فكانوا يؤمنون بالشيطان كإله له كل القدرة على شفاء المرضى وفيه تكمن الطبيعة الخيّرة والصالحة على عكس من كونه الشّر المحض حسب المفاهيم الدينية الأخرى، ومدينة عقرون كان يسكنها الفلسطينيين واليهود وجميعهم كانوا يؤمنون بالشيطان كإله له كلّ الحسنات. حتى أنّ هذه العقيدة تخطت هذه المدينة إلى كثير من المدن الإسرائيلية (ملوك الثاني 2:1) وكان أهل عقرون يسمون الشيطان بعل ذبوب أي الإله الذبابة الذي أو التي ينقل من وإلى الإنسان الأمراض والصحّة فهو إله الطب والمرض.

وفي أحاديث العرب أنّ تحت جناح الذباب اليمين شفاء وتحت جناح اليسار سمّ. انظر كتاب الحيوان للجاحظ ج3 ص 312 - ومن جميل الملاحظة أنّ العلوم الصحيّة المعاصرة تؤكّد على أن الذبابة هي واسطة النقل للجراثيم التي تسبب الأمراض. فإذا ترجمنا تلك الاعتقادات الوثنية بلغة هذا العصر العلمية

نجد أنّ ما كانوا يذهبون إليه بعقائدهم أنّه قريب جداً من المنطق العلمي المعاصر. وبهذا نشهد لهم على ملاحظتهم الذكية هذه.

هذا عن العرب وذاك عن أهل عقرون، ولكن هناك أيضاً كثير من الأقوام والشعوب الذين أعطوا الشيطان صفة الألوهية وأحياناً جاء الشيطان كإله بأسماء أخرى.

ففي مذاهب الهندوس جاء إله الشّر باسم سيفا وهو أحد الأقانيم الإلهية الثلاثة للعقيدة الهندوسية. كما اعتقد أتباع مذهب ماني 215-276 م بمبدائيين مبدأ الخير ومبدأ الشّر والشيطان كإله له يعود مبدأ الشّر.

وكذلك الزرداشتية تؤمن بالشيطان وهو مصدر الشّر تحت اسم أهرمان. كما اعتقد البعض بأنّ الإنسان الذي تسود فيه الطبيعة الشريرة هو الشيطان أو من أتباعه (من يفعل الخطيئة فهو من ابليس) رسالة يوحنا الأولى 8:3-وعند موت الشرير تلتحق روحه بزمرة الأبالسة أتباع الشيطان.

إذا كان الإنسان متّسم بالشر والشيطنة فلا بأس أن يقال عليه شيطان، ولكن هل كان المسيح محقاً في نعت بطرس الرسول بالشيطان وهو الصخرة التي بنيت عليها الكنيسة المسيحية؟

فهل كانت هذه الطفرة مداعبة من المسيح لبطرس؟ أنا لا أظنّ هذا.

(ولكنّه التفت ونظر إلى تلاميذه وزجر بطرس قائلاً : اغرب عن وجهي يا شيطان لأنّك تفكر لا بأمور الله بل بأمور الناس) **أنجيل مرقس 33:8.**

عودة ثانية إلى مفهوم الشيطان وماهيته، وما هي مستدعيات الأيمان بوجود الشيطان؟ وما هي النظريات والبراهين التي يطرحها المؤمنين بوجود الشيطان؟:

يقول المطران اسحق ساكا في كتاب دراسات سريانية صفحة 46: من البراهين التي تؤيّد وجود الأرواح الشريرة ما يلي:

أولاً - إن ما يخطر على قلب الإنسان من أفكار شريرة وما تتولد في نفسه من ميول سيئة إما أن يكون سببها الإنسان ذاته أو غيره، والافتراض الأول لا يصح لأنّ الإنسان في أغلب الأحيان يأتي عمل الشّر مرغماً ودون إرادته، وكثيراً

ما يد خل معه في صراع شديد لصدّه ومنعه. إذاً سبب الشّر يكون غيره وهذا الغير إما أن يكون الله أو الملاك أو الشيطان وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الله ولا الملاك لأنّهما صالحان، والصالح لا يأتي إلا عملاً صالحاً وخيّراً وبالتالي يبقى الشيطان وحده مصدر الشر. إذاً الشيطان موجود.

بهذا الأسلوب الرخيص يحتقر الرعاة عقول مريديهم.

قبل أن نرفض وجود الشيطان يبدو أنّ اسحق ساكا نسي أنّ الله قال في اشعيا 7:45 - أنا خالق الشّر - فإذا كان الله صانع الشّر فكيف لاسحق ساكا أن يقول بأنّ الله لا يصدر عنه إلا الصالح؟

ولكن الرد على هذا البرهان والمرفوض أصلاً في إثبات وجود الشيطان هو إذا كان الملاك لا يصدر عنه إلا الخير، فالشيطان كان ملاك قبل أن يغضب عليه الله عندما تمردّ وصدر منه الشّر حتى أسقط، فكيف حدث هذا؟ فإذا كان الشر كامن في جوهر هذا الملاك المتمرّد، فلابد أنّ الله خلقه وخلق فيه هذا الطبع، فيكون والحالة هذه أنّ الله صدر عنه هذا العمل غير الصالح لأنّ الله هو خالق كلّ شيء. فقبل ومع الله لم يكن شيء في البدء. إلا أنّ الحقيقة عن الشيطان هي انّه غير موجود إلا في الأساطير والأوهام، فهو خرافة واعتقاد خاطئ تداولته الأجيال، وبالتالي ليس له وجود. أما ما يعبّر عن سلوك الشّر والخطيئة في الإنسان والذي يلقى على عاتق الشيطان فهو أنّ الإنسان يمتزج بطبعه الخير والشّر، وبقدر ما يملك الإنسان من أخلاق عاقلة تمشي بهدى نور الحكمة بهذا القدر تسود فيه الطبيعة الخيّرة على الطبيعة الشريرة وبقدر ما تتحكم في الإنسان الطبيعة الشهوانية والغريزة الحيوانية بهذا القدر تسود عليه الطبيعة الشرانية. أما الإنسان العاقل الذي يرتكب الشر فهذا متسبب من ظروفه الحاضرة والماضية. أي بمعنى آخر إنّ الإنسان ابن البيئة كما هو معروف، فالذي يستقي من بيئته الحقد والشّر والتعطش للدماء فإنّه يجد في ارتكاب الشر والجريمة أمر عادي، بل واجب يتشرّف ويفتخر به لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: قاتلوا الكفّاروالأغيار ولا تتركوا نسمة حياة فيهم طفلاً ورضيعاً عجوزاً وكهلاً كلهم يموتون. هكذا قال الرب. وهكذا فإنّ ما يصحّ على الجريمة

والقتل يصحّ على الخطايا والآثام الأخرى.فابنة الخطيئة التي تقوم وتترعرع في محل الزنا تكون ممارسة الخطيئة هذه طبيعية عندها.

كانت صورة لإحدى المومسات عارية تماماً ومعلقة في مكتب شركة استيراد وتصدير للأزهار في هولاندا، كنت أنظر إلى الصورة ثم أعود وأنظر إلى الموظفة، وأعود ثانية إلى الصورة ثم إلى الموظفة، وهكذا عدة مرات حتى نظرت إليَ الموظفة مبتسمة وقالت: تشبهني الصورة أليس كذلك؟ الحقيقة كانت تشبهها بشكل غريب حتى لو قالت هذه صورتي كنت صدّقتها لشدة الشبه ولكن خجلاً من الحضور قلت: عفواً يا ساندرا أنت تشبهيها في جمالها فقط، فقالت صحيح ولكن حبذا لو كنت مثلها في كل شيء لكنت نجمة مهمة ولما وجدتني هنا أنتظر راتبي في آخر الشهر. فقلت عفواً : ولكن هذه مومس. قالت: وهو المهم يعني إنها جميلة وإلا لما كانت مومس. وهنا تجرأت وفضولي حملني لأسألها كيف تقولين هذه الكلمات وأنت عذراء وشريفة كما عرفتك فقالت شريفة نعم أنا شريفة وأفتخر بكوني شريفة، لأن هذا شيء جميل ولكن عذراء فلست بهذا الغباء لأكون عذراء إن لدي من الأسباب التي تجعلني أنعم وأتمتع بشبابي فلماذا أبقى عذراء فقلت: ماذا تقصدين بشريفة. قالت: أنا لا أكذب لا أسرق لا أسيء لأحد وأحب حتى الحيوان وهذا يكفي.

تبدو هذه القصة غريبة بعض الشيء ولكن كل ما أريد أن أقوله هو أن الإنسان هو ابن البيئة وهذه الفتاة تربت في بيئة متحررة لدرجة الإباحة، وهي ترى أن ممارسة الجنس ليس بخطيئة وهو أمر عادي جداً .

إذاً الإنسان ابن البيئة فالذي يستقي من بيئته الحقد والشر وحب سفك الدماء، يجد في ارتكاب الجريمة شرفاً، والفتاة التي تستقي القيم الأخلاقية من بيئة إباحية، ترى في ممارسة الجنس وإباحيته أمر عادي جداً . أضف إلى هذا أنّ الأثم الذي يقترفه الإنسان بقصد أو بغير قصد يبرر بإلقاء عاتقه على الشيطان الذي حفّزه على هذا. ولكن الكتب المقدسة تذكر بأنّ الشيطان قبض عليه وقيّد ألف

سنة لكي لا يضلل الأمم (2 بطرس 4:2 يهوذا 6:1) ولكن متى كانت هذه الألف سنة التي أغلق عليه في جهنّم.

فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس والشيطان قيّده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم لكي لا يضلل الأمم (رؤيا يوحنا 2:20)

على أية حال نقول ثانيةً إنَ الشيطان خرافة استمرّ تداولها عبر الأجيال من الوثنية وحتى اليوم

ثانياً - ثمّ يقول المطران اسحق ساكا في البرهان على وجود الشيطان:

إنّ كل شيء إما أن يكون صالحاً بكليته أو طالحاً بكليته وإما أن يكون الصلاح فيه غالباً للشّر أو الشّر غالباً للصلاح أو أن يكون خيره وشره متساويان فالأول هو الله جلّ شأنه والثاني غير موجود لأن الله لم يخلق شيئاً هو شرّ محضّ والثالث هم الملائكة والرابع الشيطان والخامس هو الإنسان.أعادنا ساكا ثانية إلى الهراء.

فرفض هذا الدليل ثانيةً هو أن ليس هناك أي منطق للبرهان هذا على وجود الشيطان لاسيما يقول أنّ الله لم يخلق شيئاً هو شرّ محضّ. ولكن الشيطان في مفهوم الديانات السماوية هو شرّ محضّ، فمن خلقه؟ هل هو خلق نفسه أم كان مخلوقاً قبل الإله؟ ثمّ أنّ الله عندما خلق الكون والأحياء لم تذكر الكتب المقدسة متى خلق هذا الشيطان أو متى خلقت هذه الملائكة. كل ما قالته التوراة هو:

فأكملت السموات والأرض وكل جندها. **تكوين 1:2**

وبالرغم من أنّ الراوي يذكر في الإصحاح الأول وبالتفصيل كل المخلوقات يوماً بيوم، إلا أنّ الذاكرة خانته على ما يبدو فنسى أن يذكر يوم خلق الملائكة ومن ضمنها الشيطان، وحتى أنّه نسي أن يذكر خلق الجنّة إلى أن تذكرّها في الإصحاح الثاني. وبعد أن يذكر أكملت السماوات والأرض يذكر الجنّة لأول مرّة وبعد أن أخذ يوم راحة.

وأما جهنّم والله يجيركم من شرّها، طوتها صفحة النسيان في كلّ التوراة والعهد القديم وجلّ من ينسى. فإذا قصد مسطر الوحي أنّ المقصود بجند السماء

هي الملائكة ومن ضمنها الشيطان، فلم تذكر التوراة في أيّ يوم خلقت هذه الجند. إلا أن مفهمي الشعب أقصد المفسّرين يزعمون أنّ جند السماء خلقت في اليوم الرابع، حين قال الله:

لتكن أنوار في جلد السماء تكوين 14:1. ولأن الملائكة هيئات نورانية إذن خلقت هذه الأجسام النورانية في اليوم الرابع كما قال الله. ولكن اليوم وحتى الأطفال لا تستطيع أن تقنعها بأنّ هذه النجوم التي نشاهدها في صفحة السماء هي ملائكة. أما قول اسحق ساكا في إقناع غير الفاهمين هذه الحقيقة بقوله: إنّ كلّ شيء إما أن يكون صالحاً أو طالحاً بكليته. فنقول إنّ هذا هو المستحيل لأنّه لا يوجد شيء مطلق أبداً وكلّ شيء إنّما هو نسبي، فمهما ابيضّ الثلج فهو ليس مطلق البياض. ولو تكلمنا بلغة المبتدئين فنقول: إذا بخرّنا الثلج ضمن قارورة اختبار فنلاحظ بأنّه قد ترسّب بقايا ورواسب سوداء من مياه الثلج، أي أنّ هذا الثلج الأبيض كان يخالطه اللون الأسود. ثمّ لماذا نذهب بعيداً ؟ فإذا كان الله قد وصفته التوراة بالخير المطلق فإنّها تعود ثانيةً لتعطيه الصفات السلبية كالغيرة والحسد والحقد والكره والاحتيال والغش والتفرقة العنصرية. كلّ هذه الأسماء يمكن أن نقرأها في قسم صفات الله من هذا الكتاب

ثالثاً – أما بالفقرة الثالثة يقول المطران اسحق ساكا: من الشواهد التي في الكتب المقدسة نتيقّن بوجود الشيطان (وشهد شاهد من أهله).

نقول ثانيةً إنّ الكتب المقدسة لا تقبل شهادتها لكثرة تناقضاتها وأخطائها، وهذا ما سنلاحظه في فصل الأخطاء الواردة بالكتاب المقدس. ثمّ إنّ قصة الشيطان لم ترد بأيّ كتاب سماوي إلا بتلميحات، أما كقصة واضحة كيف ولماذا ومتى حدث أن سقط هذا الملاك الخاطئ فلم تذكر كما يجب لذلك لا بد لنا من سرد موجز لهذه الأسطورة الواردة بالنصوص السورية من العصر السومري منذ الألف الرابع قبل الميلاد.

قصة الملك طاووس
أو سقوط الشيطان

تروي هذه الأسطورة بأنّ الملك طاووس أو الساطان كان ملاك، ولأنّه من أتباع الإله ايل لذلك سمّي سطانائيل وفي أحد الأيام يجد سطانائيل سيده ايل يستحم في مياه الحياة فيغريه الطمع والغرور حيث يسرق منه تاج الألوهية والسيادة وهذا ما جعل كثير من الملائكة والآلهات أن تلتحق به منخدعةً بتاجه المسروق فتعمّ الفوضى والشغب في صفوف الآلهة وطغمة الملائكة بالسماء، بسبب إعلان الساطان نفسه السيّد الأكبر بدلاً من سيده ايل فصار انقسام بالبانثيون الإلهي (الحضيرة الإلهية) قسم معه وقسم ضدّه، وتستمر الفوضى والشغب في العالم السماوي ويزداد القلق والاضطراب إلى أن يصل الخبر إلى الإله أهيه (آيا) إله الحياة الذي أرسل ابنه مردوخ المخلّص لإنقاذ الموقف وتوطيد الأمن. فصارع مردوخ سطانائيل ذاك الملاك المتمرّد على سيده، واستردّ منه التاج الإلهي وأعاده للإله ايل، وأسقط هذا الشيطان المتمرد من باذخ عزّه ومجده في السماء إلى العالم الأسفل ومعه أتباعه من المخدوعين به وتحوّلوا جميعاً إلى أرواح شريرة معادية للسلطات الإلهية الصالحة وأصبحت مهمتهم ووظيفتهم تهدف إلى إحباط كلّ مساعي الخير والصلاح وأصبح الملاك سطانائيل الشيطان الأكبر ورئيس الشياطين وهو مصدر كل سوء وشرّ.

هذه كانت أسطورة سقوط الساطان (لوسيفور) في الأساطير الدينية الوثنية عند السومريين منذ الألف الرابع قبل الميلاد. إلا أننا نقرأ شيء عن هذا الحدث في سفر رؤية يوحنا اللاهوتي في الإصحاح الثاني عشر، وهي لا تخلو من الركاكة والثرثرة حتى أن خرافتها وعدم منطقيتها فاقت الأسطورة الوثنية:

وحدث حرب في السماء ميخائيل (رئيس الملائكة) وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء، فطرح التنين العظيم الحيّة القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضلّ العالم كلّه طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا وقرنه وملكه وسلطان مسيحه لأنّه قد طرد المشتكي على أخوتنا الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها ويل لساكني الأرض والبحر لأنّ ابليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أنّ له زماناً قليلاً .

رؤيا يوحنا اللاهوتي 12:7-12

لا أعلم كيف تحسب هذه الثرثرة السخيفة ضمن كتب الوحي ولاسيما أنّها صنّفت ضمن وحي العهد الجديد.

ولكن هذا الملاك الساقط لا زال له مريديه وهم ما يسمّون باليزيد ويتجاوز عددهم ثلاثة ملايين نسمة موزعة في كثير من أنحاء العالم ولكن أكثر تواجدهم في جبل سنجار بالعراق.

وشهادة للحقيقة أقول إنّ اليزيد يتّصفون بخصائل حميدة كالشجاعة والكرم وعزّة النفس وأكثر ما يعتّزون به الصدق وعزّة النفس، وهذا مشهود لهم فبربّك يا سيدي شيطان صادق أليس أشرف من ربّ كاذب؟ انظر صفات الله في هذا الكتاب.و تقوم جوهر عقيدة (اليزيد) على أساس من بعض المفاهيم الدينية السورية القديمة، فهم يؤمنون بالله ويكرمون الشيطان مرموزاً بطير الطاووس كما يؤمنون بإله الحكمة نبو وقبلتهم بالصلاة دائماً باتجاه الشمس أينما كانت، كما يؤمنون بتناسخ الأرواح.

وحول تشابه بعض عقائدهم مع الزردشتية: يقال أنّ زردشت عندما هاجر من بابل إلى إيران حمل معه شيء من تلك المفاهيم، وهنالك بعض الأحاديث عنهم تدور في الأوساط التي يتواجدون فيها – ولا أعلم مدى صحتها – ومفاد هذه الأحاديث أنّ

اليزيد لا يأكلون أوراق الخضار الملفوفة كالخس والملفوف، لاعتقادهم أنّ الشيطان عند سقوطه من السماء اختفى بين هذه اللفائف. ويقال أيضاً أنّه إذا رسمت دائرة حول الشخص اليزيدي وتعهدّ بأن لا يخرج منها فهو يبقى فيها مهما طال الزمن إلى أن يأتي شخص ما ويفتح له منفذاً للخروج من هذه الدائرة.

ويفسّر ذلك البعض بأنّ اليزيدي يقول: إذا كذبت مرّة في حياتي فهذا يعني أني خرجت عن خط يزيد.

على أية حال إنّ أسطورة سقوط الشيطان قد ينظر إليها الإنسان المعاصر نظرة الاستخفاف والسخرية تكتنفها السذاجة والتخلف. ولكن الحقيقة وبالرغم من عدم منطقيتها وصحتها إلا أنّ عند إبداعها كان لها من الذكاء والتقدم الثقافي ما لا يستهان به.

على أية حال إنّ حكاية الشيطان أو الملاك الخاطئ لم تذكر في الكتب السماوية كاملة لتوضّح ماهيته، ولكن ذكر الشيطان ورد في الكتب السماوية فقط بتلميحات وإشارات بها لا ينقع فتيلاً . لذلك نستطيع أن نقول إنّ عدم ورود هذه الأسطورة في الكتب المنزّلة هو من أهم نواقص هذه الكتب الذي أصبح الشيطان فيها أحد عناصر الثالوث الرئيسية في المذاهب السماوية (الخير الذي هو الله والملائكة الصالحين) (الشر الذي هو الشيطان وزمرته) (الإنسان الذي يعيش في حيرة بين الجنّة والجحيم).

صفات إله العبريين

صفات إله العبريين وشعبه المختار

ذلك النسل الشريف الذي تتبارك فيه جميع الأمم

في مشهد تلفزيوني عرضته قناة الجزيرة أكثر من مرّة حين دنّس جنود صهيون حرمة الجامع على المصلين وما كان من المصلين إلا أن أمطروا الجنود بوابل من الأحذية المتواجدة أمام باب الجامع، مشهد لا ينسى وبالرغم من مأساوية وهمجية المشهد إلا أني لم أستطع تبديد دهشتي من رؤية شر تلك البلية المضحكة. حقاً كان أولئك قوم إذا ضرب الحذاء في وجهه اشتكى الحذاء ما ذنبي أضرب. الحقيقة حتى إنّ الحذاء تقزّز من تقبيل خدود أولئك الهمج لهذا أصاب الحقيقة في صميمها النبي ميخا حين قال عن بني صهيون موبخاً : اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم.

سفر ميخا **3:9–10**

أخلاق العبريين والتي ينسبوها إلى الله

قبل أن نأتي إلى صفات ومواصفات اليهودي وأخلاقه والتي نسبها إلى الله، نأتي أولاً إلى إحدى تلك السمات التي امتاز بها اليهودي وهي العقدة اليهودية والتي يصح أن نسميها الفوبيا اليهودية. فما هي هذه الفوبيا اليهودية؟ وكيف عقدت هذه العقدة الشيطانية منذ آلاف السنين ولا زالت؟

الفوبيا اليهودية هي مرض نفسيّ معشش في رأس كل من قال أنا يهودي ولا أخجل، وهو الخوف من المستقبل دائماً بشكل مبالغ فيه. مما يجعل المصاب بهذا الداء الخبيث أن يعيش كل حياته بقلق وخوف دائم مما تخبّئه له الأيام القادمة. وتحديداً الاعتقاد بأنّ اضطهاداً ما سيحدث لا محالة لإبادة اليهود من قبل الأغيار. ولكن متى يكون هذا، فهذا متقوقع في المجهول لأنّ موعده كموعد اللصّ لا أحد يعلم متى يكون.

قال بن غوريون بتاريخ 7 كانون الأول من عام 1938 أمام قادة حزب العمل:

لو خيّرت بين إمكانية إنقاذ كل أطفالنا في ألمانيا بنقلهم إلى إنكلترا وإنقاذ نصفهم بنقلهم إلى إسرائيل لاخترت الحل الثاني.علينا أن لا نأخذ بعين الاعتبار حياة هؤلاء الأطفال ولكن أيضاً تاريخ الشعب الإسرائيلي، الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية صفحة 65 -روجيه جارودي.

هذه الكلمات هي تعبير صادق عن هذه الفوبيا المعششة في رأس كلّ يهودي متصومع بين صفحات التوراة والتلمود وتوابعها حيث يرتشف من هذه الكتب السموم العدوانية التي تجعله ينظر إلى الغير أيّ كان كعدو.

فمشكلة اليهودي إذن ليست مع ألمانيا أو العرب، إنّ المشكلة هي مع الأغيار مع كل من ليس يهودي. لهذا فضّل بن غوريون قتل نصف أطفال اليهود

الألمان ونقل النصف الآخر إلى إسرائيل عن نقلهم جميعاً إلى إنكلترا، لأنّه يعتقد أنّه سيأتي اليوم الذي سيبادون فيه مستقبلاً إذا نقلوا إلى إنكلترا أو أيّ بلد آخر كما توحي له هذه الفوبيا اليهودية لهذا يقول:

علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تاريخ الشعب الإسرائيلي. أي هو يعرف حقّ المعرفة من أنّ اليهودية والاضطهاد ولدا توأمان ولا تنسى أنّ هذه الفوبيا اليهودية هي نتيجة جداً طبيعية سبّبتها الاضطهادات العالمية لليهود عبر الأجيال منذ ثلاثة آلف وثمانمائة سنة وحتى اليوم.

وأؤكد هنا على هذه العبارة: الاضطهاد العالمي لليهود دائماً . وحتى لا يساء فهم حقيقة هذا الأمر أوضح هنا هذه النقطة وهي: كما أنّ المصريين تخلّصوا من العبريين حين أبعدهم موسى من مصر ووعدهم بمسيرة ثلاثة أيام ليصلوا إلى أرض الميعاد أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلا أنّ جميعهم انقبروا في تلك الصحارى والبراري خلال أربعون سنة من التيه إلى أن اقتحم الجيل الجديد أرض كنعان مرغماً لا بطلاً فليعلم المتطرف اليهودي ومهما شعر بالقوة والمجد الزائف أن العالم يضع هذا التطرف في عنق زجاجة فيها نار جهنم لا يخرج منها إلا رماد وهكذا يدفع بالمتطرففين الصهاينة إلى إسرائيل من جميع أنحاء العالم للتخلص منهم، إن العالم أجمع يدفع بالمتطرفين ومن حيث لا يدرون إلى عنق الزجاجة هذه والتي هي اسرائيل لكي يتخلصوا منهم لأن من خلال كل التاريخ الطويل لليهودي ثبت أن اليهودي من كل الأعراق والجنسيات لم يخلص يوماً للوطن الذي يعيش فيه ولا للجنس الذي ينتمي إليه، بل كان دائماً يحس بالغربة واللا إنتماء إلا لإسرائيل وهذه تعتبر خيانة وطنية ولهذا يعاقبونهم بالنفي إلى جهنم -أقصد إسرائيل - وبشكل مؤدب ومغري بالدولار الذي يصب في اسرائيل وهو طعمهم القاتل.

وهكذا يعمل الغرب اليوم على إبادة اليهود حيث لا زال هذا المجتمع الغربي يبصق كل يهودي صلب الرقبة متطرّف لا يندمج في مجتمعه ينكر انتمائه الوطني في البلد الذي يعيش فيه ليكون وقوداً لهذه الجهنّم التي سمّيت إسرائيل، وهذا يكلّف الغرب الكثير من الأعباء كما لو يقبرون الرواسب من المواد السامة

والمشعّة بعيداً عن بلادهم ويدفعون عليها الملايين من الدولارات تجنّباً لشرها. وبالأرقام تبلغ المساعدات الأمريكية لإسرائيل سنوياً بحسب ما تنشره بعض الصحف ثلاثة بليون دولار سنويا، وبحسب بعض الصحف الأخرى مثل واشنطن بوست تبلغ تلك المساعدات ستة بليون دولار سنوياً تؤخذ من كل مواطن بشكل ضرائب شاء من شاء وأبى من أبى. وتؤكد المصادر الأمريكية الرسمية وغير الرسمية أنّ حوالي ثلث الميزانية الأمريكية المخصصة للمساعدات الخارجية تصرف لإسرائيل.ولكن كل أولئك البلهاء الغير ظرفاء وأعني الصهاينة الحمقى يعتقدون أنّ كل ذلك الدعم من الغرب هو فقط من أجل سواد عيونهم، مع أنّ الكثير من المنحدرين من أصول يهودية والمثقفين ثقافة إنسانية لا تلمودية يعون هذه القضية اللاإنسانية ويعتبرونها هولوكوس حقيقية في إبادة اليهود ويصرخون بأعلى أصواتهم منددين بالدعم الأمريكي للصهيونية العنصرية، لأنّهم يعرفون أنّ فيها إبادة اليهود وفنائهم ويعتبرون أن كل دعم جديد لإسرائيل هو بمثابة صب الزيت على النار. ولكن لا حياة لمن تنادي. ودفاع هذه الجماعة على حياة اليهودي ليس بدافع ديني أو عنصري وإنّما من منطلق أخلاقي وإنساني بحت.ولكن الأسوأ من هذا الإجرام والأبشع من هذه العنصرية اليهودية هو أنّ بعض ممن يحسبون على اليهود والنافذين لا يكترثون بل يساهمون في قتل أولئك الحمقى حفظاً لمصالحهم ومكاسبهم الخاصّة أو مناصبهم ووظائفهم، ويعملون ممن يسمونّهم أبناء جلدتهم وقوداً لديمومة قوتهم وقوّتهم عملاً بالرأي القائل: إذا رأيت أحمق معمى على قلبه تحت قدمك طبّه ولا تطببه لأنك لست أرحم من ربّه.نعم هذا كلام يشبه الثرثرة ولكن هكذا قال أحدهم وهي حقيقةً أمر واقع.

القنصل الأميركي سيلا ميرلCella Merle وهو قسيس وعالم لاهوت قال:إن اليهود شعب متعصب يرفض الإمتزاج بغيره وفي رأيي إنه لا بد من وجود أسباب خفية تبرر إضطهاد روسيا لليهود ومحاولتها طردهم من أراضيها والخلاص منهم. وإذا كانت هذه هي طبيعة اليهود وهذا مبلغ عقليتهم فإن إقامة مملكة لهم في فلسطين ستنتهي على التحقيق إلى أسوأ النتائج. واليهود شعب قد

استعبد زمناً طويلاً وليس في اليهود أي استعداد طبيعي للإمتزاج والتفاهم مع الغير...فأين لمثل هذا الشعب المستعبد الذي تحرر من ذلة الإستعباد من زمن قريب جداً أن يقيم له حكماً ودولة وأن يحكم نفسه ويدير شؤونه. إن أقرب طريق لإفناء اليهود هو حشرهم في فلسطين وإقامة دولة لهم هناك وتركهم دون تدخل خارجي وإطلاق يدهم ليحكموا أنفسهم بأنفسهم وأنا كفيل بأن اليهود سيفنون أنفسهم بأنفسهم وسيقضي بعضهم على بعض بأسرع مما يتصور الأنسان.

فرانك مانويل بين أمريكا وفلسطين ترجمة يوسف حنا – عمان، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الثقافة والفنون 1967- استند الكتاب على وثائق وزارة الخارجية الأميريكية لسنوات 1830-1948 ومعظمها رسائل من قناصل أميريكا في القدس وسفرائها في استانبول.انظر نظام شرابي-أميريكا والعرب ص 40.

إذاً اليهود كانوا في كل مراحل تاريخهم وما زالوا مضطهدين، وإنّ هذا الاضطهاد هو نتيجة جداً طبيعية سببتها معطيات التعاليم الدينية اليهودية ولاسيما تلك الدموية والعنصرية في تفاعلها الاجتماعي بين من زعم أنّه شعب مقدّس وشعب مختار، والأغيار أنجاس وأقذار مستباحة لليهود أموالهم وأعراضهم ودمائهم وقد يبدو هذا الكلام مبالغ فيه ولكنّه الواقع ولابد من أن نأتي عليه بالتفصيل ونبين كل هذه الحقيقة، وإن استطاعت إمبراطوريات الإعلام الصهيوني المدجّلة بعض الشيء من تشويه حقائق الجرائم التي نشهدها كل يوم في فلسطين وإن كانت مصلحة أمريكا أيضاً اقتضت إبعاد رؤوس إسرائيل الشريرة عن محاكم مجرمي الحرب أمثال الشرير شارون ولاسيما أنّ أمريكا تستميت من أجل خلق دولة بالطريقة التي أوجدت بها أمريكا ذاتها وهي إبادة شعوب المنطقة، كما أباد الأمريكيون (الوافدون إلى أمريكا) سبعة مليون من الهنود الحمر (أصحاب الأرض) فهذا هو أسلوب الدول الغاشمة التي تبني مجدها على قمم من عظام وجماجم الضحايا الأبرياء، فهل سيأتي اليوم الذي تتبدل فيه الظروف ويقوم المجتمع الإنساني بمحاكمة أمريكا على إبادتها للهنود

الحمر سكان أمريكا الأصليين. وأعتقد أنّه يوم لابد آنّه آت. وهل هو بعيد ذلك اليوم الذي تحاكم التوراة على عنصريتها ودمويتها وما أفرزته من كوارث إنسانية؟ إنّ غداً لناظره قريب.

آرامياً تائهاً كان أبي.

تثنية5:26

إذا كان الشيطان أصله ملاك وفعلاً كان من أبناء الله كغيره من الملائكة كما جاء في بعض صفحات الكتب المقدسة، فيكون فعلاً أنّ العبريين أصلهم سوري وأبوهم كان آرامياً تائهاً كما جاء في هذه الآية وغيرها من الآيات. وأنا شخصيّاً لا أعتقد أنّ هذا أو ذاك صحيح وكلاهما أسطورة وحسب. وأنا كآرامي سوري أعتزّ بما قاله اندريه بارو من آنّه على كل إنسان أن يعتزّ أنّ له وطنان الوطن الذي يعيش فيه وسورية.

نعم إني أتشرّف بأي انسان يعتز بسورية إلا اليهودي، ولسبب واحد فقط وهو أنّه لا يوجد أيّ شعب من شعوب العالم له تعاليم فاسدة كما اليهودية فإن أصلحت هذه التعاليم فعلى الرحب والسعة يعودون إلى الحبيبة سورية كعودة الإبن الضَال إلى كنف الأسرة أو كتوبة الخارج عن القانون والأخلاق الإنسانية وعفى الله عن ما مضى.

وفي تلك الليلة قال الرب لناثان: اذهب وقل لعبدي داود ألست أنت الذي ستبني لي بيتاً لإقامتي فمنذ أن أخرجت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم لم أسكن في بيت بل كنت أتنقل من مكان إلى آخر في خيمة هي مسكن لي.

صاموئيل الثاني 7:4-6

لا يا هذا الرب وأنت الصادق ليس منذ أن أخرجت بني اسرائيل من مصر بل منذ أن أخرجت ابراهيم من أور الكلدان إلي أيام داؤود لم يسكن العبريين بيت ولم يستقروا يوماً .

تطورت مفاهيم الحياة الاجتماعية عند أبناء الرافدين وكان عهد الأمير القانوني حمورابي الذي حدّد لكل فرد حقه وواجبه من خلال شريعته المشهورة بشريعة حمورابي وهي أشهر الشرائع القانونية في التاريخ القديم للإنسانية.

إنّ في كل مجتمع هناك من يخرج عن القانون ويشذ عن الأعراف فيكون والحالة هذه منبوذاً عن المجتمع وكان إبراهيم الخليل ظاهرة من هذه الظواهر الشاذة فبصقه المجتمع البابلي خارجاً ليعيش كل حياته بين حط وترحال من مجتمع إلى آخر وبالتالي انعكس هذا على أحفاده من بعده.

كان عهد حمورابي عندما ارتحل ابرام من أور الكلدانيين إلى حران.(تكوين 31:11) وبعد خمس سنوات تبين لإبراهيم من أنّه لا يستطيع الاستمرار في حران وهو المجتمع عينه الذي هرب منه فنزح إلى كنعان وهكذا لم يستطع التلاؤم والأنسجام بأيّ مجتمع من هذه المجتمعات فتراه قضى كل حياته بين حط وترحال أقام إبراهيم أولاً في شكيم تكوين 6:12 – ثمّ ذهب إلى بيت ايل. تكوين 9:12- ثمّ إلى مصر. تكوين 10:12–ومن هناك إلى جنوب فلسطين (النقب) تكوين 1:13–ومن هناك إلى بيت ايل ثانيةً. تكوين 3:13- ثمّ تفرق مع ابن أخيه لوط الذي ذهب إلى الأردن. أما إبراهيم سكن أرض كنعان وأقام في بلوطات ممرا.

آلاف السنين تمر والعبريين لم يستطيعوا يوماً أن يتأقلموا مع أيّ شعب من الشعوب بل نبذوا دائماً من كل المجتمعات التي عاشوا في أوساطها، وليس مبرر لذلك النبذ إلا الشذوذ الذي اتسم به العبريين في سلوكهم وأخلاقهم ولاسيما تعاليمهم الدينية التي استقوها بكونهم شعب مصطفى ومختار من بين جميع الأمم في الأرض، وهذه بدورها لقّحتهم بالمناعة ضدّ الاندماج والإنسجام بالمجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها فكانت لهم تجمعاتهم التي يربطها ايديولوجية مشّيد صرحها على ثلاث دعائم رئيسية هي التعطش للدم والقتل – الأصطفائية والعنصرية – الدعارة والجنس ولاسيما مع المحرمات ذوي القربى.

سيدي القارئ الشيئ الجميل لا يستعار به لكي يخفى كالعيوب ولا يوضع سراج تحت المكبة، بل ينشر أمام الملئ بكل فخر لهذا تعالوا لننشر التوراة على حبل

الغسيل إن لم يكن فيها عيب أم إنّ القديم شاخ وعجز لهذا يجب أن يبطَل كما جاء في عبرانيين 8: 13 وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال.

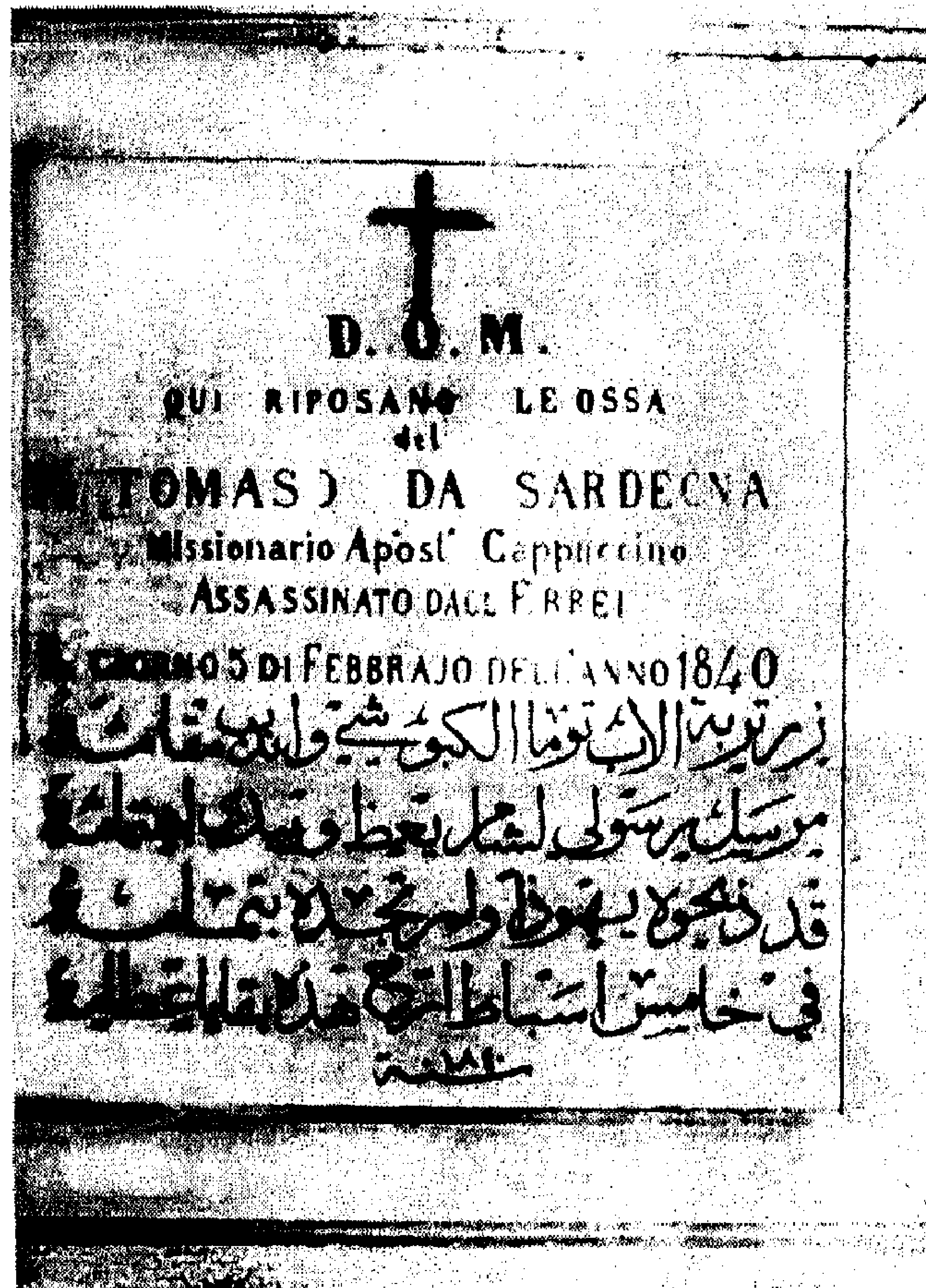
تقول الحكمة بقدر ما يكون الثوب ناصع البياض بهذا القدر تكون فيه اللطخة واضحة السواد إلا أنّ التوراة ولأنّها ليست بهذا الثوب النظيف لكثرة اللطخات السوداء والعيوب الفاضحة التي فيها، لذلك نقول نحن بقدر ما قال الناس أو بعضهم عن التوراة بأنّها مطلقة الكمال والقدسية أو على الأقل بقدر ما قيل عن التوراة بأنّها كتب مقدسة فبهذا القدر يهمنا أن نؤكد على خطأ هذا الزعم وأنّها كتب مدنّسة وليست مقدسة بل منجّسة وبكل المعايير من الدجل والنفاق إلى سفاح زنا القربى وسفاح القتل إلى كل العيوب في الأخلاق الإنسانية حتى أصبحت هذه المسماة مقدسات موسوعة لكل الموبقات، وبالرغم من اعتماد اليهود على الشعوب المجاورة في تعلم مفاهيم ديانتهم إلا أنّهم أساءوا جداً في ممارسة قيم وأخلاقيات تلك الديانات وعملوا على تزوير وتشويه تلك المفاهيم وخاصة في صفات الله من حيث الأخلاق الإنسانية التي امتاز بها البابليين والكنعانيين كالرحمة والعدل. انظر شريعة حمورابي.

فما هي صفات الله في مفهوم العبريين؟

أو ما هي أخلاق اليهود والتي نسبوها إلى الله؟

الدركوشة كلمة آرامية وهي عبارة عن سرير هزّاز للطفل الرضيع يهز فيه حتى ينام، وفي مدينة القامشلي – سوريا كان هناك حي خاص لليهود كما في كل مكان يتواجد فيه اليهود، وحين كنا أطفالاً كان أهالينا يحذروننا من الاقتراب إلى حيّ اليهود، ويقولون لنا إنّ اليهود سيخطفونكم ويضعونكم في دركوشة الإبر لتصفية دمكم، ولكن لم نفهم وقتئذ لماذا ولم نسأل ذوينا وقتها لماذا دركوشة الإبر بالذات وما هي الغاية ولا ذوينا حتى كان لديهم الجواب الدقيق ربّما، ولكنهم كانوا يسمعون قصص وحكايات من هذا القبيل وعندما كبرنا اعتبرنا هذه الحكاية خرافة ليس لها صلة بالواقع ولكن بعد دراستنا للتاريخ اليهودي وايديولوجيته تيقنّا أن لا دخان بلا نار، فحوادث ذبح اليهود للغير يصعب تصديقها لغرابتها

ولكن مع غرابة العقائد اليهودية لا يبقى موضع للغرابة. والمحاكم القضائية أثبتت الكثير من هذه الجرائم في كثير من أنحاء العالم وأشهر تلك الحوادث ذبح الأب توما وخادمه ابراهيم عمارة في دمشق. انظر اللوحة الرخامية الشاهدة على قبره وانظر تفاصيل هذه الجريمة في كتاب «فطير صهيون» للعماد مصطفى طلاس، حيث كرّس الجزء الأكبر من هذا الكتاب لرواية هذه الجريمة، ولمزيد من التفاصيل حول هذه القضية وغيرها من الجرائم المشابهة انظر أيضاً كتاب «الكشف عن تلمود اليهود» للأب الدكتور متري هاجي اثناسيوس قسم جرائم وفضائح. وما حدث في دمشق حدث في كثير من أنحاء العالم انظر أيضاً كتاب «الصهيونية والنازية» للسيد معين أحمد محمود حيث أثبت كثير من الجرائم المشابهة في كثير من أنحاء المعمورة ارتكبها اليهود شهوةً لسفك الدماء البشرية.



اللوحة الرخامية على ضريح الأب توما كبوشي في كنيسة الفرنسيسكان في حي باب توما بدمشق

مئات الكتب تناولت تلك القضايا، وأنا هنا في دراستي لليهودية هذه الكارثة الإنسانية المزمنة لا أريد الاستشهاد بالتلمود الذي ولّد كل شرّ وفرّخ كل فساد ناهيك عن احتوائه للخرافات التي بات يسخر منها اليوم حتى الأطفال لسخافتها، سوف لن أستشهد بهذا التلمود لصعوبة توفره لدى عامة القرّاء وإنّما أستشهد بكتب العهد القديم بسبب توفرها في كل مكان وبكل اللغات، والتوراة كما هو معروف هي أهم كتبهم الدينية.

هو ذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى. عدد **24:23**

هذا هو الشعب اليهودي كما تصفه التوراة وبكل وقاحة" لا ينام حتى يشرب دم قتلى" فهل هناك تعاليم دموية شريرة أكثر من هذه؟

أعود وأقول ثانيةً لا غرابة في الطبيعة الدموية لأبنة صهيون طالما أنّ التعليم الديني اليهودي يسمم عقل عبده منذ نعومة أظفاره حتى انتهاء دوره على مسرح الحياة.فكما سبق أن ذكرنا إن الإنسان ابن البيئة وهذه البيئة الفاسدة في تعاليمها الدموية أفرزت أولئك السفاحين الدمويين أمثال النتن ياهو والشرير شارون سيئي الذكر.

أسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحماً .

تثنية **42:32**

هذه أمثلة عن نماذج من التربية الدينية المقدسة تعبّر عن شهوة الصهيونية وتعطشها للدماء البشرية فهل من وقح يبرر هذا الإثم؟هذه الجماعات المحسوبين على الأسرة البشرية أليسوا حيوانات ناطقة من نوع آكلي لحوم البشر؟

والآن نأتي إلى صفات إله العبريين وشعبه المختار لنرى أيّ شرف في هذا النسل المقدس حتى تتبارك فيه جميع الأمم! ولماذا يبارك الله مباركيهم ويلعن لاعنيهم؟

الله قاتل وجزّار ولا يرحم حتى البسطاء من البشر ولا الأبرياء بل يعاقب قتلاً حتى الحمير وهذه هي أهم صفات الله بالتوراة التي أطرت اليهودي بالهالة المقدسة كما جاء في عشرات الآيات.

ولمّا كانوا بني إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهرون وكل الجماعة فوضعوه في المحرس لأنّه لم يعلن ماذا يفعل به فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل يرجمه كل الجماعة بحجارة خارج المحلة فأخرجه كل الجماعة إلى الخارج ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى.

عدد15:32-36

لعن الشيطان هكذا ربّ قاتل ! ولعن من ليس بلاعنه.

نقرأ بين سطور هذه الرواية قصة رجل مسكين في يوم شتاء قارص قام بإحضار بعض الحطب لأطفاله ليقيهم من شرّ يوم شتوي قاسي، فجاءه الشر المتطاير من الحمامة المدنّسة التي أوحت الشريعة الموسوية المقدسة حتى أخذوا يرجمونه ويتلذذون بمشاهدته وهو ينازع الموت وبينما أطفاله كفرخ القطا ينتظرون والدهم والحطب وكان البرد ينهش فيهم حتى الممات، فطوبى للودعاء لأنّهم يرثون الأرض! لا بل طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يدعون ! !

فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: اسيرايل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر. خروج 4:22-23. آمنت بالله وتيقنت يهو إنّ فرعون أكل حصرماً فضرست أسنان بكره، ولكن ما ذنب الغير وما ذنب الحيوانات حتى ينالوا عقوبة الموت؟ لا هم أكلوا حصرماً ولا آبائهم؟

فحدث في نصف الليل أنّ الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وبكر كل بهيمة فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر لأنّه لم يكن بيت ليس فيه ميت.خروج 12:29 حقد ومقت يغلي، يغلي يغلي كالبركان في قلب اليهودي ويكاد أن ينفجر موتاً على الجميع يريد أن يدمر كل الحياة. ما هي الحكمة من قتل كل هؤلاء الأبرياء الذين ليس لهم ناقة ولا جمل في ما حصل؟وما هي الحكمة من قتل الحيوانات؟ إنّها الحماقة، إنّها شهوة القتل، إنّها أهم العناصر المكوّنة لجوهر الصهيونية إنها الدموية.

نعم إنّ الرب يهو رب الجنود سفّاح متعطش للدماء ويحب رائحة الشحم المحروق والعظم المحروق ولا يشفي غليل حقده بقتل المذنب وحسب ولا بقتل ابنه بل بقتل ابن ابنه وحتى الجيل الرابع.

أنا الرب إلهك ربّ غيور افتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ.

خروج **5:20**

نعم الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون أبو عجاج يأكل دجاج، عجاج يقع بالسياج. أبو عجاج يزني، ابن عجاج يعلّق من خصيانه شنقاً . ابراهيم يديّث فرعون ينال الضربات العظيمة، اسحق وابيه يقودون ابو مالك ومملكته يصابون بالعقم هذا هو العدل المطلق.

حيّ أنا يقول الرب لأنزلن بكم كل ما تكلمتم به في مسمعي إذ تتساقط جثثكم في هذه الصحراء من ابن عشرين سنة وما فوق. عدد **28:14**

عزيزي القارئ قد تتعجّب من هذه الأحكام الجائرة ولاسيما أنها من وحي الروح وليست أي روح إنّها روح يهو تلك الحمامة المقدسة، ولكن قيل بالأمثال إذا عرفت السبب بطل العجب ولكن أيّ سبب يمكن أن يبطل هذا العجب؟ نعم السبب الذي يبطل العجب في ذلك هو أنّ الحمامة المقدسة هذه عندما فتحت لها بوابة السماء على مصراعيها وانقضّت كالنسر وبالسرعة الربانية التي تفوق سرعة البرق، انقضّت حينها لتتقبّل تقدمة الكاهن ملكي صادق تلك الوليمة التي قدّمها كاهننا للربّ من الخبز الشهي الذي أخرج للتو من التنور والخمر الطيب الذي صنع في عتيق الأيام خصيصاً لهذه المناسبة عند نجاة أبونا إبراهيم وعودته من المعركة بسلام كما جاء في تكوين 18:14- فعند التهام حمامتنا (أقصد الروح القدس) لهذه التقدمة الشهية طابت نفسها من الخمر البابلي المعتّق، فكانت كلما توحي لأنبياء الله وكهنته، كانت تبث فيهم شيئاً من نشوة هذا الخمر التي طيّبت نفسهم حتى أسكرتهم وتعثّروا جميعاً في الرؤية وحادوا عن الحكمة. وشهد عليهم شاهد من أهلهم وهو النبي اشعيا حين قال: ولكن هؤلاء أيضاً ضلّوا بالخمر وتاهوا بالمسكر

ضلا في الرؤية قلقا في القضاء. سفر اشعيا 7:28. ولكـن حمامتنـا العزيـزة حينهـا ألم يكن في جعبتها تلك الحكمة التي أوحتها للنبي سليمان حين قالت لـه بالأمثـال بـأنّ الخمر مستهزئة والمسكر عجاج ومن يترنّح بها فليس بحكيم. **سفر الأمثال 1:20**

على كل حال سامحنا حمامتنا، لأنّ المخمور معذور. لأنّه يبدو أنّهـا اكتـشفت هذه الحكمة بعد هذه التجربة غير الميمونة. ولكن ما أن تلاشت نشوة الخمـر هـذه حتى عادت الحمامة المقدسة إلى رشدها لتوحي إلى النبي حزقيال ليقول: وأوحى لي الرب بكلمته قائلاً : ما بالكم تضربون هذا المثل بشأن أرض إسرائيل قائلين: أكـل الآباء الحصرم فضرست أسنان الأبناء حيّ أنا يقول الرب إنّكم حتماً لـن تـضربون هذا المثل في إسرائيل بعد اليوم ها جميع النفوس هـي لي نفـس الأب كـنفس الابـن كلتاهما لي والنفس التي تخطئ هي تموت ولكن إن كان المـرء صـالحاً يـمارس الحـقّ والعدل. **حزقيال 1:18**

اليهود شعب حاقد على كل الأمم لا يطيقون الزعامة لغـيرهم. أليـست الزعامة والمختارية من حقهم وحدهم ضمن عقد مبرم بين ياهو وابرام ونسله من بعده؟

أليسوا شعب الله المختار؟ أليس الله يعطي من يشاء ويقرف رقبة مـن يـشاء وله فيما يشاء شؤون ! حقيقةً إنّ هذا العقد يحمل عقـدة مرضـية نفـسية في أعماقهـا جرثومة ممقوتة لقّحت هذه الجموع الرعويـة فأكـسبتهم مناعـة غـير طبيعيـة ضـدّ التطبّع والتعايش مع أيّ مجتمع من المجتمعـات وعـلى مـدى التـاريخ وعـن هـذه العقدة التزعمية إن صحّ التعبير. نقرأفي سفر الـدراكولا يـشوع: ثـمّ رجـع يـشوع واستولى على حاصور وقتل ملكها بالسيف، لأنّ حاصور كانت قبل ذلـك زعيمـة جميع تلك الممالك وقضوا فيها على كل نـسمة بحـدّ الـسيف فلـم يبقـى فيهـا حـيّ وأحرقوها بالنار واستولى يـشوع عـلى كـل مـدن أولئـك الملـوك وجميـع ملـوكهم وضربهم بحدّ السف حرمهم كما أمر موسى عبد الـرب وأمّـا الرجـال فـضربوهم جميعاً بحدّ السيف حتى أبادوهم ولم يبق نسمة منهم كما أمر الرب.

سفر السفّاح يشوع 11:10-15

تصوّر عزيزي القارئ ولا تستغرب من هذه المجزرة لأن لها مبرراتها فهاهي الروح القدس تشرح لنا السبب بكل نزاهة وتقول لأن حاصور كانت زعيمة جميع تلك الممالك ألا يكفي هذا العذر؟ لذلك قضوا فيها على كل نسمة حيّة. أليس الميثاق الخليلي بين الله وصاحبه يقضي باحتكار الزعامة على ذرّية إسرائيل وإلى الأبد؟

حقيقةً إنّ شرّ انحطاط أخلاق المجتمع الإنساني اليوم ووئد ضميره هو أن يقرأ الإنسان هذه الأساطير ولا يميّز بين المقدس والمدنّس ويفهم كل المعاني بنقيضها.

وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البريّة حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا، إنّ جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحدّ السيف فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً جميع أهل عاي، ويشوع لم يرد يده التي مدّها بالحرّبة حتى حرم جميع سكان عاي وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم، وملك عاي علّقه على خشبة إلى وقت المساء.

سفر السفّاح يشوع 8:24-28

مهما كان الإنسان متوحّش ومهما كان سفّاح ومتعطش للدم ولكن ان تصل به الفظاعة إلى هذا الحدّ بأن يقتل الأخ أخاه والأب يقتل ابنه، فإنّه أمر رهيب خارج عن طاقة تصوّر أيّ إنسان إنّه من أكبر الكبائر.

فقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل: ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومرّوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد قريبه وكل واحد صاحبه وكل واحد أخاه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك الحين نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى املوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد فعل بابنه وبأخيه لهذا يعطيكم اليوم الرب بركة.

الخروج 32:27-29

أيّ حماقة هذه الأخ يقتل أخاه ! وأيّ فظاعة هذه الأب يقتل ابنه ! وأيّ عجوز معتوه خرف هو ذاك الرب الذي يعطي بركة على هذه البشاعة التي ما بعدها بشاعة !

الحقيقة أنّ هناك بعض الجرائم التي يعلم بها يهـو تفتقـر أي لغـة في العـالم لكلمة واحدة تعبّر بدقة عن قذارة تلك الجرائم وبشاعتها.

عنصرية إلـه إسرائيـل وأنبيائهـا تزيـد في طنبـور القتـل نغـماً وفي البشاعة قرفاً.

ملعون من يقتل قريبه. **سفر التثنية 24:27.**

عنصرية ياهو تجعله يلعـن اليهـودي إذا قتـل أخيـه اليهـودي أمـا الغريـب فلا حماية له وقتله مستباح كما سنرى:

لا تقرض أخاك بربا فضّة أو ربـا طعـام أو ربـا شيء مـا مما يقـرض بربـا، للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتدّ إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها.

تثنية 19:23

إذاً الله عنصري إله خاصّ بالإسرائيليين دون بقية الشعوب لأنّ الربـا مـن العبري محرّم أما من الأجنبي فهو مباح. هكذا يرى يهو فماذا ترى أنت يا سـيدي؟ ثمّ إنّ عنصرية هذا اليهو تخوّل شعبه استعباد الغـير وامـتلاكهم كعبيـد ومتـاع بـل عنصرية يهو تستبيح ظلم الغير بكل أشكال الظلم وألوانـه ولاسـيما القتـل، تلـك السوسة الكريهة التي أزمنت في الكيان الـصهيوني واسـتوطنت في أعـماق نخاعـه. ولكن لماذا كل هذا الحقد على الغير ولماذا هذه التفرقة من الله بين الـشعب العـبري وغير العبري؟ هذا السؤال كثيراً ما يفرض نفسه بحثاً عن جواب مـبرر بعقلانيـة، وربّما يبدو من السذاجة أن يسأل هكذا سؤال، ولكـن هـل حقـاً أنّ هـذا الـشعب صالح يستحق كل عناء هذا الاعتناء؟ هـل لأنّ هـذا الـشعب العـبري هـو خـيرة الأخيار وأما الأغيار فهم أشرار؟ ما هي الصفحات المجيدة التي تتشرّف بهـا هـذه الجماعات؟ وما هـي أعـمال الـبرّ والإحـسان التـي أنجزتهـا هـذه اليهوديـة حتـى استحقّت كل هذه الامتيازات الربّانية؟ وما هي الأفعال والتـصورات الـصهيونية التي أهلتها لأن تنال العقد الإلهي بامتلاك أراضي ليـست لهـا، بعـد اسـتباحة قتـل شعوبها الآمنة؟

اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصّنة إلى السماء، فاعلم أنّه ليس لأجل برّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنّك شعب صلب الرقبة.

سفر التثنية 6:9

إذاً الله يعطي أراضي الغير للشعب اليهودي، ليس لأنه شعب بار طيب وصالح، بل لأنه صعب الأخلاق وعنيد صلب الرقبة!!.

إذا لم يكن اليهود أبرار وإذا كانوا صلبي الرقبة أشرار ولم يكن سوء في الأغيار كما قال الرب فما هي الأعذار لقتل هذه الأغيار؟

والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشدّدوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد. عزرا **12:9**

إنّ مدوني التوراة وحاخاماتها أكثر ما كانوا يخشون من رعيتهم هو الاندماج في المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها وهذا ما كان يهدد موارد رزقهم، لأنّ عيشهم متوقف على هذه الرعية وأهم من هذا أيضاً أنّهم كانوا دائماً يسعون لتأهيلهم للهجرة إلى إسرائيل أرض الميعاد لكي يبدأ من هناك نظام العالم الجديد في السيطرة والفساد في الأرض كلها،وكلما رفعوا كأس الخمر لا يقولون نخب صحتك او صحة فلان بل يقولون إنشاء الله سنشرب الكأس في المرة القادمة في أورشليم.

إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي. مزمور **137:5**

نعم هذا هو الحلم الصهيوني المزمن وأولئك هم المفسدون في الأرض. فكانت الزمرة الحاخامية هذه حريصة أشدّ الحرص على الحفاظ على تعليم اللغة العبرية وعدم الزواج من الأجانب. وحكمتهم في هذا من يتزوّج من أجنبية يحتضن عقرباً تفسد دمه بنجاسة الأغيار.

يقول أحد نجوم العنصرية:

وفي تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء اشدوديات وعمونيات ومؤابيات ونصف كلام بنيهم باللسان الاشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً ونتّفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلاً : لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم. **نحميا13:23-25**

ولكن الحقد على الأجانب لم يتوقف عند حدّ ممانعة الزواج من الأجانب بل الجريمة توصّلت معهم إلى أن أطلقوا نساء من رجالهم وبالإكراه فأتعسوا حياة عائلات سعيدة وهدموا بيوت آمنة وشرّدوا أطفال أبرياء، وهذه العنصرية لا زالوا يمارسونها حتى اليوم وليس مع الأحياء وحسب بل حتى مع الأموات. وهذا كلام غريب قد لا يصدّق ولكنّه الواقع فعلاً فكثيراً ما نبشوا مقابرهم لإخراج الأموات المتزوجين من أجانب، نعم أخرجوهم من قبورهم وطرحوهم خارج أسوار المقابر اليهودية ومثّلوا بهم أبشع تمثيل، لا بل خوزقوا تلك الجثث أحياناً لإرهاب من يفكر بأن يقترن بأجنبية هذا هو أحد أساليب إرهابهم.

نعم حتى الأموات في مقابرهم لم يسلموا من شر أعمالهم العنصرية. صحيح أنّ العنزة لا يؤلمها سلخ جلدها عنها بعد موتها، ولكن كم سيشعر بالمرارة من يفكر بأن يتحرر من هذه العبودية حين يعلم أنّه سيهان وسوف تمرّغ كرامته بالتراب بعد موته.

والأبشع من هذا أنّهم كانوا يقومون بهذه الأعمال القذرة ويتهمون بها الغير بأسم كره السامية وحاشا للسامية إن تمتّ لهم بصلة. فالسامية أو الشامية ولا فرق، جديرة بكل من يسمو عن اليهودية وانحطاطها الأخلاقي فكما قلنا فقد كانوا يقومون بنبش مقابرهم ويتهمون الغير بهذه الأعمال اللاأخلاقية كمن يفسق ويبكي ويسبق ويشكي ! هذا ما حدث في بلدان كثيرة من العالم ولا زال يحدث حتى اليوم.

ويؤكد روجيه جارودي على عدة حوادث من هذا القبيل جرت في فرنسا ويشير إلى حادثة مشابهة جرت في إسرائيل قرب تل أبيب سنة 1984

ويسأل لماذا لم تتطرّق الصحافة الفرنسية لهذه الحادثـة؟ انظـر كتـاب "الخرافـات المؤسسة للـسياسة الإسرائيليـة مـن صـفحة 219 حتـى صـفحة 223 حيـث تفاصيل هذه الحوادث الصهيونية والتي يتّهمون فيهـا العـالم باللاسـامية، نعـم روجيه جارودي يسأل: لماذا لم تتطرق الصحافة الفرنسية إلى هذه الحادثة، وأنـا اسأل أيضاً هل اللوبي الصهيوني في فرنسا أصبح الوحش المرعب الذي أرهـب حرية الرأي في فرنسا إلى هذا الحد؟نعم هذه هي الحقيقة وبكل أسـف. ولكـن سيدي إذا كنت تظن أنّ هذه الحوادث حدثت بالـصدفة أو هبطـت مـن فـراغ فأنت مخطئ وأنا آسف أن أقول أنّك مخطئ. لذلك أقول إنّ كل ما حـدث هـو شيء طبيعي لا يخرج عن إطار التعاليم الدينية اليهوديـة العنـصرية، فلـو أزلنـا اللثام عن بؤرة الزنابير سينكشف لنا من أين تطـايرت هـذه الـشرور. فتعـالوا لنقرأ في التعاليم التوراتية لنجد أنّ كـل هـذه الحـوادث ليست إلا ترجمـة عـلى أرض الواقع لهذه التعاليم العنصرية اليهودية ونقرأ في سفر أشعيا:

وأنت طُرحت بعيداً من قبرك كما يطـرح الغـصن الـذابل يغطيـك القـتلى المطعونون بالحراب الساقطون على حجارة البور كالجثة داستها الأقدام لن يجمعك وأياهم مدفن لأنّك أنـت دمرّت أرضـك وتـسببت بقتـل شـعبك نـسل الأشرار لا يذكر أبداً. **اشيعيا 14:19-20**

إذا كانت هذه هي تعاليمهم أليست ممارساتهم تلك هي ترجمة عملية لتلـك التعاليم؟

يقول أشعيا: أيّ حقّ لك أنت هنا؟ ومن لك هنا حتى تحفـر لنفـسك قـبراً عالياً وتنحته في الصخر مسكناً لك سيقبض عليك الرب قبضة جبار ويقذف بـك قذفاً ويدحرجك دحرجة الكرة إلى الأرض واسعة الأطراف هناك وتموت بجانـب مركباتك التي طالما افتخرت بها أنت يا فضيحة بيت مولاك.

اشعيا 16:22-18

نعم يا سيدي فكل رائحة من أصلها تفوح وهذه الروائح الكريهة فهي مـن تلك المزابل.

في الإصحاح العاشر من سفر عزرا يهدد العائدين من السبي الذين تزوجوا من أجنبيات خلال ثلاثة أيام إن لم يطلقوا زوجاتهم تصادر أموالهم ويخرجهم من بين الجماعة، كلام غير معقول أبداً ! انظر سفر عزرا 8:10

ثمّ يشرح هذا الإصحاح بالتفصيل اسم العائلات التي فسخت وكان كثير منهم من بين الكهنة وأما النبي نحميا فلم يكن أقل عنصرية من عزرا. انظر سفري عزرا ونحميا رمزا العنصرية. وهكذا فُسخت زيجات سعيدة وهدمت بيوت عامرة بالمحبة وشردت أطفال بريئة وكان وبالاً على الإنسانية، فكما أسلفنا أنّ عدالة الله في التوراة تخوّل العبريين بل تأمرهم باستعباد الأغيار، أما غير الأغيار وأعني الأخيار فلأنّهم شعب مختار من بين بقية المخلوقات فيحذّر استعباد أيّ منهم وتحرير العبد اليهودي فرض مقدس، كما هو استعباد الغريب غير اليهودي فرض مقدس والغريب هو عبد بأمر الله وهو ملك من أملاك الشعب المختار كالمتاع والحيوان وبقية الأملاك. أليس لله في خلقه شؤون؟ أعني أليس الله من خلق الأغيار لغاية محدّدة وهي خدمة شعب الله المختار وهذه الملكية طبعاً بأمر ياهو تنتقل من خلف إلى سلف؟

من يقرأ هذه الكلمات لا يصدق ويظنّها تخريفاً ولكن عندما يقال هكذا جاء بالكتاب المقدس فيصبح الأمر فيه وجهة نظر ! ! 39- وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. 40- كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل ثمّ يخرج وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً أو إماء.45- وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم.46- وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر وأما اخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلّط إنسان على أخيه بعنف.

سفر اللاويين **46-39:25**

نعم يا سيدي، نعم يا ربي الأغيار ملك للشعب المقدس ويستملكونهم لأبنائهم من بعدهم ميراث ملك يستعبدونهم إلى الأبد كما أمرت يا رب يا قدوس.

وبعد هذا إنّ من يسرق إنسان وباعه أو وجد في يده يقتل قتلاً .

خروج 16:21

إذا كنت من الأغيار يا سيدي القارئ أرجو أن لا تصاب بالإحباط من هذه الآيات المقدسة حين تعلم أنّ الإنسان في مفهوم التوراة ليس أنا أو أنت، لأنّ المقصود بالإنسان هو الإسرائيلي طبعاً، لذلك قال يهو إنّ من يسرق إنسان وباعه أو وجد بيده يقتل قتلاً . وتفسيراً لهذه الآية يقول يهو: إذا وجد رجل قد سرق نفساً من اخوته بني إسرائيل واسترقه أو باعه يموت ذلك السارق.

تثنية 7:24

فلا يغّرنك إذاً أيّ تصوّر آخر للإنسان في المفهوم اليهودي، أما الأغيار فهم دائماً كلاب قابعة تحت موائد أسيادهم الإسرائيليين حتى في نظر المسيحية، فحين سألت امرأة سورية المسيح أن يعينها على ابنتها قال لها المسيح: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. مرقس 26:7. يعني أنّ السوريين كلاب. فتبّاً لك كائناً من تكون يا كاتب هذا الكلام تباً لك لكفرك بذات المجد سورية حتى لو كنت إله.

ورأى يسوع (النتن ايل) مقبلاً إليه فقال عنه هذا إسرائيلي حقاً لا غشّ فيه. إنجيل يوحنا 47:1 نعم يا سيدي الإسرائيلي الحقيقي مقدس لا غشّ فيه، أما الأغيار فهم أشرار! وكفى لا أريد استحضار شواهد كثيرة هنا من التوراة، ولكني أكتفي بنماذج للآيات المدنّسة التي تعتبر الأغيار والكلاب والزواني سواسية وكلّهم أرجاس. ولأنّ الإسرائيليين شعب مقدس فأوصاهم الرب لا تأكلوا جثّة حيوان ميت بل أعطوها للغريب. تثنية 21:14 وتكونوا لي أناساً مقدّسين، ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا للكلاب تطرحه.

خروج 31:22

وهنا يتساوى الغريب والكلب بل أكثر من هذا إذ لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما لأنّهما كليهما رجس لدى الرب.

تثنية 18:23

إذن القضية لا تحتاج إلى محاكمة عقلية لفهمها، فالكلب والغريب والزانية سواسية في النجاسة بمقياس التوراة. إذا كان العبد الآبق أو المسروق إنساناً يهودياً كما أسلفنا فإنّ من وجد في يده يقتل أما إذا كان مالك العبد الأبق من الغير فيمنع تسليمه إلى مولاه بل يصبح ملكاً للعبري الذي وجده أو سرقه وكأنّه وجد صيداً مباركاً فملكه. قارن يا سيدي تثنية **15:23** مع تثنية **7:24**

عبداً آبق إليك من مولاه لا تسلم إلى مولاه. **تثنية 15:23**

إذا وجد رجل قد سرق نفساً من اخوته بني إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق.

تثنية 24:7

تفضّل يا سيدي فبعد كل هذا هل لورقة التين أن تخفي قبح الوجه العنصري في التربية اليهودية والتي يعتبرونها مقدسة؟ وهل يوجد عنصرية أكثر انحطاطاً وسفالة من هذه العنصرية وهل العنصرية اليهودية أرحم من العنصرية النازيّة؟

في استفتاء عام أجرته قناة الجزيرة وكان السؤال: هل العنصرية الصهيونية أسوء من النازية أم مثلها أم أقل سوءاً ؟ كانت النتيجة 86٪ الصهيونية أكثر سوءاً من النازية، فتقول الجزيرة متهكمة: مبارك للصهيونية هذا الانتصار الساحق على النازية !ولكن أقول وبكل صدق ودراية حتى الأربعة عشر المتبقة لو عرفت حقيقة الصهيونية وعدلت لقالت:

حقاً لو سجَل التاريخ أقبح وأبشع فصول العنصرية

لم يكن عنوانها النازية ولا الفاشية بل الصهيونية

يصف أحد الضباط الإرهابيين الذين شاركوا شارون مجزرة كفر قاسم كما ذكرت صحيفة يدعوت احرونوت يصف سادية شارون وتعطّشه للدم وخاصةً الأطفال بنقل هذا القول لشارون يقول شارون: كان يجب على هؤلاء الأطفال أن لا يخلقوا أما وقد خلقوا خطأً فإنّه علينا تصحيح الخطأ. ثمّ يمضي ويحزّ رقبة الطفل بين يديه باستمتاع سادي منقطع النظير. هذه هي السادية اليهودية في التمتّع

بقتل الأطفال. أيّ إنسان إذا رأى طفلاً يسعد لرؤياه ويبتسم تلقائياً لطلة الطفل بوجهه البريء، إلا اليهودي إذا رأى طفلاً من الأغيار تنقبض نفسه ويقول في قرارة نفسه تباً لك ولا بارك الله بالبطن الذي أنجبك.

وحرموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتّى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف.

يشوع 21:6

نعم يا سيدي إنّ قتل الأطفال بل حتى الرضّع كما نرى هو هوس ربّاني عند اليهود، إنّها أوامر ياهو أوامر مقدسة مباركة، إنّها التوراة يا تقاة الله، إنّها الكتب المقدسة يا ناس يا عالم يا بشر إنّها الكتب المنزّلة ! !

هكذا يقول ربّ الجنود: فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ماله ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً جملاً وحماراً.

صاموئيل الأول 3:15

يقول الرب: ها أنذا أهيّج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرّون بالذهب فتحطم العصي الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن ولا تشفق عيونهم على الأولاد. **اشعيا 17:13**

وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف الرجال والنساء والأطفال والرضعان.

صاموئيل الأول 19:22

لا يرحمون ثمرة البطن- لا يشفقون على الأولاد-يقتلوا الأطفال- لم يعفوا الرضّع -

هذه هي الأغاني السادية التي تطربهم في كنيسهم هذه هي الصلوات التي يرفعونها للرب المحارب رب الجنود. لذلك علينا أن لا نذهل حين نرى الإسرائيليين وقد جعلوا من فلسطين حديقة مسلية لإشباع ساديتهم ولم تشبع في اصطياد الأطفال الفلسطينيين كالعصافير الفردوسية وعندما يواجه الطفل الفلسطيني دبابة صهيونية بالحجارة فتدهسه وتمر على جسده، فيضحك المجرم ساخراً ويقول ما اغبى أطفالك يا فلسطين، ولكن هذا القاتل لا هو يعلم

ولا العالم يعلم بأن هذا الطفل المقهور يحمل رسالة التظلُم إلى العالم، والعالم لم يفهم وليشهد العالم ما يشهد. أما التاريخ سوف يسجَل الغباء لمن هو أهل به والمجد لا يكون على الجماجم والعظام حيث أصبح الخبر المكرر من يوم انفجرت الانتفاضة المظلومة وحتى اليوم في التلفزة عن سقوط طفل شهيد أو أكثر وبشكل روتيني يومي كل يوم كل يوم كل يوم، نعم يا سيدي كل يوم يسقط طفل شهيد أو أكثر حتى خدّرت هذه المشاهد ضمائر الإنسانية، وأفقدتها الإحساس بالمشاهد المؤلمة وأصبحت مشاهدة هذه المآسي مألوفة وكأنّها أمر عادي يعجز عن تحريك الأحاسيس والمشاعر الإنسانية. ولا أعلم كيف ينادي المجتمع الإنساني بالرأفة بالحيوان وإقامة المحميات الطبيعية، والإنسان ينهش في لحم أخيه الإنسان وأبشع من هذا عندما تصوّر لنا آلات التصوير التلفزيوني القاتل الإسرائيلي حين يفرغ طلقته الملعونة في القلب الطاهر للطفل البريء الذي كان يحلم بالحياة، وعلى أثرها يتنفس هذا المجرم الصعداء ويقول ها أنا ذا يا رب جئت لأعمل مشيئتك وإنّي على العهد كما كان آبائي وأجدادي من قبل هكذا أنا.

ثمّ ينظر إلى زميله مبتسماً تلك الابتسامة البشعة التي شهدتها ذات مرة وأحسست بسمّ عقرب يسري في دمي حين ارتسمت على وجه القاتل صورة ابليس كمن يقول ما رأيك ألا أستحق الثناء يا قريبي على هذا الصيد الذي يسرّ القلب؟ فبارك لي وهنئني على هذه السعادة التي تغمرني وهذه النشوة التي طالما كنت أسعى لها، إنّها السعادة الربانية لأنّها تنفيذاً لمقاصد الرب ومشيئته. فيفهم عليه قرين السوء رفيقه دون أيّ كلام ويرد عليه بابتسامة أبشع كمن يقول حقاً إنّها مشاهدة سارّة تبعث على الانتعاش وكأنّها بشائر قرب يوم الربّ يوم النصر على الأغيار وسحق رؤوس أطفالهم.

يقول الرب إحفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدّامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، احترس من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخّاً في وسطك.

حزقيال 34:11-12

عزيزي القارئ أرجو منك أن لا تمرّ على قراءة هذه الآيات المقدّسة جداً مرور الكرام، بل أرجو كل الرجاء قراءتها بتمعن وتروّي وما يناسب أهميتها الحضارية والأخلاقية لا بل أرجو منك قراءتها بخشوع وما يليق بقدسيتها !

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم.

عدد **55:33**

هنا، وانطلاقاً من هذه الآية أوجّه سؤالاً جداً بسيط وإلى شريحتين من البشر، الشريحة الأولى وهي المؤمنة بقدسية هذه الآيات، والشريحة الثانية أصحاب مدرسة التطبيع مع إسرائيل، السؤال هو: ما هو تفسيرهم لأمثال هذه الآيات التوراتية؟ وما هو مستقبل الشعب الفلسطيني الذي يعيش ضمن أراضي ما تسمى بإسرائيل؟

إذا قال لي أصحاب مدرسة التطبيل للتطبيع ودعاة السلام بأنّ إسرائيل اليوم غير إسرائيل التوراة، وهذه أساطير سخيفة قد عفا عليها الزمان وإنّ الإسرائيليين تجاوزوا هذه الخزعبلات، فأقول وأنا آسف لما أقول إن لم يكن هذا الكلام صادر عن جهالة جهول فهو خبث اسخريوطي حتماً . وما أدراك ما الخبث الأسخريوطي: إنّه خيانة إنسانية وأخلاقية عظمى إنّها قبلة يهوذا الأسخريوطي التي أسلمت المسيح للموت. انظر لوقا 48:22- أبقبلة تسلّم ابن الإنسان يا اسخريوطي.

عزيزي القارئ إنّ من يحلم أو يتأمل بالسلام مع إسرائيل يسعى إلى سراب، إنّها قبضة الريح والتاريخ يشهد أنّ إسرائيل لم تطلب يوماً سلامة أي شعب من الشعوب والتوراة شاهد بين أيدينا.

لهذا أشير إلى بعض تلك التعاليم والعقائد التوراتية التي هي مقدسة جداً بالمقياس الإسرائيلي، وظالمة جداً بالمقياس الأخلاقي والإنساني والقانون

الدولي. ثمّ آتي وبعجالة شديدة إلى التصورات التي حفرتها هذه الآيات التوراتية في رؤوس الإسرائيلين، وليعلم من لم يعلم بعد أنّ إسرائيل هذا الوهم الكبير جاء من صفحات هذه التوراة ومن هذه الخزعبلات تحديداً والرأس الإسرائيلي هو بمثابة الحبل السري بين الطفل وأمه. يستمدّ وحيه من التوراة وينفذه على أرض الواقع، كما أنّ الطفل الجنين يستمد غذاءه عبر هذا الحبل من أمه، هكذا أصبحت هذه الأسطورة السخيفة حقيقة ماثلة أمام عيون الجميع شاء من شاء وأبى من أبى. إنّها إسرائيل اليوم ولكن كما مهدّنا لهذا الكتاب وبينّا الأسباب والنتائج حبّذا لو نعود يا سيدي إلى قراءة تمهيدنا لهذا الكتاب. أما ماذا تقول هذه الآيات وماذا يقول هذا الرأس الإسرائيلي فهذا هو بيت القصيد.

يقول عضو الكنيست الحاخام مائير كاهانا: لا يمكن أن نميز بين دولة إسرائيل والتوراة لأن دولة إسرائيل لم تقم بفضل قرارات الأمم المتحدة بل بفضل التوراة.

يديعوت أحرونوت

1971 /05 /21

إسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزف تكسرهم.

مزمور 2: 8 -9

وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأنّ جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد.

تكوين 13:14-15

وكان الكنعانيين حينئذ في الأرض وظهر الرب لابرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض.

تكوين 12:7

هليلويا سبحوا اسم الرب سبحوا يا عبيد الرب الذي ضرب أمماً كثيرة وقتل ملوكاً أعزاء وأعطى أرضهم ميراثاً لإسرائيل شعبه.

مزمور 135:1-12

متى أتى الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.

تثنية 7:1-2

فإنّك تحرمهم أي تبيدهم ولا يأمر بإبادة شعب إلا أقسى القتلى والمجرمين.

كيف يكون الظلم كيف يكون النصب كيف يكون الإغتصاب إن كل هذه الشرور يراها ياهو عدالة وحق مقدس للشعب المقدس.

وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومدناً لم تبنوها وتسكنون بها ومن كروم وزيتون لم تغرزوها تأكلون.

يشوع 24: 13.

أليست هذه التعاليم هي التي تترجمها إسرائيل على أرض الواقع؟ أليست هذه سرقة الأراضي وأملاك الغير؟ أليس هذا إغتصاب ظالم؟ أليس هذا إحتلال باطل؟.

قد تأخذك الحيرة يا سيدي عندما تقارن هذه الأمور بوصية ياهو لا تسرق ولكن ما يجب أن نعرفه يا سيدي هو أن ياهو قال لا تسرق من قريبك وأخيك العبري أما سرقة الأغيار فمباحة كما في وصية ياهو عندما خرجوا من مصر حين أمرهم الرب بالسرقة والسلب كما تعلم.

عزيزي القارئ لقد قسّم السمسار العقاري الأعظم شعوب الأرض ملكاً لشعب الله المختار حسب أسباطهم. نعم حسب أسباط إسرائيل قسّم العالم. قال يهو: انظروا قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم.

يشوع 23:4-5

تملكون الأرض وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم.

عدد 53:33

فأعطاهم أراضي الأمم وتعب الشعوب ورثوه. مزمور **44:105**

هذا يا سيدي بعض ما تقوله كتبنا المقدسة فماذا يقول حكماء إسرائيل؟ هل يقولون عفا الزمان على التوراة كما يزعم أصحاب مدرسة التطبيع والسلام؟

يقول مناحيم بيغن لصحيفة دافار في 14 كانون الأول عام 1987: «لقد وعدنا الله هذه الأرض ولنا كل الحقّ فيها». نعم يا سيدي إنّ الله صاحب مكتب عقاري يعطي من يشاء ويسلب من يشاء كما البلطجي.

تقول قرمة الكيهانو العتيقة كولدا مائير في صحيفة لوموند 15 تشرين الأول 1971: وجدت إسرائيل تنفيذاً لوعد الرب ولهذا لا يصحّ أن نسأله ايضاحاً عن شرعية هذا الوجود.

نعم هذه الحيزبون الشمطاء تريد أن تقول فلتخرس كل الشرعية الدولية أمام قداسة التوراة. آه يا قرمة عتيقة يا حوبة جهنّم.كم من الأطفال إمتصصت دماءهم وكم من الآباء يتمتي أبنائهم.

في الخطاب الذي ألقاه مناحيم بيغين في الكنيست لنيل الثقة بحكومته قال بغرور وعنجهية الطاووس الذي كاد أن ينفجر إنتفاخاً :

باسم تراث الآباء الذي يعود إلى آلاف السنين أعلن إن حكومة اسرائيل لن تطلب من أي أمة قريبة أو بعيدة صغيرة أو كبيرة أن تعترف بحقنا بالوجود. لقد حصلنا على حقنا بالوجود من آلهة آبائنا في فجر الحضارة الإنسانية منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة.

هآرتس 21/ 6/ 1977

يقول أبو عين وشقفة موشي ديان: إذا كنّا نملك كتاب التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب الله المختار إذاً يجب علينا أن نملك كل الأرض التوراتية.

الجنرال موشي ديان جيرو ساليم بوست 10 آب 1967

نعم يا سيدي من حق الأعور أبو عين ونصف أن يتيه غروراً من نشوة النصر، ولا أقول إنّ العرب غُدروا لأنّ الحرب خدعة، فمن ضرب ضرب ومن هرب هرب، فمن الغباء والسذاجة غير المغفور لها إذا كان المرء يظن أنّ التاريخ يُمجّد المغفلين في عباءات النوايا الحسنة والمثبتين تحت أقدام زرع الثقة والمشحونين في توابيت المساعي الحميدة كما في عام 1967، فهذا التاريخ وهذه التوراة تبيّن خيبتهم ومن لم يتعلم من التاريخ -المعلم الأكبر- فسوف يسحقه الجهل في بئس المصير ويستحق لعنة الأجيال وإلى الأبد.

قال بنكوريون ذات مرّة إبان تأسيس دولة إسرائيل: كيف تحدد أوراق تافهة حدودنا مشيراً إلى الاتفاقات الدولية ومواثيقها، وسئل عن حدود إسرائيل فقال ومن له التوراة هل يحتاج إلى بيان حدود إسرائيل؟ نعم يا روح خالتك المرجع الوحيد لمعرفة حدود إسرائيل هي التوراة ذلك العقد العقاري الرباني الشرعي جداً والقانوني جداً والمقدس بلا شك.

هكذا يقول كل زعماء صهيون، ولكن هل يجرأ أي زعيم إسرائيلي أن يتعقل؟ هل يملك الشجاعة الكافية أي رأس إسرائيلي أن يرسم حدود لدولة إسرائيل؟ طبعاً لا أحد يستطيع أن يجازف بحياته لأنّه واثق بأنّه سيصاب بطلقة الرحمة في رأسه إن لم تخترق قلبه ولا فرق فالنتيجة واحدة، وهذا ما حدث لأسحق رابين رئيس وزارة إسرائيل عندما اغتاله ايغال آمير في 4 تشرين الثاني 1995 تنفيذاً لأوامر من يسمّون محاربو إسرائيل وامتثالاً لأوامر يهو التوراتية. قتل اسحق رابين لمجرد أنّه اعترف أنّ هناك شعب اسمه الفلسطينيين وكان هذا مقابل اعتراف الفلسطينيين أنّ هناك شعب اسمه الإسرائيليين. قتله المتطرفون الإسرائيليون وذهب كبولة في الحمام بالرغم من تاريخه الأسود في الإجرام بحق الفلسطينيين وكان هو صاحب الأوامر في تكسير عظام الفلسطينيين وهذا ما شاهدناه على شاشات التلفزيون. وليعلم الظالم أي منقلب ينقلب.

قال حايم وايزمان: إني أعلم إن الله قد وعد أبناء اسرائيل بأرض فلسطين ولكني لا أعرف الحدود التي رسمها[6].

سيدي القارئ صدّق وتيقّن أنّه لا يجرؤ أي زعيم إسرائيلي بالتصريح بالحدود الإسرائيلية لأنّ حدود إسرائيل التوراتية هي اللا حدّ وأنّها الحدود المطاطية التي أحياناً تحيط الكرة الأرضية قاطبةً وتزيد حتى تصل القمر، أقول هذا الكلام وليس فيه أي مبالغة، وأحياناً أخرى نعم أحياناً وليس دائماً تتقلص هذه الحدود لتكون متواضعة جداً فقط ما بين النهرين الكبيرين الفرات والنيل.

في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. تك 18:15

إذاً حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل فقط لا غير، من الفرات حيث ينبع من أرمينيا وعلى طول 2375 كم مروراً بتركيا ومخترقاً جبال طوروس ومقتطعاً جزءاً كبيراً من أراضي تركيا والجزء الأكبر من سوريا والعراق حتى يصب في شط العرب وتكون بهذا شبه الجزيرة العربية بكاملها ضمن حدود هذين النهرين، وكذلك البحر الأحمر وأكثر من ربع أرض مصر وعلى مدى طول النيل – 6500 كم – محتوياً جزء كبير من أراضي السودان والحبشة. هذه هي الحدود المتواضعة التي تحددها التوراة أحياناً من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات !! ولكن أحياناً أخرى وبكل جدية ولا مزاح في كلام الوحي لأنّه كلام الروح القدس الذي يحدد حدود إسرائيل، الأرض كل الأرض، نعم كل المعمورة هي أرض إسرائيل هكذا تقول التوراة، وأكثر من هذا كل ما في على وجه الكون أيضاً هو ملك لشعب الله المختار ملك مستباح. هذا كلام غير مفهوم وغير مهضوم لأي كان، ولكن هكذا تكلمت التورات وهذه هي حدود إسرائيل المنشودة والعادلة والتي أعطاها يهو لشعبه المختار ضمن عقد عقاري موثّق على صفحات التوراة المقدسة بقوله: كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم ملكاً وتورثونه لأبنائكم من بعدكم

(6) **تاريخ ياهو ص 19 جرجي كنعان.**

هذا كلام قد لا يصدق ولكن صدق أو لا تصدق فهكذا جاء بالتوراة.

كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم لا يقف إنسان في وجهكم الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم.

تثنية 11:24-25

يعني أن نيل ارمسترونغ لو كان يهودياً لطالب اليهود بملكية القمر.

فحلف موسى في ذلك اليوم قائلاً إنّ الأرض التي وطئتها رجلك لك تكون نصيباً ولأولادك إلى الأبد.

تثنية 9:14

نعم هذه هي حدود إسرائيل كل مكان تدوسه بطون أقدامهم تكون ملكهم ولأولادهم من بعدهم وإلى الأبد وهذا أيضاً ما قاله بن كوريون: إنّ حدود إسرائيل هي آخر مكان تدوسه قدم الجندي الإسرائيلي. فهي إذاً دولة مفتوحة على الجهات الأربع وهذا يعني ليست دولة بلغة القوانين الدولية. وقال جهراً بن كوريون كيف تحدد أوراق تافهة حدودنا؟ مشيراً إلى الاتفاقات الدولية وعقودها كما أشرنا إليه سابقاً ويضيف بن كوريون أنّ عدم وضع دستور لدولة إسرائيل سيكون أكثر ملائمة لمقاصد الله التي عبّر عنها صراحة في أسفاره المقدسة. انتبه يا سيدي عدم وضع دستور هو أكثر ملائمة لمقاصد الله! فماذايقال بعد هذا المنطق.

إذا كانت صفحات التوراة تبث سموم الحقد والكره للغير بأبلغ معاني كلماتها، وإذا كان أنبياء ياهو تبث سموم العنصرية والدموية بأبشع صورها، فماذا ننتظر من إسرائيل بعد كل هذا؟ أليس من الطبيعي جداً أن تفرز هذه التلموديات والتوراتيات أمثال الحاخام عوبيديا يوسف، الأب الفاضل في المقياس اليهودي وهو أهم المراجع الصهيونية في وقتنا الراهن الذي قال ذات مرة وعلى الملأ بما معناه: إنّ أفضل العرب أمواتهم وعلينا أن نميت العرب كل العرب لأنّهم كذا وكذا.

وكذلك المجرم القاتل كولد شتاين الذي اقتحم الحرم الإبراهيمي على المصلين وقتل من قتل وكان لهذا أن جعلوا من قبره مزار يمجد فيه إجرامه. ثمّ لماذا نذهب بعيداً أليست أيادي كل زعماء إسرائيل ملطخة بدم العرب ولاسيما الأطفال؟ ثمّ ألم يكن جميع أولئك القتلة زعماء إسرائيل، أعضاء في عصابات إجرام وقتل خارجة عن القانون قبل أن تنشأ دولة إسرائيل أمثال عصابات الهاكانا والبالماخ والأرغون وشتيرن وغيرها، والتي أفرزت أمثال النتن ياهو والشرير شارون سيئي الذكر؟ أفليست هذه العصابات إفرازات توراتية حيث يقتدي يهود اليوم بأسلافهم المجرمين الذين كانوا دائماً رؤساء عصابات كمناحيم بيغن الذي كان زعيماً لعصابة الأرغون، واسحق شامير رئيس عصابة شتيرن حيث اقتدوا بقديسيهم أمثال الشرير داوود الذي كان كذلك رئيس عصابة وكانت هذه العصابة نواة مملكته هذا ما يؤكده سفر صموئيل الأول 2:22 وكذلك ابن القحبة يفتاح كان رئيس عصابة. وهو أعظم القادة القضاة لدولة اسرائيل سيدي القارئ أنالم أقل أن يفتاح كان ابن قحبة، ولكن التورات هي التي تقول إن يفتاح كان ابن قحبة ورئيس عصابة. انظر سفر القضاة 11:1-4. ثمّ هل نسيت بريطانيا أنّ مناحيم بيغن وشارون كانا ممنوعين من دخول بريطانيا في يوم من الأيام لأنّهما كانا مصنّفين ضمن لائحة الإرهابيين؟

فماذا بعد كل هذا ننتظر من الإسرائيلي الذي يلتهم عشقاً سموم هذه التوراة ويسكر بكاسات هذا المقت والحقد والجنون؟

لأنّه هكذا قال لي الرب إله إسرائيل خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها فيشربوا ويترنحوا ويتجننوا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم... وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكن في البرية...

سفر ارميا 25:15-24

وبعد كل هذا وهذا غيض من فيض أثقل صفحات التلمود والتوراة فهل من ساذج بعد يتصور أنّ إسرائيل حقاً تريد السلام مع العرب، بل هل إسرائيل يوماً ما أرادت شيء اسمه سلام مع أي شعب من شعوب الأرض؟

لنسمع ما يقوله عزرا وهو النبي النموذجي للتربية العنصرية:

والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد. **عزرا 12:9**

نعم هذا ما يعلم به أنبياء الله بوحي من قداسته لا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد ! فهل هناك في التوراة أي خير أو أي تربية أخلاقية توجه إلى سلام؟ أليس هدم المسجد الأقصى هو دأبهم وسعيهم المذموم والمستوحى من تعاليم توراتهم؟ أليس هدم معابد الغير فرائض مقدسة تمليها عليهم كتبهم الدينية.

هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار... **تثنية 1:12-3**

نعم يا سيدي هدم معابد الغير أوامر إلهية وجهاد مقدس

سيدي القارئ هذه هي تعاليمهم ! أفليست أفعالهم ترجمة حقيقية لتعاليمهم؟ أليست تسمية أكبر البواخر الصهيونية في عام 1948 بأسم الأرغون هو تيمن بعصابة القتلة وتعبير عن الشهوة الصهيونية لسفك دم الغير، واعتزازاً بما اقترفته عصابة الأرغون من جرائم دموية، أليس فتح شارع الأرغون في القدس فوق المقبرة الإسلامية هو انتهاك لحرمة مقدسات الأغيار وامتثالاً لهذه الفرائض التوراتية؟ أليس إقامة فندق هيلتون فوق مقبرة إسلامية هو تشفياً بالأموات حيث يقيمون حفلات عربداتهم ويشربون كؤوس خمورهم فوق تلك المقابر؟ هل كل هذه المشاريع الشيطانية حدثت اعتباطاً أو

صدفة أم تحدث بمخطط صهيوني خبيث؟ أليست كلمة الوحي هي التي قالت في عشرات الآيات: أحرقوا كل أخضر ويابس، اقتلعوا كل شجر مثمر، اقتلوا كل نسمة حيّة طفلاً ورضيعاً عجوزاً وكهلاً رجلاً وامرأة حماراً وبقراً الخ. وأنّ الله يطرد من أمامكم جميع شعوب الأرض لتسكنوا أنتم فيها وتورثوها لأبنائكم من بعدكم وإنّ الله يجعل هيبتكم ورهبتكم على كل الأرض ! نعم إن الله يجعل رهبتهم على كل الأرض فهل هناك تعليم إرهابي وعدواني أكثر من هذا؟ فهل لا زال في العالم من يجهل العقيدة اليهودية الشريرة والمترجمة على أرض الواقع في القتل والإفساد والإرهاب وهدم البيوت واقتلاع الأشجار كما نشاهد بأم عيوننا في مختلف الأقنية التلفزيونية؟ أليست أعمالهم الإجرامية هذه من تلك التعاليم التوراتية الشريرة؟

فتهدمون كل مدينة محصنة ومختارة وتقطعون كل شجرة مثمرة وتردمون كل عين ماء وتطمرون كل حقل خصب بالحجارة. سفر الملوك الثاني **19:3**

هذه هي تعاليمهم المقدسة هذه هي أخلاقهم التي نسبوها إلى الله.

فقام رجال إسرائيل وهجموا على الموآبيين وهزموهم فدخلوا البلاد وهم يطاردونهم ويهدمون مدنهم وكلما مروا بحقلة خصبة رماها كل واحد منهم بحجر حتى طمروها وردموا كل عين ماء وقطعوا كل شجرة مثمرة...

سفر الملوك الثاني 25:3

وهذه هي أفعالهم فهل يصدق العالم سلامهم، وهل هناك حاجة لنذكّر العالم بصبرا وشاتيلا تلك المجزرة التي راح ضحيتها بين 1500 إلى 2500 ضحية في سنة 1984؟ أم هل نذكّر العالم بمجزرة قانا ودير ياسين؟ وهل نذكّر العالم بمئات المجازر في المدن والقرى؟ أم هل نتحدّث عن إرهاب الاغتيالات؟

إذا انتحل شخص جواز سفر يضبط ويوضع في السجن هذا في كل الأعراف والقوانين فماذا يمكن أن نقول عن إسرائيل كدولة حين انتحلت جوازات سفر كندية لعناصر في الموساد أثناء محاولة الاغتيال الفاشلة لخالد مشعل في الأردن؟ هل نضع إسرائيل في السجن أم هي فوق الشبهات وفوق القانون؟

هل نتحدث عن هذه الاغتيالات وهذه الانتهاكات، أم نتحدث عن جرائم من نوع آخر؟ هل نذكر العالم بدفن الأسرى وهم أحياء أم كان قد نسي السادات -1200 أسير مصري - الذين أعدمتهم إسرائيل سنة 1973 حين دقّ خازوق في وحدة الصمود العربي في وجه المد السرطاني بزيارته النحسة لإسرائيل؟ هل هناك حاجة يا سيدي القارئ لفضح سادية وسادومية الشرطة الإسرائيلية في سجون الاحتلال واستغاثة المعذبين والمغتصبين من شاشات التلفزة وقد خبرها العالم من أقصاه إلى أقصاه والقضايا لا تنتهي! أليست تلك السادومية إقتداءً بالسلف من سبط بنيامين الذين كانوا جميعاً شاذّين جنسياً كما يخبرنا سفر القضاة التاسع عشر؟ هل نسي العالم نساء وصبايا دير ياسين الذين عروهم من ثيابهم واغتصبوهم وداروا بهم في حافلات عبر شوارع القدس الغربية تمتعاً بساديتهم واستقاءاً من تعاليم توراتهم بعد أن قتلوا من سكان القرية 254 فلسطيني؟

فقال الرب كما مشى عبدي اشعيا معرّى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش هكذا يسوق ملك آشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الاستاه خزياً لمصر. اشعيا 3:20-4

هذه هي تعاليمهم ومن هنا جاءت أفعالهم فهل يرجى سلامهم؟ قد يقول ساذج وأنا آسف لهذا التعبير قد يقول قائل عن طيبة قلب وحسن نية: إنّ المفاوضات تقول غير هذا، وإنّ الواقع يقول غير هذا وإنّ الإعلام يقول غير هذا وإنّ الإسرائيليين يقولون غير هذا نعم إن الإعلام المضلل يقول غير هذا إلا أنه يقصف ويدك العقول السطحية بينما تقصف طائرات الدولة العظيمة أطفال العراق وتدك دبابات صهيون بيوت المدنيين الفلسطينين.

عزيزي القارئ إن الإعلام إن لم يكن مُضلَل فهو مُضلِل لأنّ الواقع يقول ما أقول والتاريخ يشهد على ما أقول والتوراة هي مرآة لما أقول. أما المفاوضات ليست إلا عمل فني آني للانتقال من مرحلة إلى مرحلة جديدة ومن حالة إلى أخرى. وهذا كله ليس إلا تكتيك سياسي يستغبي به الإسرائيليون عقول العرب بأسم النوايا الحسنة وزرع الثقة وهم يعملون أعمالهم السوداء ويذهبون في تنفيذ

برامجهم ومخططاتهم التوسعية الخبيثة كما الورم السرطاني الذي يتمدد أمام عجز الطب وهكذا تتمدد إسرائيل أمام عجز العرب. وعندما تعجز إسرائيل عن التمدد ستطرح نظرية الخضوع للأمر الواقع، وتتمسكن إلى أن تتمكن ومن ثم تبدأ من جديد في التمدد وهكذا أما السلام الحقيقي فليس له وجود في القاموس اليهودي ولا في استراتيجية التطلعات الإسرائيلية أبداً لأنّ السلام هو نقيض استمرارية، إسرائيل والشر هو لب استمرارية اليهودية. فهل توقفت إسرائيل عن بناء المستوطنات؟ وهذا سؤال له شأن عظيم في استراتيجية السلام ثمّ هل توقفت إسرائيل حتى اليوم عن هدم بيوت الفلسطينيين؟ وهل تعلم يا سيدي ماذا يعني خراب البيوت؟ فليخرب بيت كل من لم يحسّ بهذه المأساة الإنسانية. ثمّ هل سمحت إسرائيل للفلسطيني حتى ولو بترميم بيته الذي دكته دبابات وجرافات الاحتلال؟ ألم تخنق إسرائيل الفلسطيني بشتى الوسائل لتهجيره؟ فهل من بناء المستوطنات الإسرائيلية وهدم البيوت الفلسطينية يُبنى السلام يا كرام؟ هل من تهجير الفلسطينيين أصحاب الأرض واستقطاب حثالة العالم ومزابله تشيّد أسس السلام يا أصحاب المساعي الحميدة؟ هل أحسستم بشرّ العذاب الذي يعاني منه الفلسطيني كل يوم؟ أليس ما هو أمرّ من الموت الذي يفتح شهية المعذِّب الفلسطيني إلى الموت؟ أليس الظلم بأنواعه يلعن الحياة ويبارك الاستشهاد والأعمال الفدائية المقدسة والتي تطهر من كل آلام الظلم التي يعاني منها الفلسطيني المقهور تجبّراً وعدواناً ؟ فوق أي رمال متحركة تشيّدون صروح الثقة يا مساكين؟ وفوق أي فوهة بركان ترفعون الراية البيضاء يا دعاة السلام؟ أنتم تشبهون حمامة السلام التي تبني عشّها في فوهة مدفع لا زال ساخناً ولن يبرد أبداً طالما يقذف الشرور وطالما المحرّك التوراتي يدور في الرأس الإسرائيلي، ولن يسكن هذا المحرك ما دام هناك قناة مفتوحة لسكب الزيت على النار من أمريكا حتى إسرائيل.

إذن من السذاجة جداً أن يصدق أحدنا أنّ إسرائيل تفرش لنا السجّاد الأحمر للوصول إلى سلام حقيقي، بل هي تفرش كما نرى الدم الفلسطيني لتصل

عبره لتحقيق أيديولوجية صهيونية في شهوانية الدم والقتل. نعم وصحيح أنّ إسرائيل تزعم أنّها تريد السلام ولكن ليس أي سلام يا دعاة السلام بل إنّه سلام من نوع فريد إنّه السلام التوراتي الغريب الذي يكون الاستسلام أرحم منه إنّه أظلم من استسلام الشاة للجزّار إنّه أمرّ من الموت. نعم يا سيدي المحترم إنّه سلام أمرّ من الموت، فهل تعلم يا صديقي ماذا تقول التوراة بشأن السلام؟ هل تعلم بأي شكل فصّل الله السلام في مفهوم اليهود وقال للأغيار البسوه؟ فتعالوا لنقرأ مفهوم السلام كما يدور في رأس التوراتي الصلب الرقبة وهو ما يعلم به يهو:

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً (تقتلها قتلاً) الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك. تثنية 20:10-17 كل هذه الشعوب تباد ولا تستبقي نسمة منهم أما ما لم تستطيع إبادته فيكون لك عبداً للتسخير جميع الشعب الباقين من العموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل ان يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم.

ملوك الأول 9: 20 - 21

تفضّل يا سيّدي هذا هو التصوّر الإسرائيلي للسلام وهذا الكلام وحي مقدس أملته على أنبياء ياهو تلك البومة التي قالوا عنها حمامة الروح القدس، وهذا التصوّر هو من ثوابت العقيدة والدين اليهودي.

فماذا أقول بعد كل هذا؟ وهل لا زال شك في كل ما ذهبتُ إليه؟ وهل من حُرّ شريف يكذّب ما أقول بعد كل هذه الشواهد؟ هل حقاً تحاملت على الصهيونية ظلماً وعدواناً ؟ أنا أحتقر نفسي إن احتقرت أو كرهت اليهودي، كإنسان وألعن نفسي ألف لعنة إذا لعنت يهودي مرة واحدة من حيث هو بشر مثلي ولكن أكره كل مكروه تؤمن به الصهيونية وعقائدها الشريرة، وكل ما أقوله ليس إلا بلسماً مطهراً من العبودية ومن كل ما هو غير إنساني ليعيش هذا اليهودي بوئام إنساني في هذه الأسرة البشرية كغيره من البشر وكفى دموية وعنصرية وفساد.

عودة لمتابعة صفات الله في التوراة.

يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق. مزمور **1:94**

إنّ قضية النقمة في مفهوم اليهودية مسألة فريدة في مسلكها فهي أمر محرم على كل الشعوب باستثناء الشعب المختار الذي له امتياز النقمة والتحريم (الإبادة) لهذا أنهى الله عن النقمة كل الشعوب وأناطها بنفسه وشعبه المختار فقط لا غير. يقول الله:

أليس ذلك مكنوز عندي مختوماً عليه في خزائني لي النقمة والجزاء.

تثنية **35:32**

ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديب في الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة لجميع أتقيائه.

مزامير **149**

أي تقى تلده النقمة وأي كرامة يخلفه المقت والحقد... إنّ من يجد مبرراً لهذه النقمة أقول له استحي قليلاً وإن لم تستحي فالعب على هواك ولا رادع.

الخطف والاغتصاب أمر مشرّف وبوحي من الروح القدس أو الحمامة المقدسة إن شئت، فخليلات الإسرائيليين وهنّ حليلات في سنّة التوراة وعدالتها

وهي شريعة الغاب التي يعلم بها شيوخ بني إسرائيل وأنبيائها. ومن تلك النواميس التي يتشرّف بها التوراتيين نقرأ في تث 21:10-13:

إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبياً ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها زوجة لك فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلّم أظفارها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك وتبكي أباها وأمها شهراً من الزمان ثمّ بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة.

نعم السبية المسكينة يجب أن تحقَر وتهان لكي تصلح كزوجة وتدخل في عداد شعب الله المختار هذه هي طقوس قبول الأغيار في صفوف الأخيار.

في بعض أفلام عصابات الصياعة والبلطجية وهي من قصص الواقع حين ينضم بلطجي جديد إليهم يقوم افراد العصابة بضربه بلا رحمة إلى أن تنهار قواه كالثور الخائر، ومن ثم يقوم الزعيم بإغتصابه وهذه طقوس الإهانة لا بد منها في قبول عنصر جديد في صفوفها حتى تبقى عينه مكسورة وهكذا عصابة ياهو لكي تقبل السبية في شعب الله المختار يجب أن تهان وتحقر قبل أن تغتصب كسبية مخطوفة فهي مباحة وللخاطفين الحق أن يعملوا بها ما يحلوا لهم ويوماً ما إذا فكرت برفع عينها يذكرها بيوم سبيها وإذلالها كما في عصابة البلطجية.

كما نقرأ:

فإذا خرجت بنات شيلوه ليدرن في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين. سفر القضاة 21:21

ولكن لا بد من السؤال هنا كيف تبيح التوراة الخطف والاغتصاب؟ هل نساء وبنات الأغيار حلال مستباح في الناموس الموسوي؟

تجيبنا التوراة على هذا السؤال وبكل وقاحة إذ تقول:

فإذا جاء آباؤهن أو أخواتهن لكـي يـشكو إلينـا نقـول لهـم ترأفـوا علـيهم لأجلنا لأننا لم نأخذ لكل واحد امرأته في الحرب.

سفر القضاة 22:21

تفضَل يا سيدي حقاً إنّ هذا هو العذر الأقبح من الذنب والسخيف جـداً، إذ أنّ التوراة وطبعاً بوحي من الروح القدس تبرر هذا الخطف كحق شرعي كما أنّ خطف النساء في الحروب والغزوات ليس من الظلم والاغتصاب بشيء!

قد يقول قائل هكذا كانت أعراف وتقاليد الغـزوات والحـروب في سـالف الزمان، ولكن هذا يقدح في قدسية الوحي وعدالته في كل وقت، فالظلم هو الظلم اليوم والأمس. ثمّ هذه الأعـراف التـي كانـت في سـالف الأزمـان لا زال اليهـود يستقونها مـن تـوراتهم ويمثلونهـا عـلى أرض الواقـع. ثـمّ إذا كـان الإسرائيليـين لا يؤمنون بقدسية هذه التعاليم اليوم، لماذا لا يرمونها في سلة القاذورات كما يليق؟

السرقة

السرقة: من الأفعال الذميمة في ناموس الأمم منذ نشأتها لذلك قال الشرع لا تسرق. وجاء العبريين ليسرقوا هذا الشرع وينسبوه إلى إلههم تحت وصايا الله، ولكن حسناً فعلوا لو لم تفسد عنصريتهم في جوهر عدالة هذا الناموس وأخلاقه الإنسانية، إذ أنّ السرقة في شرع يهو محرمة ولكن فقط إذا كانت السرقة من اليهودي أي أنّ الشرع اليهودي يقول لا تسرق من أخيك أو قريبك فقط. أما غير اليهودي فاسرق واعمل السبعة وذمتها ولا حرج.

هذا هو التشويه في الوجه الحضاري لنواميس الأمم الذي انتهجه اليهود وهذا من أهم أسباب كره الأغيار لليهود.

لاتسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

سفر الخروج 15:20

وتث 19:5

أما سرقة الأغيار فهي مستباحة في شرع الله كحق مقدس طالما الله أراد هذا وأوحى لأنبيائه بصريح العبارة حاثاً على السرقة والنصب والاحتيال.

وفي قصة الخروج يقول الرب لموسى: يا رايح كثر القبائح

فيكون حين تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين.

سفر الخروج 21:3

هذا في حالة السلم أما في حالة الحرب والغزوات فحدّث ولا حرج.

وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم... كما أمر الرب.

سفر السفاح يشوع 14:11

نعم كما أمر الرب، إذاً الرب يأمر بالسلب والنهب وتشرفاً بالسلب والنهب كما أمر الرب تَسمّى كثير من العبريين بأسماء تعني سارق ولصّ وما شابه مثل جنوبت بمعنى سارق، ومهير حاش بز ومعناها سريع النهب والسلب وهو ابن النبي اشعيا. انظر قاموس الكتاب المقدس في معاني هذه الكلمات.

ولكن قصة أخبار جنوبت هذا الواردة في ملوك الأول 20:11 تثير الضحك قليلاً.

يقول الراوي يا سادة يا كرام في هذه القصة إنّ هدد وهو أحد خصوم سليمان وداوود هرب إلى فرعون مصر وهو لا زال طفلاً، ثمّ إنّ هذا الفرعون لم يزوجه ابنته بل زوجه أخت زوجته الملكة تحفنيس وأنجبا طفلاً أسماه جنوبت والتي تعني بالعبري سارق. ثمّ يضيف الراوي عنصراً مشوقاً إلى هذه القصة المعقولة جداً حيث يقول: إنّ تحفنيس الملكة فطمت الطفل. ولا يذكر الراوي لماذا لم ترضعه أمّه حتى أرضعته الملكة إلى أن فطمته. ولكن في هذه القصة الساذجة لا أريد أن أشير إلى الصعوبة في التنسيق العقلي والمنطقي بين قول التوراة مراراً أنّ العبريين الرعاة كانوا دائماً أنجاس في نظر المصريين وكيف ارتقوا إلى شرف هذا الحسب والنسب مع الفراعنة؟ ولكن أسأل الراوي هل نسي أنّه قبل بضعة أسطر ذكر أنّ سليمان عدو هدد كان قد اخذ من ابنة فرعون له زوجة، فكيف يهرب هذا الطفل هدد إلى فرعون حمو سليمان وينال كل هذا الرضا والشرف حتى يزوجه من أخت الملكة؟.

انظر سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر.

الكذب والخديعة
من صفات يهو وشعبه المختار

إذا كان أنبياء ياهو يصفون ربّهم بالغش والخديعة، فكيف لا يقتدي اليهود بربهم في هذه الخصلة الحميدة؟

فقلت آه يا سيد الرب حقاً أنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس.

ارميا **10:4**

سلالة الأنبياء:

الكذب والزنا والخطيئة وبكل ما تعنيه الكلمة من معنى فهي بر وإحسان في نظر الله إذا خدمت مصلحة الإسرائيليين، لذلك يحسن الله إلى المنافقين والخونة ويختار الزناة من بين الأمم ليجعل لهم نصيب في أسلاف الأنبياء والقديسين، هذه السلالة الشريفة التي تتبارك في نسلها جميع الأمم.

فأحسن الله إلى القابلتان اللتان كذبتا على فرعون. خروج **19:1**

ولكن نزاهة الأخلاق تقتضي منطق اللا تقال لا والنعم تقال نعم، وإن زاد عن ذلك فهو من الشرير. إذا كان إبراهيم خليل الله تزوج من أخته سارة كما هو معروف وقال لها:

في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي وهذا معروفك الذي تصنعينه معي. تك **13:20**

وعندما رآها فرعون وسأله عن زوجته فقال له إبراهيم هي أختي، ولما علم فرعون بأنها زوجته قال له فرعون: لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجة لي والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب. تك **19:12**.

وثانية قال إبراهيم لأبي مالك عن سارة بأنها أخته فأخذها أبي مالك إلى بيته ولما علم بأنها زوجة إبراهيم أعادها إلى زوجها. تك **1:20**

فإذا كان هذا السلوك الخسيس الدنيء من إبراهيم، فليس كثيراً على نسله من بعده أن يسلك سلوكه وينهج منهجه في قلة الشرف وانعدام الناموس ليتطبع بهذه السيرة المشينة، لذلك نجد ابنه اسحق يقول على زوجته بأنها أخته. تك 7:26- مع العلم أن اسحق لم تكن أخته لا من أبيه ولا من أمه. فهذا النسل الطاهر الذي تتبارك به جميع الأمم بحسب تك 10:28-14

الكذب والنفاق المتوارث في نسلهم ليس بيت القصيد بالنسبة لنا، وإنما الوقاحة تأتي بعد أن أنجب الديوث الثاني اسحق ابنه إسرائيل، وإسرائيل فخر المذاهب السماوية والذي أنجب بدوره يهوذا الذي زنا مع كنّته أرملة ابنه التي قابلته بشكل امرأة زانية واعترف أمام الجميع كما سنرى أنّ هذه الزانية أشرف منه، والآن نقرأ قليلاً مما جاء في سفر التكوين الإصحاح الثامن والثلاثون:

15- فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها. 16 - فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي. 17- فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم فقالت هل تعطيني رهناً حتى ترسله. 18- فقال ما الرهن الذي أعطيك فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه... 24- ولما كان نحو ثلاثة شهور أُخبر يهوذا وقيل له قد زنت تامار كنتك وها هي حبلى أيضاً من الزنا فقال يهوذا أخرجوها فتحرق. 25- أما هي خرجت أرسلت إلى حميها قائلةً من الرجل الذي هذه له أنا حبلى وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصاة هذه. 26- فتحققها يهوذا وقال هي أبرأ مني. 27- وفي ولادتها إذ في بطنها توأمان فارص وزارح، فارص أنجب حصرون وحصرون أنجب آرام وآرام أنجب عميناداب وعميناداب انجب نحشون ونحشون أنجب سلمون الذي تزوج من راحاب زانية أريحا بحسب متى 1:3-5.

فمن هي هذه الزانية راحاب؟ تقول التوراة انه عندما دخل الإسرائيليين مدينة أريحا قتلوا كل من في المدينة بحد السيف من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير ولم يستحيوا من المدينة إلا راحاب الزانية وأهل بيتها وذويها.

يشوع 21:6

وإذا خطر سؤال على بالك يا سيدي القارئ لماذا قُتل كل من في المدينة إلا راحاب الزانية؟ والجواب المستنتج من منطق التوراة وأخلاقها يقول: لأنه لم يكن يوجد في كل أريحا سوى زانية واحدة ليضموها إلى شعب الله المختار

لأن الطيور على أشكالها تقع والذين مثلنا تعالوا لعندنا، لذلك جاءت الرسالة إلى العبرانيين لتقول:

راحاب الزانية لم تهلك مع الخطاة لأنها قبلت الجاسوسان اللذان دخلا بيتها واضجعا هناك عندها. عبرانيين 31:11 ويشوع 1:2 ولما سئل عليهما كذبت وقالت لست أعلم اين ذهب الرجلان اسعوا سريعاً وراءهما حتى تدركوهما، أما هي فأطلعتهما على السطح لذلك حسب الله لراحاب الزانية هذه الكذبة برّاً، إذ قسم لها نصيب وتزوجت من سلمون من سبط يهوذا فصارت في سلسلة نسب الملك داوود الذي غدر باوريا الحثي قائد من قواد جيشه بعد أن زنا مع زوجته الزانية التي تعرّت على السطح لتظهر مفاتنها الساحرة جداً بقصد الإغراء. ومن ثمّ قام داوود بعد تلك التجربة الناجحة والموفقة بالزواج من تلك اللعوب وخلّف منها نبينا سليمان عليه السلام حتى أصبحت هذه الراحاب والتي تصفها التوراة بالزانية، أصبحت إحدى جدات المسيح الذي ولد من عذراء بحسب إنجيل متى 5:1.

ليس هذا وحسب بل هناك جدة ثانية تشكّل حلقة ذهبية من حلقات ذلك النسل الشريف الذي تتبارك به الأمم ألا وهي راعوث انظر سفر راعوث. الإصحاح الثالث.

وموجز قصة راعوث هذه أنها بعد أن ترملت وعملت كلاقطة سنابل في الحقول المحصودة لتتعيش منها هي وحماتها فأشارت عليها هذه الحماة القوادة - كأسلافها ابراهيم واسحق - ذات مرة أن تلبس أجمل ما عندها بعد أن تغتسل وتتدهن بأطيب عطورها وتترقب صاحب ذلك الحقل الذي كانت تعمل به، واسم صاحب هذا الحقل هو بوعز وعندما ينام هذا البوعز عليها أن تنسلّ إلى فراشه كانسلال الحية تحت التبن. والصورة واضحة تستغني عن الشرح، رجل ينام في حقله وحيداً في فرشته وفجأةً يجد امرأة في حضنه كعطية سماوية لا ينالها إلا من أنعم الله عليهم بالمفاجآت السارة والممتعة كهذه العطية الربانية. فهل من حاجة لشرح الحكمة المقدسة التي تقول: إن اضجع اثنان يكون لهما دفء أما الواحد فكيف يدفأ؟

الجامعة 11:4

فهل هناك من حاجة لتفسير ما حصل في تلك الفراش الدافئة والعامرة بالحنية؟ أنا لا أظن أنّ هناك حاجة لشرح ما حصل في هذه الفرشة الدافئة، لأنّ الحنش الفردوسي الذي همس في أذن حواء ذات مرة حتماً اقتحم عشّه الطبيعي والمغمور باللذة المنشودة وهذا من حقه. المهم وبعد أيام تحنّن بوعزنا لما كان قد استطعمه في تلك الليلة المخملية وكأنّها حلم من أحلام مكبوتي الجنس، وعلى قولك يا أم إبراهيم جرّبني مرة تستعملني كل مرة. وعلى أثر هذا قرّر الزواج من هذه الغنوج وأنجب منها طفلاً هو عوبيد أبو يسى وجدّ داوود النبي وبهذا تدخل القديسة راعوث ضمن سلسلة النسل الطاهر الشريف، وبقي أن نعرف أنّ هذه الراعوث موآبية أي من نسل الحرام الذي جاء من مضاجعة النبي لوط لابنته الكبرى. حسب سفر التكوين 19:31-37

نعم إنّ الله يحسن اختيار الزناة مثل هذه الراعوث وتلك الراحاب زانية أريحا، ويجعل لهنّ نصيب في سلالة أنبياء شعب الله المختار. ولكن هل تعلم سيدي الفاضل من هو جدّ داوود هذا البوعز الذي يعرّفه قاموس الكتاب المقدس بالشكل التالي: بوعز معناه ذو العزة وهو رجل فاضل من نسل يهوذا. ولكن قد لا تعلم أنّ هذا الفاضل هو الابن الشرعي جداً الذي ولدته راحاب زانية أريحا من سلمون. انظر متى 1:5 وهذا السلمون والبوعز هما أحفاد يهوذا نتيجة زنا يهوذا مع كنته تامار. انظر كتاب ميلاد المسيح في الإصحاح الأول من إنجيل متى وانظر أيضاً قصة يهوذا ابن إسرائيل وزناه مع كنته تامار بحسب تكوين 38:12-30

نعم سيدي الفاضل أبناء الزنا أيضاً لهم نصيب في المجد والشرف في ريادة صفوة الأمم، وأنا آسف لهذه الألفاظ السوقية والشوارعية، ولكن للأمانة أنقل تماماً ما ترويه لنا التوراة. هذا الكتاب المقدس وبكل صدق وأمانة وذلك للعلم والتعريف وهاتوا دليلكم إن كنتم صادقين. ثمّ أليس كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليمْ والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر. كما جاء في 2 تيموثاوس 3:16 ولنا هنا أيضاً نجم يشرق ويبرق من خلال صفحات هذه الكتب المقدسة إنه النبي صموئيل إذاً لنأتي إلى قصة صموئيل من أولها لأن فيها

المغزى الروحي الذي لا بد من اخذ العبر منه للتعليم والتقويم والتأديب الذي في البر:

حدث أنّ في تاريخ هذا الشعب المقدس من الله أنّه كان هناك أسرة مكونة من رجل وزوجتين فقط لا غير إلا بضع أولاد وبالرغم من أن اسم إحدى هاتين الزوجتين كان حنة إلا أنّ الله لم يتحنّن عليها بثمرة البطن وإنّ لله في مقاصده شؤون، أما الزوجة الثانية كان اسمها فننة وكانت هذه الفننة تتقن جيداً التفنن في مشاكسة ضرّتها تلك المعثّرة وتفرم على قلبها البصل بكلماتها الحادة مثل السكين وتعيرها بعقمها الأشبه بشجرة يابسة التي لا تصلح إلا لتدفئة الحمّام. وهذا ما حمل حنة إلى أن تسعى لحل مشكلة هذا العقم مهما كلفها الأمر، وهي تعرف الطريقة جيداً، فحملت خطتها في رأسها وقادت زوجها العجوز خلفها إلى هيكل الرب في شيلوه وهنا لبّ القضية، ففي هيكل الرب هذا يخدم أبناء عالي ككهنة وهم حفني وفنحاس وكان هذان الفحلان قد جعلا من خيمة الاجتماع في هيكل الرب كرخانة لمضاجعة النساء، أي جعلوا من بيت الرب بيت للدعارة. فكانت أي امرأة تأتي إلى هناك لا تسلم من هذا الشرف الرفيع وهذه البركة المقدسة.

وشاخ عالي جداً وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع. صموئيل الأول 2:22-

ولكن التوراة لا تذكر ماذا حدث لحنة خلف الستار في هيكل الرب بالرغم من أنها أطالت كثيراً . إلا أنّ التوراة تقول إنّ عالي ظنها ثملة من السكر فقال لها حتى متى تسكرين انزعي خمرك عنك. **صموئيل الأول 14:1**

فقالت لا سيدي إني أطلب ثمرة البطن لأنذرها للهيكل، وكان لها ما أرادت. وجاء صموئيل الذي يتشرف فيه كل من يسمي باسمه. أما القضية الأهم من هذا النبي هي أن لنا مثلاً آخر وهو النبي يفتاح التي تصفه التوراة بابن الزنوة لا أعلم إذا كانت تنصفه أم لا ولكن هذا على ذمّة الراوي التوراتي كما جاء في سفر القضاة 11:1-: وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس وهو ابن امرأة زانية وبالرغم من تاريخه الأسود إلا أن النبي صموئيل وجد فيه أمانة من يهو في إتمام

وعده على يده ونحن لا زلنا في السيرة الرديئة للنبي يفتاح الذي يتشرف به العهدين كما رأينا، فالمشكلة ليست أن النبي يفتاح كان ابن زانية كما تنصفه التوراة أحياناً وليست المشكلة أيضاً أنّه أحرق ابنته وحيدته قرباناً للوثن كما مرّ معنا سابقاً، وأيضاً ليست المشكلة بأنّه كان قاطع طريق جمع حوله عصابة من اللصوص وقطاع الطرق كما جاء في سفر القضاة.

فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام في أرض طوب فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه.

سفر القضاة **3:11**

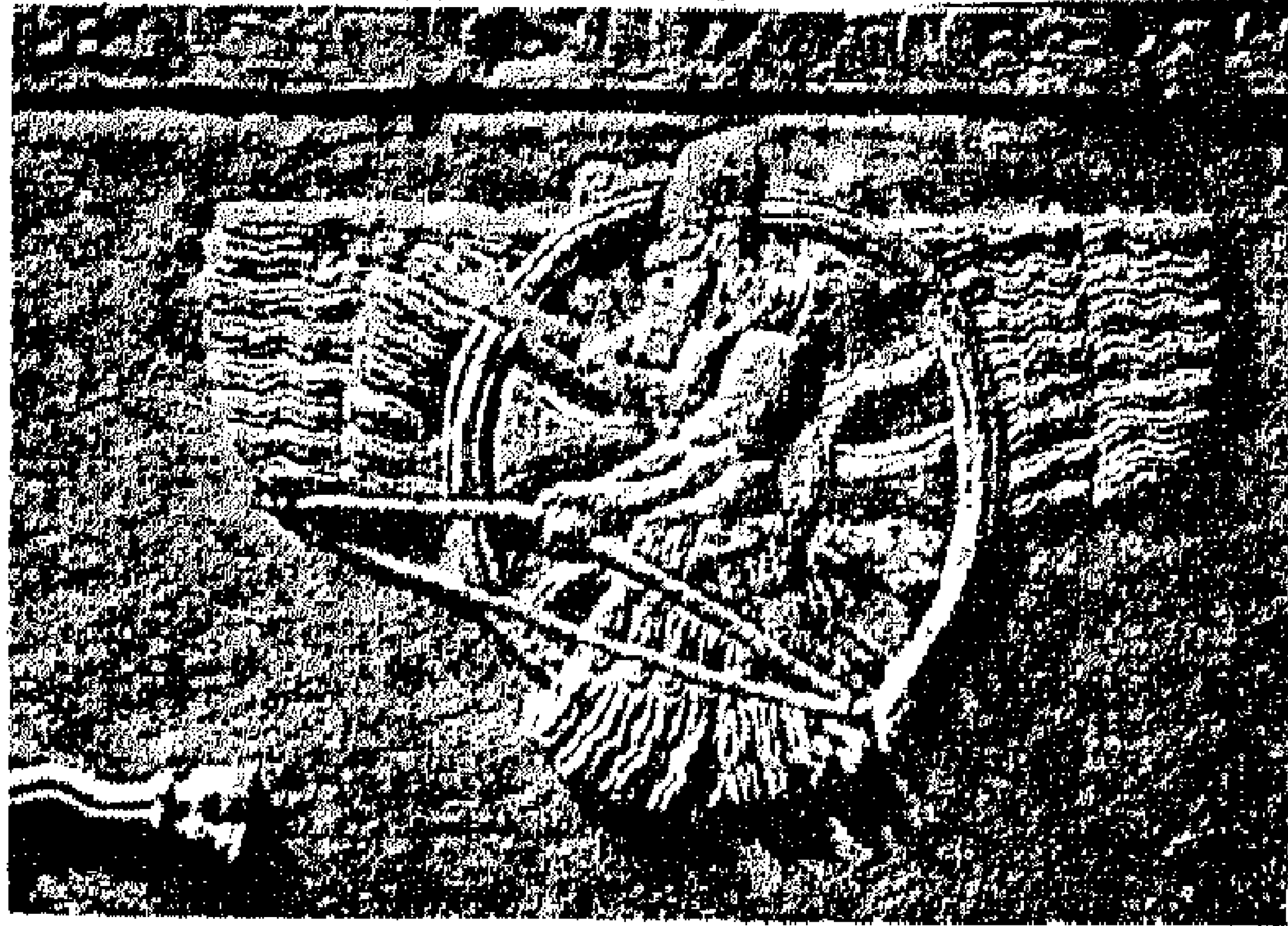
هذه الموبقات كلها ليست مشكلة بالنسبة لنبي قدّسته التوراة والأناجيل، وإنّما المشكلة بل القباحة الكبرى أنّه لا يوجد شيء اسمه مشكلة مع شعب مقدس ومميز عن كل الشعوب. أقصد لا يوجد مشكلة لشعب طالما أنّ الله أباح له ما يستهوي وبعقد موثق في كتب سماوية مقدسة بصيغة تقول: أخرق أحرق اسرق افسق في كل ما هو للغير لأنّ في هذا برّ ومنفعة للشعب المقدس.

شمشون

ومن جبار البأس يفتاح كما يحلو للتوراة أن تسميه، نأتي إلى جبار بأس آخر بل أعتى وأشرس من يفتاح الذي أصبح اسمه رمز من رموز القوة والشرف بحسب أهواء محرري التوراة وهو أشهر قضاة إسرائيل وربّما أعدلهم، إنّه شمشون الجبار وهذا الشمشون لم يكن ابن امرأة زانية كيفتاح بل هو نفسه كان من أزنى زناة عصره وخلال عشرين سنة من حكمه كقاضي لأمة إسرائيل وهذه سيرة حياة ابن منوح الذي أسماه شمشون تيمناً بإله النور السوري شمش أي الشمس. انظر صورة الشمس المجنّحة.



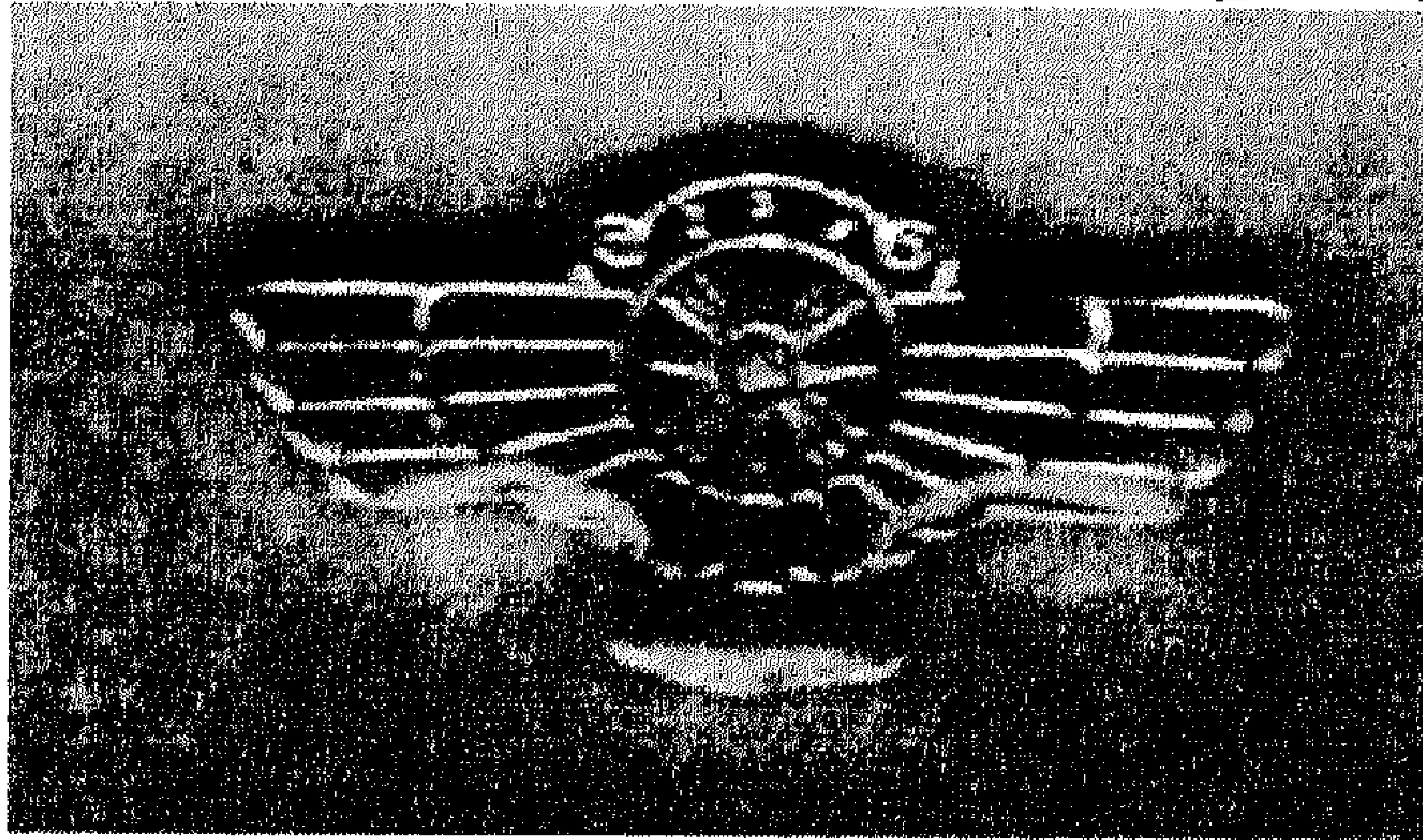
رمز آخر للاله آشور



الاله آشور وقد برز من قرص الشمس المجنح في هذا العرض الرمزي
تنطبق عليه صفات البطولة اكثر من يهوا

وهي صورة الإله شمش الذي يقول عنه النبي ملاخي: تشرق شمس البر في أجنحتها. ملاخي **2:4**

وكان للقوة العجيبة التي وسمت بها التوراة جبّارها شمشون أن تأخذ مكاناً مرموقاً في القصص المسلية للمسحورين بقدسية التوراة ومريديها ولاسيا الأطفال، وأول عمل قام به شمشون هو أنّه كغيره من النجوم التوراتية خرج عن الناموس إذ تزوج امرأة من الأغيار وبالرغم من أنّ موسى هو الذي وضع هذا الناموس، أو الرب وضعه من خلال وحيه لموسى رجل الله بحسب خر 16:34 وتث 3:7 بقوله لا تتزوجوا من الأغيار الغلف لأنّهم أنجاس غير مطهرين. إلا أنّ موسى كان أول من شقّ عصا الطاعة على الله بهذا الشأن إذا تزوج من امرأة حبشية (كوشية) غير المرأة المديانية التي أحياناً تحسبها التوراة من شعب الله المختار وأحياناً أخرى تحسبها من الأغيار وكان هذا سبب خلاف ونزاع بين موسى من جهة وأخته مريم وأخوه هرون والشعب من جهة أخرى. انظر عدد (1:12).



كوكب آثور في قلب الشمس المجنحة

على أية حال ما لنا ولموسى ونحن في سيرة جبارنا شمشون ودون سابق موعد صادف شمشون أسداً فقتله حين كان ذاهباً لخطبة زوجة له من الأغيار الغلف الأنجاس كما تسميهم التوراة، ولكي تحلو هذه الملحمة البطوليّة فلا بد من تحليتها بالكثير من العسل تعويضاً عن شهر العسل في هذا الزواج المبارك جداً .

ففي عودته إلى خطيبته للمرة الثانية وجد في جثة هذا الأسد عشّ للنحل وبهذه السرعة العجيبة أفرزت تلك النحلات كثيراً من العسل وسبحان الله والجثة لم تصبح جيفة كما يجب وليس فيها أي رائحة كريهة. ولكن ما فات نبينا هنا هو أنّ الله أحجم عنه التنبؤ لصناعة البلاستيك التي تأخّر اكتشافها وإلا كان سيزعم هذا النبي أن جثة الأسد هذه لم تجفّ وتفوح رائحتها لأنّها بقدرة قادر تحولت إلى جسم بلاستيكي كما كان بعض أصحاب الكرازة التبشيرية يقصّون علينا قصة سليمان الحكيم والزهرتين عندما كنا أطفال والتي كانت تروي أن جماعة من الأوغاد والكفار أرادوا أن يجرّبوا النبي سليمان لكي يحرجوه فأحضروا له زهرتين إحداهن صنعت من البلاستيك- وكأنّ البلاستيك كان معروفاً يومها- والأخرى زهرة طبيعية وبالرغم من عطرها الفوّاح إلا أنّ سليمان كان مصاب بالزكام على ما يبدو مما تعثّر عليه شم رائحة ذلك العبق.

وليس لنا بطول الحديث وإن كان شيّق، المهم قال أولئك الأوغاد لسليمان الحكيم: اعرف لنا عن بعد أي الزهرتين ليست حقيقية؟

ولأنّ حكمة سليمان مكّنته من مخاطبة جميع الحيوانات كل بلغتها لذلك سهل عليه هذا الامتحان وللتو استشار بالنحلة التي أوحت له عن الزهرة الطبيعية، وهكذا انتصرت الحكمة على الجهل وصفق الأطفال لهذه الرواية. أما عن شمشوننا والأسد غير البلاستيكي يقول الراوي يا سادة إنّ شمشون الجبار قتل الأسد، ووالديه لم يعلما بالأمر بالرغم من أنهما كانا يسيران معه قاطعين طريق طويل وحدهم من صرعه وهي المدينة التي كان يقطنها شمشون إلى تمنة وهي مدينة فلسطينية تسكنها زوجة شمشون المنشودة. وطبعاً شمشون الجبار لم يخف من الأسد وهو حي، فكيف يخاف منه وهو ميت، بل تقدم منه وجنى عسلاً جنى من هذه الجيفة التي لم تنتن. فأكل وأعطى والديه اللذان لم يسألاه من أين لك هذا، لأن هكذا سؤال مشاكس قد يزعج البعض من الحاخامات الذين كنزوا أموالاً من جيوب اليتامى والأرامل بل حتى من الأموات كما حفاري القبور وفي قصة شمشون وصلنا إلى حفلة الزفاف. وليظهر هذا البطل المغوار ما فيه من قوة إلهية

وحكمة ربانية. وطبعاً وهو حكيم زمانه إنّه قاضي إسرائيل الذين أنار لهم الله عقولهم دون بقية الأوباش قام هذا الحكيم بطرح على طاولة التحدي أذكى وأمتع أحجية مطلسمة عرفها التاريخ حيث لا يرقى إلى معرفتها إلا من كان فيه روح فاضلة على حدّ رأي مدرسي التوراة ومريديها. وطلب شمشون من الفلسطينيين أن يفسروا له هذا اللغز والذي يقول: من الأكل خرج أكل ومن القوي خرجت حلاوة وفي رواية أخرى من الجافي خرجت حلاوة. (الجافي أي النتن).

قضاة 14:14

هل هناك لبيب يرقى إلى فهم هذا اللغز طبعاً لا. بالرغم من أنّ شمشون أعطاهم مهلة سبعة أيام حيث قال لهم شمشون: سألقي عليكم أحجية فإن وجدتم حلها الصحيح في سبعة أيام الوليمة، أعطيكم ثلاثين قميصاً و ثلاثين حلة ثياب، أما إن عجزتم عنها فتعطوني ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب (تجارة ظنها مربحة ولكن لسوء حظه انقلب السحر على الساحر) وانقضت ثلاثة أيام من غير أن يجدوا لها حلاً، إلا أن زوجته خانته وأخبرتهم الحل بعد أن أباح لها، ولأنّ شمشون هو قاضي إسرائيل لا يملك هذه الثياب التي راهن عليها لذلك قام وقتل ثلاثين فلسطينياً من مدينة اشقلون واخذ ثيابهم وأعطاها للفائزين وعمل على رأي المثل (من دهنتهم اقلي لهم) فلم يخسر شيئاً ثمّ زعل من زوجته (يا حرام) التي خانته في تواطئها مع أبناء جلدتها، ولم تمض شهور حتى دبت فيه الحنية وتذكر أنّه كان لديه غزالة حيث شردت منه، وأخذ يغني: كان عندي غزال وشرد مني وأنا دبت فيّ الحنيّة. فذهب إلى حموه ليستعيدها إلا أنّ هذا الحمو كان قد أعارها لرجل آخر فإن أراد أختها فهي شاغر ويبدو أنّ شمشون كان حبه للحبيب الأول لذا رفض هذا العرض من حموه وغضب غضباً شديداً مما حمله للانتقام من الفلسطينيين. إذ اصطاد ثلاثمائة ثعلب (يبدو أنّ مدون التوراة يجد متعة بالرقم ثلاثمائة لذا علق به كما سنجد) ولكن أنا عقلي لا يستوعب كيف استطاع جبارنا شمشون أن يربط كل ثعلبين من ذيلهم بشعلة نار وإطلاقهم في حقول القمح وباتجاه واحد

ومتوازي (وكأنهم مقادين بجهاز توجيه عن بعد كما في أفلام الكرتون) حتى أحرقت هذه الثعالب كل محاصيل الفلسطينيين.

وتتابع التوراة سرد ملحمة شمشون البطولية حيث عثر هذا الجبار على فك حمار طري ولا أعلم ما غاية التوراة من ذكر طراوة هذا الفك الذي أخرجته طرياً من فك الراوي الملهم من الروح القدس. على رأي تيوتاكسل. المهم إنّ شمشون تناول فك الحمار هذا وقتل به ألف رجل وعلينا أن لا نتعجب كيف استطاع أن يقتل ألف رجل بفك حمار لأن خصوبة خيال الراوي التوراتي لغزارتها تبقى تتحفنا بكثير من هذه التحف البطولية والتوراة هي كتاب أعاجيب من هذا النوع. فهذا البطل الآخر يشبعام بن حكموني الذي هزّ رمحه على ثلاثمائة قتلهم دفعة واحدة(يبدو أن الرقم ثلاثمائة كانت موضة درجت في الحكايات الشعبية آنذاك لذلك نقرأ في نفس السفر وفي الإصحاح عينه عن بطل آخر وهو البطل ابشاي وهو أخو يوآب هو أيضاً هزّ رمحه على ثلاثمائة فقتلهم جميعاً دفعة واحدة). أخبار الأول 11:11-20 المجد لله في الآعالي وعلى الأرض المعجزات وعلى الناس أخذ العبر. بهزة رمح قتل كل واحد منهم ثلاثمائة لا أقل ولا أكثر ومع هذا لم يفز أحدهم بالرقم القياسي بالقتل بهزة رمح، لأن لسوء حظهم كان الفوز من نصيب يوشيب بشبث التحكموني الذي قتل بهزة رمح ثمانمائة دفعة واحدة بحسب صموئيل الثاني 8:23. تصوري يا سيدتي الرشيقة كيف تتصاغر كل البطولات الفدائية والكمكازية أمام هزّة الرمح ولكن أنا لا أعلم شيء عن طريقة هذا الهزّ التوراتي، هل كان هزّ غربي على أسلوب مايكل جاكسون الكريه المنظر والمقرف، أم كان هزّ شرقي بأسلوب فيفي عبدو التي تسعدني خفتها؟ على أية حال حتى أنّ هزّة قفا فيفي عبدو تتصاغر أمام هزّة أقلام مدوني التوراة. أما شمشوننا الجبار الذي قتل ألف رجل بشيء من الجهد تقول التوراة: ظلّ قاضياً لإسرائيل عشرين عاماً دون زوجة حزناً عميقاً على زوجته التي طلقها دون أن يهنأ بها في أول يوم زفافه وفي تلك الساعة السوداء التي أعمت الحمامة بصيرته. لم تنفعه مرارة ندمه بشيء ولكن شيئاً واحداً كان يواسيه عن هذا وعن تصريف ذلك الزخم من طاقاته

الجنسية الجامحة هو أنّه كان دائماً يتطاير كفحل الدبور على الصدور من زانية إلى زانية ومن قحبة إلى شرموطة. وأثناء تردده على إحداهن في مدينة غزّة كما تروي لنا التوراة إذ دخل عليها ذات مرة وهذا ما فجّر نار الغيرة والحسد عند شباب غزّة المراهقين والحسودين جداً الذين نصبوا له كميناً أمام بابها. إلا أنّ التوراة لا تذكر كيف خرج من عندها وخلع لا باب الزانية بل مصراعي بوابة المدينة بقائمتيها ولكن من أي باب خرج ومن أي شباك هرب فلم تذكر التوراة هذا. وبعد ذلك تعرّف شمشوننا الجبار على زانية ثانية من غزة أيضاً . وكأن تحت كل خيام العبريين لم يكن هناك قحبة تثير غريزة الشهوة الجنسية لشمشون بالرغم من أنّ العبريات كانت تنصب خيامهن على مفارق الطرق لتنفرج أرجلهن لكل عابر كما الرقم المقدس 7 أنظر حزقيال 25:16 لذا ركز على الفلسطينيات حتى احتالت تلك الزانية الغزاوية عليه بتكليف من أبناء جلدتها الفلسطينيين بانتزاع سرّ قوته من لسانه. فأتى عليه الفلسطينيين وهو نائم وجزّوا شعره وأوثقوه بسلاسل من نحاس وسملوا عينيه. وتصور التوراة الفلسطينيين بتلك السذاجة التي جعلتهم ينسوا بهذه السرعة أنّ سر قوته كامن في شعره وحالما طال شعره وهو أسير يبدو من المنطق التوراتي والعجائبي أنّ يديه أيضاً طالت مع شعره عدة أمتار مما مكّنه من أن يمسك بعمودي المعبد الذي كان مأسوراً فيه وقال قولته العدوانية الخبيثة والمشهورة جداً : علي وعلى أعدائي، وسحب العمودين وهبط المعبد على شمشون ومن كان فيه حتى أنّ الذين ماتوا في هذه المرة تقول التوراة كانوا أكثر من جميع الذين قتلهم في كل حياته. وقد حسب هذا الشمشون ضمن كوكبة القديسين الذين تتشرف بهم الكتب المقدسة. وبحسب ما جاء في الرسالة إلى العبريين إذ تقول:

(وهل من حاجة بعد لمزيد من الأمثلة إنّ الوقت لا يتسع لي حتى أسرد أخبار الشرف والإيمان عن جدعون وبارق وشمشون ويفتاح وداوود وصموئيل)

فبالإيمان تغلّب هؤلاء القديسين على ممالك الأعداء وحكموا حكماً عادلاً ونالوا ما وعدهم به الله وبه أطبقوا أفواه اسود.

عب 11:32-33

أفلا تطبقوا أفواهكم أيها الكفرة وتعدلوا عن هذه الثرثرة.

انظر سفر القضاة 13 و14 و15و16

من شمشون الجبار نقفز إلى رئيس عصابة آخر وهو الملك داوود بعد أن نشير إلى الملك يهورام الذي أول عمل أنجزه هو قتل اخوته الستة أول تسلمه السلطة. انظر 2 أخبار 4:21

أما الملك العظيم داوود قبل أن يملك كان قد جمع حوله كل قطّاع الطرق والفارين من وجه العدالة والخارجين عن القانون: اجتمع إليه كل رجل متضايق (مكروه) وكل من كان عليه دين (هارب من وجه العدالة) وكل رجل مرّ النفس (شرير) فكان عليهم رئيساً وكان معه نحو أربع مائة رجل (من السفلة والحثالة). أنظر صموئيل الأول 2:22

هذه هي أنبياؤك وهذه هي قديسوك يا ابنة صهيون فقمة الشرف الأقتداء بهم وتعليم ابناءكم وبناتكم هذه السيرة المشرّفة لتبقوا على العهد الذي قطعه الله معكم ومع بنيكم من بعدكم لترثوا الأرض ومن فيها يا شعب الله المختار وأبناءه القديسين!

إذا رغبنا أن نسبر مع فضولنا في التعرف أكثر على أخلاقيات الأيديولوجية التوراتية لا بد لنا أن نقلّب أكثر في هذه المزابل وتحديداً إذا تطرقنا إلى فواحش الزنا والدعارة في سوء سلوك العبريين ولاسيما وطء المحارم. نقرأ مبدئياً شيء من سفر اللاويين، ثمّ نأتي على التفسير والبيان والإثبات.

وكلّم الرب موسى قائلاً : 4- أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها أنا الرب إلهكم 5- فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها أنا الرب 6-لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة أنا الرب 7- عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف إنّها أمك لا تكشف عورتها 8- عورة امرأة أبيك لا تكشف إنها عورة أبيك 9- عورة أختك بنت أبيك أو بنت

أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها 10- عورة ابنة ابنك أو ابنة ابنتك لا تكشف عورتها إنها عورتك 11- عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك 12- عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك 13- عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك 14- عورة أخي أبيك لا تكشف إلى امرأته لا تقترب إنها عمتك 15- عورة كنتك لا تكشف إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها 16- عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك 17- عورة امرأة وبنتها لا تكشف ولا تأخذ ابنة ابنها او ابنة ابنتها لتكشف عورتها إنهما قريبتاها إنه رذيلة 18- ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتها 19- ولا تقترب إلى امرأة في نجاسة طمثها لتكشف عورتها 20- ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع فتنجس بها 21- ولا تعط من زرعك للإجازة لمولك لئلا تدنس اسم إلهك أنا الرب 22- ولا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة إنه رجس 23- ولا تجعل مع بهيمة مضجعك فتنجس بها ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها إنه فاحشة.

سفر اللاويين الإصحاح الثامن عشر

بالرغم من أن هذه المفاهيم والقيم الأخلاقية في العلاقات الجنسية كانت من البداهة الأخلاقية المتعارف عليها اجتماعياً آنذاك، إلا أن الشرائع المدنية لدى جميع الأمم والشعوب كانت صارمة في معاقبة من يتجاوز هذه الأعراف. وسنشير إلى بعض تلك المواد في محلّها ولكن هل التزم العبريون بتلك القوانين أو وصيّة الرب تلك؟ الحقيقة أنهم انتهكوها وعملوا على عكسها تماماً وأزادوا بشاعةً كما سنرى، وليس الإنسان العادي في إسرائيل وحده من اقترفها وحسب، وإنما أيضاً أعظم ملوك وأنبياء اليهودية أيضاً، وبقيت هذه الدعارات في المجتمع اليهودي حتى أيام المسيح حيث يؤكد لنا قاموس الكتاب المقدس أنّ الملك هيرودوس ملك اليهود أيام المسيح كان يمارس الجنس مع أخته برنيكي[7].

(7) انظر قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان برنيكي أو أغريباس (هيرودوس)

إن لم تكن المجتمعات العبرية من حثالة المجتمعات فإنّ كل ما جاء في التوراة ساقط وحتماً كتابها أسقط. ولكن إذا صدق كتاب التوراة في قولهم أنّ السيد الرب يقول عن إسرائيل:

أنّ سدوم التي أمطرها الرب كبريتاً على فسقها لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك

حزقيال 48:16

وإذا صدق كتاب التوراة بكل ما جاء على صفحاتها إذاً فلا مجال للشك من أن الجماعات العبرية كانت من أفسد المجتمعات وليشهد شاهد من أهله.

بدايةً لنبدأ مع أبو الأنبياء إبراهيم خليل الله (وإن كان الله لا يأخذ صاحباً) ونرى هذا الخليل الصاحب ماذا فعل بوصية خليله التي تقول:

عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها إنّها اختك. لاويين 9:18 لأنه ملعون من يضجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه. تث 22:27

هكذا حذرت وصايا الله من انتهاك هذه المحرمات وأمرت بالقتل من يقترف هذه الكبائر ولكن إلى أي مدى حفظ خليل الله هذه الوصية؟ تعالوا لنسمع لأقوال إبراهيم المتهم في هذه الجريمة:

وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة. **تك 12:20**

ألم تعلم يا أبونا إبراهيم بأنه إذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين شعبهما (يقتلان أمام الجماعة)، قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه.

لاويين 20: 17

إذاً إبراهيم الخليل أبو الأنبياء تزوج من أخته بنت أبيه، وبهذا ضرب وصية صاحبه ايل عرض الحائط. ثمّ أخيه ناحور لم يكن أشرف من أخيه إبراهيم بل كان أكثر قرفاً هو الآخر إذ تزوج من اليتيمة ملكة ابنة أخيه هاران الوصية التي ائتمنه

عليها أخيه بعد موته. انظر سفر التكوين 11:27-29 وقاموس الكتاب المقدس ص 994

لا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها مع أختها. **لاويين 18:18**

وهنا صدمنا بإسرائيل بالذات وأخيه عيسو أيضاً اللذان انتهكا قدسية وحرمة هذه الوصية أما يعقوب الذي هو إسرائيل فقد خدم خاله سبع سنين من أجل أن يزوجه راحيل ابنته الجميلة وعند انتهاء السبع سنين أدخله خاله على ليئة غدراً وهي ابنته الكبيرة، وفي الصباح اكتشف أنّ خاله خدعه، وبالتالي اتفق من جديد مع خاله بأن يخدمه ست سنوات أخرى وزوّجه من راحيل أختها، وبهذا جمع إسرائيل بين أختين منتهكاً هذه الوصية:

فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب هب لي بنين وإلا فأنا أموت. **تك 1:30**

وبالرغم من أن يعقوبنا عاش سبع سنين في بيت خاله مع راحيل التي أحبها وأخذها بالأحضان عند لقائه الأول بها على البئر حيث عرفها بإلهام ربّاني، أما ليئة البشعة ذات العيون الدجاجية العماء moon blind والتي يصورها بعض الرابيين كمسخ حيواني لبشاعتها monster فبالرغم من كل هذه الأمور، إلا أنّ يعقوب كان قد أعمي على قلبه فلم يعرفها عند دخلتها الميمونة (لأن خاله كان قد أطفأ النور عليهم ووضع قطن في أذنه لئلا يسمع صوت صهيلها المفارق لتأوهات أختها والتي ألفها جيداً . وبالمناسبة يبدو أن هذه الليّة 'أخذت إسمها من لية الغنم، لأن لابد أنه كان لهذه الليّة زوجة يعقوب خلفية تتدلى كما ليّة الغنم، لهذا سميت ليّة).

تعلق المدراش على هذه القصة والمدراش هي عبارة عن كتب مقدسة عند اليهود، تشرح التوراة: ناحت راحيل: كيف تمضي ليلة كاملة مع أختي دون أن تلاحظ الفرق بيننا ولا مرة واحدة؟ ألم تلمس شعرها الخشن؟ ألم تشعر بيديها السمينتين الثقيلتين حولك؟ وعندما قبّلت حلمتيها كما اتفقنا ألم تدرك مباشرةً أنّها لم تكن أنا وانّه كان عليك أن تفتش عنها على بطنها أو على الوسادة إلى جانبها. التوراة ترجمة وتعليق سهيل ديب ص 32

وكذلك عيسو أخو إسرائيل جمع بين أختين هما محلة بنت اسماعيل أخت نبايوت (تك 9:28) وبسمة بنت اسماعيل أخت نبايوت. تك **3:36**

عورة أخت أبيك لا تكشف إنها عمتك. لاويين 12:18 (وهنا أكل الكوسا أبو موسى الذي كانت عمته له عروسة)

إذاً وصلنا إلى أبو النبي موسى المشرع الأول في التوراة:

وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى

(خروج 20:6)

فإذا كان الزواج كما في الوصية من العمة أخت الأب حرام، فهذا يعني أنّ موسى هو ابن حرام.

قد تتفتق عبقرية المبرر أو المفسر التوراتي فيقول إنّ كل ما ذكر كان قبل نزول الوحي على موسى وهذا لا يدين السلف الصالح. نعم وأنا أيضاً أعلم أن الأفاضل دائماً يبحثون عن قشّة الغريق لكنها لا تسعفهم حتماً لأن التبرير يقدح في نبوة إبراهيم ونسله حتى موسى. وإلا فما هو مفهومهم للنبوة؟ ولكن سوف لا ندقق بهذه الكبائر كثيراً وندعها جانباً لنقلّب في صفحات النتن يهوية من موسى وحتى هيرودوس أيام المسيح لنغلق على ذوي العصمة كل أبواب التذرّع والتبرير، وطبعاً علينا أن لا ننسى من أن نتكمم لئلا نصاب بالزكام المتأتي من روائح النتن يهوية في هذه المزابل. فتعالوا نقرأ وحي النبي حزقيال الذي أوحاه له الرب فماذا يقول عن أمة إسرائيل؟ الحقيقة أن حزقيال أسقط ستار الشرف الذي تلحّف به شعب الله المختار وعرّى كل الفساد والنجاسة اللذان ألبسا الحشمة والطهارة زوراً لهذا الرعاع وأظهر حقيقة إسرائيل كما هي فعلاً.

يقول النبي حزقيال في الإصحاح الثاني والعشرين في أمة إسرائيل:

هكذا يقول السيد الرب: أيتها المدينة السافكة الدم يا نجسة الأسم يا كثيرة الشغب 6- هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم 7- فيك أهانوا أباً وأماً في وسطك عاملوا الغريب بالظلم فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة 8- ازدريت أقداسي ونجست سبوتي 9- كان فيك أناس وشاة لسفك الدم

وفيك أكلوا على الجبال في وسطك عملوا رذيلة 10- فيك كشف الإنسان عورة أبيه فيك أذلوا المتنجسة بطمثها 11- إنسان فعل الرجس بامرأة قريبة إنسان نجّس كنته برذيلة إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه 11- فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم أخذت الربا والمرابحة وسلبت أقربائك بالظلم ونسيتني يقول السيد الرب.

هذا ما يوجزه حزقيال عن هذا الرعاع وسنأتي على إثبات وتصديق صحة هذه الأقوال مفصلةً، ولكن الآن نقرأ ما يضيف حزقيال في قوله عن أمة إسرائيل **حز 23**

ويتابع النبي حزقيال وحيه عن أمة إسرائيل بقوله في الإصحاح الثالث والعشرين:

2- يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة 3- وزنتا بمصر في صباهما هناك دغدغت ثدييهما وهناك تزغزغت ترائب عذريتهما 4- واسمها اهولة الكبيرة واهوليبة أختها وكانتا لي وولدتا بنين وبنات وأسماهما السامرة اهولة وأورشليم اهوليبة 5- وزنت اهولة من تحتي وعشقت محبيها اشور الأبطال 6- اللابسين الاسمانجوني ولاة وشحنا كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل 7- فدفعت لهم عقرها لمختاري بني اشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم 8- ولم تترك زناها من مصر أيضاً لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم 9- لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بني اشور الذين عشقتهم 10- هم كشفوا عورتها أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكماً 11- فلما رأت أختها اهوليبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا أختها 12- عشقت بني اشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس الفرسان راكبين الخيل كلهم شبان شهوة 13- فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحد 14- وزادت زناها ولما نظرت إلى رجال مصوّرين على الحائط صور الكلدانيين مصوّرة بمعزة منطّقين بمناطق على احقائهم عمائمهم مسدولة على رؤوسهم كلهم في المنظر مركبات شبه بني بابل الكلدانيين أرض ميلادهم 16- عشقتهم عند لمح عينها اياهم وأرسلت إليهم رسالة إلى أرض الكلدانيين فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجّسوها بزناهم

فتنجّست بهم وجفتهم نفسها 18- وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها 19- وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بارض مصر 20- وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل 21- وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدي صباك.

وفي حزقيال 23:16 يقول السيد الرب: بعد أن اعتنيت بك أحسن اعتناء رجست جمالك وفرجت رجليك لكل عابر طريق وأكثرت زناك 26- وزنيت مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك لاغاظتي 27- فها انذا قد مددت يدي عليك ومنعت عنك فريضتك وأسلمتك لمرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتي يخجلن من طريقك الرذيلة 28- وزنيت مع بني اشور إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي أيضاً 29- وكثّرت زناك في بني كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبعي ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة 31- ببنائك قبتك في رأس كل طريق وصنعك مرتفعتك في كل شارع ولم تكوني كزانية بل محتقرة الأجرة 32- أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها 33- لكل الزواني يعطون أجرة هدية أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك 34- وصار فيك عكس عادة النساء (الزواني) في زناك إذ لم يزني ورائك بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك فصرت بالعكس 44- هو ذا كل ضارب مثل يضرب مثلاً عليك قائلاً مثل الأم بنتها 45- ابنة أمك أنت الكارهة زوجها وبنيها وأنت أخت أخواتك اللواتي كرهن أزواجهن وأبنائهن أمّكن حثية وأبوكن اموري 48- حيّ أنا يقول السيد الرب إن سدوم أختك لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك.

(حزقيال الإصحاح السادس عشر)

نعم إن سدوم التي أمطرها الرب كبريتاً على فسقها لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك. هذه كانت لمحة سريعة أوجزها لنا حزقيال حول المستوى الأخلاقي المنحط في المجتمع الإسرائيلي آنذاك وهذه هي التربية

المشرّفة التي يتلقنها اليهودي من كتبه المقدّسة ليكون شريف جداً، فاتّعضي يا بنت صهيون من سلفك الصالح !!

والسؤال الوجيه جداً لمريدي التوراة ولن يصدقوا الجواب وهو: هل يوجد في كل أنحاء العالم وفي كل مراحل التاريخ سفلة دون هذا المستوى المنحط؟

إذا كان بعض مفسري الكتب الدينية يتهربون من هذه العيوب المذكورة بالتوراة بقولهم إنّ هذه الأمور وبّخ بها الأنبياء للعبريين على عباداتهم المقصود بها رجاسات الأصنام والوثن.

إنّ هذا الكلام الساقط سقوط زاعميه عاري عن الصحة تماماً ولاسيما ذكرهم لألفاظ لا يمكن أن تعني شيء آخر أبداً كقولهم: جنود اشور شبان الشهوة أتوك إلى مضجع الحب وفرجت رجليك لكل عابر سبيل وضاجعوك ولم يعطونك أجرة وسكبوا زناهم عليك وزنيت بمصر الذين منيهم كمني الخيل. كيف يكون لهذه العبارات معاني أخرى وأين الشرف والصدق في تفسير هذه المعاني؟ أين النزاهة والأمانة في اللابسين عباءة الفضيلة والاحترام وكيف تترجم القحبة إلى قديسة والزانية إلى شريفة والعاهرة إلى مصونة؟

على أية حال لتفنيد ادعاءات أولئك المنافقين الذين احترفوا الرياء، وللتأكيد على حقيقة هذه الأمور ومعانيها الصريحة والصحيحة لا بل القبيحة والقبيحة جداً، سنشير إلى هذه العبارات مثبتين صحة مقاصدها. وإليكم الدليل الذي لا يقوى عليه نكران يقول حزقيال 22:7- فيك أهانوا أباً .

وقال موسى: ملعون من يضجع مع امرأة أبيه لأنّه يكشف ذيل أبيه.

تثنية 20:27

وبينما كان إسرائيل يقيم في تلك الأرض مضى راوبين وضاجع بلهة زوجة أبيه وعلم إسرائيل بالأمر. **تك 35:22**

وبكل بلادة علم إسرائيل بالأمر ولم تهزه نخوة وكأنّه أمر عادي جداً . كل ما قاله لأبنه هو: إنّك فائر كالماء ولن تظلّ متفوقاً.

فأين تلك اللعنات الثقيلة التي ألفها أنبياء ياهو من أجل أتفه الأسباب، من أجل أن صور قالت (هه) على أورشليم قال الله سيجعلها خراباً أبدياً، من أجل أن زوجة لوط نظرت خلفها لترى ما يحدث لسدوم وعامورة حولّها الله إلى عمود من الملح، من أجل أنّ حام رأى عورة أبيه دون سابق تصميم ورغماً عنه لعن الله ابنه كنعان ! ! !

لأنّك فائر كالماء لذلك لن تظلّ متفوقاً لأنّك اضجعت في فراش أبيك صعدت على سريري فدنسته.

تك 4:49

إنّك فائر كالماء ولن تظلّ متفوقاً . هذا كل ما قاله إسرائيل جزاء هذه القباحة مع أنّ شرائع الأمم كانت تدين هذه الكبائر بقوانين صارمة. هذا الشرف الذي ناله الضيزن راوبين من زوجة أبيه إسرائيل. ولكن ماذا عن ابشالوم ابن الملك داوود أو النبي داوود إن شئت؟

الحقيقة أنّ ابشالوم كان الأضزن في مزاحمة أبيه على زوجاته، بل هو بطل الملحمة المقدسة في الفحولة والشرف وهذا ما يخبرنا به النبي صموئيل حيث يقول: إنّ ابشالوم استغلّ غياب أبيه الملك داوود وانشغاله بشؤون المملكة وما كان من ابشالوم إلا وأن ضاجع سراري أبيه العشرة ولا نعلم إن كانت أم ابشالوم ضمن أولئك العشر أم لا ولكن كل ما نعلمه هو أنّه ما حدث كان في مهرجان احتفالي جنسي حضره جميع إسرائيل حيث نصبوا له الخيمة على السطح والتفّ جمهور غفير حول حلبة هذه المباراة وبصياح وهتاف التشجيع والتصفيق الحار

فدخل الفحل ابشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل.

2 صم 22:16

حقاً إنّ فحولة هذا الأبشالوم مفخرة توراتية لا غبار عليها، عشرة من زوجات أبيه يدخل عليهم دفعة واحدة ودون أخذ لحظات راحة وأمام كل إسرائيل وقبل أن يحضر أبيه أتمّ مهمته. فعلاً أنها من سجلات البطولة

والشرف لا بل هي واحدة من معجزات الأنبياء التي تسجل لهم بأحرف من نور. إنّ هذه المباراة الشيّقة والممتعة جداً قام بها ابن الملك داوود كما يحدث تماماً في صالات العرض الحيّ للممارسات الجنسية في امستردام وغيرها من المدن، حيث يعرض في مسارح بيوت الدعارة مشاهد حيّة للجماع الجنسي فيأتي هذا الفحل ويضاجع اثنتين أو ثلاث من بنات الهوى والجمهور يشجّع ويصفق ليعود ثانيةً وثالثةً وقضيبه لا يزال ممجّداً ربّه منتصباً إلى أعلى ليعدّ النجوم ورافضاً قراءة الجريدة اليومية.

ولكن الفرق بين الفحل ابشالوم وهذا الفحل هو أنّ ابشالوم كان فحلاً حقيقياً بينما هذا المستفحل خدع المشاهدين حيث دهن قضيبه بمخدّر يجعله منتصباً لساعات دون أي إحساس جنسي.

قد يقول الأب الفاضل من أين لك أن تعرف يا كافر ما يحدث في بؤر الدعارة في امستردام إن لم تقع في ذلك الوحل من الخطيئة؟ نعم يا سيد هل تريد أن أقوم بطقس سرّ الأعتراف أمام كهنوتك والذي نسيته منذ عقدين أو أكثر؟ على أية حال إن وقعت بهذا المستنقع أم لم أقع، إن زرت هذه المحافل أم لم أزر فهذا ليس بالمهم فالمهم هو أن تعرف بأنّ بيوت الدعارة في كل أنحاء العالم مجتمعةً لا تساوي نقطة في بحر التوراة وهذا ما أثبته في هذا الكتاب.

أما إذا عدنا إلى قوانين الأمم الأغيار في هذه الانتهاكات فماذا تقول هذه القوانين؟

يقول حمورابي في شريعته التي سبقت موسى بأكثر من أربعة قرون بحسب المادة 157:

إذا اضجع رجل بعد وفاة أبيه في حجر أمه على المرء أن يحرقهما كليهما. انظر قوانين ما بين النهرين صفحة 77.

يقول النبي حزقيال 22:11 - إنسان نجّس كنته برذيلة.

وإذا اضجع رجل مع كنته فإنّهما يقتلان كلاهما قد فعلا فاحشة دمهما عليهما. لاويين 12:20

بهذا الشأن راجع مضاجعة يهوذا ابن إسرائيل لكنته تامار حسب تك 15:38 حيث أعفي عن الزانية بمجرد أنّها أثبتت أنّ الزاني معها كان يهوذا الأب الروحي لليهودية والذي في نسله الأنبياء بعد إبراهيم وإسرائيل.

أما العقوبة التي كانت تقتضيها شريعة حورابي بهذا الشأن فجاءت بالمادة 155 وتقول هذه المادة:

إذا اختار رجل عروساً لأبنه وتعرّف ابنه عليها جنسياً أي إذا جامعها واضجع هو فيها بعد في حجرها وضبطه المرء فعلى المرء أن يقيّد هذا الرجل ويرميه في الماء (الرمي بالماء: كان الإعدام غرقاً). (قوانين ما بين النهرين ص 76)

إن عرف الزواج بين الأخوة والأخوات كما كان في المملكة الحيوانية للإنسان البدائي كان قد عفا عليه الزمن منذ أجيال بعيدة جداً عن عهد إبراهيم الخليل بالنسبة للمجتمعات المدنية ولم يكن قد بقي له من أثر إلا فيما بين بعض الجماعات المتخلّفة كالجماعات العبرية والتاريخ العبري من خلال التوراة يؤكد لنا أنّ الزواج بين الأخ وأخته كان ناموس متعارف عليه شرعاً، منذ أن تزوج إبراهيم من أخته سارة وحتى أوقات متأخرة جداً وفي سفر حزقيال 22:11- ورد إنسان أذلّ فيك أخته بنت أبيه.

وهذه الآية لا تشير إلى الزواج بين الأخ وأخته وإنّما تشير إلى حالات الزنى والاغتصاب كالتي جاءت في قصة يرويها النبي صموئيل عن امنون ابن الملك داوود الذي اغتصب أخته حيث يقول في2 صم 13 - ثمّ قال امنون لتامار أحضري الطعام إلى السرير وأطعميني فأحضرت تامار الكعك الذي صنعته إلى امنون أخيها الراقد في سريره وما إن قدّمته له حتى أمسكها وقال لها: تعالي اضجعي معي يا أختي فأجابته: لا يا أخي لا تذلّني لأنّه لا يقترف مثل هذا العمل الشنيع في إسرائيل أرجوك لا ترتكب هذه القباحة إذ كيف اواري عاري أما أنت فتكون بتصرفك هذا كواحد من السفهاء في إسرائيل خاطب الملك بشأني فإنّه لن يمنعني من الزواج منك 14- فأبى أن يستمع لتوسلها بل تغلّب عليها واغتصبها.

إذاً قول تامار لأخيها خاطب الملك بشأني فإنّه لن يمنعني من الزواج منك ألا يعني هذا أنّ الزواج بين الأخوة والأخوات في المجتمع العبري كان عرفاً دارجاً ومعمولاً به؟

هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم.حزقيال **6:22**

ملعون من يقتل قريبه في الخفاء. تث **24:27**

هذه الصورة كثيراً ما نجدها عند رؤساء إسرائيل ونكتفي هنا بذكر أعظم ملوك إسرائيل النبي داوود وسفكه لدم أوريا الحثيّ فقط لأنّ زوجته كانت زانية جميلة أغرت داوود فزنا بها. **صموئيل الثاني 11:2**

وفي إحدى الأمسيات نهض داوود عن سريره وأخذ يتمشّى على سطح قصره فشاهد امرأة ذات جمال أخّاذ تستحم 3- فأرسل داوود من يتحرى عنها فأبلغه أحدهم: هذه بثشبع بنت أليعام زوجة أوريا الحثي 4- فبعث داوود يستدعيها فأقبلت إليه وضاجعها إذ كانت قد تطهّرت من طمثها ثمّ رجعت إلى بيتها 5- وحملت المرأة فأرسلت تبلغ داوود بذلك 6- فوجه داوود إلى يواب قائلاً : أرسل إلي أوريا الحثي فبعث به يواب إلى داوود 7- وحين مثل لدى داوود استفسر عن سلامة يواب والجيش وعن أنباء الحرب 8- ثمّ قال داوود لأوريا امضي إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وأرسل له هدية إلى بيته 9- غير أنّ أوريا لم يتوجّه إلى بيته بل نام مع رجال الملك عند باب القصر 10- فأخبروا داوود قائلين: لم يتوجه أوريا إلى بيته فسأله داوود: ألم ترجع من سفر فلماذا لم تمض إلى بيتك 11- فأجاب: التابوت وجيش إسرائيل ويهوذا معسكرون في الخيام وكذلك سيدي يواب وبقية قواد الملك مخيمون في العراء فهل آتي أنا إلى بيتي لآكل وأشرب وأضاجع زوجتي أقسم بحياتك لم أفعل هذا الأمر 12- فقال داوود لأوريا: امكث هنا اليوم وغداً أطلقك فمكث أوريا في أورشليم ذلك اليوم حتى الصباح 13- ولبّى دعوة الملك فأكل في حضرته وشرب حتى أسكره داوود ثمّ خرج عند المساء ليرقد في مضجعه إلى جوار رجال سيده ولم

يتوجه إلى بيته أيضاً 14- وفي الصباح كتب داوود رسالة إلى يواب بعث بها مع أوريا 15- جاء فيها اجعلوا أوريا في الخطوط الأولى حيث ينشب القتال الشرس ثمّ تراجعوا من ورائه ليلقى حتفه 16- فعيّن يواب أوريا في أثناء محاصرة المدينة في أشدّ جبهات القتال ضراوة حيث احتشد أبطال الأعداء 17- فاندفع رجال المدينة لمحاربة يواب فمات رجال داوود ومنهم أوريا الحثي.

ثمّ تزوج داوود من بتشبع زوجة المغدور به أوريا وأنجب منها سليمان وأما الأمر هذا الذي فعله داوود فقبّح في عيني الرب واحتقر داوود في نظر النبي ناثان الذي جاء يؤنّبه وضرب له مثلاً في الإصحاح الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني:

1- فأرسل الرب ناثان إلى داوود فجاء إليه وقال له كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير 2- وكان للغني غنم وبقر كثير جداً 3- وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة 4- فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه وبقره ليهيء للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه 5- فحمي غضب داوود على الرجل جداً وقال لناثان: حيّ هو الرب إنّه يقتل الرجل الفاعل ذلك 6- ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنّه فعل هذا الأمر ولأنّه لم يشفق 7- فقال ناثان لداوود أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول 8- وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا 9-ولماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرّ في عينه قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون 10- والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنّك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة 11- هكذا قال الرب ها أنذا أقيم عليك الشرّ من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين الشمس.

سفر صموئيل الثاني 12

في نهاية هذه القصة يراود القارئ بعض الأسئلة مثلاً : عندما كان اوريا يدافع عن شرف داوود والمملكة في جبهة القتال بينما كان داوود يفلح في شرف أوريا في قصره مكافئةً لأوريا على جهاده في حروب الرب ضدّ الأغيار. ولكن السؤال: لماذا ارسل داوود أوريا الحثي إلى البيت وقال له أنت قادم من سفر اذهب وضاجع زوجتك واسترح في البيت.

إني أركز هنا على هذه الكلمات لداوود: اذهب وضاجع زوجتك. ثمّ أرسل داوود هدية إلى البيت فهل كان داوود يقصد أن يستر جريمته هذه بعد أن أخبر بأنّ الزانية أم النبي سليمان حامل منه لكي يموه عن أبوية الوليد كمن يقول إن المولود هو من أوريا وليس ابن زنا ولكن التوراة تقول أنّ المولود مات فهل صحيح أن المولود مات أم هو ذلك النبي سليمان الصلاة والسلام عليه وأظنّ أنّ أقلام التقاة لفّقت قصة موته في هذا الخبر الكاذب لترقيع هذا العار حتى لا يقال أن سليمان النبي كان ابن زنا لأنّ ابن الزنا لا يدخل جماعة الرب حسب الشريعة الموسوية.

لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر تث **2:23**

ثمّ لماذا لم يتقبل أوريا هدية داوود كما قبض إبراهيم الألف من الفضة أجرة ليلة واحدة عندما نامت زوجته مع أبي مالك الفلسطيني كما جاء في تك 16:20

عندما نام أوريا الحثي أمام قصر الملك 2صم 9:11 ورفض النوم في بيته ألا يعني هذا أنّ أوريا بنفسه العزيزة أبت رؤية زوجته الخائنة؟ ثمّ حين رفض هدية داوود التي كانت كأجرة لمضاجعة زوجته، ألا يعني هذا أنّ أوريا الحثي وهو من الأغيار أنّه كان أشرف من كل أنبياء العبريين الذين قوّدوا على زوجاتهم كما إبراهيم واسحق وهوشع وغيرهم؟

ماذا يعني أن يقول أوريا لداوود وحياتك لن أذهب إلى بيتي وأضجع مع زوجتي. **2 صم 11:11**

إنّ كل الدلائل تقول إنّ أوريا الحثي علم بخبر خيانة زوجته مع داوود فأبت نفسه الدناءة بعد أن فاحت رائحتها في الوسط المحيط بالحاشية وأصبحت

قصتها الحديث اليومي على كل لسان. وكيف لا تفوح رائحة أم سليمان وما أدراك ما رائحة أم سليمان؟ وعرفها ذلك العبق الإلهي الذي لا يعلم ما نكهتها إلا نائلها ولا سيما بعد رؤيتها وهي تستحم أمام الملأ وكما خلقتني يا باري، فهل يوضع كل هذا الجمال تحت مكيال ليعتم على إبداع أجمل ما خلق الله وألذه؟ طبعاً لا لأن لا أحد يشعل مصباحاً ويضعه تحت المكيال بل يرفعه على الأكتاف ويقول اللهمّ ارزقنا ولداً صالحاً أو يرفع على المنارة – إن شئت – لكي يمجّد الله كل من يراه ويقول: سبحان الله الخالق على هذا الجمال وسبحان ذلك الجبّار الذي شقّه دون منشار وأنبت حوله دون بذار.

ثمّ نعود للسؤال ثانيةً لماذا أقام داوود وليمة لأوريا حتى أسكره ومن ثمّ حمّله رسالة فيها أمر قتله، فهل كان هذا شيء من تأنيب الضمير كمن يسقي الدجاجة قليلاً من الماء قبل ذبحها كما كان يحدث لضحايا الدراكولا الذي كان يجمع مساكين الشعب وفقرائهم وبعد أن يمدّ لهم مائدة دسمة يقوم بذبحهم جميعاً، أم أنّ داوود كان قد رمى يمين الطلاق على ضميره ولا من مؤنب فأخذ من أوريا الحثي وهو من الأغيار أخذ منه وسيلة سادية للتلذذ به قبل قتله حيث أسكره وتندر وتنكت به على مائدته ثمّ أرسله إلى حيث رسم له من الهلاك.

إنّها أسئلة يفضل صمت القبور على الإجابة عليها لئلا تبرر لأنّ تبريرها بحد ذاته جريمة بإطار وقح وسامها الروح القدس، ولكن عندما كبر سليمان وتسلّم زمام الأمور في المملكة لماذا قتل يواب قائد الجيش الذي نفذّ أمر قتل أوريا فهل اختلطت الأمور على نبينا سليمان حتى ظنّ سليماننا أنّ والده الحقيقي هو أوريا وليس داوود لأن لا بد من أنّه كان قد شيّع خبر قصة زنا أمّه مع داوود حتى بلغه الخبر الذي شوّش أفكاره، لذلك انتقم لأوريا الذي كان أبوه المفترض على الأقل والذي غدر به في جبهة القتال دفاعاً عن شرف داوود حيث قال سليمان لأبن ياهو: اقتل يواب وابطش به وادفنه وأزل عني وعن بيت أبي الدم الزكي الذي سفكه يواب.

ملوك الأول 2:28

ويكون بذلك سليمان قد طبّق شريعة الانتقام للدم بحسب خروج 14:21 - وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت.

وهكذا أخذ يواب من عند مذبح المعبد بعد أن كان قد استنجد بقرون المذبح (ملوك الاول 28:2). ومما لا بد من ذكره هو أنّ من كان يستنجد بقرون المذبح كان يغفر له مهما كان ذنبه إلا إذا كان ذنبه جريمة كهذه الجريمة التي لا يمكن أن تنسى أو تغتفر.

لهذا نجد أنّ أدونيا قد أعفي عنه عندما استنجد بقرون المذبح.

(ملوك الأول 50:1).

وقضية الاستنجاد بقرون المذبح هي بمثابة المذنب الذي يحمل كفنه ويذهب إلى طالب دمه ويقول له حياتي بيدك إن شئت اذبحني وإن شئت أعفو عني فأنا مدان لك بحياتي.

وهكذا كان من يستنجد بقرون المذبح يقول لطالب دمه أنا قربانك إن شئت اذبحني وإن شئت أعفو عني، لأنّ القرابين كانت تربط بقرون المذبح قبل ذبحها كما مرّ معنا في قسم القرن وبنهاية هذا النص الذي درسناه حول الفساد في المجتمع الإسرائيلي والصفات السلبية التي اتسم بها اليهود والتي نسبوها إلى الله كما لاحظنا في الصفحات السابقة وإلى جانب الآيات الكثيرة التي وصفت اليهود كشعب ممتاز ومختار ومصطفى من بين الشعوب.

إنّ عقدة هذا التعالي والتعجرف المقرف في تسمية اليهود ونعت أنفسهم بملح الأرض وجنود الرب وأبناء الله وخير أمة وإلى آخر ما هنالك من التعالي والعنصرية الحاقدة على الغير ذكرّني برأي آخر وهو أصدق من كل ما قيل في تقييم اليهود ووصفهم على حقيقتهم ويقول هذا الرأي حين سألوا آدم عن هوية اليهود.

أبا البرية:

أحقاً أنّ اليهود منك أم وهم فقال حواء طالقة مني إن صحّ قولهم

وبقي لنا ونحن نختم سيرة الفاضل داوود صلوات الله عليه أن نذكر مفخرة طالما تتباهى بها التوراة ومريديها وهذه المفخرة مفادها أنّ داوود

ويوناثان هم من أنبل الشخصيات في العهد القديم التي تتشرّف بهم التوراة. نعم هكذا تقول التوراة " من أنبل الشخصيات " وتزيد أن فيهم تجلّت روح الصداقة النموذجية في أبهى معانيها إذ تآلف قلبيهما الطاهرين البريئين بالحب الذي ثمّن فوق كل اعتبار دون استثناء حتى أنّ الوريث الشرعي والوحيد لشاول الملك بكر ملوك إسرائيل هو ابنه يوناثان، إلا أنّ تلك المحبة الربانية التي هبطت من السماء لتكتنف الحبيبين داوود ويوناثان سمت فوق أهمية هذه المملكة مما جعل يوناثان أن يتنحى عن الملك لداوود ويتآمر مع عشيقه ضدّ أبيه. والسؤال هنا لماذا كل هذه المحبة؟

نعم لماذا وكيف حدث كل هذا الحب الذي حمل أحدهم على عبادة الآخر وحمل داوود على كتابة أجمل أبياته الشعرية في التغزل بصاحبه يوناثان؟

تجيب التوراة على هذه الأسئلة وتبين الخفايا هذه التي سحرت ابن الملك بقولها:

إنّ داوود كان أشقر مع حلاوة العينين وجميل جداً . **1 صم 12:16**

طبعاً يا سيدي وكيف لا يكون داوود جميل جداً وكيف لا تنفجر براكين الهوى والغرام بين العاشقين بأقوى طاقاتها إذا كانت الشمس مسحت وجه داوود وتوّجت شعره بذهبيتها والسماء سكبت في عينيه جمال زرقتها ولا سيما أنّ داوود في حداثته كان قد أبدع في العزف على العود بشكل يأسر القلوب حسب تعبير التوراة.

وعندما مرض الملك شاول ويبدو أنّ مرضه كان مرضاً نفسياً لأنّ روح ردية كانت قد دخلته هكذا تقول التوراة، لذا أحضروا له داوود الفتى ليعزف له على العود ويخرجه من شيطانه أو يخرج شيطانه منه ولا فرق لأن هناك وحدة حال بين أولئك الأنبياء والشيطان. عندما رآه يوناثان ابن الملك سُرّ به جداً وتعلّقت نفسه بنفس داوود كما أنّ نفس داوود تعلّقت به وأحبا بعضهما كثيراً .

1 صم 1:18 و1صم 2:19

وبعد هذا اللقاء تفجرّت العواطف التي تصفها التوراة بالنبيلة بين الحبيبين الجميلين وعندما التقى داوود الحبيب كما يترجم اسمه عندما التقى للمرة الثانية

بيوناثان قام داوود وسقط على وجهه إلى الأرض وسجد ثلاث مرات وقبّل كل منهما صاحبه وبكى كل منهما مع صاحبه حتى ازاد داوود.

1صم 41:20

يا ابني الحب كده وإلا بلاش وإلا رأيك إيه يا ملهم

هذه المحبة بين المأبونين داوود ويوناثان والتي كانت من اللقاء الأول بل من النظرة الأولى كما الصاعقة فجرّت كل طاقات الحب تلك. تذكر التوراة بأنّ هذا الحب السامي والفريد والعجيب بقي متبادلاً بين الحبيبين إلى أن قُتل يوناثان وعندما سمع داوود عن مقتله فجع للخبر وكتب عنه مرثاة حزينة جداً في سفر ياشر وهو السفر الذي رمته الكنيسة في سلةالمهملات. ولكن النبي صموئيل ذكر بعض ما جاء فيه كقوله في 2 صم 19:1 الظبي ياإسرائيل مقتول على شوامخك... 25- يوناثان على شوامخك مقتول 26- لقد كنت شهياً إليّ جداً وكان حبك عندي أولى من حب النساء.

وفي بعض الطبعات الجديدة حذفت كلمة الشهوة وجاءت على هذا الشكل: كنت حلواً لي جداً كنت أحببتك أكثر من كل النساء.

٢٥ يوناثان على آكامك قتل * ضاقت نفسي بك يا اخي يوناثان قد كنت لي حبيبا جدا وكان حبك عندي افضل من محبة النساء كمثل ما احبت الام ابنها الوحيد كذلك فكانت محبتي لك

و في طبعات أخرى: جاءت محبتك لي أعجب من محبة النساء وهناك أكثر من عشر اختلافات في الطبعات. انظر 2 صم 26:1

وشهادة لوجه الحق نقول إنّ يوناثان مات شهيداً ليس لإسرائيل حيث كان في الحرب دفاعاً عن مملكة داوود، بل شهيداً لحب داوود حيث تنحى له عن المملكة وشغل وظيفة محارب في الجيش الذي كان من المفروض أنّ داوود يشغل هذا الموقع.

حقيقةً أنا لا استوعب كيف يستغبي المفسرون عن معاني هذه السلوكية اللوطية وبالرغم من أنّ داوود تعلّق بعشق نساء كثيرات كما تروي لنا التوراة

وحتى آخر أيام حياته وهو على فراش الموت عملوا بحكمة ابنه سليمان الواردة في سفر الجامعة والتي تقول:

إن اضجع اثنان يكون لهما دفء أما الواحد فكيف يدفأ.

سفر الجامعة 11:4-

لذلك أحضروا له أجمل عذارى إسرائيل لتحتضنه وتضاجعه وهو ينازع الموت.

حتى بموتك أنت محسود يا داوود ! وشاخ الملك داوود وتقدّم في الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضجع في حضنه فيدفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها.

سفر الملوك الأول الإصحاح الأول

تكحّلت الشونمية الغضة الطرية بلحمها ونعومتها تهيؤاً لتجربتها الجنسية الأولى وتزقزقت وتبرّقت بعد حمام ساخن أسقط عنها كل الروائح إلا عبق جسد المرأة الرباني بعد أن حفّت جلدها بحجر صوان خشنته الدهور مما جعل جسمها يسحر كما شمس الأصيل بحمرتها. وقفت أمام جلالة الملك العظيم فظهرت لها قدسية النبي داوود من فراشه كما ظهر الرب لموسى من وسط العليقة وكأن الصوت الذي نادى موسى أنّ هذا المكان مقدس: اخلع من رجليك هكذا سمعت صوتاً هاتفاً من الغيب يهمس في أذنها: اخلعي نعومة الحرير عن نعومة جسدك وكما خلقتني يا رب. تسللت بهدوء وبكل تلك الرقّة لتحتضن ذاك الصيد الرباني الثمين وإذا بخشونة قرمة الحطب التي أكل الزمان عليها وشرب ولكن لا يهم إنّه امر وجب، إنه الواجب المقدس إنّها زوجة نبي ولزوجات الأنبياء ثواب في الجنة، ولا أعلم ما نوع هذا الثواب هل حواري أم شيء أهم؟ لا أعلم المهم هناك ثواب لزوجات الأنبياء فقامت سيدة إسرائيل الأولى لذلك الموسم باحتواء واحتضان سيدنا داوود وطوقته بأطرافها تارةً بحنان، وأخرى بثورة البركان، تارةً

تحتويه كما الأخطبوط يحتوي فريسته، وتارةً تحفّه كما القنفذ، تريد إثارة أحاسيسه تارةً تنقلب على ظهرها، وأخرى على بطنها تشرق تارةً لتهمس في أذنه وأخرى تغرب، علّه يشتمّ رائحة الأنوثة وعرفها إلا أنّ الجدو داوود لم يفلح فيها لأنّ علمه لم يسبّح ربّه كما يجب بالرغم من جمالها الصاعق وجهدها المرهق، بل انحنى علم داوود خيبةً ولا تواضعاً كما قد يتوهم البعض لأنّه ليس دائماً :

ملءُ السنابل تنحني تواضعاً   والشامخات رؤوسهن فوارغ

بل مع العم داوود انعكست الآية تماماً وكان ابنه أدونيا ينظر إلى تلك الشنومية ونار شهوة الشباب تكاد تنفجر فيه كالبركان الثائر، إلا أنّه كان يتحسس رقبته ويتصوّر سيف الجلاد ويعود ثانيةً إلى رشده ليقول: اللهمّ ثبت عليّ العقل ونجني من شرّ ظالم إذا ظلم. ولكن آه وآه من الله الذي يعطي الحمص للذي ليس له أسنان! حبذا لو أتذوّق هذا الحمّص ولو لمرة واحدة وبعدها أموت ولكنها حسرة كما لو في قلبي جمرة. وما إن مات داوود وملك سليمان حتى ذهب أدونيا يطلب يد هذه الغنوج الدلوعة من يد الملك بعد أن عاف عن الملك وكان الأحق شرعاً من سليمان، ولكن هذا السليمان الذي يعرف قيمة المرأة أكثر مني ومنك هل يفرّط بهذه الجوهرة؟ طبعاً لا، لذلك جعلها رقم من أرقام زوجاته الألف.

أما أخيه فسلّمه للجلاد الذي قطع رأسه بذاك السيف الذي كان قد خشاه ذات مرة ولذات السبب الذي أخافه وقتئذ مع أنّ طلبه لهذه الشونمية كان بكل أدب وشرعية. انظر ملوك الأول 2:13 حيث يروي هذا السفر تفاصيل هذه الحكاية وكيف غدر سليمان بأخيه وحنث الوعد الذي قطعه مع أمه حين طلبت منه أن يعطي هذه الشونمية التي ورثها عن أبيه أن يعطيها لأخيه زوجةً ووعد الملك أمه خيراً، لكنه نكث عهده وقتل أخيه.

إنّ النبي سليمان عرف قيمة المرأة حقّ معرفتها وكانت محبته للنساء فاقت محبة والده للنساء كما جاء في سفر الملوك الأول 11: 1-8 ولكن محبة داوود لعشيقه عوضت عن حب كل النساء 2 صم 26:1 محبتك لي كانت أشهى من محبة النساء.

إنّ هـذا الـسلوك الغريـب مـن داوود لم يكـن المبـادرة الأولى في المجتمـع الإسرائيلي ولم يكن الظاهرة الوحيدة واليتيمة، فهذا السلوك الشاذ بدأ مع التـاريخ العبري منذ أن بصق المجتمع البابلي أبرام وابـن أخيـه لـوط مـن أور الكلـدانيين وعبروا الفرات حيث سكن لوط مدينة سادوم فتزاوج اسم لوط مـع اسـم المدينـة سادوم وأفرخا معنىً شاذاً لكـلا الاسـمين الـسادومية واللوطيـة، وهـو الـشذوذ الجنسي. واستمرّ هذا السلوك الأخلاقي متعارفاً عليه بين هذه الجماعات إذ مـارس الإسرائيليين اللواط (ملوك الأول 24:14) ولا سـيما البنيـاميين (سـبط بنيـامين) حتى أيام المسيح، حيث وبّخ هذه الجماعات الرسـول بـولس في رسـالته الأولى إلى كورنثـوس 9:6 بقولـه: أمـا تعلمـون أنّ ملكـوت الله لا يرثهـا المتخنثـون ولا مضاجعي الذكور.

وكان لهذه الجماعات الشاذة بيوت خاصة لممارسة اللواط، وكانت تبنى هـذه البيوت حول المعبد كجزء من طقوس العبـادة الإسرائيليـة.ولكـن خـلال تـاريخ العبريين الطويل كان لابد لبعض ملوك إسرائيل من ملاحقة هـذه الجماعـات مـن وقت إلى آخر وهدم بيوت الدعارة هذه فسفر الملوك الثاني 7:23 يخبرنا بأنّ الملـك يوشيا لم يطق هذه الجماعات المأبونة (اللوطية) لذلك هدم بيوتها التي بنوها حول المعبد اليهودي لإبطال هذه الممارسات.

وكذلك الملك آسـا يبيـد مـن الأرض طائفـة العـاهرين الـذين يمارسـون الشذوذ الجنسي كجزء من عباداتهم الوثنية كما جاء في سفرالملوك الأول 12:15.

ويعود العبريين ثانيةً إلى ممارسة دعارتهم إلى أن يأتي يهـو شـافاط ابـن آسـا ليبيد من البلاد ما تبقّى من المابونيين كما جاء في ملوك الأول 46:22. ومن الـثمار التي أتحفتنا بها التوراة إلى جانـب الـسادومية sadomy أخرجـت لنـا أيـضاً هـذه التوراة السادية sadism وهو انحراف بل انحطاط أخلاقي يتلذذ ممارسه بتعـذيب شريكه في الممارسة الجنسية وقد يكون هذا الشريك حيوان أيضاً، ومن ثمّ أصبحت كلمة السادية تعني التلذذ بعذاب الغير وليس بالضرورة أن تكون مرتبطة بالجنس. والطبيعة السادية هذه وبكل ألوانها هي إفـرازات توراتيـة وتلموديـة ترسّـخت في

طبائع وأخلاقيات العبريين استقاءً من هذه التعاليم المقدسة التي هي من وحي الروح القدس حتى انتقلت هذه العدوى إلى بعض المرضى النفسيين. ومن الآيات التي تزكي الروح السادية أذكر على سبيل المثال:

كل الملوك بالوجوه يسجدون لك يا صهيون يلحسون غبار رجليك.

اشعيا 23:49

يخضع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا.. مزمور 3:47

أمامه (أمام ملك إسرائيل) تجثو أهل البادية (العرب) وأعدائه يلحسون التراب.

مز 9:72

وهذه الآيات نجدها مترجمة على أرض الواقع في سجون إسرائيل حتى اليوم. وبقي لي هنا أن أشير إلى كلمة الأونانية onanism وهي أيضاً ثمرة توراتية والتي تعني الاستمناء أو القذف خارجاً وهي مأخوذة من اسم أونان ابن يهوذا الأب الروحي لليهودية وحفيد إسرائيل. وموجز قصة أونان أنّه أُجبر على الزواج من أرملة أخيه لهذا كان يقذف بسائله المنوي خارجاً لكي لا يأتي بأبناء لأخيه تك 9:38 ومن هنا جاءت التسمية الأونانية.

وهذه هي بعض ثمار التوراة فهل تعرفونها من ثمارها؟ أما هذه الكنّة الأرملة تامار فقد زاد شبقها الجنسي يوماً بعد يوم وهذا ما حملها ذات يوم لإرواء هذا الشبق فوقفت مع الزانيات فحملت التقادير التوراتية لأن يصادفها حموها العجوز يهوذا وضاجعها، ولأنّ هذا اليهوذا كان قد نال البركة من أبوه إسرائيل تك 9:49 لهذا أنجب يهوذا من هذه الزانية توأم هم فارص وزارح وهذا الفارص أصبح أحد أسلاف داوود والمسيح مت 1:3-16

لا تبك هو ذا قد غلب الأسد الخارج من سبط يهوذا أصل داوود

رؤيا 5:5

الأسفار الساقطة

كانت حكايات التوراة وأساطيرها موروث شفهي قديماً تتناقلها الأجيال أباً عن جد شفهياً بشكل أساطير وحكايات مسلية عندما كانوا يقضون سهراتهم ومسامراتهم تحت الخيام وخاصة في فصل الشتاء البارد حول مواقد النار. ولا سيما طبيعة العبريين الرعوية وليالي الشتاء الطويلة جعلت هذه الأحاديث الشيقة تأخذ حيزاً كبيراً من حياتهم اليومية وكان هذا شغلهم الشاغل وما زاد إلى هذه القصص عنصراً مشوقاً تلك القصص الغرامية التي تتحدّث عن تموز وعشتار كنشيد الأنشاد. وأكثر من هذا تلك القصص الجنسية التي تتحدّث عن الشذوذ والاغتصاب وبالرغم من أنّ أكثر هذه القصص الجنسية نسقت، إلا أنّ التوراة لازالت مفعمة بهذا النمط من الحكايات ولا مجال لذكر الشواهد لوجود عشرات الأمثلة عليها واكتفينا بما سبق ذكره كمضاجعة يهوذا لكنته تامار ومضاجعة لوط لابنتيه واغتصاب امنون لأخته وغير مما جاء ضمن محور حديثنا.

عند تدوين التوراة رفضت ونسقت كثير من تلك الأسفار لإنحطاطها الأخلاقي على حدّ زاعمي رافضيها أو لركاكتها وعدم توافقها مع المنطق أو لإختلاف وتناقض بعضها مع أسفار أخرى. لن تستطع الكنيسة من الاستغناء عنها إلا أنّ مدوني هذه التوراة سهوا عن كثير من هذه الأخطاء والعيوب ولم يحذفوها، ولاسيما أنها كانت مستقاة من عدة مصادر عند تدوينها. فعلى سبيل المثال كان سنّ الخدمة تبدأ بالثلاثين من العمر بحسب عدد 3:4 من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين كل داخل في الجند ليعمل عملاً في خدمة الاجتماع. بينما نجد في نفس السفر عدد 24:8 – هذا ما للاويين من ابن خمسة وعشرين سنة فصاعداً يأتون ليتجندوا.

أما أخبار الأيام الأولى يخبرنا بأنّ الملك سليمان حدد سن الخدمة من سن الثلاثين وما فوق بحسب الإصحاح الثالث والعشرون الفقرة الثالثة بينما الفقرة الرابعة والعشرون من نفس الإصحاح تحدد سن الخدمة ابتداءً من سن العشرون سنة وما فوق.

فإن دلّ هذا التباين في السفر الواحد أو بين سفر وآخر إن دلّ على شيء فهذا يعني أنّه حتى السفر الواحد كتبه أكثر من شخص، ولهذا كان من الطبيعي أيضاً أن يختلف اسم الشخص بين رواية وأخرى. وهناك عشرات الشواهد على هذه الاختلافات فعلى سبيل المثال جاء اسم كاتب الملك داوود ومن بعده سليمان بعدة أسماء متباينة في عدة مصادر ففي أخبار الأول 16:18 جاء باسم شوشا وفي ملوك الأول 3:4 جاء باسم شيشا وفي صموئيل الثاني 17:8 جاء باسم سرايا وفي صموئيل الثاني 25:20 جاء باسم شيوا وكل هذه الأسماء هم اسم لشخص واحد ويمكن التأكد من هذا بدراسة هذه الفقرات ومقارنتها.

هذا وكما حذف بعضها الآخر بعد تدوينها لما وجد فيها من انحطاط في المستوى الروحي والأخلاقي على حد رأي رافضيها، بالرغم من أن التوراة لا تخلو من هذه الظواهر والسمات المنحطة حتى اليوم.

وفي العصور المسيحية الأولى أطلق على بعض هذه الكتب الساقطة اسم الابوكريفا ويقول رافضيها بأنّها كتبت في أوقات محنة لتشجيع المؤمنين واليوم لا حاجة لها، ولكن كان لها مؤيدوها الذين دافعوا عن هذه الكتب بين الحين والآخر وقاموا بمحاولات جاهدة لإدخالها أو إدخال بعض منها ضمن الكتب القانونية، إلا أنّه عندما قررت مجامع الكنيسة الأولى الكتب القانونية اسقط الابوكريفا واعتبر مزوراً ومع هذا كله لم تستغن الكنيسة عن قراءة بعض أجزائه للاستنارة والتعليم ولا زال الاستشهاد به حتى اليوم.

والابوكريفا كلمة يونانية معناها الكنوز السرية المقصود منها المعاني الخفية وراء كلمات الوحي، وتصنف الابوكريفا حسب موادها: أسفار تاريخية كسفر اسدراس الأول، وأسفار اسطورية كسفر باروخ، وأسفار تنبؤية كسفر اسدراس الثاني، وأسفار تعليمية كسفر حكمة سليمان.

وإلى جانب الابوكريفا هذه حذفت أعداد كثيرة لعدم صحة الأحداث والأخبار التاريخية فيها أو في بعض أجزائها. ومن الأسفار الذي حذف قسم منها وأبقي الآخر نذكر سفر استير وهو آخر الأسفار التاريخية، ولأهمية هذا السفر التاريخية وخاصةً عند اليهود فلم يحذف كلياً حتى عند المسيحيين، ولكن ما حذف فقط خمسة أجزاء تبلغ في مجموعها مائة وسبعة أعداد بسبب عدم التناسق والانسجام المنطقي والتاريخي فيه.

وفي الأسفار القانونية وغير القانونية نجد بعضها نُسب إلى اشخاص لم يكتبوها حتماً لأن ما ورد بها من أخبار حدثت بعد موت من نسبت إليه أو قبل ولادته، كسفر صموئيل الذي نُسب إلى النبي صموئيل ابن قانا حيث جاء فيه: بأنّه اطلع صموئيل الشعب على حقوق الملك وواجباته ودوّنها في كتاب ووضعه أمام الرب (1 صم 25:10).

أي أن النبي صموئيل هو الذي كتب هذا السفر لذلك سُمي سفر صموئيل. ولكن في نفس السفر نقرأ قصّة ولادته وموته: ومات صموئيل فاجتمع جميع بني إسرائيل (1 صم1:25) أضف إلى هذا أنه ورد في هذا السفر أخبار كثيرة حدثت بعد موت صموئيل كموت شاول وداوود.

فإذا كان صموئيل الذي كتب هذا السفر فحتماً أنه أضيف إليه أحداث وأخبار بعد موته.

ومن الأسفار المحذوفة والوارد ذكرها في الأسفار القانونية كاستشهاد – وهي كثيرة – نذكر منها على سبيل المثال:

-كتاب قضاء المملكة لصموئيل النبي الذي ورد ذكره في (1 صم 25:10)

-أسفار ناثان الرائي وجاد الرائي اللذان ورد ذكرهما في أخبار الأيام الأولى 29:29

-كتاب أخبار شمعيا النبي وكتاب عدو النبي الخاص بسجل الأنساب اللذان ورد ذكرهما في أخبار الأيام الثاني 15:12

-نبوة أخيا الشيلوني ورؤية النبي يعدو المختصة بحكم يربعام وقد ورد ذكرهما في أخبار الأيام الثاني 29:19 و29:9

-النبي اخنوخ الذي ورد ذكره في رسالة يهوذا:15:14 حيث تنبأ عن القضاء الذي يحلّ بالأشرار ويمكن أن نقرأ هذا في سفر أخنوخ.

كتاب حروب الرب الذي ورد ذكره في عدد 14:21

إنّ الشواهد من هذا القبيل أكثر من أن تُذكر ونكتفي بهذا القدر من العهد القديم.

أما حول الأناجيل غير القانونية أو المحذوفة نذكر منها إنجيل يعقوب ونيقوديموس والبيونيين والمصريين والعبرانيين والناسيين وبطرس وتوما والطفولية.

دونّ كتبة هذه الأناجيل باجتهاداتهم الشخصية أمور متباينة حيناً ومتقاربة أحياناً فمنهم من اقتبس معلومات من الكتب السابقة، ومنهم من كتب حسب ما أوحى له خياله، فمنهم من صاغ لنفسه أو لكتابه مسيحاً فريداً عمل العجائب والمعجزات واخترق الخوارق حتى في طفولته. ومن تلك الأناجيل الساقطة من اعتبر المسيح إنساناً عادياً ومنهم من اعتقد بألوهيته المجردة عن الطبيعة البشرية والمنزهة عن الآلام، ومنهم من جعل منه نبياً ولد بمعجزة إلا أنّه لم يصلب بل شُبّه به. وأشهر تلك الأناجيل غير القانونية إنجيل برنابا كُتب هذا الإنجيل ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر ونشر سنة 1907 في إيطاليا يتضمن 222 فصلاً .

وإلى جانب هذه الأناجيل المزيفة هناك أيضاً أناجيل نصف مزيفة أو نصف قانونية كما أسموها رجال الدين. والكنيسة المسيحية لم تستطع إنكارها أو إنكار فضلها لاعتمادها عليها في كثير من الأمور ككتاب (ديدسقالية) الرسل الذي لا يجهل قيمته آباء الكنيسة لاشتماله على شتى القوانين لسائر درجات الكنيسة وأوضاعها وما فرض على العباد من مناسك العبادة والصلاة والصيام، وهناك أيضاً كتاب تعليم" أدى البشيرّ الذي يروي أن الملك أبجر السرياني ملك الرها كان مريضاً بالبرص وعندما سمع أخبار المسيح العجائبية أرسل إليه رسالة طالباً منه الشفاء. انظر كتاب اللؤلؤ المنثور ص 51.

وأهم هذه الكتب النصف قانونية كان هناك كتاب اسمه الدياطسرون الذي يشمل الأناجيل القانونية الأربعة الذي جمعه ططيانوس المُلقّب بالآثوري ألّفه

سنة 172 ووقع صدىً عميقاً لهذا الكتاب في نفس المسيحيين السريان في الرها وما بين النهرين، وكان هذا لحسن جودته وترتيبه التاريخي والمنطقي. إلا أنّه نسّق من الكنيسة سنة 435 م لانتقاده قليلاً لليهودية وبعض أخطاء العهد القديم بعد أن قرأوه في الكنيسة وتبسطوا في نشره واستشهدوا به أكثر من قرنين من الزمن حتى أبطله مطران الرها وأتلفت كل نسخه.

على أية حال إنّ ما ذُكر من أسفار ساقطة وأناجيل محذوفة لا يشكل نسبة واحد من المئة من مجمل ما كتب وأتلف بعد أن أُعتبر من البدع والهرطقات.

وختاماً للأسفار الساقطة والمحذوفة في العهدين أشير إلى الاختلافات في الاسم الواحد للشخص عينه، كثيراً ما كان يحدث أثناء الترجمة للتشابه الشديد بين الاسمين عند لفظهم وكتابتهم بالحرف اللاتيني كالاسمين أخنوخ وحنوك على سبيل المثال دائماً اختلط على المترجم وأصبح للاسمين أسم واحد، ففي اللغة الهولندية تُرجم اسم أخنوخ وحنوك إلى henoch وفي اللغة الأنكليزية تُرجم الأسمين إلى enoch. قارن اسم أخنوخ الوارد في تك 18:5 وأيام الأول 3:1 مع اسم حنوك الوارد في كل من تك 17:4 و4:25 و9:46 وحز 14:6 وعد 5:26 وغيرها. فكلمة أخنوخ تعني الأخ المريح وحنوك تعني ربّك الحنون أو حنانك يارب — يا حنان.

الأسفار الخمسة الأولى
ونسبتها إلى موسى

ينسب رجال الدين التوراة إلى موسى أعني الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (التكوين- الخروج – اللاويين – العدد – التثنية) والأسفار الخمسة هذه تحدّثت عن التكوين العبري والطوفان العبري وحكايات الشعب المختار خلال سنين التيه الأربعون قبل دخول العبريين أرض الميعاد، وجاءت هذه الأسفار على القوانين والشرائع والوصايا التي دونّها موسى بوحي من الله مباشرةً ووجهاً لوجه. ولكن في هذه الأسفار الخمسة نجد أيضاً قضايا وحوادث جرت حتماً بعد عهد موسى ولكنها نُسبت إلى موسى، وكذلك قوانين شُرّعت وما يناسب الشعب في مرحلة استقراره وكل هذه الأمور أيضاً كُتبت وشُرّعت حتماً بعد عهد موسى أثناء دخول العبريين أرض كنعان لأنّ موسى لم تطأ قدماه أرض الميعاد.

فبالإشارة إلى الوصاية المنسوبة إلى موسى والواردة في سفر اللاويين 9:18 – لا تتزوج بنت أبيك او بنت أمك سواء ولدت في البيت أو بعيداً عنه ولا تكشف عورتها. 11- لا تتزوج بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك ولا تكشف عورتها لأنّها أختك 12- عورة أخت أبيك لا تكشف إنّها قريبة أبيك..

نقول ولأن العبريين عاشوا حياة المجتمع الضيّق جداً والمغلق المتقوقع على نفسه كان زواج من هذا القبيل دارج لديهم ومشروع جداً، فمنذ أن تزوج إبراهيم من أخته وحتى عهد النبي داوود كان هذا النوع من الزواج شرعي لا عيب فيه، طبعاً في المجتمع الإسرائيلي وليس بمجتمع آخر، وللتأكيد على هذا النمط الدارج

بين شعب الله المختار نـشير إلى الآيـة الـواردة في سـفر صـموئيل الثـاني 13:12- والتي تعبّر لنا صراحةً على أنّ هذا التقليد كان عادي جداً عند الإسرائيليين.

وهكذا تقول تامار لأخيها: اطلبني من الملك فهـو لا يمنعنـي مـن الـزواج منك (أي هي تقر بأن الزواج بين الأخ وأخته هـو شرعـي في النـاموس الموسـوي آنذاك). لذلك نقول بأنّ ما ورد في لاويين 9:18 و11 حتماً دوّن بعـد موسـى بـما لا يقل عن الخمسمائة عام ثـمّ إنّ هنالـك الـشرائع التـي تحكـم الـشعب في عـصر الزراعة بعدما استقرّ العبريين في أرض كنعان بعـد عهـد موسـى بـسنوات طويلـة خروج 21:34-26 حتماً هذه أيضاً دوّنت بعد موسى.

في تكوين 3:9 ورد بأن كل دابّة حيّة تكون لكم طعـام كالعـشب الأخـضر ولكن في لاويين 11 وتثنية 14 ورد بأنّه قد حرمت الكثير منها فإذا كـان لهـذا مـن معنى فهو يعني أنّ كاتب تكوين 9 هو غير كاتب لاويين 11 وتثنيـة 14 وكـذلك في الروايتين المتباينتين في قصة نوح وإدخالـه الحيوانـات إلى الفلـك ففـي تكـوين 19:6 +20 ورد:

من كل حيّ من كل ذي جسد اثنين من كـل تـدخل إلى الفلـك لاسـتبقائها معك تكون ذكراً وأنثى من الطيور كأجناسها ومن البهـائم كأجناسـها ومـن كـل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها.

إنّ هذه الرواية جاءت مخالفة للرواية الواردة في تك 2:7 والتي جـاء فيهـا: من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة ذكراً وانثى ومـن البهـائم التـي ليـست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى...

نفهم من هذين الـروايتين أيـضاً أنّ كـاتبهم أكثـر مـن شـخص وبأوقـات متفاوتة. ومن الحوادث التي حصلت بعد عهد موسى (الـذي لم تطـأ قـدماه أرض الميعاد) نذكر ما ورد في تكوين 7:34 فإن هذا يدل على الزمـان الـذي اسـتقرّ فيـه الشعب العبري في أرض كنعان وتبلور مفهوم المملكة المستقرة. حيـث جـاء فيـه: وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنّه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنه يعقوب.

فنلاحظ بأنّه قيل (صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقـوب) ويعنـي هذا وبالتأكيد أنّ هذه الحكاية دوّنت بعد الوقـت الـذي عاشـه موسـى، لأن هـذه العبارة تميّز ما بين يعقوب الذي لُقّب إسرائيل وما بين إسرائيـل التـي قُـصد منهـا مملكة، فإن لم يقصد بكلمة إسرائيل كمملكة لن يقال صنع قباحة في إسرائيـل، بـل كان يجب أن يُقال صنع قباحة بابنة إسرائيل أو ابنة يعقوب. لهذا نقول بأنّهـا كتبـت بعد وصول العبريين إلى أرض كنعان واستقرارهم ولاسيما أنّ هـذه الحادثـة تؤكـد بأنّهم كانوا بالحقل يفلحونه، بينما كان الحـارث شـكيم ابـن حمـور الحـوي يحـرث بأختهم دينه.

ومن الدلائل التـي تؤكـد أنّ كاتـب الأسـفار الخمـسة الأولى المنـسوبة إلى موسى هو أكثر من شخص ما ورد في تك 1:5 الذي جاء فيه: هذا كتـاب مواليـد آدم. ويعني هذا بأنّه لا بد أن أُخذت هذه المعلومات عن وثيقة مـسجلة لهـذا قيـل هذا كتاب مواليد آدم.

كما نقرأ في تكوين 13:14 فأتى من نجا واخبر ابرام العبراني. أي أنّ الذي يروي هذا الخبر هو غير عبري لهذا قيل: ابرام العبري.

بالصفحة العاشرة من معجم اللاهوت الكتابي ورد بأنه في كتاب الأنبيـاء لم يكن التتابع التاريخي أو الزمنـي للنبـوات هـو الـذي يحـدد موضـعها في الكتـاب (المقدس) ويظهر هذا بوضوح في سفر نبـوات أرميـا فمـن يقـرأ الـسفر لابـد وان يعرف أنّ الإصحاح الأخير يشابه ما جاء في أشعيا 40 –وما بعده أي يخصّ عصراً متأخراً.

ويعتقد العلماء أنّ ما كتبه أرميا في 12:25-14 يحتوي معلومـات متـأخرة عن عصر أرميا (1:39 و2و 4و-10) وضعت في غير مكانها وهكذا وليس ذلـك فقط بل هنالك تيارات عديدة متباينة وأحياناً متناقضة تظهر في العهد القديم.

إنّ ما ذكره معجم اللاهوت هذا يؤكد على مـا أوردنـاه مـن أنّ في الكتـب المقدسة هذه أخطاء وتناقضات وأمور نسبت إلى أشخاص لم يكتبوها لأنها حدثت بعد عهدهم بوقت طويل.

ولكن أكثر ما يُعبّر عن سذاجة كاتب سفر التثنية - إن لم نقل غباءه - أنّه يذكر أنّ موسى كان ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوماً .

فإذا كان موسى كاتب التوراة كيف كتب هذا الكلام هل الأموات أيضاً تكتب؟ تث **7:34**

النبي موسى وقضية الخروج

من هو موسى؟

ولماذا موسى بالذات هو رجل الله وليس رجل آخر؟

يجيب اللاهوتيين عن هذه الأسئلة بقولهم بأنّ الله أوحى إلى موسى واختاره من بين جميع الناس لأنّه كان جميلاً جداً مستشهدين بخروج 2:2 وعب 23:11 وأعمال 20:7

فعندما شاهدته ابنة فرعون رقّ له قلبها بالرغم من أنها كانت تعرف أنه من أبناء العبريين الذين أمر فرعون بقتل جميع أطفالهم، ثمّ إن موسى كان رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (عدد 3:12) ولكننا نقول إذا كان موسى هذا الرجل الحليم كيف تصرّف بحماقة التي ما بعدها حماقة حين كسر لوحي الشهادة - هدية الرب لشعب الله المختار - خروج 19:32؟ ثمّ أين كان حلمه الرفيع عندما قتل الرجل المصري وطمره بالرمل وعندما انفضح أمره هرب من وجه العدالة المصرية (خروج 11:2)؟ وأين كانت أخلاق موسى الحميدة وإنسانيته عندما أمر بقتل ثلاثة آلاف من العبريين (خروج 27:32) الذين تندّموا من الخروج ويأسوا من تعاسة الهجرة والتنقل في الصحارى والبراري حتى الهلاك والفناء؟ فهل حقاً موسى كان ذاك الرجل الحليم أم أنّ الله يُنزل الوحي على المجرمين والقتلة والفارين من وجه العدالة وأبناء الحرام؟ نعم موسى ابن حرام على ذمة التوراة التي تؤكد على ان أبو موسى تزوج من عمته وأنجب موسى وهذا طبعاً حرام.

على أية حال إنّ أبشع من سلوك موسى في الإجرام هو التصديق بنبوة موسى والتسليم بنزول الوحي عليه. أما ردّنا عن السبب الدافع الذي حمل موسى

لأن يكون نبي أو ادعائه بالنبوة فنقول بأنّ هناك احتمالان يستحقان الدراسة.

1- إنّ موسى كان فاراً من وجه العدالة المصرية بتهمة القتل العمد ونتيجة لهذا الفرار تغرّب إلى أرض مدين، وبالتالي تعرّف على يثرون أو رعوئيل الذي أعطاه ابنته صفورة، وبحكم هذه القرابة بين موسى ويثرون اتفقا على ادعاء موسى بالنبوة لتزعم العبريين. وحيث إنّ موسى لا يستطيع الظهور أمام المصريين الذين يطلبوه بجريمة القتل العمد لذلك ورّط العبريين بالسرقة وقال لهم: هكذا يقول السيد الرب إله آبائكم إبراهيم واسحق ويعقوب يقول تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين.

خروج 22:3

والحالة هذه تورّط العبريين بالسرقة فأصبح القاسم المشترك بين العبريين وموسى هو الفرار من وجه العدالة، فلم يستطع العبريين أن يرجعوا إلى مصر لأنّهم سرقوا أما موسى فهو قاتل وفارّ من وجه العدالة أما ادعاء موسى بأنّه كان يذهب إلى فرعون ليستأذن منه بأن يطلق شعبه، فلا يقتنع بهذا المنطق إلا الساذج لأن التوراة أثبتت بأنّ موسى كان فاراً من وجه فرعون فالحقيقة أنّ موسى إلى مدين كان يذهب بين الحين والآخر ويتلقّن من يثرون سياسة تسويس العبريين.

أما قصص الضربات العشرة فهي من أكثر القصص سذاجةً وتخلّفاً وليس فيها أي منطق ومعقولية. وأخيراً استطاع موسى بحكمة يثرون أن يُخرج العبريين من مصر متبعاً سياسة الترغيب والترهيب، فمن يطيع يعده بأرض تفيض لبناً وعسلاً - أرض الميعاد - ومن تذمر عمل السيف في رقبته كما شاهدنا. فكان يثرون يدبّر ويخطط لموسى وعندما كان يستعصي أمر عليه كان يذهب إلى حموه يثرون ليستشيره ويقول للعبريين بأني ذهبت إلى فرعون وأحياناً كان يقتضي الأمر بأن يأتي يثرون بنفسه إلى الشعب ويحلّ المشاكل المستعصية على موسى كما حدث في خروج 18

وحدث في الغد أنّ موسى جلس ليقضي للشعب فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال

ما هذا الأمر الذي أنت صانع إنّك تكلّ أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً لأنّ الأمر أعظم منك لا تستطيع أن تصنعه وحدك الآن اسمع لصوتي فأنصحك فليكن الله معك كن أنت للشعب أمام الله وأخيراً سمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال يثرون لموسى. خروج 18:24

هذا كان أحد الاحتمالات في تزعم موسى للعبريين وادعائه النبوة، إلا أنّ الاحتمال الثاني وهو الأقرب إلى الحقيقة وهو:

2- إنّ حقيقة موسى قد تكون على غير ما وردت بأسفار التوراة والتي تروي بأنّ موسى كان لقيطة وانتشلته ابنة فرعون، لأنها تركيبة مقتبسة من قصة سركون الأكادي التي سبقت عهد موسى بأكثر من ألف سنة كما سبق وذكر في هذا الكتاب، وهنا يحتمل أغلب الظنّ بأنّ موسى قد يكون فرعوني الجنسية وربما ضابطاً في الجيش المصري إذ كلّف بمهمة إخراج العبريين من مصر كما طرد الهكسوس (الملقبين بالرعاة) الذين قدموا من آسيا وغزوا مصر على أيام إبراهيم ابن تارح أي نحو سنة 1800 قبل الميلاد عندما قام عليهم الفراعنة وطردوهم من مصر في الوقت الذي طردوا فيه العبريين، أي بعد دخولهم مصر بحوالي أربع مائة سنة. ثمّ إنّ اسم موسى هو مصري ويعني الطفل وقد ورد في تركيب أسماء الكثير من أسماء الفراعنة مثل تحوتمس أي تحوت الطفل وامونموس أي امون الطفل وأكد على هذا الرأي الكثير من المعنيين بهذه القضّية مثل الفيلسوف سيغموند فرويد وهو يهودي. انظر كتاب موسى والتوحيد ص 9

فمقصد القول أن العبريين طُردوا طرداً من مصر ولاسيما أنّ التوراة تذكر بأنّه قام ملك جديد في مصر فقال لشعبه:

ها بنو إسرائيل أكثر منا وأعظم قوة فلنتآمر عليهم لكي لا يتكاثروا وينضموا إلى أعدائنا إذ نشب قتال ويحاربوننا... 13 - فتفاقم عنف استبعاد المصريين لبني إسرائيل 14- وأتعسوا حياتهم بالأعمال الشاقة. سفر الخروج

ومما لا شك فيه لدى أي قارئ لهذه الأسطورة أنّ هذا الكلام فيه كثير من المبالغة لأنه لا يمكن لبني إسرائيل أن يكونوا أكثر قوّة وعدداً من المصريين كما ورد

هنا، إذ كيف يدخل مصر سبعين نفساً ينموا ويتكاثروا أكثر من المصريين الذين كانوا من أكبر الإمبراطوريات آنذاك مع أنّ بين يعقوب الذي أدخلهم مصر وموسى الذي أخرجهم لم يكن سوى ثلاث آباء؟ انظر عبودية بني إسرائيل؟

ومن الدلائل الكثيرة التي تشير إلى أنّ المصريين طردوا العبريين نشير إلى عدد 11:4حيث تؤكد التوراة أنّ من بين الذي أخرجهم موسى من مصر مع العبريين كان أقوام أخرى غير عبرية وكثيراً ما ذكرت التوراة بأن المصريين هم الذين طردوا الإسرائيليين من مصر.

حيث قال الرب لموسى: وعندما يطلقكم (فرعون) يطردكم طرداً من هناك بالتمام.

خروج 1:11

كما ورد في خروج 39:12 – حيث خبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز مله فطير إذ لم يختمر لأنهم طُردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا.

شواهد كثيرة وردت في التوراة لتعبّر عن سياسة الفراعنة في تعجيز العبريين لدفعهم للهروب من مصر كما في خروج 1:9–14 و7:5

زد على ذلك أن الكثير ممن يعنون بالخروج يذهبون إلى أنّ اللاويين الكهنة كانوا من المصريين، وبدليل أنّ السبط اللاوي هو السبط الوحيد من الأسباط الأثني عشر الذي لم يكن يُحصى عادةً مع العبريين، ثمّ أنّ هذا السبط هو السبط الوحيد بين الأثني عشر سبطاً الذين كثرت فيه الأسماء المصرية، كما أنّ هذا السبط هو السبط الوحيد الذي لم يُعط أرضاً في إسرائيل. وهذا يعزّز الرأي القائل إنّ أولئك اللاويين خرجوا مع موسى لمساعدته في إبعاد العبريين من مصر، قد يكون هذا الرأي صحيح وقد يكون انحرف عن الحقيقة أيضاً لأنّ اللاويين بكونهم السبط الوحيد الذي لم يُحص مع بقية الأسباط قد يكون له مبرر بكون اللاويين الكهنة كانوا مميزين عن بقية الشعب لكونهم كهنة مقدسين. وكون اللاويين السبط الوحيد الذي لم يُعط أرضاً فربما لأن اللاويين كانت مواردهم متوقفة على الفروض والتقدمات التي تمنح لهم مقابل خدمتهم الكهنوتية ولا يليق بهم العمل بالأرض وفلاحتها.

أما كون اللاويين السبط الوحيد الذي تكثر فيه الأسماء المصرية فقد يكون هذا السبب لكونهم فعلاً مصريين جاءوا مع موسى لمساعدته في إخراج العبريين من مصر.

فكما أسلفنا أن أمور كثيرة ترجّح بأن موسى لم يكن عبرياً بل كان مصري، فحتى أن الطقوس والنواميس العبرية كان موسى يجهلها. فكيف لنبي أن يجهل طقوس ديانته؟

ففي رواية ظهور الرب لموسى عندما صارعه أراد أن يقتله نجد صفورة زوجة موسى ابنة يثرون الكاهن أسرعت وقطعت غرلة ابنها ومسّت قدميه (قدمي الله) قائلةً إنّك عريس دم لي فعفا عنها وعنه الله بعد أن ختنت صفورة ابنها.

(خروج 4:24-25)

يُفهم من هذا أنّ موسى لم يكن يتقن جيداً النواميس اليهودية كما كانت تتقنها زوجته صفورة ابنة الكاهن الوثني يثرون، ثمّ إنّ موسى حتى اللغة العبرية لم يتعلمها بطلاقة وهذا ما جعله يعتمد على أحد العبريين للترجمة عند الحاجة وهو هرون أخيه المزعوم.

والتوراة تزعم انّ موسى اعتمد على هرون لأن لسانه كان ثقيلاً وهي توحي بهذا الزعم أنّ موسى كان أقلث أي يُتأتيء، وهذا تضليل.

وعلينا أن نعلم أيضاً أنّ موسى عند إبعاده العبريين عن مصر كان يقيم في مصر ولم يُقم بينهم لا هو ولا أسرته. وكان يقول للعبريين سأصعد إلى الجبل لألتقي بالرب ويحذّر الشعب من الاقتراب إلى هذا الجبل وكان يغيب شهور في مصر وعندما كان يتفقدهم من وقت لآخر لئلا يعودوا إلى مصر ثانيةً، كان يجد بعضهم يشد الرحال للعودة إلى مصر: فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

عدد 4:14

وبقي موسى يرغبّهم ويرهبّهم في البرية أربعين سنة يعدهم بأرض الميعاد ارض تفيض لبناً وعسلاً لمن أطاع ويعمل السيف في رقاب من عصى إلى أن مات أكثر الجيل الخارج من مصر وتأكدّ من عدم عودتهم فانقطعت أخباره وأخبار أسرته.

ثمّ إنّ هذا النبي العظيم لماذا لم تكن النبوة من ذريته ولماذا أسمى ابنه جرشوم بمعنى الغريب؟ أليس هذا أيضاً إشارة إلى كونه غريب عن العبريين؟ طبعاً التوراة تفسر هذا بقولها لأنّ موسى كان غريباً عن الأرض وهذا أيضاً تظليل ساخر.

إنّ لعبة موسى بعصاته مع العبريين كانت تشبه لعبة الفلاح مع حماره الذي لم يكن يسير إلا بعد أن ربط له جزرة بخيط مدلاة من عصاة ووضعها أمام الحمار، وكان الحمار الجائع يسير على أمل أن يصل إلى الجزرة ليأكلها، إلا أنّه كلما سار الحمار كانت الجزرة تسير أمامه ولا يدركها حتى وصل الفلاح إلى القرية ولم يصل الحمار إلى الجزرة.

وأخيراً وصل موسى إلى غايته في إخراج العبريين من مصر ولم يصل العبريين إلى إسرائيل أرض الميعاد. ومن ثمّ اختفى موسى قبل دخول العبريين أرض الميعاد، صحيح إنّ موسى لم يربط جزرة بعصاه ليسير خلفها العبريين، إلا أنّه عمل بنفس مضمون هذه الخطة حيث كان عمود السحاب في السماء بمثابة هذه الجزرة نهاراً، أما في الليل فكان شخص ما يحمل شعلة نار عن بعد لتنوب عن هذه الجزرة وهكذا كان موسى في النهار يقول للعبريين إنّ الله ضمن ذاك السحاب في السماء ليهدينا إلى أرض الميعاد علينا أن نسير خلفه إلى أن نصل إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، وفي الليل كان موسى يقول بأنّ الله حمل لنا شعلة النار ليهدينا وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من امام الشعب.

سفر الخروج 21:13

إنّ فكرة ذاك السحاب كعلامة راشدة لملاحقتها تشبه بغبائها قصة ذاك الأحمق الذي أخفى ماله في البرية تحت غيمة ظنّها علامة راشدة وثابتة، وعند عودته لأخذ ماله من تحت تلك الغيمة كانت الغيمة قد ذهبت بعيداً وضاع ماله.

ولكن هل تعلم سيدي القارئ بأية لغة كان يتكلم موسى مع الله حين كان يناديه من بين الغيوم؟ لا تستغرب إن قلت لك أنّ تلك اللغة كان يفهمها كل الأغبياء أقول الأغبياء فقط لا غير. إنها لغة الرعد حين ترعد الغيوم كان يقول موسى هذا هو صوت الله ينذركم فيرتعب الشعب ويرضخ لأوامر موسى. كلام غير معقول ولكن تعالوا لنضع حوله هالة المنطق التوراتي ليصبح معقول جداً .

وكان صوت البوق يرتفع جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت الرعد.

سفر الخروج 19:19

فاضطربوا ووقفوا على بعد وقالوا لموسى كلمّنا أنت فنسمع ولا يكلمنا الله لئلا نموت.

سفر الخروج 19:20

إنّ ما ورد في خروج 19:19 وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت الرعد جاء مبتوراً في بعض الطبعات العربية والأجنبية، حيث أُسقطت كلمة الرعد في بعض الطبعات وبقيت كما هي في طبعات أخرى هكذا: موسى يتكلم والله يجيبه بصوت. وكلمة بصوت ايضاً تنتظر دورها لتسقط قريباً فتصبح الآية موسى يتكلم والله يجيب (وبارك الله بالأمناء وكفاهم شرفاً النزهاء).

يجمع المؤرخين الذين عاشوا في زمن قريب نسبياً من زمن خروج العبريين من مصر على تقزيم العبريين وتكذيب توراتهم الذاهبة إلى تعظيم هذه الجموع الرعوية.

وكثير من أولئك المؤرخين تحدّثوا عن أمراض كانت تتفشّى بين العبريين من وقت لآخر لأسباب قلة النظافة ولاسيما سوء العلاقات الجنسية. وكان لهذه الأمور أن أقلقت المصريين مما حملهم على طرد هذه الجماعات من مصر ولاسيما أن التوراة تشير أحياناً إلى أنّ المصريين كانوا ينظرون إلى العبريين نظرة احتقار ورجاسة كما في تك 33:46 وتك 32:43 فهذه الجموع الرعوية خرجت من مصر دون رغبة منها بل بحيلة جهنمية محكمة دبّرها الفراعنة، وهذا ما حملهم دائما لأن يُعربوا عن أسفهم وندمهم من الخروج مراراً .

فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمّر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما:

كل الجماعة ليتنا متنا في أرض هذا القفر ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف تصير نساءنا وأطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

عدد 14:1 -4

ومن المعقول جداً على ما يراه البعض أنّ موسى قد قُتل على يد هذه الجماعة التي أُخرجت من مصر بمكر في إحدى ثورات غضبهم ويأسهم مما لاقوه من خدعة في إخراجهم وعدم تمكنهم من الرجوع. وتؤكد التوراة في كثير من آياتها أن من بين الخارجين من مصر كان لفيف من الشعوب الأغيار (الغير عبريين) وأخذت هذه الجماعة تقاوم موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسين: رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما كفاكما أنّ كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب.

عدد 16:3

واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أنّ أعيننا إلى هذا المن.

عدد 11:4-6

وإذا لم يتوفر ماءللشرب اجتمعوا على موسى وهرون وخاصموا موسى قائلين له:

ليتنا هلكنا كأخواننا الذين أهلكهم الرب لماذا قدتما شعب الرب إلى هذه الصحراء لكي نموت فيها نحن ومواشينا لماذا أخرجتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان القاحل حيث لا زرع فيه ولا تين ولا كرم ولارمّان ولا ماء للشرب.

عدد 20:2-5

وقد كنا في مصر الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.

وأخيراً تمكن موسى من الاحتيال على العبريين في إخراجهم والتخلص منهم مطهراً المجتمع المصري من تخلفهم (هذا الرجل الفولاذي) فكنت تجدهم من خلال تنقلهم في الصحراء يموتون أحياناً من العطش وأحياناً أخرى يموتون من الأفاعي والوحوش المفترسة في البراري.

وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف فأرسل الرب عليهم الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل.

عدد 5:21

وأحياناً أخرى كنت تجد الأمراض والأوبئة تتفشّى بين العبريين كالجرب من قلة النظافة لندرة المياه وأمراض أخرى تتولّد نتيجة الجوع وسوء التغذية وزمهرير البرد القارص فيموت منهم مجموعات أحياناً تبلغ الآلاف بل عشرات الآلاف وخاصةً الأمراض الناتجة عن سوء العلاقات الجنسية فكان الذين ماتوا بالوباء في إحدى المرات أربعة عشر ألف وسبعمئة شخص.

عدد 49:16

ومرة أخرى كان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً.

عدد 9:25

ولكن هذا الشعب المسكين الساذج الذي سئم من تعاسة الخروج مما لاقاه من هلاك وفناء عندما كان يعرب عن ندمه من الخروج فما كان على رجل الله موسى الحليم جداً إلا وأن يأمر بقتله حتى إنّ إحدى المجازر التي ارتكبها موسى بحق هؤلاء بلغت ثلاثة آلاف نفس:

ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.

خروج 28:32

هذه كانت الأسباب التي اكتنفت خروج العبريين بقيادة موسى بعد أن وعدهم بمسيرة ثلاثة أيام في البرية ليصلوا إلى أرض الميعاد بحسب (خروج 3:5)، إلا أنهم استغرقوا في سفرتهم هذه أربعون سنة، ولماذا هل توههم الله؟ أليس الله الذي أنقذهم من العبودية وأخرجهم من مصر ليهديهم إلى أرض الميعاد؟ ثمّ أليس الله الذي كان يسير أمامهم فكيف أضلوا الطريق؟ حيث:

كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب.

خروج 21:13

فكيف تاه هذا الشعب المقدس؟ انظر خريطة الخروج والتيه.

أثناء تنقل العبريين في الصحراء أربعين سنة كان موسى أحياناً يقول للشعب:

إنّ الله غضب عليكم لأنه وجد أنكم قد زغتم عن دين الله وقلّ إيمانكم.

هذا عندما كان ييأس الشعب من الشقاء والتعاسة والأمراض والجوع والعطش وأحياناً اخرى كان يقول لهم موسى بأنّ الله وجد نعمة في عيونكم لأنكم شعب الله المختار هذا عندما كانوا يصادفون نبع ماء بعد عطش قاتل أو ما شابه.

ولكن باطل الأباطيل هو ادعاء اليهود بأنّ موسى هو الذي أعطاهم المن أو ما يُسمى بالخبز السماوي، لأنّ الطبيعة ما زالت حتى اليوم تعطي هذا المن في ظروف مناسبة. وهو عبارة عن تعرّق عسلي تفرزه بعض الأشجار ويجفّ جفاف الصمغ له مذاق حلو ذو نكهة طيبة لذيذة، وأفضل أصنافه اليوم تُحضّر بالعراق.
ولكن موسى ساس العبريين بالطريقة التي اتبعها الشيطان مع آدم فعندما سقط آدم بالخطيئة وأُخرج من الجنة إلى هذه الأرض وحيث أنه لم يتعود بعد على الظلام خاف جداً من ظلام الليل فجاء إليه الشيطان مستغلاً جهل آدم في تناوب الليل والنهار، الظلام والنور، فقال الشيطان لآدم: ما بالك يا حبيبي آدم إني أراك كئيب وحزين جداً، فقال له آدم مندهشاً: من أنت وكيف عرفت اسمي. أجابه الشيطان: وهل يُخفى شيء على إله هذه الأرض، فقال آدم: إذاً من تكون؟ فقال الشيطان: أنا الرب إلهك في هذه الأرض وليس لك إله غيري، قال آدم: إن كنت كما تدّعي فأنهر علي وأنقذني من الظلمة هذه، فقال الشيطان: من لم يؤمن لا يبصر، فقال آدم: نعم آمنت وتيقنت بأنك إله النور فأنهر علي إذاً، فقال الشيطان لآدم حسناً قلت فتستطيع الآن أن تنام مطمئناً وعندما تستيقظ ستجد المعجزة. فنام آدم وعند الصباح استيقظ وإذا بالنور يملأ قلبه إيماناً فقال حقاً أنت إله النور. ولكن عند المساء غابت الشمس وحلّ الظلام فاغتاظ آدم وذهب إلى الشيطان متذمراً. قال له الشيطان: ما بالك يا آدم. فقال آدم لماذا أظلمت علي ثانيةً، فقال له الشيطان: لأني وجدتك ضعف وقلّ إيمانك فنسيتني لذلك قررت أن أقيدك بقيود ظلام ابدي، فقال آدم: سامحني واغفر لي والآن ما عساني أن أفعل من أجلك؟ فقال له الشيطان: اذهب وصلي لي وعندما أجد إيمانك اكتمل سأنير عليك فذهب آدم وصلى كل الليل جاثياً إلى أن أشرقت الشمس كالعادة وفرح آدم للنور ثم حزن للظلام كالعادة، وهكذا وعلى هذا المنوال عندما كانت تغرب الشمس يقول الشيطان لأنك ذهبت وراء إلهة أخرى ولم تعمل المستقيم في عيني وعندما تشرق الشمس يسرع الشيطان لآدم ليخبره بأنك عبدي وتخصني يا عبدي آدم. لهذا انهرت عليك.

هذه كانت سياسة موسى مع العبريين فإذا مات الشعب من الجوع والعطش والأمراض والحيوانات المفترسة والأفاعي، كان موسى يقول للعبريين لأنكم أناس صلبي الرقبة ولم تعملوا المستقيم في عين الرب، وعندما تفرز الطبيعة المن أو عندما كانوا يجدون في طريقهم نبع ماء بعد عطش قاتل كان موسى يقول لهم إني طلبت من الرب هذا ولأنكم شعب الله المختار.

هذه كانت الظروف التي اكتنفت خروج العبريين هذه الجماعات الرعوية والمتخلّفة جداً عن كل الجماعات المعاصرة لها آنذاك، حيث لم يمارسوا أو يتقنوا أي حرفة سوى الرعي وهذا النبي صموئيل يؤكد لنا على أنه لم يكن يوجد صانع واحد في كل أرض إسرائيل لأن الفلسطينيين قالوا:

لئلا يعمل العبريين سيفاً أو رمحاً بل كان ينزل كل إسرائيلي إلى الفلسطينيين لكي يُحدد كل واحد سكّته ومنجله وفأسه ومعوله.

صموئيل الأول 19:13

وبالرغم من وجود المدارس في بابل ومصر وكنعان في وقت مبكر جداً - ولاسيما في ما بين النهرين التي أفرزت أول أبجدية في التاريخ وكان الملك البابلي حمورابي بنفسه يرعى تلك المدارس ومنها ما كان ملحق بالمعابد ومنها ما كان له استقلالية عن المعابد - فبالرغم من تواجد هذه المدارس منذ الألف الرابع قبل المسيح إلا أنّ العبريين لم يعرفوا شيء عن هذه المدارس إلا في بابل أثناء ما أسموه" بالسبي"، أما في إسرائيل فلم يعرفوا المدارس إلا بعد أربعة آلاف سنة من ظهورها. وكان ذلك أن أقاموا أول مدرسة في إسرائيل أيام المسيح وكان مدير هذه المدرسة الحاخام غملائيل (جمل الله).

كما أنّ العبريين لم يركبوا عربة أو سفينة أو حتى حصان حتى أيام النبي داوود الذي ملك أخيراً على بغلة ورثها من ابشالوم. وكان داوود يعتزّ بها كثيراً بالرغم من أنّ الشريعة الموسوية وهي وحي من الله كانت قد حرّمت اقتناء البغال وتربيتها لأنها حرام بحسب وصايا الله، إلا أن النبي داوود على ما يبدو أنه لم يفهم هذه الآية التي توصي وتقول:

لا تنز بهائمك جنسين.

لاويين 19:19

وهل هنالك من يجهل أن البغلة هي نتيجة نـزاء الحـصان للحـمارة أو نـزاء الحمار للفرس؟ أما هذه البغلة التي كان داوود يفتخر بها وكانت لـه بمثابـة سـيارة ليموزين فاخرة لذلك في حفلة تتويج ابنه النبي سليمان ملكاً عـلى إسرائيـل أركبـه على البغلة في مهرجـان احتفـالي كـادت طبـول المهرجـان أن تـشق الأرض فرحـاً حسب تعبير التوراة.

فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان النبي عـلى البغلـة التي لي وأنزلوا به إلى جيحون ويمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبـي ملكـاً على إسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا ليحيا الملك سليمان.

سفر الملوك الأول 33:1

بقي لنا ونحن نختم سيرة النبي موسى وقضية الخروج أن نذكر بأنّ موسـى تزوج من امرأتين إحداهن هي المرأة الكوشـية -لم يـأتِ كاتـب الـوحي عـلى ذكـر اسمها أو اسم والدها مطلقاً - أما الزوجة الثانية صفورة ابنـة الكـاهن رعوئيـل. فقد ورد اسم أبوها كثيراً ولكن هناك خمس روايات أوردت ذكر اسم أبو صـفورة وكل رواية تختلف مع الأخرى:

ورد في سفر القضاة 16:1-إنّ اسم حمو النبي موسى هو قيني، وفي قـضاة 11:4- ورد باسم حوباب، وفي سفر عدد 29:10- يجعل من حوبـاب ابـن حمـو موسى، ويجعل من رعوئيل حمو لموسى، وفي خروج 18:2-جاء حمو موسى باسـم رعوئيـل، بيـنما في كـل مـن خـروج 1:3 و18:4 و1:18 جـاء حمـو موسـى باسم يثرون.

بين أبو الأنبياء وأم الشرائع

هل كان إبراهيم الخليل أبو الأنبياء أم كان هناك من هم أعظم منه؟

وهل كانت شريعة موسى أم الشرائع أم كان هناك أعظم منها؟

لم يكن إبراهيم ابن تارح أبو المؤمنين والأنبياء كما ورد في رومية 11:4 – ولا كان خليل الله كما جاء في 2 أخبار 7:20 واش 8:41 بل أن الحوادث والقضايا التي تسردها الكتب المقدسة تؤكد بأنه كان هناك من هم أعظم من إبراهيم أمثال الملك الصديق (ملكي صادق) ملك السلام فمن هو ملكي صادق؟

ملكي صادق ملك شاليم التي تترجم من السريانية ملك البر والسلام كان كاهناً لعليون (كاهن العلي)، وكان كاهن يقدم الخبز والخمر قرباناً للرب. ولم يكن كالعبريين في عبادتهم الوثنية وأعني في طبيعتهم الدموية في تقدمة الذبائح القربانية لهذا اقتدى به المسيح وجاء على رتبته (حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد)

الرسالة إلى العبرانيين **20:6**

ولم تذكر الكتب المقدسة قدسية وعظمة نالها أحد أكثر من القداسة والعظمة التي نالها ملكي صادق.

اقسم الرب ولم يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق

مزمور 4:110

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: ما كان له أن يقدم العشور لغريب لو لم يكن هذا الغريب أعظم منه" أي أن إبراهيم ما كان له أن يقدم العشور لملكي صادق إن لم يكن ملكي صادق أعظم منهً (تفسير الرسالة إلى العبريين – القس

تادرس يعقوب ملطي). وردت قصة مباركة ملكي صادق لإبراهيم في سفر التكوين الإصحاح 14.

تروي هذه القصة بأنه نشب حرب بين ملوك أو زعماء المدن هناك وكانت النتيجة أن خسر ملك سادوم وكان لوط ابن أخو إبراهيم من الساكنين في سادوم، فوقع أسيراً فجاء من أخبر إبراهيم العبراني أن ابن أخيه قد وقع بالأسر فجهز إبراهيم رجالاً واستردوا لوط وغنموا غنائم كثيرة وفي عودة إبراهيم من المعركة أعطى العشر من كل ما غنم للكاهن ملكي صادق فقرب ملكي صادق قرباناً للرب من الخبز والخمر.

إن في هذه القصة ظاهرة غير مألوفة في أخلاقيات العبرانيين، بل هفوة من هفوات كتبة التوراة. فمقصد القول أن هذا الأمر لمدهش جداً لأنه ليس من طبيعة العبريين أن يثنوا على غريب مهما كان له من عظمة. فملكي صادق الغريب عنهم، كيف كان لهم أن يدونوا في توراتهم بأن إبراهيم الذي نال كل المواعيد والمواثيق من الله أن ينحني هو ونسله أمام دين عليون وكهنوت ملكي صادق.

لنقرأ ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين 4:7

لنتأمل الآن كم كان هذا الشخص عظيماً فحتى جدنا الأكبر أدى له عشراً من غنائمه – 5 – ونحن نعلم أن شريعة موسى توصي الكهنة المنحدرين من نسل لاوي بأن يأخذوا العشر من الشعب أي من إخوانهم مع أن أصلهم جميعاً يرجع إلى إبراهيم 6 – ولكن ملكي صادق الذي لا يجمعه بهؤلاء أي نسب أخذ العشر من إبراهيم وباركه مع كون إبراهيم حاصلاً على وعود بالبركة من الله – 7 – إذن لا خلاف من أن ملكي صادق أعظم من إبراهيم وإلا فما كان قد باركه – 8 – أضف إلى ذلك أن الكهنة المنحدرين من نسل لاوي الذين يأخذون العشور بموجب الشريعة هم بشر يموتون أما ملكي صادق الذي أخذ العشور من إبراهيم فمشهود له بأنه حي – 9 – ولو جاز القول لقلنا: حتى لاوي الذي يأخذ نسله العشور هو أيضاً قد أدى العشور لملكي صادق من خلال إبراهيم. فمع أن لاوي لم يكن قد ولد بعد فإنه كان موجوداً في صلب جده إبراهيم عندما لاقاه ملكي صادق.

هذه الرسالة جاءت في الإصحاح السابع عبريين من 4 حتى 10 ونقلناها بالحرف الواحد.

ومن الدلائل التي تشهد بأن أمثال إبراهيم الخليل كان كثيرين من غير العبريين نذكر النبي بلعام الآرامي (السوري) عدد 9:22 الذي كان يتجلى له الله ليتنبأ. وكثيرا ما استمد العبريين منه البركة، فمن خلال الإصحاح الثالث والعشرين في سفر العدد بارك بلعام الآرامي أربع مرات للعبريين ونحن نعلم أن الصغير دائماً يطلب البركة ممن هو أعظم منه.

وكثير من غير العبريين الذين عرفوا الله وعملوا من أجله نذكر منهم الملك الآشوري نبوختنصر ملك بابل: وهذا بتأكيد التوراة حزقيال 19:29 وحزقيال 24:30

وأخيراً جاء المسيح ليؤكد لنا: أن في كل إسرائيل أيام اليشع النبي، لم يوجد من يرقى إيمانه إلى مستوى إيمان نعمان السوري الذي شفاه إيمانه من البرص. وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمن اليشع النبي ولم يطهر واحداً منهم إلا نعمان السوري.

فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا.

لو 27:4

وهكذا تتكون لدينا القناعة بان السوريين هم أول الأقوام الذين عرفوا الله، وعملوا من أجله وخلدت أساطيرهم الدينية حتى اليوم. فباطل الأباطيل إذا ظن اليهود أن ديانتهم بدأت من إبراهيم وبقيت النبوة محصورة في نسله، وباطل أيضاً إذا ادعى العبريين أن الشريعة والناموس انبثق من موسى لأن موسى جاء متأخراً جداً عن الشريعة والقانون. فشريعة موسى ليست مبعث فخر كما قد يتوهم البعض لأنها مقتبسة من شريعة حمورابي وأسلافه. وكما هو معروف أن حمورابي سبق موسى بأكثر من أربعة قرون. فمن هو حمورابي وما هي شريعته:

حمورابي انه الملقب بالأمير المثقف وهو أشهر ملوك السلالة البابلية، كان نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد وحد بلاد الرافدين وسن الشرائع والقوانين

العدلية، شجع على الاستقرار السكاني وخاصة للرحل المتنقلين من البـدو. إذ وزع عليهم الأراضي الزراعية فتحولوا من رحل إلى متحضرين.

اشتهر حمورابي بشرائعه السياسية والإدارية والاجتماعية، أما عـن اكتـشاف هذه الشريعة فقد كان في سنة 1902 م اكتشفت في مدينة سوسة على يد العـالم دي موزغان وقام بترجمتها العالم شيل وهي محفوظة في متحف اللوفر في باريس، يمثـل أعلاه الملك حمورابي أمام إله الـشمس (الإلـه شـمش) وفي أسـفله كتـب بـالحرف المسماري نص الشريعة بما يقارب من المائتان والخمسة والثمانـون بنـد تـشمل عـلى قوانين الزراعة والتجـارة والإيجـار والاسـتئجار والجـرائم والجنايـات والجـروح والتعويضات وبنود خاصة بالأطباء والمهندسين والنساء الملتحقات بوظائف دينية والنساء المتزوجات وحقوق الأولاد والأرامل والتبني وقوانين الـشركات وأشـياء كثيرة حيث اشتملت على مختلف شؤون الحياة.

هكذا نكون قد القينا بصيص مـن النـور عـلى بعـض الزوايـا المظلمـة مـن مراحل تطور الثقافات الدينية العبرية.

المسيح والعذراء



من خلال تاريخ اليهود الطويل يلاحظ المعني بدراسة هذا التاريخ أن اليهود عاشوا كل حياتهم كشعب متقوقع على نفسه ومنعزل عن كل الشعوب والأقوام المجاورة لهم، وكانوا ولا يزالون ومن منطلق عنصري صرف وباطل يكرهون كل الأقوام المجاورة لهم ويعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس الذي اختاره الله من بين كل الشعوب والأمم والأقوام على وجه البسيطة.

أما غيرهم فكانوا يسمونهم الأغيار أي غير المختارين ولأن العبريين كانوا يختنون، أسموا من لم يقلف قضيبه: أغلف نجس. وكانوا يضربون خيامهم على هامش المدن. لهذا كانوا يسمون هذه الأغيار بالكويين والتي تعني الجوانيين أو الباطنيين، أي السكان الذين في داخل المدن والواقع أن تلك الخيام التي كانت قد عتقتها الأيام وقتمتها الأوساخ لم تكن تصرخ بالشقاء والفقر والتخلف وحسب، بل كانت تحت كل خيمة ملف كامل لموسوعة من الفساد والسوء من كره وشجار ونزاع وخلاف تفرقة وظلم بدءاً من تفرقة الأب والأم بين الأبناء ومروراً باغتصاب الأخوة للأخوات إلى كره وشجار ونزاع الأسباط الأثني عشر وانتهاءً

بكره ومقت الأغيار. وقد يبدو أن هذا الكلام مبالغ فيه ولكني سوف آتي على كل هذه العيوب وأكثر فبداية أشير إلى تفرقة إبراهيم وسارة بين إبنيهم حيث أعطوا البكورية لإسحق وكان إسماعيل البكر، ومن ثم إسحق أعطى البكورية ليعقوب (إسرائيل) وكان عيسو البكر، ومن ثم نرى يعقوب يعطي البركة لأفرام وكان منسى البكر وهكذا. أما الآن نعود لنقول يا رفيق بأن تحت كل خيمة من خيم أولئك الحثالة كان ملف لموسوعة كاملة من الفساد والشر، والكلمة الصادقة الوحيدة التي يقولها اليهودي لابنه وهي حكمته المفضلة: لا تثق بأي كان يا بني وعندما سأله ابنه وكيف هذا يا أبي، أخذه الأب ووضعه فوق صخرة مرتفعة وقال له هكذا يا ابني القي بنفسك إلي لألتقطك فرمى الطفل نفسه فانزاح الأب من تحته وسقط الطفل على الأرض وانقرفت رقبته. فقال الطفل وهو يئنُّ: لماذا هكذا يا أبي، فقال الأب ألم أقل لك لا تثق بأي كان فهذا جزاؤك.

هذا هو الدرس الأول الذي يتلقنه الطفل اليهودي من أبيه ولا ينساه أبداً. أما الدرس الأخير وهو الوصية التي يتركها اليهودي لإبنه بعد موته وهي الورثة المقدسة حين يقول له: يا بني وصيتي الأخيرة هي هذه الزجاجة فماذا ترى فيها، فيقول الإبن إني أرى فيها بحصة في ماء، فيقول الأب: وصيتي يا بني إلى أن تنصهر هذه البحصة في الماء، عندئذ ينصهر اليهودي بين الأغيار. وهكذا يبقى اليهودي متقوقع على نفسه وينفر من الإندماج بأي مجتمع لأنه شعب مقدس.

ولكن لا أفهم كيف يقدس شعب إذا كان هو احتقر نفسه بأقواله وأفعاله واستشهد على انحطاطه بكتبه المقدسة الزعم؟ وأنا هنا لا أريد أن أشير إلى كبائر الأمور من المعاصي، ولا على الفسق والدعارة والجرائم التي أثقلت صفحات التوراة لأن جوهر التوراة هذه أركانها:

ثالوث شيطاني كريه في أقانيمه الثلاثة القتل والعنصرية والدعارة، ولاسيما مع المحرمات وأقول هذا لا من خيال أو فراغ بل أنا راوي صادق وبالدليل القاطع وبشواهد من ذات التوراة ونماذج من هذا الفساد وأكثر تستطيع أن تقرأه في قسم صفات الله من هذا الكتاب. ولكني أريد هنا فقط أن أشير على سلوك

غرابته في ما يقزز النفس، حيث أن نبي مقدس في نظر اليهود وحكيم قومه وفريد زمانه وهو النبي حزقيال يأكل خبزاً مطهياً على الفضلات التي يفرزها الإنسان وعلى مرأى الجميع. حقاً إنها النجاسة بعينها:

وتأكل كعكاً من الشعير على الخراء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم.

حزقيال 12:4

أنا لا أفهم ما هي الحكمة من هذا القرف وكيف لا تحتقر هذه الجموع الرعوية من كل الشعوب المجاورة إذا كانت أنبيائها وحكمائها ونخبها المقدسة بهذا السلوك من الانحطاط والرجاسة؟ ولماذا نلوم المدنية المصرية عندما تترفع عن هذه الحثالة بقولها:

لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبريين لأنه رجس عند المصريين.

تك 32:43

وهذه شهادة التوراة على نجاستهم، وكيف لا تكون رجس كل تلك النجاسة.

هذا كان النبي حزقيال وهو أحد الأربع أنبياء الكبار في شعب الله المختار، أما النبي ميخا وهو أحد الأنبياء الصغار يقول:

من أجل خطايا السامرة وأورشليم، من أجل ذلك أنوح وأولول أمشي حافياً وعرياناً .

ميخا 8:1

نعم ميخا ينوح ويولول ويمشي عرياناً كما ولدته أمه، ولكن ماذا يقول النبي أشعيا الذي اقتبس منه المسيح بصورة مكررة واعتبرته المسيحية العروة الوثقة بين العهدين القديم والحديث؟ النبي أشعيا يتعرى ثلاث سنوات وكما خلقتني يارب لا أعلم هل هو طقس جنسي أم هستريا وصرع نبوي اتسم به أعظم أنبياء إسرائيل؟ كما حدث لأعظم ملوك إسرائيل النبي داوود حين تعرى ورقص بهبل السفهاء فاحتقرته زوجته كل الأحتقار.

خرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داوود وقالت: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إمائه كما يتكشف أحد السفهاء.

2صم 20:6

ولكن إذا كان النبي أشعيا حكيم زمانه لا يخجل من عرض قضيبه وقفاه أمام الملأ، كيف استطاع أن يبقى هكذا عارياً ثلاث سنوات صيف شتاء، هل كانت حرارة الإيمان بيهوه تحميه من زمهرير الشتاء القارص، أم كانت كذبة توراتية كالعادة؟

فقال الرب كما مشى عبدي اشعيا معرى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الاستاه خزياً لمصر.

اشعيا 20:3-4

بدافع الشهوة السادية في العبريين للتشفي بالأغيار وتشرباً العدوانية من هذه الآية وما شابه، قاد الإسرائيليين مائتان من السجناء الفلسطينيين عراة من غزة إلى قرية مجاورة في شهر آذار من سنة 2002. كما كانوا أحيانا ينقلون السجناء الفلسطينيين كالحيوانات إذ كانوا يضعونهم في الشباك كما الأكياس ويعلقونهم بخطاف من الأعلى وتحملهم طائرة هليوكوبتر أمام مرأى الجميع كطقس سادي حتى يراهم اليهود ويتشفوا بهم ويتمتعوا برؤيتهم معذبين.

هذه هي الدولة الديموقراطية، هذه هي مملكة الله التي انتزعها من الأغيار وليعطيها لشعب الله المختار الشعب المقدس.

النبي نوح يسكر ويتعرى ويعربد، والنبي داوود يتكشف أمام إمائه، وتسفهه زوجته والنبي حزقيال يخبز كعكاً على الخراء الخارج من الإنسان ليأكله أمام الملأ والنبي هو شع يأمره الله بأن يتزوج قحبة انتقاماً من بني إسرائيل لأنهم انحرفوا عن عبادة الأصنام (الترافيم) أي بقوا بلا أصنام. والنبي ميخا وأشعيا يعرضا أستهما للملأ كنذر ويركض خلفهما الأطفال ويضربونهما بالحجارة ويقولون عنهما مجنونان. والنبي اليشع كذلك يسخر منه الأطفال السائرين خلفه ويعيرونه بصلعته ويقولون له اصعد يا أقرع، فيلعنهم. وللحال تخرج دابتان من الوعر وتلتهم اثنان وأربعون طفلاً.

2مل 23:2

وهذا غيض من فيض من الأمثلة وتأتي التوراة لتعتبر هذه النخبة مقدسة وهذه الحماقة والجنون نبوة وقداسة ومعجزات. هذا عن صغائر الأمور عند شعب الله المختار، أما إذا أردنا أن نشير إلى بعض كبائر الأمور، بداية نشير إلى ما جاء في كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية تأليف سويريوس يعقوب توما سنة 1953 الجزء الأول ص 96- نقلاً عن خراب أورشليم ليوسيفوس الذي عاصر الأحداث ليقول:

عندما فتح تيطس أورشليم، عانى اليهود من الجوع وهذا ما حمل بعض النساء لأكل أطفالهن. كما نقرأ في سفر الملوك الثاني 28:6

ثم قال لها الملك مالك فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابني غداً (29) فسلقنا ابني وأكلناه ثم قلت لها في اليوم الأخر هاتي ابنك فنأكله فخبأت ابنها..... حقيقة أنا لا أستطيع أبداً أن استوعب ولا أن أصدق إن ما ورد بهذه الأخبار هي حقائق حدثت فعلاً، مهما بلغ الإنسان من الوحشية. لأنه لا يوجد أي وحش يفترس ابنه بدافع الجوع.

فإذا صدق ظني وكذبت التوراة، فأين عصمة هذا الكتاب من الكذب وأين قدسيتها؟ وإذا صدقت التوراة وكذب ظني، فأي دم طاهر لهذا الرعاع، وأي أحمق يتبارك بهذا النسل السفه، ولماذا اختار الله هذا الشعب الحقير من بين كل الشعوب؟ الذي قلب المفاهيم رأساً على عقب، جعل الغوغاء قدسية ويعود العبريين للقول: الشعب المقدس الذي تتبارك في ذريته كل الشعوب والدم الطاهر من دم الأغيار الأنجاس.

إن هذه الانعزالية وهذا التعالي والتمايز عن الغير دائماً، بل هذه العنصرية مكتنفة هذا الانحطاط حمل هذا الغير دائماً إلى نبذهم واحتقارهم. لذلك عاشوا ظروف سياسية متقهقرة وحياة اجتماعية رديئة جداً .

إن معاناة اليهود من هذه الظروف التعيسة، أينعت لديهم فكرة الأمل بالمعجزة التي ستحدث وتحقق لهم تطلعاتهم وتشفي غليل حقدهم على الأقوام والأمم من الأغيار. وذلك بقدوم المسيح الذي سيلد بمعجزة من عذراء ويأتي إلى

هذا العالم ليس للخير والسلام، وإنما لهدف واحد فقط وهو أن يدوس أمماً وشرفاء واحقاء ملوك تحت أقدامه انتقاماً لشعب الله المختار.

ولكن هذا المسيح جاء عشرات المرات كما تروي لنا التوراة، ولا زال العبريين صلبي الرقبة ينتظرون قدوم المسيح المخلص حتى أن بعض الذين نعتتهم التوراة بالمسيح كانوا من الأغيار الغلف الأنجاس كما تسميهم التوراة.

هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لادوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك.

أشعيا 1:45

هذا ما قالته التوراة عن المسيح الفارسي كورش، وقبل كورش قالوا عن نبوختنصر ملك الملوك ورجل الله وأحيانا ألهوه وطلبوا عبادته بوحي من الله إلى أنبيائه كالنبي أرميا والنبي باروخ وغيرهم.

وإن لم تسمعوا لصوت الرب بأن تتعبدوا لملك بابل فإني أبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح.

سفر باروخ 22:2

وعندما فتح الأسكندر الكبير أبو قرنين إمبراطورية فارس، ذهب إليه جدوع رئيس الكهنة العبريين وبشره بالنبوة الخاصة به والواردة في سفر دانيال، حيث تبشر بحسب رأي جدوع حسب الإصحاح الثامن من سفر دانيال أن بلاد اليونان تمثل تيس من الماعز قرنه الأول العظيم رمز للاسكندر بحسب عدد 21 وأنه هو المسيح والملك الجبار المذكور في دانيال 3:11.

وهنا يطبل ويزمر العبريين لهذا المسيح المخلص أبو القرنين لذا نجد بعد ذلك يظهر الأسكندر على قطع نقدية له قرنين. (قاموس الكتاب المقدس).

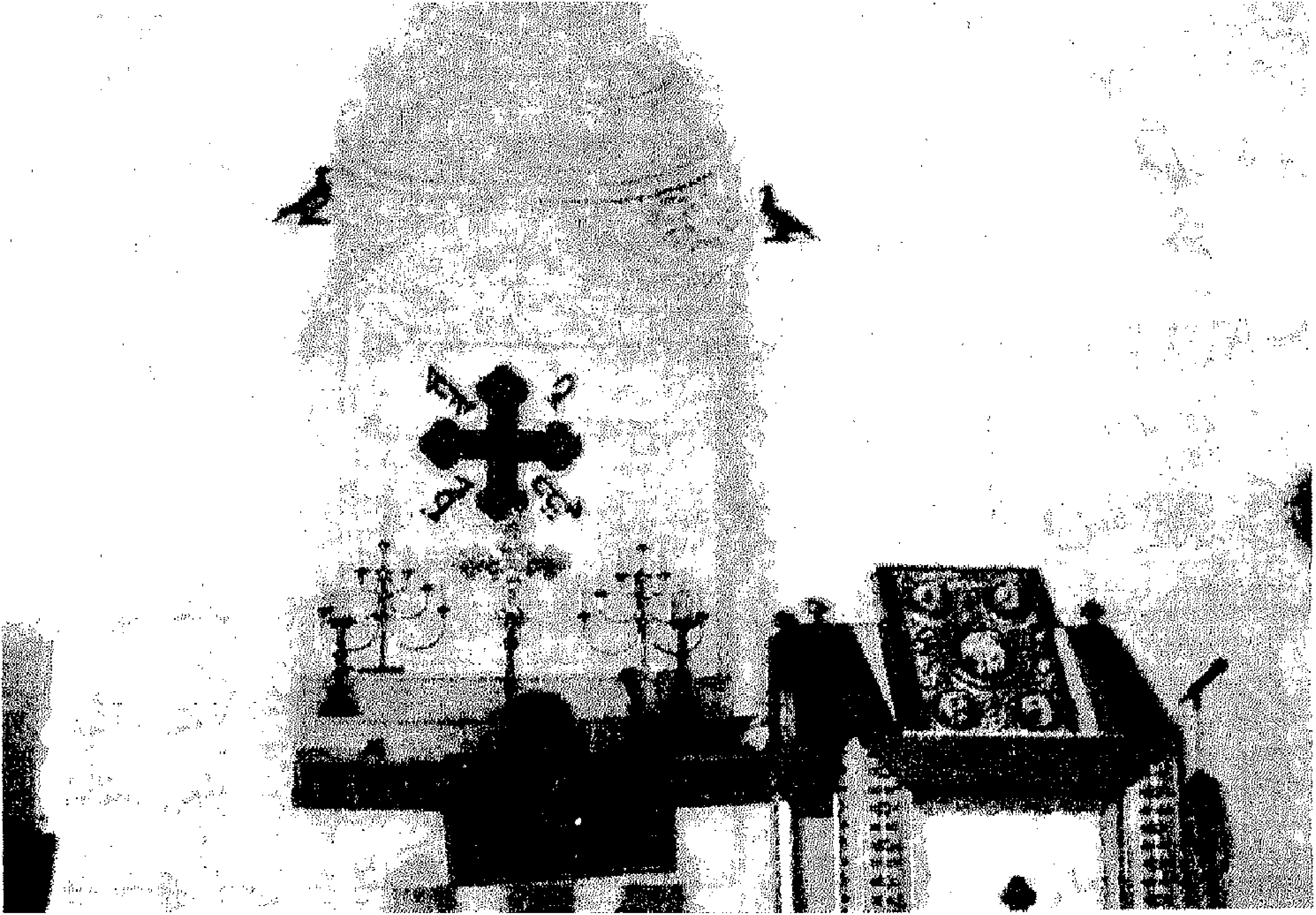
بقراءة هذه النبوة كما أسماها جدوع لا تجد أي كلمة لها معنى وهي عبارة عن ثرثرة إنسان مهووس يهذي بكلام لا تستطيع أن تفهم منه أي شيء، كلمة من الشرق وأخرى من الغرب لا يربطهم أي علاقة وجاء جدوع ليعتبرها نبوة ويربطها بالاسكندر.

إن مثل العبريين مع أسيادهم وحتى اليوم كمثل بنت الهوى اللعوب مع كل جديد ترتمي بحضن جديد. وهكذا جعل العبريين لمسحائهم قرون ينطحون بها الأغيار وتدوس أقدامهم الأمم والشعوب كما جعلوا لإلههم أيضاً قرون ينطح بها مضايقي إسرائيل:

بك ننطح مضايقنا باسمك ندوس أسيادنا.

مزمور 5:44.

والمؤسف أن هذه الفكرة العدونية وكثير من الأفكار الشريرة ترسبت من اليهودية إلى المسيحية، ولوثت جوهر المسيحية السمحاء، كما هذا المزمور السالف ذكره الذي استقرَّ في قدس أقداس الكنيسة، كما نرى في الصورة.



بك ننطح أعداءنا.

هذه لا تمت للمسيحية، لأن المسيح قال: أحبُّوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى المسيئين إليكم.

الرب يدين أقاصي الأرض ويعطي عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه

1صم 10:2.

كانت فكرة العذراء التي ستلد الإله المخلص من رواسب الأساطير السورية القديمة، وكانت قد خلقت هذه الفكرة في مرحلة انتقال السلطة من المرأة

إلى الرجل وتحول الألوهية المؤنثة إلى ألوهية ذكرية، أي احتلال الله مكان الآلهة فأدبرت ماما آلهة وأقبل بابا الله.

شاعت أساطير العذراء التي ستلد الإله المخلص عند أبناء سوريا، وكانت قد جرت العادة آنذاك أن تختبىء بعض العذارى في الهياكل المقدسة منتظرة هذا الحبل المقدس. وكانت أم سركون الآكادي إحدى هذه العذارى المتطوعات لهذه العقيدة كما مر معنا، كما كانت مريم العذراء أم المسيح منذورة للمعبد اليهودي تأثراً بهذه الرواسب.

تمر الأجيال وتتوالى الأنبياء اليهود والقضية نفسها تتردد من جيل إلى جيل (العذراء والدة الإله المخلص).

والمسيح أو الممسوح مشتقة من الكلمة السريانية مشيحا = مشيحو أي الممسوح أو المدهون بالزيت أو العطور، وكانت قد جرت العادة عند قدماء السوريين بأن يمسحوا رؤوسهم وأيديهم عندما يقومون بالصلاة أو تقديم القرابين للآلهات كما كانوا يدهنون رؤوس وأيدي وأرجل الضيوف أو من يعطونهم عهداً ما، فكان صب الزيت على رأس شخص يعني تعهداً أقوى من اليمين والتراجع عنه يستوجب عقوبة قضائية. ففي المادة الثانية والأربعون من الشريعة السورية في العصر الآشوري الوسيط تنص على:

إذا صب رجل في يوم عيد زيتاً على رأس ابنة رجل أو جلب هدايا عرس في يوم عيد فلا يسمح له بالتراجع عن ذلك. (قوانين بلاد مابين النهرين ص 125)

ولا زالت عادة صب العطور على رؤوس الضيوف وأيديهم تمارس بالشرق حتى اليوم وخاصة بمناسبات الأعياد والاحتفالات.

حمل اليهود هذه التقاليد عن السوريين جيلاً بعد جيل وترسخ بالشريعة الموسوية

22 – ثم قال الرب لموسى: خذ لك أطيب العطور

25 – واصنع منها دهن مسحة مقدساً

30 – وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم ليكونوا كهنة لي

سفر الخروج 30

تعود العبريين على هذا التقليد بالمسح أثناء القيام بالطقوس الدينية ومسح رؤوس وأيدي وأرجل الضيوف الأعزاء حتى قدوم المسيح. حيث قامت مريم أخت لعازر بمسح قدمي المسيح بالطيب الثمين جداً .

فأخذت مريم من عطر الناردين الخالص الغالي الثمن ودهنت به قدمي يسوع ثم مسحتها بشعرها فملأت الرائحة الطيبة أرجاء البيت كله

يوحنا 3:12

وفيما هو في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكيء جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه.

مرقس 3:14

هكذا أتخمت التوراة بهذه القضية المسيح والممسوح والذي ستحدث على يده المعجزة في الخلاص، فغنى اليهود بهذا الأمل المنشود فترسخت عقيدة المسيح والمسح في الأناشيد الدينية بالتوراة ومن تلك الأغاني نقرأ:

هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الأخوة معاً مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية، لحية هرون النازل إلى طرف ثيابه.

المزمور 1:133

2- قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه

6- أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.

المزمور الثاني

مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج.

مزمور 7:45

المسيح ونقض العهد

قال موسى: لا تقبل خبراً كاذباً.

خروج 1:23

والخبر الكاذب في زعم موسى هو كل خبر لم يأتي به موسى، لذا هدد موسى بأخطر الشرور والويل والثبور والقيح والبثور وعظائم الأمور لمن يسوغ له عقله أو قلبه أن يسمع لكلام غير كلام موسى، أو يسمع لنبي غير النبي موسى، أو يتبع خطا غير خطا موسى.

وكرس هذا الموسى الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية كله بالتهديد والوعيد والضرب بيد من حديد على رأس كل عنيد لمن يتعاطف أو يتلاطف أو يتقبل أي فكرة من نبي غيره حتى لو صنع هذا النبي المعجزات والآيات العظام وكائناً من كان.

يقول موسى: إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن نفسكم وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها فتنتزعون الشر من بينكم. وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك

من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من إقصاء الأرض إلى أقصاها فلا ترضى منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك....الخ

سفر التثنية الإصحاح الثالث عشر

كان النبي موسى من وقت لآخر يلقح الشعب بآيات وتوصيات إرهابية فظيعة كهذه، ليكسبهم مناعة ضد التقبل لأي فكرة قد تشوش عليه مساره. وكثيراً ما كان يقوم بمجازر رهيبة وفظيعة يذهب ضحيتها آلاف الأفراد.وكان كل واحد من الأتباع يقتل من يأمره موسى حتى لو كان أخيه أو ابنه أو أبيه. وفي إحدى المرات قتل موسى ثلاثة آلاف شخص بهذه الطريقة.

فقال لهم موسى: هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وأرجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلثة آلاف رجل وقال موسى إملأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه فيعطيكم اليوم بركة.

سفر الخروج 32:27 – 29

وبهذا أغلق موسى كل الأبواب والمنافذ التي تخرج الأتباع من هذه الدوامة الشريرة والمضللة ولهذا أن كل من جاء بعد النبي موسى مدعياً النبوة-مجبراً – زعم أنه يسير على خطا النبي موسى وأنه لم يأت لينقض العهد، وإنما جاء ليتمم ما بدأ به موسى. حتى أن المسيح نفسه قال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى الأصغر في ملكوت السموات.

إنجيل متى 17:5

وبالرغم من أن المسيح قال ما جئت لأنقض، بل لأتمم ومن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى يكون الأصغر في ملكوت السموات بل إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، فهل صحيح أن المسيح أتم ما بدأ به موسى ولم ينقضه؟ هذا هو السؤال الجوهري بل هذا ما يجب أن يعرفه كل مسيحي ليعرف جوهر اليهودية ومدى بعدها عن المسيحية.

الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض.

متى 2:24

الحقيقة أن المسيح نقض كل بناء اليهودية من الألف إلى الياء ولم يترك حجراً على حجر ومن ثم قام ببناء جديد مخالف كل الخلاف للعهد القديم وقد عبر المسيح عن نقضه لليهودية أجمل تعبير حين قال في يوحنا 18:2 –

فأجاب اليهود وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا فأجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه. وكان يقصد من هدم الهيكل نقض الناموس الموسوي وذلك بموته يموت العهد القديم وبقيامته بعد ثلاثة أيام يكون بداية عهد جديد، لهذا جاءت الرسالة المخصصة للعبريين لتقول: فانه لو كان ذلك الأول بلا عيب (العهد القديم) لما طلب موضع لثان (العهد الجديد)... وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.

الرسالة إلى العبرانيين 7:8 – 13

وقبل أن نأتي على جوهر الخلاف العقيدي بين العهدين أود أن أشير إلى بعض الاختلافات في سرد الروايات بين العهدين. فكثيراً ما جاء سرد الروايات والأخبار في العهد الجديد مخالفاً لما جاء في العهد القديم ففي سفر الخروج 5:1 – ورد:

وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً.

بينما في أعمال الرسل 14:7 – ورد:
" فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً .
ورد في خروج 40:12 –
وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلثين سنة.
أما في أعمال الرسل 6:7 – ورد:
وتكلم الله هكذا أن يكون نسله متغرباً في أرض غريبة فيستعبدوه ويسيئوا إليه أربع مائة سنة.

جاء في متى 11:1 – بأن يوشيا ولد يكنيا وأخوته عند سبي بابل أما في أخبار الأيام الأول: 15:3 – 16 –ورد بأن أولاد يوشيا يوحانان ويهويا قيم وصدقيا وشلوم وابنا يهويا قيم يكنيا وصدقيا أي أن يكينا ليس ابن يوشيا بل ابن يهويا قيم.

ورد في تكوين 24:10 – و10:11 – إن سام ولد أرفكشاد وأرفكشاد ولد شالح بينما في لوقا 36:3 – ورد بان شالح ابن قينان ابن أرفكشاد ابن سام أي أن قينان اسقط في سفر التكوين أو أضيف في انجيل لوقا.

ورد اسم أحد ملوك يهوذا باسم كنياهو بن يهوياقم في سفر ارميا 22: 24–28و 37: 1. بينما في أخبار الأول 3: 17– وانجيل متى 1: 12 ورد باسم يكنيا.

لا أرغب أن أورد الكثير من الأمثلة في التباين بين العهدين تجنباً للملل، ولكن أريد أن أشير إلى قليل من الأمثلة في التباين بين الرواية والأخرى في نفس العهد القديم، أما العهد الحديث والأمثلة في تباين الرواية في العهدين كثيرة أيضاً .فبداية أريد أن أشير إلى موت بكر ملوك إسرائيل والذي كان من المفروض أن تكون أخباره دقيقة جداً وصحيحة.

ففي صموئيل الأول 31: 4 ورد:
فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً فاخذ شاول السيف وسقط عليه ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه

ومات وما إن ينتهي هذا السفر بنهاية هذا الإصحاح حتى يبدأ السفر الثاني برواية جديدة ومختلفة حول موت شاول إذ جاء فيه:

وإذا شاول يتوكأ على رمحه وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه فالتفت إلى ورائه فرآني ودعاني فقلت هاأنذا فقال لي قف علي واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار فوقفت عليه وقتلته 2 صم 1: 6 – ولكن هذا الشاول بكر ملوك إسرائيل والذي تصفه التوراة من أسرة غنية جداً 1 صم 9: 1 والذي انتحر حامل سلاحه عندما رأى سيده مات كما جاء في الرواية الأولى ليس غريبا أن يجتمع أكثر من ربع مليون مقاتل خلفه بكلمة واحدة منه. ولكن الغريب أن هذا الملك كان بنفسه يحرث حقله ويرعى بقرة ويبحث عن حميره التي فقدت. انظر 1 صم 11: 8 و1 صم 9: 3 ألا ترى معي أن هذا الأمر غريبا بعض الشيء؟

هذا شاول أول ملوك إسرائيل أما أعظم ملوك إسرائيل الملك داوود فقد نسبت إليه المزامير المعروفة بمزامير داوود، مع أن في هذه المزامير كثير من الإشارات والدلائل بأنها كتبت بعد عهد داوود ليس بعشرات السنين بل بمئات السنين. مثل ما جاء في مزمور -137- حيث كتب أثناء السبي البابلي وقد ورد فيه:

على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا كيف نرنم ترنيمة في أرض غريبة.

وفي انجيل متى 1: 17 – ورد بأن النبي داوود كان قبل سبي بابل بأربعة عشر جيلاً ويقول سفر الملوك الأول 4: 32- أن للنبي سليمان ألف وخمس مزامير بينما مجموع المزامير هو مئة وخمسون مزمور وهي منسوبة لداوود وغير داوود ولا يوجد مزمور واحد منسوب لسليمان. فهل صحيح أنه كان هناك أكثر من ألف مزمور لسليمان وألغتها الكنيسة وألقتها في سلة المهملات؟

أما نشيد الإنشاد والمنسوب لسليمان فهم ثمانية أناشيد لا غير. ولازلنا في سيرة ملكنا داوود وقد ورد في 2 صم 21: 18 – أن أحد أبطال داوود وهو سبكاي الحوشي قد قتل ساف ولا أعلم إذا كان هذا الساف عملاقاً أم لا. ولكن في 1- أخبار 11: 29 ورد بأن سبكاي الحوشاني قتل ساف. وهذا ليس مهم أن

كان الحوشي، كما في الرواية الأولى أم الحوشاني كما في الرواية الثانية بل المهم أن في 2 صم 23: 27 – جاء بأن صبوناي الحوشاني قتل ساف، وليس سبكاي الحوشي أو سبكاي الحوشاني كما في الروايتين السابقتين. وهذا خلاف غير مقبول من كاتب الوحي إلا إذا تعرى هذا الكاتب عن هذا الزعم من أنه يكتب بوحي من الروح القدس.

وهناك بطل آخر من أبطال داوود وهو اخيام ورد اسم أبيه في اخبار الأول 11: 35 باسم ساكار بينما في 2 صم 23: 33- ورد باسم شارار. وشتان ما بين شارار وساكار فشارار تعني صالح وساكار تعني ضال. راجع قاموس سرياني عربي.

ورد في اخبار الأول 2: 6 اسم حفيد يهوذا باسم زمري ابن زارح، بينما في يشوع 7: 1- ورد باسم زبدي وانا أرى تجاوزاً للخلاف في الروايتين نأخذ الحل الوسط. فلا يقال زبدي ولا يقال زمري بل زبري قد تنفع أكثر على رأي اللبناني.

ولا زلنا في سيرة داوود وأخت داوود واللي خلف داوود. ففي 1 صم 16: 10- مثلاً ورد بأن يسي أبو داوود له ثمانية بنين كما نقرأ في 1صم 17: 12- وداوود هو ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسى وله ثمانية بنين.

أما في أخبار الأول 2: 13- ورد بأن يسي له سبعة بنين. ويسي ولد بكره الياب وابيناداب الثاني وشمعي الثالث ونثنئيل الرابع ورادي الخامس واوصم السادس وداوود السابع واختاهم صروية وابيجايل. فأيهما الأصح سبعة أم ثمانية أم تسعة؟

أنا على ما أرى أن الروايتان لا تصحان، إلا إذا اعتبرنا أن الأنثى تساوي نصف الذكر وهنا تصح الرواية الأولى، أما إذا اعتبرنا أن الأنثى لا تساوي أي شيء أو تساوي صفر على الشمال فهنا تصح الرواية الثانية. أما الخطأ الذي لا نستطيع أن نكنسه تحت السجادة هنا هو أن في 1 صم 16: 9 و17: 13 ورد بان اسم الابن الثالث شمة بينما في 2 صم 21: 21 – وأخبار الأول 2: 3 ورد باسم شمعي.

ورد في 2 صم 3: 3 أن ابيجايل امرأة داوود ولـدت ولـداً واحـداً لـداوود اسمه كيلاب، بيـنما في أخبـار الأول 3: 1 – ورد اسـمه دانيئيـل، وابيجايـل هـذه ليست أخت داوود كما جاء في 1 صم 25: 3 – بل كانت زوجة لرجل غني جداً. وعندما كان داوود يترأس عصابة من قطاع الطرق أرسل إلى نابـال زوج ابيجايـل يطلب منه خوة (إتاوة)، ولكنه رفض هـذا الرجـل الابتـزاز والرضـوخ لـداوود. لا نعلم كيف تخلصت ابيجايل من هذا الـزوج، إلا أن التـوراة تقـول أن الله أماتـه لأنه كان بخيل وأحمق، وتصف زوجته بالذكية والجميلة جداً لهـذا تزوجهـا داوود مباشرة، ولكن هذه الأمور اختلطت عـلى كاتـب الـوحي فـأختي داوود ابيجايـل وصروية بنات يسي ينسبهم كاتب الوحي إلى رجل آخر هو ناحاش بحسب 2 صم 17: 25 – وهنا نقضت هذه الرواية ما جاء في 1 أخبار 2: 13 – مـن أن صرويـة وابيجايل هم بنات يسي أبو داوود

وإليك يا سيدي مثلاً آخر من النماذج التوراتية التي اختلط فيها الحابل بالنابل.

ففي ملوك الأول 15: 1 – ورد: وفي السنة الثامنة عشر للملك يربعـام بـن نباط ملك أبيام على يهوذا ملك ثلاث سـنين في أورشـليم واسـم أمـه معكـة ابنـة ابشالوم....

8- ثم أضجع أبيام مع آبائه فدفنوه في مدينة داوود وملك آسا ابنـه عوضـاً عنه وفي السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك آسا عـلى يهـوذا ملـك إحـدى وأربعين سنة في أورشليم وأسم أمه معكة ابنة ابشالوم.

أولاً في السنة الواحد والعشرين ملـك ولـيس في الـسنة العـشرين، راجـع ما سبق وهذا ليس مهم بل المهم أنه إذا معكة كانت أم آسا وأم ابيام بنفس الوقـت كما ورد فيما سبق، فهذا يعني أن آسا ليس ابن ابيام بل يجب أن يكون أخيه فـلا بـد من أن هناك ثمة خطأ وهذا أيضاً يا أحبـائي لـيس مهـم. صـدقوني أن المهـم أن في 2أخبار13: 1 – ورد: في السنة الثامنة عشر للملك يربعـام ملـك أبيـا عـلى يهـوذا ملك ثلاث سنين في أورشليم واسم أمه ميخايا بنت أوريئيل من جبعـة وهنـا هـو المهم بل المهم جداً الذي لا يمكن لأي معدة هضمه وإن كان وجبة دسـمة مقدمـة

من قدسية الوحي. لأنه إذا كان لأبيا أب أو أبين أو أكثر فهذا يتوقف على مزاج أم أبيا وهو وارد ومعقول جداً، ولكن أن يكون لأبيا أكثر من أم، فهذا ما لم أستطع هضمه لهذا علينا أن نعلم، أما أن ميخايا بنت أوريئيل من جبعة هي أم أبيا أو أن معكة بنت أبشا لوم هي أم أبيا كما جاء في المقدمة. قارن ملوك الأول 1:15 وأخبار الأيام الثاني 1:13.

أن يروي الرأس التوراتي أن يسي أبو داوود له ثمانية أبناء واحد يزيد أو واحد ينقص كما رأينا فهذا ليس مسبب إحراج للمفسرين كما فسرنا لهم مسبقاً ناهجين نهجهم في التفسير، إذ رأينا أن أحيانا تحسب الأنثايين بذكر أو بصفر فليست هذه بصاعق لتفجير مشكلة. ولكن هناك مشكلة حقيقية لا نستطيع أن نكنسها تحت السجاد الأحمر الذي رسم طريق الاستقامة للبابا بطرك، لأنها تعثره ولا نستطيع أيضاً أن نخفيها تحت بساط الرحمة الذي أتخم بالكثير من السقطات ولاسيما أن هنا فارق الخلاف بين الرواية والأخرى صارخ كنعيق البومة في صباح هادىء.

ففي السفر الأول من التوراة يروى أن بنيامين ابن يعقوب الذي هو إسرائيل له عشرة أبناء من الذكور ولا يأتي على ذكر بنت واحدة، يبدو أن بنياميننا كان مذكاراً، وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل وجيرا ونعمان وايحي وروش ومفيم وحفيم واورد.

سفر التكوين 46: 21

بينما السفر الرابع من التوراة وكلاهما من كتابة موسى وطبعاً بوحي من الروح القدس يقول: إن لبنيامين ابن يعقوب (إسرائيل) خمسة ابناء هم: بالع وأشبيل وأجيرام وشفوفام وحوفام.

سفر العدد 26: 38 إذاً هنا بلع موسى خمسة من العشرة.

أما كاتب سفر الأخبار وهو كاتب مجهول، إلا أنه لابد من أن يكون ملهم من الروح القدس لأنه كتب تاريخ شعب الله المختار من ادم حتى داوود فيقول هذا الكاتب بإلهام من الروح القدس أن لبنيامين ثلاثة أبناء فقط وهم1 - بالع 2- باكر 3- يديعئيل أخبار الأول 7: 6.

عزيزي القارىء، سيدتي القارئة بعد أن سبق وأشرنا إلى بعض الأمثلة في التباين بين العهدين القديم والجديد ومن ثم جئنا على سوق بعض الأمثلة للتباين بين الرواية والأخرى في نفس العهد القديم، فهل هناك المزيد من الحاجة لمزيد من الأمثلة الحقيقة أن الأمثلة كثيرة كثيرة وكثيرة ولكن أنا أصابني شيء من الملل لهذا أنتقل إلى بعض الأمثلة من الاختلاف في الرواية الواحدة في العهد الجديد، وسوف لا أطيل كثيراً في هذا القسم من الكتاب المقدس لأن المتناقضات في كلا العهدين كثيرة وذكر أكثر مما ذكرنا يصيب حديثنا الشيق بالجفاف الذي أصاب ضمائر زاعمي الوحي والقداسة في هذه الصفحات.

أما من الأمثلة هذه في العهد الجديد نورد ما ورد في قصة شاول الذي أصبح بولس نجم المسيحية أثناء سفره إلى دمشق عند اضطهاده للمسيحية حيث ظهر له المسيح، فقد ورد في أع 9: 7 – وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحد. أما في أع 22: 9 ورد الذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. إذاً الروايتين متناقضتين حيث الأولى سمع الرجال المسافرون معه ولم يروا أحداً، بينما الثانية بالعكس إذ رأوا ولم يسمعوا.

إن رواية مرقس في 14: 3 – عن المرأة التي سكبت العطر على رأس المسيح في قرية عنيا في بيت سمعان قبل عيد الفصح بيومين، جاءت مخالفة لما رواه يوحنا 12: 3 – الذي ذكر بأنه قبل عيد الفصح بستة أيام سكبت مريم العطر على قدمي المسيح ومسحته بشعرها. ومن يطالع هاتين الروايتين يعلم أنهما حادثة واحدة رويت باختلاف بسيط وهو اليومين في الرواية الأولى أصبحوا ستة أيام في الرواية الثانية، والرأس في الرواية الأولى أصبح مقادم في الرواية الثانية.

سيدي العزيز بعد كل هذه الأمثلة من الاختلافات والتناقضات وقبل أن آتي إلى الأهم وهو اختلاف العهد الجديد عن العهد القديم من حيث الجوهر والدين، من حيث العقيدة والأخلاق، وقبل أن آتي إلى الإثبات بكون المسيحية هي

ثورة على الموسوية، أختم هذه التناقضات بخلاف بين حكم وأمثلة الشعوب مع حكم وأمثلة التوراة.

فمن الأمثلة الشعبية والمتفق عليها عالمياً والتي تتحدث عن الغراب الذي لا يتأمل أحد منه أي فائدة، يقول المثل الشامي: لو فيه خير ما رماه الطير، وفي مصر يقال أيش جاب الغراب لأمه، والمثل الهولندي يقول:

De raven zullen u geen brood brengen ويعني هذا المثل أن الغربان سوف لا يأتوك بالخبز.

وكل الأمثلة تدور حول محور واحد، إلا التوراة خرجت عن هذا المحور وقالت طز على كل هذه الشعوب وأمثلتها السخيفة. فهذا النبي إيليا بالرغم من انحباس المطر والقحط الذي أصاب كانت الغربان تأتيه بالخبز مجاكرة بأمثال الشعوب وحكمها، والغربان لم تأت لإيليا بالخبز وحده بل بالخبز واللحم المطهي بأفخر المطاعم السماوية والأشهى من مطاعم خمس نجوم.

ملوك الأول 17: 6 – وكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً.

لدراسة أوجه التشابه والخلاف بين العهدين القديم والجديد، يصعب علينا جداً أن نقع على وجه واحد ذو جوهر وشأن يكون متفق عليه بين العهدين، وبالرغم من أن القائمين على الرعية المسيحية خلف عن سلف يحاولون دائماً التقرب من اليهودية، ومن أبرز مظاهر هذا التقارب هو ربط العهد القديم بالعهد الجديد في كتاب واحد جزءان لا يتجزءان. وفي البدء لم يكن هكذا لا بل الأنكأ من هذا أن بابا روما العظيم برأ اليهود من دم المسيح وتجاهل ما جاء في الأناجيل حيث قال اليهود: اصلبوه ودمه علينا وعلى أولادنا. مت 27: 25.

واليوم يفكر ويخطط الأفاضل والأمناء جداً على نقل رسالة الإنجيل بأمانة ودقة إلى الأجيال يفكروا ويخططوا كيف يمكنهم إسقاط هذه الآية الجوهرية من الإنجيل، وترتيب قصة صلب المسيح من جديد. ولكنهم ينتظرون الوحي المقدس وهذا الإلهام من حقهم وحدهم أليس ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً

في السماء وما يحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء كما جاء في إنجيل متى 18: 18. ولكن عجب العجب فعلاً وعجب ما بعده عجب كيف استطاعت الدعاية الصهيونية غسل دماغ سواد المجتمع المسيحي وإقناعه بأن اليهود بريئين من دم المسيح، ورموا كل الخطيئة والذنب على عاتق الحاكم الروماني بقولهم أن اليهود كانوا محكومين من الرومان وهم ليس لهم سلطة الحكم، وبالتالي الحاكم الروماني يتحمل كل وزر الخطيئة. وهكذا سرت القناعة في سواد المجتمع المسيحي كما يسري السم في الوريد مخلفاً اليأس من المعضلة، مع أن الإنجيل يدين بكل صراحة اليهود ويبرىء الحاكم الروماني وهذا ما جاء في الآية:

فقال الوالي وأي شر عمل يسوع فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغباً أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم فأجاب الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا.... إنجيل متى 27: 23 – 25. وعندما تواجه مغسول الدماغ بهذا الدليل الدامغ يبقى راكباً الحماقة ويقول أن هذه كانت خطة الله، والذي حصل لا بد أن يحصل لأنها مشيئة الله واليهود بالنتيجة أبرياء، هذا هو العجب والعجب الذي ما بعده عجب.

هكذا كانوا قتلة الأنبياء وهذا هو سلوك خلفاء المسيحية عن سلفائهم مع اليهودية أما موقف اليهود من المسيحية فمن جهتهم لم يتركوا قذارة تخطر في فكرهم إلا وصموا بها المسيح والمسيحية والمسيحيين.

وكتموا حيث ضعفوا وجهروا حيث تنمردوا وكانوا دائماً يتمسكنوا إلى أن يتمكنوا. فاليهود يعتبرون يسوع مسيحاً دجالاً وهو الذي حذر منه أنبياؤهم، ولاسيما تحذيرات النبي موسى في الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية. وكان الإصحاح بكامله يحذر من المسيح وأمثال المسيح وأعتبر اليهود هذا المسيح يهودياً مرتداً إلى الوثن وخارجاً عن ناموس موسى، والآباء البطاركة وقالوا عنه لا يدخل جماعة الرب بحسب تث 23: 2 – لأنه ابن زنى حيث ولدته أمه من العسكري باندارا عن طريق الخطيئة. وهذا كان سبب تزويج الصبية مريم من العجوز

الأرمل يوسف، وكان ليوسف شك في هذا وأراد تخلية مريم خطيبته سراً، إلا أن ملاك الرب ظهر له في الحلم وقال له أن مريم العذراء حبلى بالروح القدس.

مت 1: 19 – 20

هذا عن نظرة اليهود للمسيح، أما وجه الخلاف الجوهرية بين العهدين وقبل الإشارة إلى بعضها علينا أن نعلم ولو شيء يسير عن تلك الدوافع التي حملت المسيح للانقلاب على اليهودية. وباختصار شديد نقول إلى جانب الخلاف المزمن بين الشيع الكثيرة والكراهية المستفحلة بينهما، كان ظلم رجال الدين قد أثقل كاهل الرعية بالطقوس والفروض الموسوية ولاسيما الذبائح المفروضة بحجج واهية والنصب والاحتيال من رجال الدين على مساكين الشعب، كل هذه الأمور وكثير غيرها كانت من وراء ظهور الفكر المسيحي الذي نقض الناموس الموسوي وقد أشار إلى هذا الرسول بولس برسالته إلى تيطس 1: 10 –14.

فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولاسيما الذين من الختان (اليهود) الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح... فلهذا السبب وبخهم بصراحة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان لا يصغون إلى خرافات يهودية.

رسالة بولس إلى تيطس 1: 10 – 14

أما بالنسبة لبعض أوجه الخلاف الجوهري نشير إلى (الرسالة إلى العبرانيين) التي كرست في القدح في اليهودية ونقضها عن بكرة أبيها، وأمثلة على هذا نقرأ:

ثم قال هائنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله ينزع الأول لكي يثبت الثاني.

عب 10: 9

فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان

عب 8: 7

فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها.

عب 7: 18

يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار.

إنجيل متى 3: 7 – 10

هذه أمثلة قليلة من رسالة العبرانيين ومن إنجيل متى التي جاءت لتخرج العبرانيين عن مسار موسى. والآن نشير إلى بعض مواضيع الخلاف بين العهدين، فالطلاق مثلاً وهو أهم المواضيع الاجتماعية فما هو رأي كلا العهدين بهذه المشكلة الاجتماعية:

الطلاق

الطلاق هو فسخ عقد الزواج والفصل بين الزوجين. وقد سمحت الشريعة الموسوية للرجل أن يطلق زوجته حتى لأتفه الأسباب، كما سمحت للمطلقة الزواج من غيره، وإن طلقت ثانية يحق لها الزواج من رجل آخر وهكذا.

تثنية 24: 1

وأنا لا أجد عيباً في هذا إن لم يكن هناك ضحايا من الأطفال، أما أن يكون هناك أطفال فهو عذاب ضمير لا ينتهي لأنها جريمة أخلاقية لا تغتفر.

أما العهد الجديد فلم يسمح بالطلاق إلا لعلة الزنا، ومنع المطلقة من الزواج منعاً باتاً، ومن يتزوج من مطلقة فهو يزني.لهذا قيل زيجة نصرانية عقدة شيطانية.

وقيل من طلق امرأته فليعطيها كتاب طلاق (الشريعة الموسوية) وأما أنا (المسيح) فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج من مطلقة فانه يزني.

متى 5: 31

وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم:

أما قرأتم إن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً .

إذاً ليس يُعدّا اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق قال لهم:

إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني. متى **19: 3 – 9.**

سبت الرب

السبت كلمة آرامية من أصل آكادي دخلت كثير من لغات العالم القديم والمعاصر، وهي تعني لغوياً الراحة وتعني أيضاً الأسبوع كما تعني الرقم سبعة أو السابع: سبت، سبات، سابات..الخ يوم السبت كان للرب كشريعة أبدية، وإذا عمل إنسان في يوم السبت فكان عمله هذا من أكبر الكبائر وكان يقتل حتماً كما حدث للحطاب المسكين الذي وجدوه يحتطب في يوم السبت فرجموه بالحجارة حتى الموت.

عدد 15: 32

وجمع موسى كل جماعة بني إسرائيل وقال لهم هذه هي الكلمات التي أمر الرب أن تصنع ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب كل من يعمل فيه عملاً يقتل لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت.

خروج 35: 1 -3.

والشواهد على أبدية هذه الشريعة كثيرة. أما العهد الجديد فنقض هذه الشريعة واعتبر تقديس يوم السبت ضلال وجعل يوم الراحة يوم الأحد:

فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي إضلال الأمور العتيدة.

رسالة بولس إلى كولوسي 2: 16

الختان

الختان كلمة آرامية، لغوياً تعني عريس أو نسيب، ومن هذا المعنى نسجت قصة عريس الدم الواردة في خروج 4: 25 -26. وعملية الختان أكثر مَنْ عرفها الفراعنة وعرفتها أقوام وشعوب كثيرة في آسيا وأفريقيا، وكذلك عرفتها قبائل الأزتيك، سكان المكسيك القدماء، وسكان حوض نهر الأمازون وغيرهم من أمريكا. وكانت شائعة في سوريا أيضاً، اقتبسها إبراهيم حين كان في التاسعة والتسعون من عمره واعتبرت بمثابة عقد مبرم بين يهو وإبراهيم، بأن يقلف كل قضيب من الذكور كعلامة انتماء إلى جماعة الرب ويبقى هذا العهد أبدي بين يهو وشعبه المختار.

وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم.

سفر التكوين 17: 9

وعلى هذا الأساس صنفت التوراة البشر إلى طاهر ونجس، فكل مختون طاهر وكل أغلف نجس (اشعيا 52: 1) أما العهد الجديد فنقض هذا العهد واعتبر الختان لا شيء يستحق الاعتبار كما في غلاطية 5: 6 و6: 15 لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة. وخلق الله الإنسان كاملاً على صورة الله خلقه ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً.

تك الأول

الكهنوت

إن أكثر ما خرج عن وصية موسى وناموسه وبصريح العبارة كان خروج الكهنوت عن نسل لاوي:

وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لي ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتاً أبدياً في أجيالهم.

خروج 40: 15

فموسى كان قد أوصى بشريعته بأن يكون الكهنوت محصوراً في صلب اللاويين، وكان هذا ناموساً أبدياً لا يقبل الجدل كما أكدته الشريعة بشواهد كثيرة، فجاء المسيح ليغير الكهنوت لتغير الشريعة والناموس أيضاً وهكذا نقض العهد القديم:

لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغيير للناموس أيضاً .

الرسالة إلى العبرانيين 7: 12

فالمسيح جاء ليحول الكهنوت من الطبيعة الهابيلية في القرابين الدموية إلى الطبيعة القايينية في القرابين من ثمار الأرض الخبز والخمر وهي الرتبة الصديقية (رتبة ملكي صادق).

فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هرون.

عبرانيين 7: 11.

ليس الكهنوت خرج عن طبيعته وحسب بل خرج حتى عن سبط لاوي ودخل في سبط يهوذا: فإنه واضح أن ربنا (المسيح) قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت

عبرانيين 7: 14.

إذا كانت شريعة موسى أوصت العين بالعين والانتقام للدم وما شابه، فالمسيحية جاءت لتقول أحبوا أعدائكم وباركوا لاعنيكم، واللهم أغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون وما شابه فالمسيحية إذاً كانت ثورة على اليهودية. وهذه الأمثلة القليلة أليست كافية للقناعة من أن العهد الجديد جاء لينقض العهد القديم عن بكرة أبيه ومن الألف إلى الياء؟

بعض الأخطاء
الواردة بالتوراة

إذا كانت التوراة قد نسقت أسفارها واستكربت أنبيائها منذ أيام إبراهيم الخليل وعلى مدى أكثر من ألفي سنة، فهل تطهرت هذه الأسفار من الأخطاء والتناقضات وحتى من المستويات الأخلاقية المنحطة؟

الحقيقة بالرغم من هذا كله لازالت صفحات التوراة مشبعة بهذه العيوب، ولا أظن أن هناك صفحة واحدة تخلو من الأخطاء والركاكة فبالإشارة إلى بعض أخطاء وعيوب التوراة هذه نبدأ بالإشارة إلى البذرة الأولى للعبريين: بكر شعب الله المختار إبراهيمنا الخليل وهجرته من أور الكلدان إلى كنعان.

هجرة إبراهيم الخليل

إن من يقرأ قصة هجرة إبراهيم في التوراة إذا نسي للحظة واحدة أنه يقرأ في كتاب مقدس معصوم، يظن أنه يقرأ قصة لراوي أثملته الخمرة يسرد قصة من نسيج خياله ليس لها أساس لكثرة الأخطاء والتناقضات التي وردت فيها، والمشكلة عند مفسري الكتاب المقدس هذا في هذه القصة هي الحيرة التي أربكتهم في معرفة سبب هجرة إبراهيم من أور الكلدان إلى حران بالرغم من أنه تلقى وحياً ومن الله مباشرة بأن يهجر من أور الكلدان إلى كنعان أرض الميعاد كما جاء في سفر التكوين 11: 31-

وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام ابنه فخرجوا معاً من أور الكلدان ليذهبوا إلى كنعان فاتوا إلى حران وأقاموا هناك.

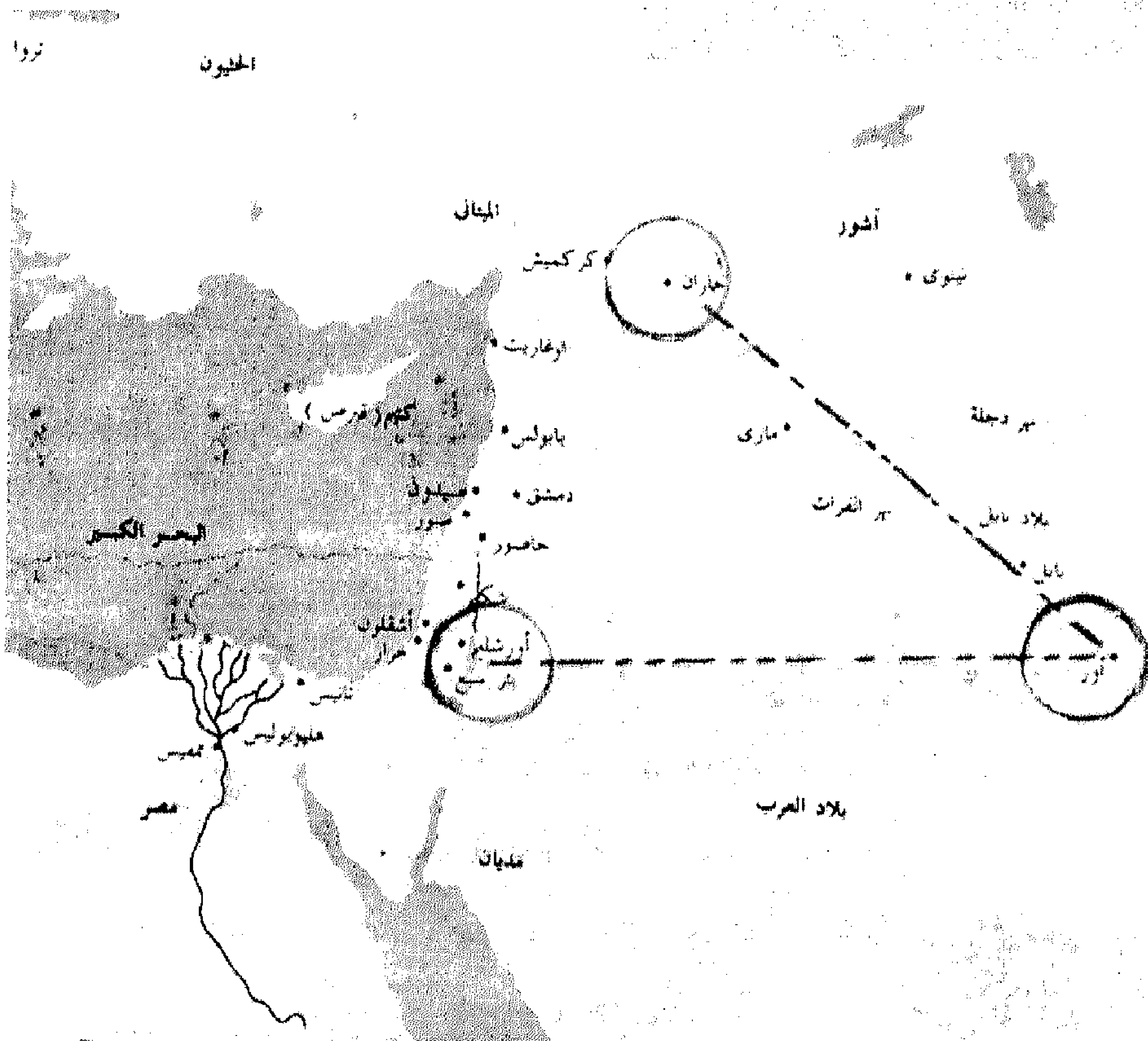
فبغض النظر عن تناقض هذه الآية مع بعضها بقوله: ليذهبوا إلى كنعان بل أتوا إلى حران وأقاموا فيها، وثانية بغض النظر عن التناقض بين هذه الآية وما جاء في الرسالة إلى العبرانيين 11: 8

التي تقول أن إبراهيم لم يكن يعرف إلى أين سيذهب عندما خرج من بلاد ما بين النهرين: بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذ ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. وبنفس المعنى نقرأ في تثنية 26: 5 -إن إبراهيم آرامياً تائهاً كان. أي أنه لم يكن يعرف بعد إلى أين سيذهب.

إن هذه التناقضات الكثيرة ليست لنا بيت القصيد، لأن المشكلة بالرأس وليست بالكراس فبيت القصيد وكل ما نقصده هو نزع الحيرة المستعصية في رؤوس دارسي الكتب المقدسة ومفسريها حين يقولون إن إبراهيم تلقى الوحي من الله بأن يذهب إلى كنعان، ولكننا لا نعلم لماذا أتى إلى حران وشتان ما بين كنعان وحران الذي مكث فيها ما يقارب السبعين سنة وقبل تبديد هذه الحيرة لا بد لنا من الإشارة إلى أن المسافة بين أور الكلدان وكنعان تساوي تقريباً نفس المسافة بين أور الكلدان وحران، إلا أن أحداهم تقع إلى الشمال والأخرى إلى الجنوب كما هو مبين في الخريطة، وهذا يعني أن مدون التوراة اختلطت عليه المعالم الجغرافية مما عذرعليه التمييز بين الشمال والجنوب، أو ربما قد يكون أن إبراهيم قد اختلطت عليه يداه فلم يميز يمناه من يسراه، فبدلاً من أن يتجه جنوباً اتجه شمالاً .

وكاتب الوحي لم يرو إلا ما أوحت له الحمامة وهذا ما حدث مع إبراهيم. أما سبب هجرة إبراهيم من أور الكلدان هي أن إبراهيم بما أنه كان قد تزوج من أخته وهذا أمر معاب أخلاقياً وممنوع قانونياً، ولاسيما أنه كان في عصر الأمير المثقف حمورابي الذي كان قد ضبط بشريعته كل الأمور ومنها أيضاً الأمور الاجتماعية، وبما أن إبراهيم كان قد امتهن الديوثية أيضاً كما سنرى، لذا هرب من أور الكلدان إلى حران عله يبتعد قليلاً عن أنظار عارفيه وعندما لم يتمكن إبراهيمنا من الاستمرار بهذه الوضعية المغلوطة في حران أيضاً لأنه فوجىء بأن المجتمع

الحراني هو عينه المجتمع الكلداني عرفاً وشرعاً، لهذا نبـذ مـن هنـاك ثانيـة ليهـرب ويبتعد وباتجاه مغاير فاتجه إلى كنعان.



خريطة هجرة إبراهيم الخليل من اور إلى حاران ثم إلى بئر سبع

وقد يذهب البعض إلى أن ما علاقة حمورابي بهذه الأمور الخاصة؟ نقول بأنه يجب أن لا ننسى بأن القوانين التي كانت تصدر عن الملك أولاً كانت تـشمل كـل الشؤون ومنها المدنية والروحية ثانياً كانت هذه القوانين إلهية مقدسة بنظر المجتمع وكانت ملزمة قضائياً لأنها كانـت تـصدر عـن الملـك الـذي كـان يمثـل الـسلطة الروحية والدنيوية وهو وكيـل الإلـه عـلى الأرض. فهـذا كـان الـسبب في هجـرة إبراهيم من أور الكلدان إلى حران ومن ثم إلى كنعان، وإذا تـوهم الـبعض مـن أن أيام إبراهيم كانت الأمور داشرة أي أن الزواج بين الأخوة والأخـوات كـان دارج والتعرصـة مباحـة فهـذا لـيس صـحيحاً . أنظـر شريعـة حمـورابي الـذي كـان معاصراً لإبراهيم.

أما ما حدث مع إبراهيم صلوات الله عليه فلم يحدث إلا في البؤر الفاسدة والجماعات المشابهة لآل إبراهيم وتوابعه، أما إذا أخذنا رواية التوراة على محمل الجد والصحة علينا أن نقول أيضاً بأنه كان هناك سبب آخر ذو شأن من الأهمية وهو بدوره ساعد في دفع إبراهيم إلى الهجرة هذه ألا وهو أن إبراهيم كان عاقراً وهذا كان معيباً جداً في عرف المجتمعات القديمة وهذا ما يعني أن الإسرائيليين لا ينتمون في انحدارهم النسلي لإبراهيم بل إلى الفراعنة أو الفلسطينيين لأن إبراهيم كان عاقراً وعندما أعار زوجته إلى أبي مالك الفلسطيني الذي أخذها إلى بيته ودفع أجرة حراثتها ألف من الفضة لليلة واحدة يبدو أنها حملت منه أو من فرعون الذي استعارها من زوجها لفترة من الزمن إلى أن طلقها مع كثير من العطايا، وما تؤكد عليه التوراة أيضاً أن سارة لم تحمل قبل هذه الحوادث. إن هذه الظنون تبدو من خلال ما سطرته التوراة في رواياتها ولكن كون تارح مع ابنه إبراهيم عندما خرجوا من أور الكلدان قد يبعث على الحيرة قليلاً لأن يرضى بزواج ابنه إبراهيم من بنته سارة حيث كانت كل النواميس والشرائع قد استنكرت هذا النمط من الزواج بين الأخوة والأخوات وقبل إبراهيم بأجيال بعيدة، إلا أن وجود تارح مع إبراهيم في حران أو هجرة الأب مع ابنه من أور الكلدان على الأرجح عاري من الصحة وهو تلفيق من الراوي للإيحاء بموافقة ورضا تارح على ابنه إبراهيم بهذا الزواج، فالحقيقة التي تبدو أن تارح لم يكن موافق على هذا الزواج وما يبعث إلى هذا اليقين أن في كثير من الآيات الواردة في هذه الرواية إشارات إلى عدم صحتها وعدم وجود تارح مع إبراهيم.

من كثرة التناقضات الواردة في هذه الرواية ولتبيان هذه الحقيقة نشير إلى الآية الواردة في سفر التكوين 12: 1

وقال الرب لإبراهيم: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. إننا نلاحظ في هذه الآية أولاً أن الرب لم يقل لتارح (وهو رب العائلة) اذهب بل قال لإبراهيم اذهب من بيت أبيك أي أترك بيت أبيك بل أترك أبيك واذهب ثانيا، وأهم من هذا أن التناقض الوارد في الآيات بهذا الشأن تبرهن

على أن تارح لم يكن مع إبراهيم في هجرته هذه.وبالتالي تؤكد على عدم رضا تارح على إبراهيم في هذا الزواج. ففي سفر التكوين 11: 26- ورد بان عمر تارح كان سبعون سنة عندما ولد إبراهيم وفي تكوين 11: 32- ورد بان عمر تارح كان مائتان وخمس سنوات عندما توفي في حران، فإذا أسقطنا سبعون سنة عمر تارح عندما ولد إبراهيم من مائتان وخمس سنوات عمر تارح عندما توفي في حران فيكون والحالة هذه عمر إبراهيم مئة وخمسة وثلاثون سنة عندما توفي أبوه تارح في حران ومن ثم خرج إبراهيم من حران بعد موت أبيه.

كما يؤكد على هذا ما ورد في أعمال الرسل 7: 4 – وخرج إبراهيم من حران بعد موت أبيه – ولكن في سفر التكوين 12: 4 – ورد بأن إبراهيم كان عمره خمسة وسبعون سنة عندما خرج من حران، فإذا صح ما ورد في تك 12: 4- من أن عمر إبراهيم كان خمسة وسبعون سنة عندما خرج من حران، فهذا يعني أن عمر تارح كان مئة وخمسة وأربعون سنة عندما مات، لأن عمر تارح يحسب بإضافة سبعون سنة عندما ولد إبراهيم إلى خمسة وسبعون سنة عمر إبراهيم عندما توفي تارح وليس مائتان وخمس سنوات عمر تارح.

هذه الأخطاء والتناقضات تحمل القارىء للاعتقاد من أن تارح لم يكن مع إبراهيم عندما خرج من أور الكلدانيين، وبالتالي عدم وجود تارح مع إبراهيم في هجرته هذه يعني أن تارح لم يكن راضياً عن زواج إبراهيم من أخته سارة، لذلك يصح القول بأن إبراهيم كان آرامياً تائهاً وحتماً لهذه الأسباب التي بيناها.

ولكن ما يزيدنا قناعة من أن إبراهيم خرج من ما بين النهرين بسبب وضعه الاجتماعي المغلوط وسلوكه الشاذ، هو أن إبراهيم كان دجالاً كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك ففي سفر التكوين 20: 2 و13 – ورد أن إبراهيم قال لزوجته سارا في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي وهذا معروفك الذي تصنعنيه معي وبالرغم من أن إبراهيم كان كذاب، علم الكذب لزوجته إن لم يكن لها ثلثي الخاطر في فكرة زوجها وخطته التقويدية، وعندما ضاقت الحياة وأسباب العيش مع إبراهيم على حد زعم التوراة، حمل سلعته الثمينة والنادرة بجمالها تلك الزوجة

الحيزبون، حملها إلى فرعون مصر ليقدمها له متاجراً بجسدها التي تصفه التوراة بالجميل جداً وهو على ما أرى أبشع سلوك ينتهجه الإنسان الشريف ولا أظنك تخالفني الرأي يا عزيزي. وبعد أن قدم إبراهيم زوجته إلى فرعون أغدق هذا الفرعون على إبراهيمنا وأبو الأنبياء خيراً وفيراً ثمناً لهذا السلوك المشرّف، وأصبح من ثم إبراهيم غنياً جداً جداً على اثر هذا السلوك الرزين أقصد الرذيل. ومما يجب علينا أن نعلمه هو أن هذا السلوك المشين وهذه الأخلاق المنحطة كانت السبب التي حملت المجتمع الكلداني لأن يبصق هذا الإبراهيم خارجاً، ومن ثم رفضه المجتمع الحراني لهذا السبب أيضاً.

فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبراهيم فدعا فرعون أبرام وقال له:

ما هذا الذي صنعت بي ولماذا لم تخبرني أنها امرأتك لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجة والآن هو ذا امرأتك خذها.

سفر التكوين 12: 16

تفضل يا سيدي فرعون البريء وهو لم يعرف أنها زوجة إبراهيم ضربه الله ضربات عظيمة وإبراهيم الذي قوّد على زوجته عن سابق تصميم وإصرار لم يغضب الله عليه بل باركه وصار له أموال طائلة. فنعم العدل من هكذا رب! ولكن التوراة لا تذكر لنا كيف علم فرعون أن هذه الضربات العظام التي ضربه بها الله كان سببها مضاجعة زوجة النبي، ولا ذكرت التوراة ما نوع تلك الضربات ولا حتى فرعون سأل هذه العجوز لماذا لست عذراء وأنت بلا زوج. فهل لم يكتشف فرعون أن عروسه مستعملة كل تلك السنين التي مكثت تحته؟ أما سيدنا إبراهيم إن ما حدث معه لم يكن طفرة عابرة لم تتكرر، لا بل هذا السلوك كان سيرة حياته وطبيعة أخلاقه. إذ أينما كان يحل، كان يقود على زوجته من أجل ثمن رخيص. ففي قصته مع أبي مالك الفلسطيني تقول التوراة:

وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته، هي أختي فأرسل أبي مالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذت، فإنها متزوجة ببعل ولكن أبي مالك قال لربه في الحلم كما تقول التوراة: إن إبراهيم قال لي هي أختي وهي نفسها قالت هو أخي، وأنا بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا. فأجابه الرب وأنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا.

سفر التكوين 20

تفضل يا سيدي، الله يعلم أن أبي مالك بريء لكنه أصاب نسائه ونساء مملكته بالعقم. وما يزيد في رصيد غباء كاتب هذا الوحي أنه يقول خلال ليلة واحدة حدث كل ما حدث، حيث أصاب الله كل النساء بالعقم ومن ثم فتح الله رحم كل تلك النساء. كيف حدث هذا؟ وكيف علم هذا المهلوس أن كل تلك النساء أصبن بالعقم وبهذه السرعة علم أن الله فتح أرحامهن؟ أنا لا أدري ولكن ما تتشرف به التوراة وبكل وقاحة، هي ذكرها للعطايا التي منحها أبي مالك لإبراهيم لقاء تلك التعريصة من غنم وبقر وعبيد. أما ما يستوجب الوقفة قليلاً للتأمل هو ما قاله هذا الملك الفلسطيني لسارة:

إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة ها هو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفت.

تك 20: 16

نعم أعطاها حقها كاملاً فأنصفها، سبحان الله كل هذه العطايا وفوقها ألف من الفضة أجرة تعريصة لليلة واحدة! حقاً إنها ليلة ليست كأي ليلة، إنها ليلة مكلفة وباهظة لم تنالها م.م ولا ب.ب ولا ك.ك، أعني لا مارلين مونرو ولا بريجيت باردو ولا كلوديا كاردينالي، لكنها على ما يبدو كانت سهرة ممتعة من سهرات العمر التي لا تنسى.

طبعاً يا سيدي، ومن يصح له هكذا سهرة مقدسة مع زوجة نبي، يدفع باقي عمره ولا يندم. لأن نائل هذه الزوجة ينال الشرف والبركة وكما يقال في الأمثال:

إن هذا الجرو من ذاك الكلب وهكذا جاء اسحق مشابهاً لأبيه ومن شابه أباه فما ظلم.

تعالوا لنقرأ شيئاً عن مغامرات اسحق التعريصية:

وأقام اسحق في جرار، وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي وهكذا تؤخذ الشيم أباً عن جد وابناً عن أب، لتستمر البركة بهذا النسل. وطبعاً زوجة اسحق لم تكن أخته لا من أبيه ولا من أمه، بل قال عنها إنها أخته من أجل ثمن رخيص. أنظر تك 26: 6

هذه هي الصفوة الشريفة التي يبارك الرب مباركيهم ويلعن لاعنيهم، فحذاري ثم حذاري يا قارئي العزيز إذا لعنت هكذا أمة لأن الله سيلعنك.

عندما قال إبراهيم لزوجته: في كل مكان نأتي إليه قولي عني هذا أخي وهذا معروفك الذي تصنعينه معي. في هذه الآية يذهب الأفاضل إلى أن إبراهيم قال لزوجته هذا خوفاً من أن يقتله فرعون من أجل جمال ست بدور إذا صارحه الحقيقة، ولكننا هنا نحن لا نقول بأن إبراهيم كان جباناً في سلوكه المعيب هذا وخاف على حياته فضحى بشرفه وعمل قواداً على زوجته المصون، كما إني سوف لا أعري تلك الحيزبون الشمطاء من حرائرها الناعمة لأتفحص جمال ونضارة جسدها الذي دوخ الفراعنة، لأرى هل صحيح أن عودها لين وخصرها هين ونهدها بيين كما يريد أن يوحي لنا كاتب هذا الوحي.

أنا هنا لا أريد أن أتقصى المعرفة لأعرف هل صحيح أن شذا عرف أنوثتها خدر فرعون في سريره كما سحر خفة دمها ناظريها، سوف لا أدقق بهذه الأمور في مواصفات هذه العجوز المناهزة الثمانين من عمرها، لأعرف سر محافظتها على كل تلك الرشاقة التي أسعدت فرعون بتدفئة فراشه وإن كنت واثقاً من أن الدهر رسم على جسد هذه القرمة العتيقة تضاريس جغرافية غير مرغوب في النظر إليها لأنها تصد النفس، كما إني أعرف حق المعرفة أن الرائحة التي كانت تفوح من ثيابها البالية وجسدها الوسخ قرزت كل نفس عرفتها. ومن المؤكد أيضاً أن ذلك النهد الذي وصفه بالناهد لم يبق منه إلا جلدته التي كانت تتمرجح كالبندول

ملوحاً بالوداع يا حياة. كل هذه الأمور أعرفها جيداً وسوف لا أبحث عنها ولكن اسأل التقاة الأفاضل المدافعين عن شرف إبراهيم ونسله: عندما علم فرعون بأن ساراي هي زوجة إبراهيم لماذا لم يقتله بل طرده مع كل ما جمع من الأموال التي أغدقها عليه فرعون من المواشي والفضة والذهب؟ تك 13: 1 و12: 18 – 20. فهل فرعون لم يقتله لأنه اكتفى من التمتع بجمال ساراي ورأى أنه من الحق أن يعطيه كل هذه العطايا كأجرة التعريصة، ثم هل صحيح أن تلك الحيزبون أسرت فرعون بجمالها حتى جعل التقاة الأفاضل يبررون هذا السلوك من إبراهيم بالخوف من أن يقتل بسبب شباب وجمال هذه الحيزبون؟ أليس هذا الزعم من الأفاضل هو ترقيع لهذه القباحة برقع بالية لتجميل هذا الانحطاط الأخلاقي وهذا ما لا يجديهم نفعاً؟

ثم أن إبراهيم ما الذي أجبره إلى أن يرتمي في حضن فرعون، إن لم تكن من أجل الاتجار بجسد ساراي ليصبح غنياً كما تزعم التوراة، فهل هي فقط لقمة العيش فإذا كان هذا فهل لقمة العيش هذه لم تكن متوفرة إلا في حضن الفرعون؟ وهل كل الأقوام المحيطة بمصر ماتت من الجوع؟ فإذا ذهب البعض إلى أنّ إبراهيم إلى أين كان سيذهب سيلقى نفس المعاملة لأنه كان غريب وخائف. ولكننا نقول إن إبراهيم عندما كانت تقتضي الحاجة، كان يذهب أو يرسل إلى قومه في ما بين النهرين كما فعل في زواج اسحق. تك 24: 4 ويعقوب تك 28: 2

فلماذا إذاً لم يذهب إبراهيم إلى قومه في ما بين النهرين؟ أليس لأنه كان سيذل عند أهله إن ذهب إليهم لما اقترف من شذوذ أخلاقي في زواجه من أخته، الذي حمله هذا الزواج إلى الهروب من نبذ المجتمع كما بينا؟ ثم هل أبناء الرافدين لم يكونوا عارفين الله لذلك هجرهم وبغض النظر عن الكثيرين الذين عرفوا الله قبل إبراهيم في ما بين النهرين، هل الفراعنة كانوا عارفين الله أكثر من قوم إبراهيم وعشيرته في مسقط رأسه؟

الحقيقة أن المصريين لم يكونوا عارفين الله أكثر من أبناء الرافدين كما بينا في سفر حزقيال 29: 19 – 20 وغيره من الشواهد.

العقد المبرم بين الله وخليله

فقال الله بل سارة امرأتك تلد ابناً وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده.

تك 17: 19

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم فقال هاأنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه واذهب إلى أرض المريا وأصعده إلى هناك محرقه على أحد الجبال الذي أقول لك.

ماذا حدث للخليلين إبراهيم وياهو؟ هل الشيخوخة عتمت على الذاكرة حتى عجزت من التذكر للعهد الذي قطعه ياهو بأن يبارك إبراهيم في اسحق ابنه ونسله من بعده. فكيف طلب الله من إبراهيم أن يقدم ابنه اسحق محرقة على أحد الجبال؟

ثم يتابع النص في سرد الرواية بقوله:

فبكر إبراهيم صباحاً وشد على الحمار وأخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشق حطباً لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال الله له وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد فقال إبراهيم لغلاميه إجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام (اسحق) فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه وأخذ بيده والسكين فذهبا كلاهما معاً وكلم اسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي، فقال هاأنذا يا بني فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة 8 - فقال إبراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني فذهبا كلاهما معاً 9- فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب

10 – ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه 11- فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هاأنذا 12- فقال لا تمد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني 13- فرفع إبراهيم عينه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه 14- فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهو يراه حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى 15- ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء 16- وقال بذاتي أقسمت يقول الرب أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك 17- أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه 18- ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي

سفر التكوين 22.

عودة ثانية إلى نص التكوين الثاني والعشرين لنلاحظ أن الله يمتحن إبراهيم في ابنه ليقدمه ذبيحة للرب، هذا بعد أن كان الله قد وعده بهذا الابن بأنه سيرث الأرض وقبل أن يلد. فكيف حدث هذا؟ هل نسي إبراهيم سابق ميثاق الله معه؟

ونلاحظ أيضاً أن اسحق بعد أن كبر وأصبح بإمكانه أن يحمل حطب، حمل حمار ويسير بها ساعات كثيرة كما هو واضح من قول الراوي التوراتي حين قال: ورفع إبراهيم عينه وأبصر الموضع من بعيد أي أن البعد كان على مدى البصر. وبعد أن وضع إبراهيم كل هذا الحمل على ظهر هذا المسكين وقطع به كل تلك المسافات الطويلة والعرق يتصبب منه حتى انهارت قواه. أنا لا أعلم ما كانت حاجة إبراهيم ليربط ابنه بعد كل هذا الانهيار الذي أصابه من التعب، هل كان يخاف من شموصية اسحق؟ أم هل كان يخشى من أن هذا الاسحاق إذا استراح واستعاد قواه كان سوف ينقلب على أبيه ويربطه بدلاً عنه ويجعله قرباناً ويسحق عظامه مع أن الله لا يحبذ كثيراً لحم وعظام الشيوخ كما يحب لحم الشباب بل لحم الأطفال هو النخبة الممتازة لديه. ثم ما هو تفسير أصحاب الكرازة التبشيرية من

قول إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام (اسحق) فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما؟ ألم يكن إبراهيم يكذب على الغلامين واسحق بهذا الكلام؟ لماذا عندما سأل اسحق أبيه هوذا النار والحطب فأين الخروف للمحرقة، لماذا لم يجيب إبراهيم بصدق ويقول بأنه ينوي أن يذبحه أم أن إبراهيم كان يعلم مسبقاً أن الله قد هيأ له الكبش، أم كان إبراهيم هو ذاته الذي هيأ الخروف وربطه من قرنيه في الغابة، وتكون بهذا هذه اللعبة كلها تمثيلية أو تركيبة لقصة ركيكة ليس لها أي معنى.

وأخيراً نلاحظ أن الله يعود ثانية ليعمل ميثاقه مع إبراهيم ويعده من جديد بأنه من أجل أنه لم يمسك ابنه وحيده على الله، لذلك سيجعله أباً لجمهور كثير وكأنه لأول مرة يعاهده.

ونفس الحديث نقوله عن هاجر أم إسماعيل، عندما تاهت في البرية ورآها ملاك الرب وقال لها أنت حبلى وستلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل وسيكون أباً لجمهور كثير حسب ما ورد في تكوين 16: 10 – فمقصد القول أنه ليس من باب الحكمة والمنطق أن يذبح إبراهيم أي من أبنائه إسماعيل أو اسحق كقربان للرب، لأن هذا الرب جعل عهداً معهم بأن كل منهم سيكون أباً لجمهور كثير ومن قبل أن يلدا كما لاحظنا.

هاجر وابنها إسماعيل

ورد في تك 16: 16 – بأن إبراهيم كان عمره ستة وثمانون سنة عندما ولد له إسماعيل، وبعد أربع عشرة سنة كان عمر إبراهيم مئة سنة عندما ولد له اسحق، فيصبح عمر إسماعيل أربع عشرة سنة حسب تك 21: 5

أضف إلى هذا أقل احتمال سنة واحدة إلى أن كبر اسحق وفطمته أمه كما ورد في تك 21: 8 فيصبح عمر إسماعيل أكثر من خمس عشرة سنة بالتأكيد. ولكن من يصدق هذه الرواية التي تقول بأن هاجر أم إسماعيل تحمل ابنها البالغ من العمر أكثر من خمسة عشر سنة، وتقطع به مسافات طويلة إلى أن ينفذ ماء الجرة وبعدها تلقيه على الأرض كأن عمره طفل لا يتجاوز السنة أو السنتين.

تك 21: 14

فبكر إبراهيم وأخذ خبز وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع 15 – ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ثم قال لها الرب 18 – قومي واحملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة. ثم لا تنسى أنّ سبب طرد هاجر وابنها، هو أن إسماعيل كان يمزح مع الحيزبون سارة على ما ورد في تك 21: 9، وهذا يعني أن إسماعيل كان بالغاً راشداً. ولكن ما نوع المزاح هذا وما الكلمات التي أزعجت سارة؟ فإن التوراة لم تذكرها.

ولكن سوء السلوك في سيرة حياة سارة وتاريخها الجنسي الإباحي كما لاحظناه، يجعلنا نعتقد أن هذه الآية جاءت مقلوبة. أي حقيقتها هي أن سارة هي التي أرادت أن تمزح مع إسماعيل الذي لم يتجاوب معها مما أغاظها، ا فدفعت إبراهيم لأن يطرده مع أمه. رحمك الله يا شيخ كشك عندما كنت تقول: امرأة بالثمانين تقول خذني بحنانك خذني وعن الوجود أبعدني.

أبناء نوح

ورد في أسطورة الطوفان التوراتية بأن نوح أنجب سام وحام ويافث قبل الطوفان، وكان عمره خمسمائة سنة تك 5: 32 – وبما أن نوح لم يكن أبنائه توائم، فهذا يعني أن سام أكبر من يافث بسنتين على أقل اعتبار، وعندما أصبح عمر نوح ستمائة سنة، كان عمر يافث مئة سنة أقل احتمالاً لأنه ولد قبل الطوفان بمائة سنة كما ذكرنا. وبما أن سام أكبر من يافث بما لا يقل عن السنتين فهذا يعني أن عمر سام أكثر من مائة سنة وسنتين عندما جاء الطوفان. وبما أن الطوفان استغرق سنة كاملة، فيصبح عمر سام بعد انتهاء الطوفان ما لا يقل عن المائة سنة والثلاث سنوات.

يقول النبي موسى في تك 11: 10 – ولما كان سام ابن مائة سنة ولد أرفكشاد وبعد الطوفان بسنتين.

ولهذا نقول قد اخطأ موسى بالحساب، لأنه كان عمر سام مائة وخمس سنوات على الأقل عندما ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين. يبدو أن الثقافة العالية التي نالها موسى مستثنى منها علم الحساب بالرغم من أنه عاش أربعون سنة يتثقف في قصر فرعون.

الخمر ونوح

لفت انتباهي إعلان كتبه أحد بائعي الخمور في صدر حانوته وتحت زجاجات الخمر بخط أنيق يعبر عن ذوق رفيع لصاحبه:

هذا خمر

يسعد حلماء الخلق ويثير جهالة الحمق

ولو علم الخمر بأن الأحمق شاربه لأقسم الكرم بأن لا ينبت عنبه

ذكرني هذا الإعلان بقصة ذلك النبي الأحمق لوط، الذي شرب الخمر وضاجع ابنتاه اللتان أنجبتا منه بني عمون وبني موآب بحسب ما جاء في سفر التكوين 19: 30 – وحملتني تداعيات الخمر وعربدته هذه، إلى الإصحاح التاسع من سفر التكوين التي تروي 20 – وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً – 21 – وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه – 22 – فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً – 23 – فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة ابيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير – 25 – فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته – 26 – وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم.

بداية أود أن أشير إلى كلام لم يقصده الراوي، وهو قوله مشيا إلى الوراء ووجهاهما إلى الوراء لأن ما أراد الراوي أن يقوله هو مشيا إلى الأمام ووجهاهما إلى الوراء أو مشيا إلى الوراء ووجهاهما إلى الأمام لكي لا يبصرا عورة أبيهما.

يقول المفسرون بأن نوح لم يكن يعرف بأن الخمر مسكر، ولكن نحن قدرنا أن نكون في خلاف مع المفسرين دائماً وفي كل شيء، ليس حباً في الخلاف وإنما

خلافاً في الأخلاق. فنحن سلاحنا التفكير وهم سلاحهم التكفير، وهذا لب القضية لهذا نقول: إن الله أعطى موهبة للأنبياء بأن يعرفوا الأمور قبل حدوثها ويتنبؤا بها وإلا فكيف لهم أن يدعوا النبوة والحكمة، أليست النبوة معرفة الأمور قبل حدوثها والتنبؤ بها؟ وإلا فما هي النبوة؟

ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام.

تك 49: 1

فكيف استطاع يعقوب أن يتنبأ عما سيصيب أبنائه في آخر الأيام، ولم يستطع نوح أن يتنبأ بأن هذا الخمر مسكر. ثم جاء بأن حام أبصر عورة أبيه، وعلى ما ترويه التوراة أنه لم يخطىء لأنه رأى عورة أبيه وقباحته ولم يتحمل رؤيتها ثانية، فقال لأخويه وستراه.

ولكن السؤال الذي لا بد منه هو: ما ذنب كنعان بما حدث حتى يقول ذاك السكير بأن كنعان ملعون وعبد العبيد يكون لأخوته. يبدو أن نوح كان يقرأ النبوات مقلوبة، لهذا اخطأ ثانية إذ اعتقد بأن كنعان هو الذي أبصر أو فعل. فهل ذنب الآباء يقع على الأبناء؟ كما يقال الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون، كما أن الآباء يسكرون ويعربدون والأبناء يلعنون. أم أن العبريين لأنهم يكرهون الكنعانيين الذين كانوا أكثر مدنية منهم لذا قالوا كنعان عبد العبيد يكون.

على أية حال الوجهان أحلاهما مر وأشرفهم عار.

ثم أخطأت التوراة وكتابها بقولهم بأنه علم نوح ما فعل به ابنه الصغير، بل الصحيح أن حام ليس الصغير بل الأوسط. وأهم من هذا أن كنعان ليس ابن حام بل ابن سام، ولو استنكرت التوراة لهذه الحقيقة، إلا أن العلوم التاريخية في الأنساب أثبتت بأن الكنعانيين شعب سامي أما العبريين فلا أحد يعرف يقيناً أرومتهم لأن إبراهيم كان عاقراً ولاسيما يهود اليوم لا يمتون بالسامية بأية صلة، لأنهم كوكتيل أعراق من كل الجنسيات.

ثم قالت التوراة: علم نوح ما فعله به ابنه ولكن واضح جداً أنه لم يفعل قبيحاً على ما روته التوراة، إلا إذا فعلاً كان قد فعل قبيحاً بأبيه وأسقطته كتبة

التوراة، كسد أسته بخيارة أو جزرة منعاً لانبعاث تلك الروائح الكريهة المتأتية من مؤخرته، عملاً بالمثل القائل: البخش الذي يأتيك منه الريح سده واستريح. ولكن على ما يبدو من النص المدون أن حام عمل بكل ذوق وأدب إذ رأى عربدة أبيه وقباحتها التي لم يستطع أن يتحمل رؤيتها ثانية، فقال لأخويه بأن يستراه فأخذ سام ويافث الرداء وسارا ووجهيهما إلى الوراء وستراه.

ومع هذا نال كنعان اللعنة، وكأن حام عمل فاحشة لا تتحمل صفحات التوراة لذكرها ولا حتى القارىء يستطيع تصورها.

ولكن هؤلاء أيضاً أضلتهم الخمر وترنحوا بالسكر فسلب المسكر عقول أنبيائهم وكهنتهم فأربكهم ورنحهم فأخطأوا الرؤية وتعثروا في الأحكام.

عنهم يقول أشعيا في سفره 28: 7.

كــــذب النبـــي بــــما ادعــــى   وكـــل مـــا تنبـــأ بـــه تـــصدعا

كذبة نبوة موسى بالعدد

وقال الله لابرام لا يكون اسمك أبرام فيها بعد، بل إبراهيم لأني سـأجعلك أباً لجمهور كثير وانظر إلى نجوم السماء إن استطعت أن تعـدها تـستطيع أن تحـصي جمهور نسلك، لأني سأباركك وأجعل نسلك لا يعد كما رمل البحر.

هذا العدد الذي فاق الأرقام الفلكية ولا يستطيع أي عقل تخيله سـأرميه في سلة المهملات، لأنه لا يرقى إلى موضع المحفوظات لمراجعته، ولكن مـا نـستطيع مناقشته نبوة موسى في زيادة شعب الله المختار. ورد في خروج 12: 37 بأنه خرج من مصر ستمائة ألف رجل قادر على حمل السلاح عدا الأطفال والـشيوخ ومـثلهم إناث. وفي عدد 1: 45 بعد سنتين ورد بأنهم أصبحوا / 603550/ إلا أن موسى الحازي المستقبل بوضوح تنبأ عنهم وقال بـأنهم سـيزيدون ألـف ضـعف حـسب تثنية 1:11 أي أنهم سيصبحون أكثر من أبعين مليون، وبالرغم من مرور أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة واليهود وحتى اليوم لم يتجاوز عددهـم خمسة عشر مليون يهودي في كل أنحاء العالم.

أليست هذه الكذبة واحدة من الأكاذيب التوراتيـة الكثـيرة كـالتي جـاءت على لسان النبي أشعيا حين قال:

وحي من جهة دمشق هو ذا دمشق تزال من بين المـدن وتكـون رجمـة ردم. أشعيا 17: 1

مع أن مدينة دمشق هي العاصـمة الوحيـدة في العـالم القـديم التـي لم تـزل مسكونة حتى اليوم ودون أن تنقطع الحياة فيها. وكذلك نبوة حزقيـال 26: 21 –

الذي تنبأ على صور شراً حيث قال بأن صور لأنها قالت (هه) على أورشليم لذلك سيجعلها الله خربة أبدية حيث تطلب فلا توجد. مع أن صور فنيت على أقدامها الأجيال ولا زالت خالدة خلود العود في عين الحسود منذ سنة 2750 قبل الميلاد إلى أيام يشوع 19: 29 – نحو سنة 1350 قبل الميلاد وأيام سليمان 2 صم 5: 11 نحو سنة ألف قبل الميلاد ومروراً بعهد المسيح مت 15: 21 وحتى اليوم وإلى الأبد.

على أية حال كذب التوراتيين ولو صدقوا، فإذا تأملنا وقارنا بين ما ورد في إحصاء عدد 1: 45 الذي بلغ عددهم / 603550/ من الرجال البالغين عشرين سنة وما فوق عدا اللاويين، أما في عدد 11: 21 – جاء على لسان موسى بأن الشعب ستمائة ألف، وبصرف النظر عن هذا الخلاف والنقص إلا أنه ورد في عدد 3: 29 – بأن جميع المعدودين فقط من اللاويين اثنان وعشرون ألف لاوي.

قارن هذا الإحصاء قبيل دخول العبريين أرض كنعان أي بعد الإحصاء السابق بثمانية وثلاثون سنة حسب عدد 26: 51 – 62 – حيث ورد بان عدد غير اللاويين من بني إسرائيل بلغ (601730) أي بنقصان (1820) من الإسرائيليين، أما بني لاوي فإنهم زادوا ألف شخص ولم ينقصوا كغيرهم حسب عدد 26: 62 – فان ما نقص من عددهم وما كان من الطبيعي أن يزيد خلال ثمانية وثلاثون سنة أين ذهبوا. أليس موسى أخرجهم من أرض مصر حيث كانوا ينعمون بالخير ليأتي بهم إلى الصحاري ويقبرهم بالآلاف منهم يموت من الجوع والعطش والأمراض ومنهم يموت بالسيف الذي عمله موسى في رقابهم.

وأخيراً لا بد من الإشارة هنا إلى أن موسى وعد العبريين بمسيرة ثلاثة ايام في البرية ليصلوا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً خر 8: 27 – وبالرغم من أن الله كان يسير أمامهم ليلاً ونهاراً في عمود من نار ليلاً، وسحاب نهاراً إلا أنهم تاهوا أربعون سنة في برية جرداء وبالرغم من أن الروح القدس الذي أخذ شكل الحمامة أوحى لموسى في تث 8: 4 – ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة إلا أنها نست ولا عيب بالنسيان لأن النسيان فلسفياً من سماة الذاكرة السليمة.

لذلك نسبت الحمامة أن تخبرنا بأن ليس الثياب لم تبل وحسب بل كانت تنمو هذه الثياب مع الأطفال المولودون حديثاً حتى بلغوا الأربعين سنة من العمر ولكن لا اعلم هذه العشرة أضعاف التي زادت، أو من المفروض أن تزيد كما تنبأ موسى من أين حصلوا على الثياب هل كانت المواليد تلد لابسة ثيابها، أم كانت ثيابهم تسقط من السماء وعلى المقاس جاهزة كسقوط الطير السماني المسيل للعاب للذته والمطهو في أفخر المطابخ السماوية.

عبودية بني إسرائيل

وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب، جاء كل إنسان وبيته راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد واشير، وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم.

سفر الخروج 1:1

ورد في الخروج 1: 5 – وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً . أما في أعمال الرسل 7: 14 ورد: فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً . الفارق بين العهدين خمسة أنفس فقط لا غير.

كانت نبوة الوحي في سفر التكوين 15: 13 فقال لأبرام اعلم أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة. وجاءت أعمال الرسل 7: 6 – في العهد الجديد لتؤيد صحة هذا الوحي في العهد القديم بقولها: وتكلم الله هكذا أن يكون نسله متغرباً في أرض غريبة فيستعبدون ويسيئوا إليه أربعمائة سنة، اما في سفر الخروج الذي كتبه موسى بوحي من الروح القدس كما كتب الوحي السابق سفر التكوين فقد جاء فيه أن إقامة بني إسرائيل التي أقاموا في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة. سفر الخروج 12: 40 – والفارق بين العهدين ثلاثين سنة فقط لا غير.

لنضع هذا التباين جانباً ونقول إن جميع النفوس الخارجين من صلب إسرائيل سبعين نفس الذين قدموا إلى مصر كما مر معنا، وفي خروج 1: 7 – ورد

أن بنو إسرائيل توالدوا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم إلى أن بعثوا الرعب في المصريين حيث تفوقوا عليهم عدداً، لذلك قال ملك مصر لشعبه: هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا.

ولكن هذا المعتوه زاعم الوحي في كتابته لهذه التخريفات، لم يحاكم عقله ولو قليلاً فيما يكتب ليجد أن بين يعقوب الذي أدخل العبريين مصر وبين موسى الذي أخرجهم لم يكن سوى ثلاثة آباء لأن موسى هو ابن عمرام ابن قهات ابن لاوي ابن يعقوب. وهذا إثبات نسبهم يعقوب خلف لاوي تك 29: 34 – ولاوي خلف قهات تك 46: 11 – وقهات خلف عمرام أبو موسى.

نعم إن كثرة العبريين بعثت الرعب في قلوب المصريين حيث امتلأت الأرض منهم وكأن بالوحي يريد أن يقول أن الله أغلق رحم المصريات وجعل العبريات كل واحدة منهن تبيض يومياً بيضة تفقس عبرياً أو عبرية، وهكذا كثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم إلى أن بعثوا الرعب في المصريين حيث تفوقوا عليهم عدداً وهذا ما أكده ملك مصر بقوله أن بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا.

فأي ساذج يسلم بصدق الوحي هذا في كثرة الشعب العبري ليرهب المصريين لكثرته، تلك الإمبراطورية التي فتحت مشارق الأرض ومغاربها وبنت تلك الحضارة العظيمة التي تحدث عنها التاريخ، وشهدت على عظمتها هذه الحضارة الماثلة اليوم أمامنا مثل اهرامات الجيزة وغيرها، وهل سيدعي العبريين أنهم بناة حضارة مصر من اهرامات ومدن ويطالبوا يوماً بتعويضات أو ملكية.

الحقيقة أنا لا أستغرب أي شيء في التوراتيين لأن بوابات خيال الرأس التوراتي كثيرة وجميعها مشروعة على مصراعيها ناهيك عن وقاحة اليهودي التي لا ينحط إلى سبرها أي وقاحة.

انتهت فقرة عبودية بني إسرائيل، ولكنني أود أن أشير هنا إلى طرفة حدثت مع بنو إسرائيل قبل دخولهم أرض مصر، ولكن بداية أقول إني أعتقد أنه لو خيرت المرأة، أي امرأة كانت بين أجمل وأغبى امرأة أو أبشع وأذكى امرأة فكل نساء العالم

دون استثناء سوف ترجح الغباء على البشاعة حتماً . هذا شأن النساء والمرأة المثالية من هذا النموذج على ما يرويه لنا التاريخ، كانت الملكة ماري أنطوانيت التي ضرب المثل بكونها أجمل وأغبى امرأة، ومن أشهر قصص غبائها المعروفة أن الشعب تظاهر يوماً حول قصرها بأصوات وضجيج وصراخ فقالت ماري أنطوانيت ما لهذا الشعب هكذا يصرخ بغضب فقالوا لها أن الشعب جائع ليس لديه خبز ليأكل فقالت ما أغباه فلماذا لا يأكل الكاتو.

ولكني أرى أنه من التجني على التوراة أن يضرب هذا المثل في الغباء بماري أنطوانيت، لأن كاتب الوحي التوراتي سبق ماري أنطوانيت بهذا النموذج من الغباء بأكثر من ألفي سنة، فعندما عض الجوع معدات بني إسرائيل وأطنبت ذئابها وأصبحت البلاد جافة كجفاف عقل الراوي التوراتي ليس فيها أكل ولا زرع ولا من يحزنون، قال الراوي يا سادة يا كرام تماماً ما قالته ماري أنطوانيت فلنقرأ إذاً ما جاء في الإصحاح الثالث والأربعون من سفر التكوين:

1- وكان الجوع شديداً في الأرض...

11- فقال لهم أبوهم (إسرائيل) خذوا من أطيب فاكهة الأرض في أوعيتكم واحملوها هدية إلى الرجل وخذوا شيئاً من البلسم وشيئاً من العسل ومسكاً وعلكاً وفستقاً ولوزاً.

تصوري يا سيدتي الفاضلة الجوع فتك بكل البلاد، وليس خبزاً ليأكلوا بعد مواسم القحط والجفاف والسنين العجاف، أنا لا أعلم من أين أحضر الخيال الوقاد لكاتب هذا الوحي لا اعلم من أين أحضر الجوز واللوز وكل ما لذ وطاب من الفاكهة، فهل من ساذج يرقى إلى غباء كاتب هذا الوحي؟ ألم يسأل هذا الملهم من الروح القدس إذا كان في أرض إسرائيل كل ما لذ وطاب من الخيرات، فما هي الحاجة إذا إلى أن ينزلوا إلى أرض مصر ويشحدوا القمح والخبز. ألم يؤكد الوحي أن الجوع كان شديداً في الأرض وهو يقصد أرض إسرائيل!؟

أخطاء نسب المسيح

من المعروف أن الجيل يساوي مئة عام.

فقال لأبـرام اعلـم يقينـاً أن نـسلك سـيكون غريبـاً في أرض ليست لهـم ويستعبدون لهم أربعمائة سنة وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنـا. تـك 15: 13 – وفي انجيل متى 1: 17 – ورد أن جميع الأجيال من إبراهيم إلى داوود أربعـة عـشر جيلاً ومن داوود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابـل إلى المسيح أربعـة عشر جيلاً . إذا مـن إبـراهيم إلى المـسيح اثنـان وأربعـون جـيلاً، أي أربعـة آلاف ومائتان من السنين.

ولكن ما هو متفق عليه عند كـل الجماعـات الدينيـة والعلمانيـة وبمختلـف اتجاهاتها الشكية واليقينية، أن إبراهيم كان قبل المسيح بنحو ألف وثمانمائة سنة على وجه التقريب. أي ثمانيـة عـشر جـيلاً ولـيس اثنـان وأربعـون جـيلاً كـما جـاء في أنجبل متى.

ولكن إذا زعم مفسري الكتاب المقدس أن القصد من الأجيال هنا هو عدد الآباء الذين تسلسل منهم المسيح من إبراهيم حتى يوسف زوج مـريم أم المسيح، فيكون الخطأ في هذا الزعم هوأنّ في متى 1 جاء عدد الآباء والاجيال مـن إبـراهيم إلى يوسف زوج مريم أم المسيح هو أربعين جيل، أما في انجيل لوقا 3 ورد بأن عدد الآباء من إبراهيم إلى يوسف خمسة وخمسون.

ولكن كل من البشيرين متى ولوقا سلسل نـسب المـسيح بـشكل معـاكس للآخر، فانجيل متى بدأ بسلسلة نسب المسيح من إبراهيم ومتجهـاً حتـى يوسـف زوج مريم، بينما انجيل لوقا بدأ بالعكس أي مـن يوسـف زوج مـريم ومتجهـاً إلى إبراهيم. ولكن المشكلة أن انجيل متى جعل المسيح منسوباً إلى سـليمان رابـع أبنـاء

داوود، بينما انجيل لوقا لا ينسب المسيح إلى سليمان ابن داوود، بل جعل المسيح منسوباً إلى ناثان ثالث أبناء داوود.

إذاً متى ولوقا يتفقان في أربعة عشر أب في النسب من إبراهيم حتى داوود ويختلفان في بقية أسماء الأنساب للآباء أنظر الجدول:

نسب المسيح بحسب انجيل متى 1: 1	نسب المسيح بحسب انجيل لوقا 3: 23
1- إبراهيم	1- إبراهيم
2- اسحق	2- اسحق
3- يعقوب	3- يعقوب
4- يهوذا	4- يهوذا
5- فارص	5- فارص
6- حصرون	6- حصرون
7- آرام	7- آرام
8- عميناداب	8- عميناداب
9- نحشون	9- نحشون
10- سلمون	10- سلمون
11- بوعز	11- بوعز
12- عوبيد	12- عوبيد
13- يسى	13- يسى
14- داوود	14- داوود
15- سليمان	15- ناثان
16- رحبعام	16- متاثا
17- ابيا	17- مينان
18- أسا	18- مليا
19- يهوشافاط	19- الياقيم
20- يورام	20- يونان

نسب المسيح بحسب انجيل متى 1: 1	نسب المسيح بحسب انجيل لوقا 3: 23
21- عزيا	21- يوسف
22- يوثام	22- يهوذا
23- أحاز	23- شمعون
24- حز قيا	24- لاوي
25- منسي	25- متثات
26- آمون	26- يوريم
27- يوشيا	27- اليعازر
28- يكنيا	28- يوسي
29- شالتئيل	29- عير
30- زربابل	30- ألمودام
31- ابيهود	31- قصم
32- الياقيم	32- ادي
33- عازور	33- ملكي
34- صادوق	34- نيري
35- اخيم	35- شالتيئيل
36- اليود	36- زربابل
37- اليعازر	37- ريسا
38- متان	38- يوحنا
39- يعقوب	39- يهوذا
40-- يوسف زوج مريم	40- يوسف
	41- شمعي
	42- متاثيا
	43- مآث
	44- نجاي

45- حسلي

46- ناحوم

47- عاموص

48- متاثيا

49- يوسف

50- ينا

51- ملكي

52- لاوي

53- متثات

54- عالي أو (هالي)

55- يوسف زوج مريم

ثم من خلال معطيات التوراة لأعمار الآباء من أدم حتى إبراهيم هو 1946 سنة تحديداً، وهذا ممكن أن يحسب من خلال حساب أعمار الآباء المعطى في سفر التكوين من أدم حتى إبراهيم بالشكل التالي: وهذا كتاب مواليد أدم وعاش أدم مئة وثلاثون سنة وولد شيث، أما كم سنة عاش أدم من بعد لا يهم وإنما المهم أن شيث عاش مئة وخمس سنوات فولد أنوش، وعاش أنوش تسعون (90) سنة وولد قينان.. الخ.. إذا 130 + 105 + 90..الخ.. هكذا يحسب عمر الأرض من أدم حتى إبراهيم وهو 1946 سنة ومن إبراهيم حتى المسيح كما هو معروف لا يتجاوز 1800 سنة. إذاً من أدم حتى المسيح هو أقل من أربعة آلاف سنة. لهذا ليس صحيحاً قول الإنجيل بأن من إبراهيم إلى المسيح هو 4200 سنة استناداً إلى هذه المعطيات.

حدد يوليوس أفريكانوس Juluis Africanuis عدد السنبن من آدم حتى المسيح ب 5499 سنة وهو تقويم أخذت به معظم الكنائس الشرقية، بحسب

ما جاء في معجم ديانات وأساطير العالم ص 14. للأستاذ الدكتور إمام عبدالفتاح إمام، ولكن أي أساس اعتمد الدكتور إمام هذا الحساب. لا أعلم!

ثم هل هناك من يعتقد بان عمر الأرض حتى اليوم هو أقل من ستة آلاف سنة. طبعاً من السهل جداً على من يركب رأسه ويبرر هذه السذاجة من الأساطير بمنطق الأحمق بقوله أن السنة قد تطول وتقصر فاليوم قد يكون أكثر من سنة والسنة قد تكون أقل من شهر. وهذا يتوقف حسب الأمزجة المتفلسفة في تفسير اللامنطق التوراتي لهذه الغباءات المودعة في رصيد الوحي نقرأ في الملوك الثاني 24: 8 -

كان يهوياكين ابن ثمانية عشر سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر. وفي أخبار الثاني 36: 9 - نقرأ: كان يهوياكين ابن ثمانية سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام.

المشكلة هنا ليست في هذا التناقض، وإنما كيف نصدق الوحي المقدس بقوله أن هذا الطفل الذي ملك ثلاثة شهور، استطاع أن يتزوج عدة نساء في هذه الفترة القصيرة وفي هذا السن المبكر. أنظر لنفس السفر وسبي يهوياكين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك 20 مل 24: 15 -

شعب الله المختار
بناة الحضارة والمدنية

تدمر أو عروسة الصحراء PALMYRA وهي مدينة سورية قديمة ويعني اسمها المعجزة أو الأعجوبة (تدمرتو)

أريحا JERICHO ومعناها القمر أو الشهر، ولا فرق لأن الشهر أيضاً من أسماء القمر وهي مدينة فلسطينية سكنها الإنسان منذ العصر الحجري وأقام فيها الكنعانيين، تعتبر أقدم مدينة سكنها الإنسان وجاء السفاح يشوع ليقول أنه دمر مدينة أريحا عن بكرة أبيها، ولم يترك فيها حجراً على حجر واحرق الأخضر واليابس.

ويقول الراوي التوراتي وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً:

ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها وكان الرب مع يشوع وكان خبره في جميع الأرض.

سفر يشوع 6: 26 – 27.

وفي عهد أخاب ملك إسرائيل جاء حيئيل البيتئيلي وقال طز على كل أبنائي من بكري إلى صغيري فوضع أساس مدينة أريحا ومات ابنه البكر أبيرام، وعند الانتهاء من نصب أبواب المدينة مات ابنه الصغير سجوب حسب ما جاء في ملوك الأول 16: 34. وبهذا تمت نبؤة يشوع وعلى ذمة الوحي المقدس.

نعم كما أن سور الصين العظيم كلف بنائه آلاف الضحايا من العمال أيضاً بناء مدينة أريحا كلف بعض الضحايا البشرية، وكما أن بناء مدينة كاملة قام بها شخص واحد يدعى قايين وكان يبني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك.

تك 17:4

هكذا مدينة أريحا بناها شخص يدعى حيئيل البيتئيلي. ولكن إذا كنت تعتقد يا سيدي أن أريحا هي المدينة الوحيدة التي بناها العبريين ذلك الشعب الحضاري جداً فأنت لا تعلم عن حضارة شعب الله المختار إلا القليل القليل. يقول سفر الملوك الأول 16: 23 – إن عمري ملك إسرائيل اشترى جبل من شخص اسمه شامير وبنى مدينة عليه اسماها السامرة. وليست أريحا والسامرة المدينتين الوحيدتين اللتين بناهما العبريين، فهذا رحبعام ابن الملك داوود وحده بنى خمسة عشر مدينة.

وأقام رحبعام في أورشليم وبنى مدناً للحصار في يهوذا، فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلام وجت ومريشة وزيف وادورايم ولخيش وعزيقة وصرعة وايلون وحبرون التي في يهوذا وبنيامين مدناً حصينة. سفر أخبار الأيام الثاني 11: 5 – 10.

وهنا وإذا راجعت التوراة ودققت تجد أن كل هذه المدن كانت عامرة قبل دخول العبريين أرض كنعان، أما عن زعم العبريين ببناء هذه المدن وهنا يسال الرأس التوراتي وبكل غرور هل استطاع ملك الملوك نبوختنصر أو الأسكندر الأكبر أو أي قائد في التاريخ أن يبني خمسة عشر مدينة؟ فيجيب صاحب الآذان الطويلة طبعاً لا نبوختنصر ولا الأسكندر يرقوا إلى هذا المستوى من المجد، ولكن الحكيم سليمان لم يبن مدن وحسب بل بنى أكثر من هذا فقد بنى إسرائيل ولبنان وسورية، نعم إنه بنى دولاً وأشهر تلك المدن التي شيدها مدينة تدمر.

وذهب سليمان إلى حماة صوبة وقوي عليها وبنى تدمر في البرية وجميع مدن المخازن التي بناها في حماة (سورية) وبنى بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى مدناً حصينة بأسوار وأبواب وعوارض وبعلة وكل مدن المخازن التي كانت لسليمان وجميع مدن المركبات ومدن الفرسان وكل مرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في أورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطانه.

سفر أخبار الأيام الثاني 8: 3 – 6

ما هذه الصفاقة وما هـذه القباحـة التـي جعلـت وقاحـة تلـك الحمامـة أن تستهتر بعقول قراء التوراة ومريـديها إلى هـذه الدرجـة المنحطـة، مـا هـذا النعيـق الصفيق وكيف تزعم هذه البومة أن سليمان بنـى تـدمر ومـدن كثـيرة في إسرائيـل ولبنان وسوريا. لو كلفت نفسها تلك الحمامة الملهمة أن تعيـد النظـر في كـل هـذه المدن لوجدت أنها كانت جميعها مدناً حصينة وعامرة بسكانها قبل دخول العبريـين أرض كنعان. هل كان نعيق تلك البومة يريد أن يوحي لنا أن أرض كنعـان كانـت خراب وبناها العبريين ذلك الشعب البنـاء والحـضاري جـداً ؟ هـل كانـت تلـك البومة تريد أن توحي لنا أن أرض فلسطين كانت أرضاً بلا شعب وصارت أرضـاً لشعب بلا أرض؟ هل كانت تلك القالوعة تريد أن تـوحي للعـالم أن أرض لبنـان وسوريا بممالكها العظيمة كانت أرض خراب لكي تسوغ لنفـسها احـتلال أراض من سوريا ولبنان. فإذا كان هذا هو المراد من هذا النعيق، فتعالوا لنـسمع مـا قالـه الجواسيس الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان ليتجسسوا الأرض قبل دخولهـا تلك الأرض التي بلا شعب وبلا حضارة أو زرع.

وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً أنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرهـا غـير أن الـشعب الـساكن في الأرض معتـز والمـدن حـصينة عظيمة جداً .

سفر العدد 13: 27-28.

هكذا يصف الجواسيس تلك الأرض وسكانها ومدنها الحصينة، لا بل أكثر من هذا حيث قال الجواسيس إن سكان كنعان كانوا جبـابرة وعمالقـة وكنـا نحـن أقزام كالجراد في أعينهم وفي أعيننا حتـى أن عنقـود واحـد مـن العنـب لـضخامته اضطر لحمله اثنين وحين سمع الشعب هذا الكلام من الجواسيس بكـوا وولولـوا تلك الليلة. أنظر عدد 13 و14.

حقاً أن من يلحق البوم تقوده إلى الخراب، ومن يلحق هذا النفاق يقوده إلى ضلال.

وبعد كل هذا الوصف لتلك المدن الحصينة هل تعلم يا سيدي القـارىء كيف سقطت أريحا تلك المدينة الشامخة أسـوارها؟ قبـل الإباحـة بـسر سـقوط

أسوار أريحا الحصينة ولا أبوح لك بسر إن أخبرتك أن المزارعين الهولنديين استعملوا الموسيقى في مزارعهم لزيادة إدرار البقر للحليب وليس خافياً على أحد أن الأطباء النفسيين أحياناً يستعملوا الموسيقى في معالجة مرضاهم حتى أن بعض أصحاب المتاجر يستعملون الموسيقى الهادئة لتهدئة أعصاب زبائنهم الذين تتوتر أعصابهم من الدفع، والأهم من هذا وذاك أنه من المعروف عن الجيوش في حالات الحرب تعزف الأناشيد الوطنية لتعتز النفوس الأبية بماضيها المجيد وتذود عن شرف الأمة وتحمي الديار بكل حماس وعشق. ولكن التوراة تخبرنا عن معجزات الموسيقى أكثر مما سبق ذكره وهو أن الموسيقى كانت السر الذي أسقط أسوار أريحا، تلك الأسوار الحصينة كما تصفها التوراة.

نعم سقطت مدينة أريحا عندما لف العبريين حول أسوارها سبع دورات وعندما نفخوا بالبوق، إن أصوات الأبواق زلزلت أركان تلك الأسوار الحصينة، ودخلها يشوع وأحرقها وجعل منها ردماً ابدياً . فهل نكذب التوراة لقولها أن أصوات الأبواق زلزلت الأسوار الحصينة كما لو كان بركان.

فهتف الشعب وضربوا بالأبواق وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن هتف الشعب هتافاً عظيماً فسقط السور.

يشوع 6: 20– 21

وجاء حيئيل البيت إيلي وبناها كما بنوا عشرات المدن كما مر معنا، ولكن هذه النعقاء الحمقاء والخرقاء التي تدعي الوحي، هل نست أن في كل أرض إسرائيل لم يوجد ولا صانع واحد كما جاء في 1 صم 13: 19 – وهل نسي كاتب هذا الوحي أن بناء هيكل سليمان المزعوم قام ببنائه الفينيقيين أبناء مدينة صور وصيدا، حتى أن في كل أرض إسرائيل لم يكن نجاراً واحداً يجيد قطع الأخشاب كما قال سليمان لاحيرام ملك صور:

لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين.

ملوك الأول 5: 6

لهذا طلب سليمان من أحيرام ملك صور أن يرسل له بنائين ليبنوا له هذا الهيكل المزعوم. وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داوود وخشب أرز وبنائين ونجارين ليبنوا له بيتاً .

أخبار الأيام الأول 14: 1

ولكن هل تعلم يا سيدي أن هذا البناء الذي زعم سليمان بنائه وأسماه هيكل سليمان، هل تعلم إلى أي سماء بالغ الراوي فيه وفي ضخامته - يكفي أن أشير هنا إلى أن عدد العمال الأجانب فقط ممن ساهم في بنائه كان مئة وثلاثة وخمسون ألف وستمائة عامل فقط من الأجانب، هذا عدا أن كل شعب إسرائيل كان يعمل في بناء هذا المعبد.

وعد سليمان جميع الرجال الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل بعد العد الذي عدهم أياه داوود أبوه فوجدوا مئة وثلاثة وخمسين ألفاً وستمائة فجعل منهم سبعين ألفاً حمال وثمانين ألفاً قطاع (نحاة ونجار وبناء) وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب (مهندسين ومراقبين) أخبار الأيام الثاني 2: 17. ولكن هذا العدد الضخم من العمال إذا أخبرتك بأنه قد استغرق عملهم في هذا البناء مدة سبع سنوات ألا تظن معي أنه لو بنيت مدينة مثل طوكيو أو نيويورك لما احتاج الأمر إلى هذه الفترة الزمنية وإلى هذا العدد الضخم من العمال. وهكذا استغرق تشييد الهيكل سبع سنوات ملوك الأول 6: 38 -

والآن اسمح لي يا رفيق شقائي ومعاناتي في فهم هذه المعضلات، اسمح لي أن أضع هيكل سليمان هذا وبكل ضخامته وفخامته على الرف وسنعود إليه عاجلاً وقبل أن تكتنفه الغبرة، وهنا ليست بالمفاجأة إذا علمت أن سليمان بنى لنفسه قصراً حتماً أعظم من الهيكل على الأقل ليتسع لزوجاته الشرعيات السبعمائة زوجة، إضافة" إلى النصف شرعيات الثلاثمائة زوجة، والتي تسميها التوراة بالمحظيات أي التي لهن حظ أن تحنن سليمان عليهن وهن من الجواري والآمات.

وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري فأمالت نسائه قلبه.

ملوك الأول 11:3

ولكن أنا لم استطع أن استوعب كيف كان سليمان يستطيع فلاحة كل هذه الألف زوجة وارواتها دون مساعدة ولكن لا بأس، أما القصر الذي بناه سليمان يجب أن يكون ضخماً ليتسع لهذه الألف زوجة، هذا ناهيك عن الخدم والحشم والخصيان والحرس، حيث استغرق بناء هذا القصر الضخم ثلاثة عشر سنة بعدد من العمال يقدر بمئات الآلاف، وليس سبع سنوات كما الهيكل وليس هذا وحسب، بل بنى أيضاً قصراً للشعب كما عمل بيتاً أيضاً لإبنة فرعون التي تزوجها وبدلاً من أن يعطي أبوها مهراً أخذ هو مهراً من أبوها الملك:

وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لابنته امرأة سليمان.

ملوك الأول 9: 16

مسكين وتعيس هذا الملهم ألتوراتي والله تعيس ومسكين، لأنه يجهل اسم ملك مصر فاسماه فرعون، والمعروف لدى الجميع أن الفرعون يعني الملك فهناك الفرعون رمسيس والفرعون تحو تمس وهكذا ولكن أقول هذا التعيس الذي كاد قلبه أن ينفجر كالبركان من الحقد الذي يغلي في قلبه نقمة على الأغيار، فبالرغم من زعم التوراة أكثر من مرة بانقراض الكنعانيين يعود هذا التعيس الملهم ليقول ثانية بأن فرعون أباد الكنعانيين الساكنين في المدينة. ربما هذه هي المرة العاشرة التي تزعم التوراة بإبادة الكنعانيين ولاسيما ذلك الدراكولا السفاح يشوع زعم أكثر من مرة انه أباد الكنعانيين وجعل مدنهم خربة إلى هذا اليوم.

سيدي قد يكون من المفيد أن ذكرتك إن عدد العمال الذين كانوا يعملون في بناء وتشيد تلك القصور والهيكل، كان يعد بمئات الألوف، عدا أن جميع إسرائيل كان يعمل في هذا البناء ولمدة سبع سنوات إضافة إلى ثلاثة عشر سنة إضافة إلى لا أعلم كم من السنوات الأخرى ولكن ما هو مفيد جداً لمعرفة مجد وعظمة سليمان الذي فاخر كل ملوك الأرض غنى وحكمة. ملوك الأول 10: 23- وقد يكون لك مفاجأة إذا أخبرتك أن هذا الهيكل لم يكن مبني بحجارة حقيقية بل كان مشيد من الأحجار الكريمة، والقنبلة التوراتية التي تفجر العقل، أن كل حجرة من تلك الأحجار الكريمة

التي كانت تبنى منها تلك المباني الفاخرة كان يقدر وزنها بالأطنان ولاسيما تلك التي وضعت بأساسات تلك الأبنية.

فهل انكشف لك يا سيدي السر الذي يدفع أولائك الباحثين الأركيولوجيين للبحث عن هذا الهيكل العظيم؟

أليسوا معذورين أولئك الأركيولوجيين في إضاعة مئات السنين في البحث عن هذه الكنوز؟

(وكان الهيكل مؤسساً على حجارة كريمة حجارة عظيمة حجارة عشرة أذرع وحجارة ثمان أذرع – ملوك الأول 7: 10)

هذا غيض من فيض مما أعطاه سليمان للمدنية والعمران، وهنا أتوقف في البحث في هذه الترهات والخزعبلات لئلا يصاب عقلي القاصر بالانفجار أو الجنون من هذه المبالغات التي لا يستوعبها إلا من كان فيه روح فاضلة.

أما أنت يا سيدي القارئ فإذا أردت أن تعرف شيئاً عن أطنان الذهب والأحجار الكريمة والمواد الثمينة التي منها شيد هذا الصرح العظيم والتي جاءت مواده كلها كهدايا من جميع ملوك الأرض صاغرة لسليمان، فما عليك يا عزيزي إلا وأن تنظر إلى أخبار الأيام الثاني الإصحاح الثالث وملوك الأول الإصحاح العاشر وكثير من هذه الأسفار لتجد أن الأرض كلها شحت من الذهب والأحجار الكريمة، لأنها جميعاً انصبت في مملكة سليمان، وبالمناسبة أود هنا فقط أن أشير إلى انموذج لتلك الهدايا والتي تعبر عن ذوق رفيع جداً في أحلام وتمنيات العبريين، عندما إنهزموا أمام الفلسطنيين، والغريب في عرف الراوي التوراتي هو أن بدل من أن يدفع المهزوم ضريبة هزيمته، نجد أن العبريين المغلوبين فرضوا ضريبتهم على المنتصرين كهدايا مقززة للنفس. فقالوا إذا ارسلتم تابوت إله إسرائيل فلا ترسلوه فارغاً بل ردوا له قربان إثم، حينئذ تشفون ويعلم عندكم لماذا لا ترتفع يده عنكم، فقالوا وما هو قربان إثم الذي نرده له. فقالوا حسب عدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب، وخمسة فئران من ذهب

لأن الضربة واحدة عليكم جميعاً وعلى أقطابكمن وإصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فئرانكم التي تفسد الأرض وأعطوا إله إسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم.

صموئيل الأول 6:3-5

تفضل يا سيدي شعب مقدس يبتهج لرؤية البواسير، تباً لمشتهي هذه الأمنية المقرفة التي يتقزز من قرفها حتى المأبون (اللوطي).

أما حول المبالغات التوراتية بشأن هيكل سليمان فأنا لا أستوعب هذه الأكاذيب التي امتازت بها التوراة لعدة أسباب، فلو أردنا أن نتكلم ولو قليلاً بشيء من المنطق نقول أن مكتشفات الأركيولوجيين والمنقبين أتحفونا بكثير من الكنوز التي لا تقدر بثمن مثل معبد الكرنك بمصر، الذي تعاقبت على بنائه عدة فراعنة وكذلك مكتبة أشور بنيبال التي كانت تحوى عشرات الآلاف من الرقم الطينية الصغيرة والكبيرة وهي بمثابة كتب ووثائق ومراجع التي أغنت متاحف العالم، أما بالنسبة لهيكل سليمان المزعوم وبالرغم من عشرات الحفريات خلال المئة سنة الماضية وحتى اليوم لم يعثر المنقبون على أي أثر يدل على أنه فعلاً كان هناك شيء اسمه هيكل سليمان ولا يوجد حتى مصدر تاريخي واحد أثبت وجود هذا الهيكل عدا التوراة وأذيالها. فإذا اعتمدنا التوراة أيضاً نجد أن فيها الكلام الكثير الذي يرفض وينفي وجود هذا الهيكل المزعوم بالرغم من حديثها الكثير عن هذا الهيكل فهذا التناقض في التوراة يسقط مصداقيتها، فأهم هذه المتناقضات التي ترويها التوراة تلك المبالغات التي لا يمكن أبداً أن تصدق حتى من أكثر الناس أيماناً وتقديساً للتوراة ثم هناك شيئاً في غاية الأهمية لدى الإيمانيين، وهو أن الله حرم بناء هذا الهيكل بقوله لموسى في خروج 20: 24-25 مذبحاً من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك.... وإن صنعت لي مذبحاً من حجارة فلا تبنه منحوتة إذا رفعت عليها أزميلك تدنسها.

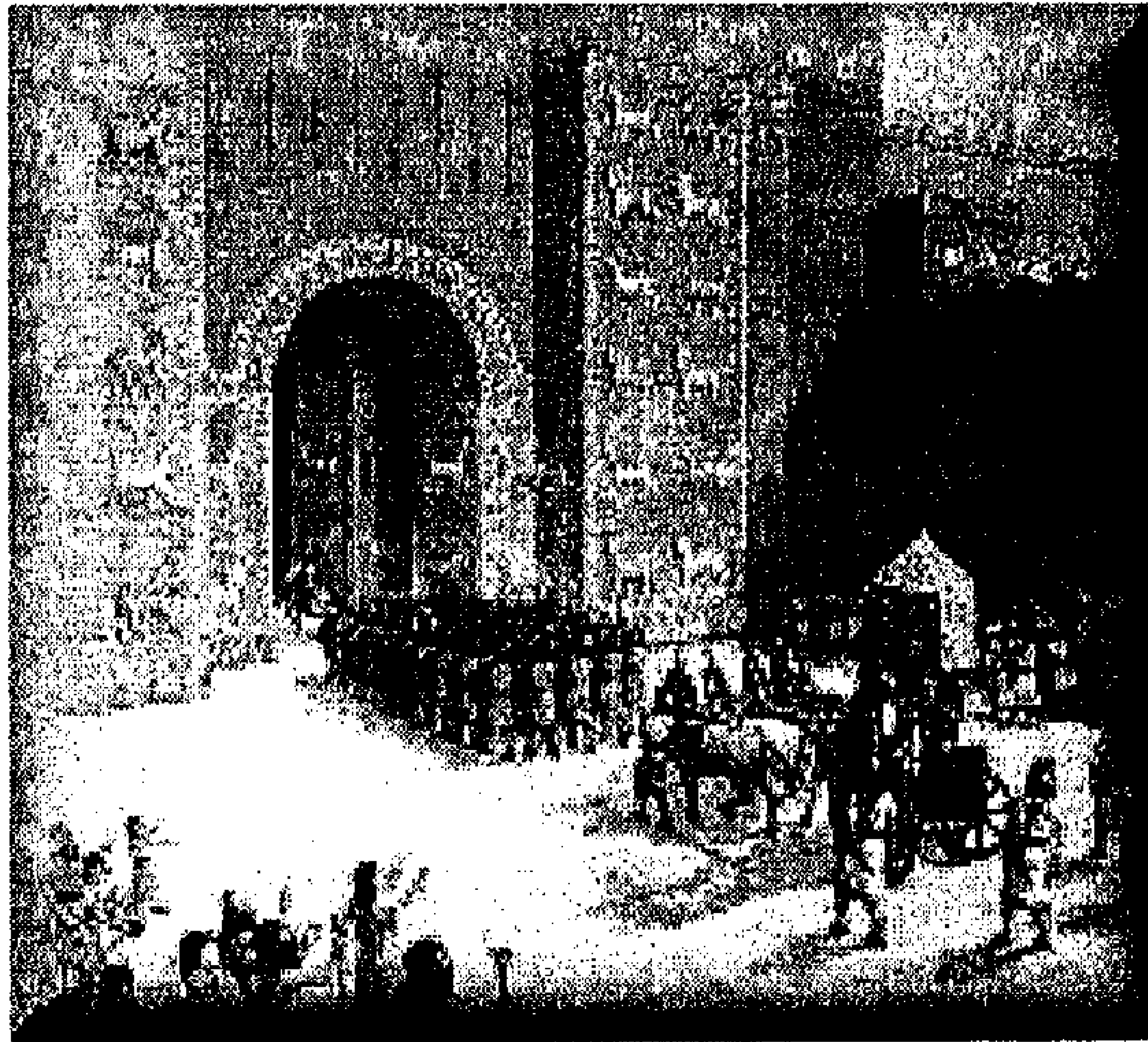
وأشير كذلك إلى مقاسات هذا الهيكل وهي كالآتي: ستين ذراع طول (نحو ثلاثين متر) وعشرين ذراع عرض (نحو عشرة أمتار) وارتفاع مئة وعشرين ذراع (نحو ستين متر) أخبار الأيام الثاني 3: 3- تصور سيدي هذه المقاسات

الكاريكاتورية هي شكل الهيكل تصور ارتفاع الهيكل ضعف طوله وست أضعاف عرضه. إنه أشبه ما يكون بعلبة ثقاب (كبريتة) قائمة على رأسها، هذه الأمتار القليلة كلف بنائها سبع سنوات وبعدد من العمال يقدر بمئات الآلاف وبالرغم من هذا يصوره بعض التوراتيين من وحي خيالهم صورة مشابهة لمعبد عشتار كالأنموذج الموجود في متحف برلين. انظر بوابة عشتار.

مساكين يا أمناء الهيكل مساكين والله لا بل أتعس بني البشر واليأس ينتظركم لأن مثل هيكل سليمان وغيره من الصروح العمرانية التي زعمت التوراة أن سليمان شيدها، يشبه تماماً قضية جنة عدن فإن عثر يوماً على أي اثر لهذا الفردوس المفقود ممكن أن يعثر على أثر لهذا الهيكل وغيره مما حلموا به المدونين التوراتيين.

ولكن بعد أن أضاع أنصار الهيكل أو ما تسمي نفسها أمناء الهيكل أكثر من مئة سنة بحثاً عن هذا الهيكل. حبذا أن يأخذوا خريطة جنة عدن المفصلة في سفر التكوين ألتوراتي ويذهبوا إلى أرض الرافدين دجلة والفرات، ويبحثوا عن مدينة أشور علهم يجدوا هناك جنة عدن كما وصفتها التوراة حيث: هناك الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع.

تك 2: 11.



داوود العبري وجليات الفلسطيني

من قصص البطولات في التاريخ الإسرائيلي: قصة الغلام داوود والعملاق جليات، وهذه القصة أصبحت مضرب مثل وتباهي في شجاعة داوود عند التوراتيين والواعظين الأفاضل، ولكنها كانت لدى التلاميذ اسطوانة مملة جداً جداً من كثرة سماعها وتكرارها، أما لدى دارسي هذه التوراة دراسة منطقية فإنها تثير سخريتهم من غباء مدونيها وسذاجة معجبيها.

أقول مدونيها لأني أعتقد أنه لا يوجد نص توراتي لم يشارك في كتابته العشرات بين تدوين وتصحيح وشطب وترقيع عبر آلاف السنين. ولا زالت هذه القصص تؤكد على غباء وعناد مدونيها ومعجبيها. ففي قصة صراع داوود الطفل مع جليات العملاق، تلفيق ونفاق يحاول المفسرين الأفاضل من تكنيسه تحت بساط الرحمة الإلهية والإرادة الربانية، إلا أن هذا لم يعد اليوم ينطوي إلا على حفنة قليلة من السذج الذين أعمي على بصيرتهم.

تبدأ قصة داوود في 1 صم 17 – أثناء حشد الفلسطينيين جيشهم لمحاربة الإسرائيليين فوقف الجيش الفلسطيني على جبل من هنا والجيش الإسرائيلي على جبل من هناك 1 صم 17: 3 – وأنا هنا لا اسأل عن كيفية تواجد هذين الجبلين بالقرب الذي مكن من مخاطبة بعضهم بخطابات التحدي ودون الحاجة إلى مكبرات صوت، وكأن هذان الجبلان وجدا لهذه الغاية وبقدرة خيال الراوي ألتوراتي الغني بالتصورات المذهلة ولكني هنا لا بد من أن اسأل كدارس بطيء البديهة أي جبل من جبال فلسطين يستطيع أن يستوعب الجيش الإسرائيلي الجرار الذي يبلغ تعداده مئات الآلاف من المقاتلين؟ إلا إذا كانوا جيش من الجراد أو النمل. وبالمناسبة في هذه المرة يبلغ عدد جيش شاول بحسب 1 صم 15: 4 – مائتي ألف رجل فضلاً عن عشرة آلاف رجل

من سبط يهوذا، بينما عادة يذكر عددهم ستمائة ألف مقاتل، فأين ذهبوا أولئك الذين تسلمهم شاول من يشوع؟ وكان هذا عددهم بحسب الإحصاء الذي أجري قبل دخول الإسرائيليين أرض الميعاد. لا بأس قد يكونوا شكلوا فرار من تحت يهو وانضموا إلى شعوب أخرى، لينبطحوا تحت آلهات غريبة حسب تعبير التوراة. ولكن عجب العجب وعجب ما بعده عجب ما أن تسلم داوود زمام الأمور من شاول حتى حلت البركة الربانية بالشعب المختار، وأصبح تعداد مقاتليهم يعد بالملايين تصور ياعزيزي القارىء! ملايين نعم ملايين عدا المحصودين في الحروب.

ففي أخبار الأيام الأول 21: 5 – كان عدد الصالحين للحرب مليون ومئة ألف، زد على هذا سبط يهوذا أربع مائة وسبعين ألف عدا سبط لاوي وسبط بنيامين، على أي حال هذا ليس مهم المهم أن التوراة المقدسة تقول أن فجأة برز مقاتل من بين الفلسطينيين فيصاب من رؤيته جميع الإسرائيليين بالهلع والخوف، كل تلك الملايين فيهربون كالفئران المذعورة.

جميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً.

-1 صم 17: 24-

وأنا شخصياً أجد لهم العذر من تلك الشرشرة التي عملوها في ثيابهم وفاحت رائحتها بكل الحقول وما يناسب ذلك الجيش الجرار، لأن ذلك المقاتل الفلسطيني الذي تحدى إسرائيل وعيّرها بيهو كما تقول التوراة كان عملاقاً طوله فقط ثلاثة أمتار وعشرون سنتيمتر. ولا بد هنا من ذكر وزن بعض سلاحه الذي كان يحمله، تقول التوراة وزن الدرع وحده كان خمسة آلاف شاقل (سبعة وخمسون كغ) أي بوزن الطفل داود مرتين حتى أن رأس رمحه كان ستمائة شاقل (سبعة كغ) أي سبعة أضعاف وزن راس داوود، هذا وزن بعض من سلاحه عدا الخوذة والترس وغير ذلك مما لم تذكر التوراة وزنهم.

فإذا قلنا أن هذا العملاق قد قتله داوود ذلك الغلام الطفل كما تزعم التوراة، ألا يبعث هذا الكلام على السخرية! وهل تعلم يا سيدي كيف وبماذا قتله؟ يقول الراوي يا سادة يا كرام أن الملك شاول حذر الصبي داوود مشفقاً على

صغر سنه حيث قال له: أنت لا تستطيع أن تذهب إلى الفلسطيني لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه. فقال داوود لشاول وهنا تزداد القصة سخرية: كان عبدك يرعى غنماً فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه ولما قام علي أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته.

1 صم 17: 34 -

إن ما يُكلّل رأس الراوي لهذا الوحي بقرون السخرية ويعطيه صورة الغباء بأذان طويلة هنا ليس مرافقة الأسد للدب في تلك النزهة المأسوية المفجعة، وإن كان هذا لا يحدث إلا في قصص التوراة بأن يرافق دب لأسد. ولكن هذه الكلمات القليلة لا تستطيع أن تفهم منها شيئاً لأنها أشبه ما تكون بهذيان مجنون لا يعي ما يقول أو ثرثرة خرفان لا يستطيع أن يركز على ما ينطق به فكيف يقول هذا المدعي الوحي أن داوود قتله وأنقذ من فيه الشاة ولما قام عليه أمسكه من ذقنه وضربه وقتله ثانية.

ما هذه الهلوسة هل أصابت حمامتنا حمى الهذيان حتى جعلت المقتول أن يقوم ثانية، أما السذاجة المضحكة في قتل داوود ذلك الغلام لهذا العملاق هو أن داوود أعطي سيفاً لكنه عجز عن حمله لثقله فاستعمل عصاه التي كان يهش بها الغنم مع مقلاع وضع فيه حجرة حتماً لم يكن وزنها يناسب الهدف الذي كان عملاق. إلا أن داوود قال يا رب تجي بعينو وشاء يهو ما شاء عبده داوود، لأن ليهو في ما يشاء أهواء لذا سقط ذلك العملاق وركض الصياد المغوار كنسر كاسر منقض على عصفور ساقط في شرك، ولحسن حظك يا دودي أن جليات كان قد نسي سيفه مغموداً فاستله داوود برشاقة وغرسه في صدره ثم قطع رأسه كما يقطع رأس القط في ليلة الدخلة، ولما رأى الإسرائيليين ما فعل داوود بالفلسطيني خرجوا من مخابئهم واستأسدت الفئران التي كانت قبل لحظات مذعورة ولاحقت فلول الفلسطينيين الذين هربوا كما الذئاب حين تدخل في قطيع من الغزلان فتشتتوا وانهزموا شر هزيمة.

ولكن نبينا صموئيل صلوات الله عليه بعد أن أخبرنا بكل هذه الأمور شحت ذهنيته المتوقدة وخياله الخصب جف مما حمله على النسيان بهذه السرعة لهذا

أخبرنا في سفره الثاني 2 صم 21: 19 – أن حانان قتل جليات الجتي وليس داوود ولكن كاتب سفر الأخبار الأيام الأول يكذب السفرين بقوله أن حانان قتل ليس جليات بل اخاجليات.

أخبار الأول 20: 5 – قارن 2 صم 21: 19 وأيام الأول 20: 5

وهي نفس الرواية باختلاف والحديث على داوود يطول ومبالغات التوراة لا تنتهي ولكن بعد هذه الانتصارات المبهرة التي سحق بها داوود الأغيار أعداء الله. ألا يحق لنا أن نتوج هذه الملحمة البطولية بتاج وعرش يناسب مكانة هذا الطفل المغوار كعربون إعجاب بل تقديسه لتنصيبه نبياً وملكاً فوق كل الملوك! طبعاً وكان عرش الملك سليمان عظيماً مزخرفاً أكثر من عروش ملوك الأرض قاطبة لا فرعون ولا أشور ولا من يحزنون، وكان هذا العرش الداوودي مصنوع من عاج مغشى بالذهب وله ست درجات للصعود إليه بحيث كانت رؤوس الواقفين إليه لا ترقى إلى نعل حذاء الملك وكانت الأسود الذهبية من هنا وهناك اثنتا عشر أسداً بعدد أسباط اليهود

انظر ملوك الأول 10: 18

أما التاج المناسب ومع بحثنا المضني عبر التاريخ وغرائبه لم نعثر على تاج يليق بداوودنا الغلام قاهر جليات أنسب من تاج ربة عمون. يقول النبي صموئيل: فجمع داوود كل الشعب وذهب إلى ربة وحاربها وأخذها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم. ولكن هل تعلم يا صديقي كم تساوي وزنة الذهب بحسب الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس؟ الوزنة تساوي نحو أربعة وثلاثين كيلوغرام فربك قل لي يا صاح هل هناك إنسان يستطيع حمل هذا النير على رأسه أربعة وثلاثين كيلوغرام من الذهب عدا الأحجار الكريمة وتوابع هذا التاج، أم هل اجتهادات المفسرين الأفاضل سيحملهم بخيالهم الواسع الخصب وذهنهم المتوقد جداً للقول أن هذا الصعلوك داوود عندما قتل جليات ذلك العملاق الجبار انتزع عنه العملقة أيضاً وتعملق حتى

أصبح رأسه مناسباً لحمل هذا التاج، كما حدث ليعقوب الذي صارع الله وثبته تحته إلى أن انتزع البركة من العجوز ياهو عنوة ولهذا أصبح مباركاً جداً، وبعد هذا الانتصار العظيم والتاج العظيم والعرش العظيم لا بد من ذبح عظيم لتدشين ومباركة هذا الحدث العظيم حتى يجدر ذكره بالتوراة بامتياز الطبيعة اليهودية وكان حقاً ذبحاً عظيماً . أنظر الذبائح التي هيأها داوود بعد هذا الحدث المقدس حيث جمع كل الأسرى العاجزين عن الحرب من أطفال وشيوخ ونساء ونشرهم أولاً بالمناشير وهم أحياء، ثم كسر عظامهم بالفأس كما أمر رابين بتكسير عظام الفلسطينيين ولم يشفي غليل قلبه وبعد كل هذا ووضعهم تحت النوارج. والنورج هو عبارة عن عربة عجلاتها سكاكين وشفرات لطحن وتنعيم التبن. وهكذا فرمهم كفتة ووضعهم في أتون النار ليحضرهم قربان من الكباب والكستيلتا التي يحبها يهو ومن يظن أني أبالغ بالكلام فليقرأ شيء مما جاء في هذه الملحمة.

وأخرج داوود الشعب الأسرى الذين بقوا في المدينة ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأحرقهم في آتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون.

2 صم 12: 31

ولكن ولد الزنوة والزنوة تتلوث بهم أولئك الذين أخرجوا ما أسموه الكتاب المقدس الطبعة الرابعة من الإصدار الثاني 1995 عن جمعية الكتاب المقدس في لبنان حيث زوروا فيه وكتبوا هكذا:

وأخرج سكانها منها وأجبرهم على العمل بالمناشير والنوارج وفؤوس الحديد وعلى الاشتغال بصناعة اللبن... فلماذا التشويه يا أشوه الخلق والأخلاق ولماذا التضليل والنعيق يا أقبح القبح، وماذا أقول فيكم بعد كل هذا يا من لبستم ثوب الصدق والنزاهة وأنتم نبع الدجل والنفاق.

يقول سيغموند فرويد وهو يهودي الأصل وهو غني عن التعريف بمكانته الثقافية والعلمية: مسخ المنقحون النص وحذفوا منه وزادوا عليه بل عكسوا معناه وتشويه النص شبيه من وجهة نظر معينة بجريمة القتل. فالصعوبة لا تكمن في ارتكاب الجريمة بل في إخفاء آثارها. (انظر موسى والتوحيد صفحة 58.)

بابل

بابل المختارة

1 بط 13:5

سقطت سقطت بابل العظيمة.

رؤيا يوحنا اللاهوتي 2:18

كيف سقطت بابل فخر كل الأرض.

ارميا 41:51

بابل المدينة العظيمة

بابل المدينة المقدسة

بابل قبلة العبادة

بابل قوة الله

إنّ ورود ذكر مدينة بابل في الكتاب المقدس أكثر من مائتي مـرة يُظهـر أهمية وعظمة بابل في العصور القديمة.

(قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين)

وإنما صارت عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول وكمالهم فوق الكمال.

كتاب الحيوان للجاحظ ج2 ص 314

هكذا قال الرب احنوا مناكبكم وتعبدوا لملك بابل فتسكنوا في الأرض التي أعطيتها لآبائكم وإن لم تسمعوا لصوت الرب بأن تعبدوا ملك بابل فإني أبطل مـن مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح صـوت العـروس وصوت العريس وتكون كل الأرض مستوحشة لا ساكن فيها.

سفر باروخ 2:21-23

عندما يقرأ المؤمن هذه الكلمات يعتقد أنّ هذه الكلمات ليست مـن الـوحي المقدس وكأنها صفحات وثنية تماماً، ولكن سرعـان مـا تنقلـب إلى آيـات مقدسـة حين يقرأ في ذيلها أي سفر من التوراة أو العهد القديم.

وهكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: هكذا تقولـون لـسادتكم أني أنـا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقـوتي العظيمـة وبذراعي الممدودة وأعطيتها لمن حسن في عيني والآن قـد دفعـت كـل هـذه الأراضي ليد نبوختنـصر ملـك بابـل عبـدي وأعطيتـه أيـضاً حيـوان الحقـل ليخدمه فتخدمـه كـل الـشعوب وابنـه وابـن ابنـه حتـى يـأتي وقـت أرضـه فتستخدمه شعوب كثيرة وملـوك عظـام ويكـون أن الأمـة أو المملكـة التـي لا تخدم نبوختنصر ملك بابل ولا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب

تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب حتى أفنيها بيده فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرّافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم يتنبأون لكم بالكذب.

سفر ارميا 27:4-10

وتقول لهذا الشعب هذا ما يعلنه الرب: ها أنا أعرض أمامكم طريق الحياة وطريق الموت فمن يمكث في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء ومن يلجأ إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم ويستسلم لهم ويغنم نفسه فإني قد قضيت على هذه المدينة بالشر لا بالخير يقول الرب لهذا يستولي عليها ملك بابل فيحرقها بالنار.

سفر ارميا 21:8-10

إنّ ورود ذكر بابل بالكتاب المقدس أكثر من مائتي مرة وفيها جميعاً من التعظيم والتقديس لبابل ودينها الحقّ الذي أخذ مجراه في الأفق المقدس - إلا آيات قليلة لا تتجاوز العشر آيات أردف إلى ذكر بابل بكلمات من الذم والشتيمة والمسبات التي لم يجد لها كاتبها مبرر إلا ما يعبّر على الغيرة والحسد منها لكثرة نعمتها ووفرة خيرها - يجعل القارئ العادي يقع في حيرة كبيرة سائلاً : إذا كانت بابل هذه المدينة المقدسة والتي تعمل بمقتضى 1- إرادة الله والذي جعل الله منها مطرقة لتحطيم أصنام[8] 2- الوثنية[9] و3- معاقبة الظالمين والذين أصبحوا أشرار في عين الله وأنبيائه والأخذ بيد[10] 4- المظلومين من مساكين الشعب وفقراء إسرائيل وإلى آخر ما هنالك من[11] 5- القوة الإلهية التي جعلت من بابل سيف الله المسلول ضدّ الطغاة الظالمين[12] وبعد كل هذا لماذا نلاحظ بضع آيات تشتم بابل وتجعل منها رمز المرأة الزانية وهي فخر كل الأرض حسب أقوال الله؟

---

(8) حزقيال **20:29**
(9) ارميا **23:50**
(10) ارميا **2:52-10**
(11) ارميا **10:39-11**
(12) حزقيال **24:30-25**

على أية حال لا نريد الإطالـة كثـيراً حـول تفـسير باعـث هـذا لأن أسـبابه واضحة وهي أنه ليس مـن طبـع الـسلالة العبرية الثنـاء عـلى الغـير إلا إذا كـانوا مرغمين. وما أرغمهم على هذا الثناء كان من البداهة التي لا تـستوجب الخـلاف آنذاك، أما بالنسبة للذين كانوا يصبّون الشتائم واللعنـات المثقلـة عـلى بابـل وهـم يعيشون عالة على المجتمع البابلي فلا تقلّ وقاحتهم عن نجاسـة ذلـك الـذي كـان يشرب من البئر ويتفل فيه.

سقوط بابل

درسنا بعض البذور الثقافية الدينية من العهد الوثني في سوريا والتي كانت الديانات السماوية امتداداً لها، ومع متابعتنا لدراسة الفكر اليهودي وعقائده الدينية وما تلاه من مذاهب يتضّح لنا أكثر بأنّ السوريين قديماً استطاعوا أن ينفردوا بالتربّع على عرش المجد والصدارة للثقافة الدينية والدنيوية منذ ما قبل التاريخ وحتى سقوط بابل سنة 528 ق.م على يد المسيح الفارسي كورش.

(اشعيا 1:45)

إنّ هذه الحقبة التاريخية الطويلة واسبقيتها في المجد والعظمة دفعت جهابذة البحث والتنقيب الأثريين لأن يطلقوا على الأمة السورية "أميرة الثقافة" وأم الحضارة" لانفرادها بالثقافة الدينية والدنيوية في العصور البدائية، حيث كونت مجد تألقها من تفاعل وتمازج ثقافات شعوبها المتآخية بمختلف طوائفها وقبائلها الإقليمية من أكادية وسومرية وآشورية وآرامية أبناء (سوريا) مهد الحضارة وأم الديانات. فكانت ثقافاتها وأساطيرها المحور الذي حوله ومنه اقتبست أهم ثقافات العالم بجهود مواطنيها ومن مختلف الطبقات كفعلة عاديين وفلاحين وكهنة وقواد عسكريين وملوك عظماء.

هذا ومن خلال مراحل وتطورات الأمة السورية في عصورها البدائية والذهبية، ولكن ما حمل الأمة السورية للوصول إلى ما هي عليه اليوم من تقهقر لأمر غريب جداً والغرابة فيه هو أن الأمة السورية كان لعظمة قوتها وازدهارها سبب كبير في سقوطها إضافة إلى أسباب أخرى لاسيما الدينية منها. وقد يصعب تقبل هذا المنطق للوهلة الأولى إلا أن هذه هي الحقيقة والمجردة عن أية مبالغة.

وقبل تفسيرنا وشرحنا لهذه الأسباب التي أسقطت بابل نأتي بلمحة سريعة عن وصف بابل كبناء عمراني وهندسة متقدمة في تلك الأجيال المبكرة من تاريخ الإنسانية، وكذلك لابد لنا من إعطاء صورة عن قوة بابل العسكرية والعلمية والصناعية والأخلاقية والدينية، ومن ثمّ نأتي على أسباب سقوطها من باذخ عزها ومجدها.

جاء في سفر التكوين 10:10 -بأنّ مؤسس بابل هو نمرود ابن كوش ابن حام الذي كان جبّار صيد أمام الرب لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب. ونحن نعلم أنّ مملكة كوش هي الحبشة وفي سفر التكوين 11- جاء فيه أنّ أبناء نوح في ارتحالهم شرقاً شيّدوا بابل في سهل شنعار كما شيّدوا البرج الذي رأسه في السماء وما بين سهل شنعار في آسيا وكوش في أفريقيا آلاف الكيلومترات. أما في الأساطير البابلية والتي سبقت التوراة قالت بأن مؤسس بابل هو مردوخ ابن الإله ايا وبعض الأساطير الأخرى قالت بأنّ مؤسسي بابل هم بعض الإلهات الثانوية التي أعطت الولاء للإله مردوخ الذي أنقذهم من الهلاك ووطّد الأمن. فكانت بابل وبرجها العظيم كعربون امتنان للإله مردوخ.

نقرأ عن هذا في بعض الأسطر مما جاء في التكوين البابلي من اللوح السادس:

والآن أيها الرب يا من خلصتنا من العمل المفروض علينا

ما الذي يليق بك عربون امتنان

سنبني لك هيكلاً مقدساً

مكاناً به نركن مساء لنستريح

هناك سنشيّد لك منصة وعرشاً وكلما أتينا المكان نلجأ إليه لنستريح

فلما سمع مردوخ ذلك

انفرجت أسارير وجهه كما النهار

كذا فلتكن بابل كما اشتهيتموها

لنشرع بتجهيز الحجار ولتدع بالهيكل

اعمل الأنوناكي معاولهم فأنهوا الطوب اللازم في مدى سنة
ومع حلول السنة الثانية
رفعوا الايزاجيلا (طبقات البرج) الذي وصلت أسسه الابسو
بعد أن أنهوا برجه المدرج
بنوا في الداخل مسكناً لمردوخ وانليل وايا
ثم جلس مردوخ أمامهم في جلال
ومن الأسفل شخصوا بأبصارهم لقرون البرج الرائعة
وبعد الانتهاء من الايزاجيلا
قام الأنوناكي ببناء مقامات لهم
ثم التأم جمع الآلهة
والتقوا في حرم مردوخ السامي الذي بنوا
فأجلس آباءه الآلهة إلى مأدبة:
هذه بابل مكان سكناكم المفضل

هذا عن الأساطير البابلية، وذاك عن الأساطير العبرية. ولكن رجال البحث والتنقيب نسبوا قدم بابل إلى أربعين ألف سنة قبل الميلاد وذلك من خلال دراسة الطبقات السفلية لمدينة بابل عن طريق الاختبار الكربوني. فهذا يعني أنّ ذاكرة التاريخ نست تماماً تاريخ بناء المدينة وبرجها وليس كما زعم البعض بأن بابل جاءت من كلمة بلبلة كما جاء في:

تك 7:11- هيا ننزل إليهم ونبلبل لسانهم حتى لا يفهم بعضهم كلام البعض.

أما معنى بابل قد يكون معناها مشتق من ابن ايل أو من باب ايل. فإذا كانت بابل مشتقة من ابن ايل واللفظ باللهجات القديمة ببل = بوبو ايل وبوبو تعني الطفل أو الابن ومنها يقال في بعض اللغات الحديثة بيبي. فيدعم هذا الرأي أن الإله مردوخ وهو ابن للإله ايل الذي فاق أبيه عظمة واقتدار وانتزع أسماء الإلهات الخمسين العظام (الأسماء الحسنى) من بقية الآلهات كما جاء في سفر التكوين البابلي قام ببناء بابل وبرجها المقدس فنسبت إليه أو بناها بعض الإلهات

الصغار (الآلهـات الثانويـة) كعربـون امتنـان وعرفـان بالجميـل لابـن الإلـه هـذا لانتصاراته على قوى الشر وتوطيد الأمن كما سبق ذكره في التكوين البابلي.

أما إذا كانت بابل مشتقة من باب ايل أي باب الله ربّما يكون ذلك لأن الملك في مفهوم الأولين كان يمثل الله على الأرض وهو صلة الوصل بـين العبـاد والإلـه المعبود فهو البوابة التي يطل منها العباد إلى الله لذلك قيل باب ايل.

وصف لمدينة بابل



كانت مدينة بابل قائمة في أرض مربعة الشكل طول ضلعها أربعة عشر ميلاً تقريباً أي بمساحة مئة وستة وسبعون ميل. ويحيط المدينة خندق عريض مملوء بالماء ووراء الخندق سور ارتفاعه ثلاثمائة قدم وعرضه سبعة وثمانون قدم. وكانت بعض أبنية المدينة مشيّدة من أربعة طوابق مترامية أطرافها على جانبي نهر الفرات ويربط طرفي المدينة عبارة عن جسر يمر فوق النهر وإلى جانب الجسر نفق من تحت الماء إضافةً إلى استعمال الزوارق في العبور من طرف إلى آخر.

وعند نهاية السور الواصل للنهر كان السور ينعطف يميناً ويساراً بما يكفي لاستحكامات الحرس والمدافعين عن المدينة كبقية السور المحيط بالمدينة.

والشوارع في بابل كانت مستقيمة ومتقاطعة بزوايا قائمة كلوحة الشطرنج وكل من الشوارع المتصلة بالنهر كان له بوابة كبيرة من النحاس أو البرونز وإلى جانب السور الخارجي كان هناك سور آخر داخلي لا يقل عن الأول في تحصينه وعلى مسافة لا تبعد عنه كثيراً .

والأرض الواقعة بين السورين كانت عبارة عن بساتين وكروم خاصة بالملك فيها مختلف أنواع الفاكهة والثمار، أما الحدائق المعلّقة أو جنائن الملكة شميرام والتي تعتبر من إحدى عجائب الدنيا السبع لروعة إنشائها فقد بنيت على مصاطب مصطبة فوق مصطبة ومكيفة بكل لوازم الترفيه مما تشتهيه النفس وتبتهج لها العين.(أنظر بساتين بابل المعلّقة). وكان في كل قسم من المدينة بنائين ضخمين أحدهما المعبد، والآخر القصر الملكي وكل من الأبنية هذه كان له حصن يحيط بكل البناء ليصون حرمته. أما برج المدينة المشهور فقد خلّدت ذكراه الأساطير الدينية على مدى الأجيال كما رأينا، فكان قبلة العبادات القديمة كالقدس ومكة في وقتنا الحاضر.

وكان برج بابل مكون من ثمانية طوابق من الطوب القاسي والأملس وفي قمته عبارة عن صالة واسعة تحتوي على كرسي فاخر مع طاولة مذهبة، وهناك أيضاً غرفة سفلية فيها تمثال من ذهب للإله بيل أو بال (بعل) جالساً على عرش من ذهب وتحت رجليه مسند من الذهب وأمامه طاولة مذهبة. وقُدّر وزن الذهب بثلاثة أطنان من الذهب الصافي، وكان الصعود إلى البرج من خلال طريق حلزوني من التراب يلتف صعوداً حول البرج حتى قمته يتوسطه محل لاستراحة الصاعدين والنازلين.

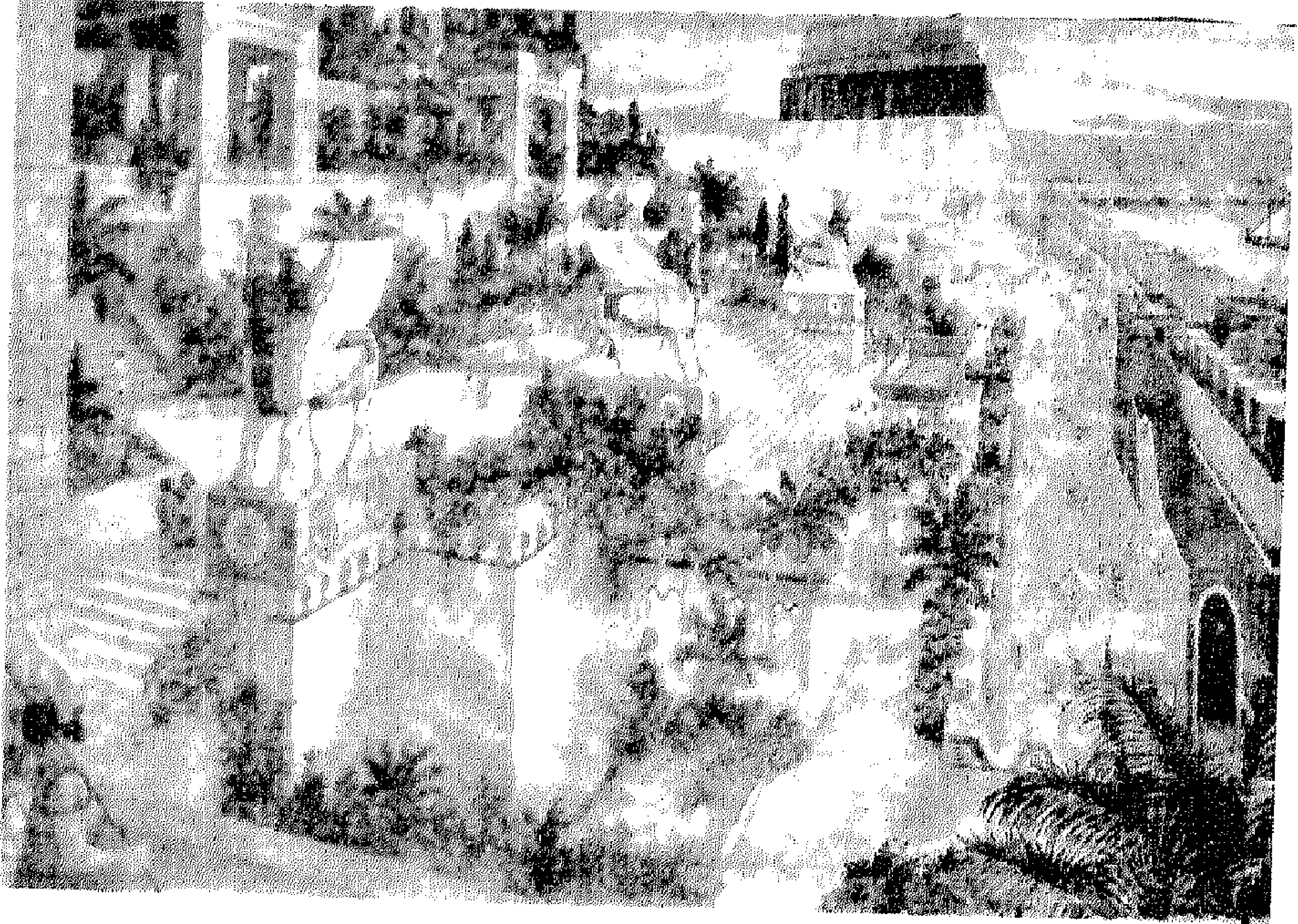
وبعد أن اضمحلت المدينة وأصبحت أطلال دارسة، كانت لا تزال بابل تعيش في ذاكرة الشعوب وخيالها كزهرة رائعة الجمال يحلم المرء أن يكحل عينيه برؤيتها.

وعندما كان الإنسان يرغب في تعظيم مدينة ما مبالغاً بوصفها وتضخيمها كان يلقبها بمدينة بابل. وإنّ ما جاء في ختام رسالة بطرس الرسول الأولى يرجّح

أنّه كتبها من روما وليس من بابل لأن بابل كما هو معروف كانت وقتئذ قد أصبحت خرائب مردومة لا حياة فيها:

ومن بابل تسلم عليكم تلك التي اختارها الله معكم.

1 بط 13:5



جنائن وبساتين بابل المعلقة (واحدة من عجائب الدنيا السبعه)

كما أنّ بابل التي ورد ذكرها في كل من رؤيا يوحنا 8:14 و19:16 و5:17 و2:18 و21 اسم رمزي أشار به كاتب سفر الرؤيا إلى روما التي شبهها ببابل في ترفها وامتداد سلطتها.

وإلى جانب جمال هندسة المدينة الرائع لقد أبدع البابليين في صناعاتهم التي عجزت بقية الشعوب من تقليدها. حيث كانت الأمم المجاورة تتفاخر في اقتنائها للصناعات البابلية (يشوع 21:7) كبقة المواد النفيسة وكانت الألبسة الفاخرة يرتديها حتى الجنود العاديين في بابل لكثرة الترف والبذخ والنعمة التي كانوا فيها، وهذا ما كان يثير شهوة النساء الإسرائيليات لفرج أرجلهن تحت الجنود الآشوريين كما يصفهم النبي حزقيال حيث يقول: عشقت بني

آشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين افخر اللباس فرساناً راكبين الخيل كلهم شبّان شهوة.

حزقيال 12:23

قارن بين حزقيال 12:23 حيث ترف البابليين وخروج 26:20 حيث شقاوة العبريين وفقرهم الذين حاولوا أن يقلّدوا المذابح البابلية بأن يجعلوها بمصاطب مرتفعة قليلاً عن الأرض لتكون مرئية للجميع إلا أن الشيخ الجليل ياهو منعهم من هذا، والسبب نقرأه بين سطور السفر بقوله:

ولا تصعد بدرج إلى مذبحي كيلا تنكشف عورتك عليه.

خروج 26:20

نفهم من هذا أن العبريين كانوا يفتقرون إلى اللباس الداخلي الذي يستر فقرهم وعورتهم، وحين رقص الملك داود بكل قوته صعوداً ونزولاً كانت تظهر أعضاءه الجنسية (كالبندول الرقّاص) لأنه وهو الملك كان يفتقر للثياب الداخلية مما أسقطه في عين زوجته فاحتقرته وقالت له: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء.

2 صم 20:6

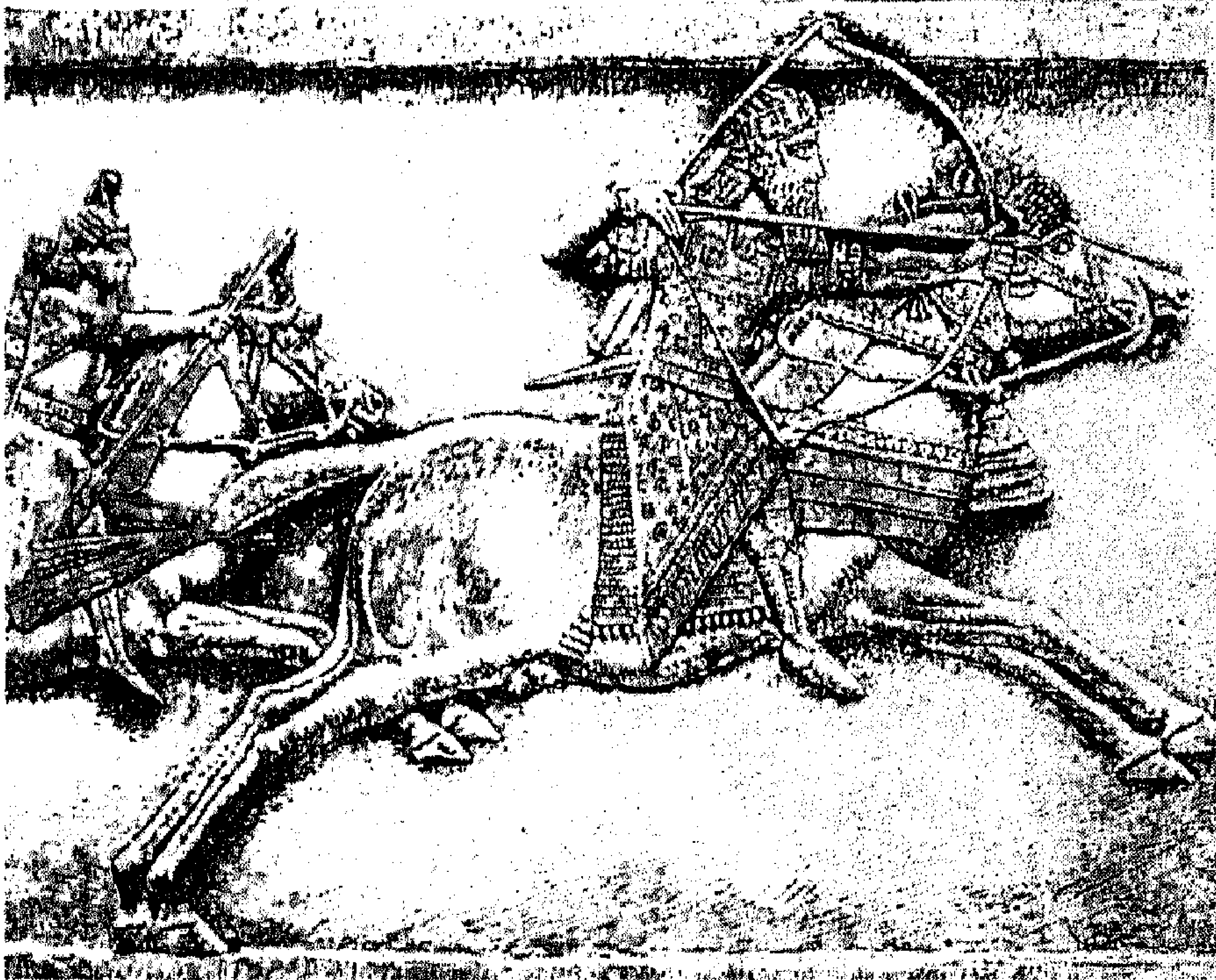
وبعد تمدن العبريين نوعاً ما وارتدائهم للألبسة الداخلية سمح لهم ياهو بصنع المذبح بدرجات كما جاء في سفر حزقيال 17:43. وكان هذا بعد تلوثهم بمدنية بابل الزانية كما يحلو للبعض أن يسميها أثناء ما سمي بالسبي البابلي.

فعودة ثانية للصناعة البابلية وما روي عنها: قيل بأنه كان معلقاً في قصر الامبراطور نيرون نسيج بابلي نفيس موّشى بصور.

أي بعد سقوط بابل بستة قرون (انظر قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان صناعة بابل) وبعد سقوط بابل انتقلت الأيدي الماهرة قسراً أو اضطراراً إلى فارس حتى أصبحت العجم شهيرة بصناعة سجادها الثمين والتي مازالت شهرته حتى الآن.

أما بالنسبة للعلوم والثقافة البابلية فلم يبقى ميدان من ميادين العلم والمعرفة إلا وانفردوا بصدارته ولاسيما علم الفلك، الذي كان يقتصر على

جماعة الكهان والمنجمين من الشعب. ومن الجدير ذكره أن التنجيم كان علم قائم بحدّ ذاته وهو يقوم على دراسة حركات النجوم والتوقع من معطياتها لحوادث المستقبل، فكان علماء الفلك والمنجمين آنذاك هم علماء الدين الذين يتكهنون لمصير الإنسان حيث كانوا يربطون بين مظاهر الكون ومستقبل مصير العالم.



على أية حال إنّ بابل لا تكفيها الكلمة ولا حتى المجلّد يفي في تقييم بابل، لأنه مهما قلنا فيها وفي عظمتها فإننا نبخسها حقها. لذلك لم يبالغ النبي ارميا عندما قال عن بابل بأنها فخر كل الأرض.

(ارميا **41:51**).

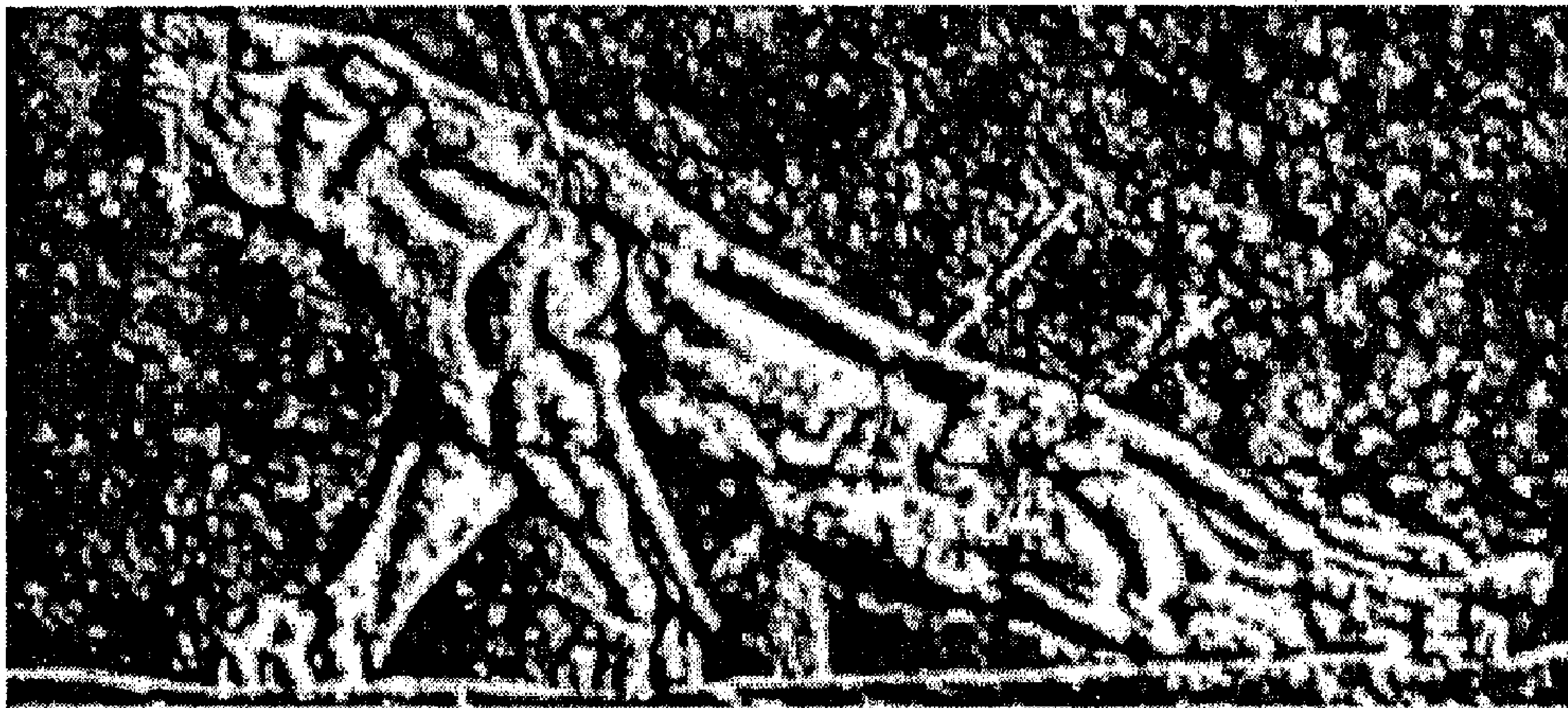
أما عن قوة بابل العسكرية فهي أشهر من أن تعرّف وإنّ شهادة الكتب المقدسة تكفينا لإعطاء صورة عن شدة باس البابليين وسرعة خيولهم ومهارتهم العسكرية انظر الصورة!

يقول السيد الرب: فها أنا أثير الكلدانيين هذه الأمة الحانقة المندفعة الزاحفة في رحاب الأرض لتستولي على مساكن ليست لها. أمة مخيفة مرعبة تستمد حكمها وعظمتها من ذاتها، خيولها أسرع من النمور وأكثر ضراوة من ذئاب المساء، فرسانها يندفعون بكبرياء قادمين من أماكن بعيدة متسابقين كالنسر المسرع للانقضاض على فريسته، هذه قوتها إلهها.

سفر حبقوق 1:6-8



وما يؤكد على شدة بأسهم وعظمة اقتدارهم وقوتهم أنّ من أحب هواياتهم الرياضية كانت صيد الأسود حيث اشتهروا بها دون غيرهم.



نينوى: اللبؤة الجريح (القرن ٧ ق.م) - المتحف البريطاني

أما عن أخلاق وديانات بابل فقد كانت التعددية ديانتهم كبقية الشعوب، إلا أنهم كانوا أول الموحدين. كما كانوا أكثر الأقوام عدلاً وتقرباً من الله وهذا

بشهادة الكتب المقدسة وهناك عشرات الآيات التي تؤكد هذا، وأهم من هذا وذاك شرائعهم العادلة (أنظر شريعة حمورابي).

لذلك هكذا قال السيد الرب ها أنا ذا أبذل ديار مصر لنبوختنصر ملك بابل فيستولي على ثروتها ويسلبها غنائمها وينهبها فتكون هذه أجرة لجيشه قد أعطيته أرض مصر لقاء تعبه لأنه وجيشه قد عملوا في خدمتي يقول السيد الرب.

حزقيال 29:19-20

إذاً التوراة ترى أن بابل وملكها قد عملوا في خدمة الرب.

ليست التوراة الوحيدة التي تشهد بمعرفة البابليين والسوريين للإله أكثر من كل الشعوب، بل الأناجيل في العهد الجديد أيضاً أكدت على أن السوريين كانوا مستقيمين مع الله أكثر من أي شعب بما فيهم الإسرائيليين. وهذا ما أعلنه صراحةً المسيح بقوله:

وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمن أليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السوري فامتلأ غضباً جميع الذين في المجتمع حين سمعوا هذا.

إنجيل لوقا 27:4

وبالرغم من شراسة البابليين في أساليب حربهم وقتالهم إلا أنّ نظرتهم للعالم كانت إنسانية بالشكل الذي لم يسبقهم إليها أحد، حيث كان بعدهم عن العنصرية كبعد السماء عن الأرض لهذا كانوا يعتبرون أنّ كل الناس سواسية فلا فرق بين بابلي وأجنبي بل كانوا أحياناً يمنحون الأجانب ما لم يمنحوه للبابليين كدانيال وحزقيال وغيرهم من اليهود الذين أصبحوا وزراء في مملكة بابل على حدّ زعم التوراة. وكذلك حمورابي ملك بابل كان مثلاً يمنح الأراضي وخاصةً للرحّل لتوطينهم تحقيقاً للعدل أولاً ثم ليتخلص من العشائرية والقبائلية وبهذا كان يجعل البلاد في توازن وتآلف واستقرار أكثر.

أما ما يسمى بالسبي البابلي فلم يكن مطلقاً بالصورة السيئة التي شوهت حقيقته بعض أنبياء العنصرية في التوراة كالنبي نحميا وعزرا والتي تتطاير من

صفحات أسفارهم سموم الحقد والعنصرية بالشكل الذي يُزكم الأنوف ويّقرف النفوس، وإنما كانت حقيقة ما يسمى بالسبي البابلي أسمى مما زعموا بل كان عملاً إنسانياً بلا حدود. فالمسبيين بالقوة كانوا فقط غير المستقيمين في عين الرب لكثرة ما أفسدوا وظلموا وهذا بشهادة التوراة، فكان نبوختنصر يأخذهم إلى بابل للمحاكمة والمعاقبة. أما بقية المسبيين فكانت رغبة منهم بل كانت أمنيتهم أن يذهبوا إلى بابل لأن بابل كانت قبلة الطامحين والطامعين من الشباب لما كان فيها من وفرة الخير وكثرة الرغد والنعمة.

إنّ الهجرة إلى بابل آنذاك وما سمي بالسبي البابلي هو صورة شبيهة أشد الشبه بهجرة شباب اليوم من البلدان الفقيرة والعالم الثالث إلى أمريكا وأوروبا الغربية بحثاً عن حياة أرغد وأمتع أما ما تبقى من الشعب في إسرائيل رغبةً منه والذي لم يكن يقوى على الهجرة بسبب الشيخوخة أو سوء صحته أو لظروف أخرى خاصة، فكانت توزع عليهم الحقول والكروم التي سلبها منهم حكامهم الظالمين والمستبدين.

وظاهرة سلب الملوك لحقول الضعفاء من الشعب كانت متفشية في أخلاقيات ملوك العبريين وفي إحدى الروايات: أن الملك طلب أحد الحقول من أحد مساكين الشعب الذي أبى أن يفرط بميراث آبائه على حدّ ذكر التوراة، فقامت زوجة الملك بكتابة رسائل باسم صاحب الحقل وجدّفت على الله في هذه الرسائل ونشرتها بين الشعب ثم أحضرت هذا المسكين وجعلت الشعب يرجمه بحجاره حتى الموت بحجة أنّه جدّف على الرب وهكذا استولت على حقله.. انظر تفاصيل هذه القصة في سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي والعشرون حيث يعطينا صورة مشرّفة عن أخلاق ملوك شعب الله المختار وكيف يعاملون مساكين الشعب في سلبهم أراضيهم وما يزيد التوراة قباحة" وقاحة زاعمي الوحي بتسمية أولئك الملوك أنبياء وقديسين.

ولهذا كانت ملوك بابل تحقيقاً للعدل تعمل على إرجاع الأراضي إلى أصحابها المظلومين والمستضعفين من الفقراء ومساكين الشعب وهذا ما أكده النبي ارميا حين قال:

ولكن بعض الشعب الفقراء الذين لم يكن لهم شيء تركهم نبوزرادان رئيس الشرطة البابلية في أرض يهوذا أعطاهم كروماً وحقولاً في ذلك اليوم.

سفر ارميا 39:10

فالنبي العظيم ارميا كما تسميه التوراة وتوابعها فإنه يؤكد لنا وبصريح العبارة أنه ليس هنالك سبياً بالإكراه. من أراد أن يختار بابل فليذهب وهذا حسن الاختيار، ومن أراد أن لا يذهب إلى بابل فسوف يعض إصبعه ندماً وحسرة. لقد أعطانا خير مثال عن هذا بمثله المعروف مثل سلة التين الجيد الذي يرمز إلى النعمة التي سيعيشها من أسموهم مسبيين في بابل وسلة التين الرديء الذي شبه بالغير الذين سيموتون من الجوع والوباء في أورشليم:

ارميا ومثل السلتين

أراني الرب وإذا سلتا تين موضوعتان أمام هيكل الرب بعدما سبى نبوختنصر ملك بابل يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من أورشليم واتى بهم إلى بابل، في السلة الواحدة تين جيد جداً مثل التين الباكوري وفي السلة الأخرى تين رديء جداً لا يؤكل من رداءته فقال لي الرب: ماذا أنت رائي يا ارميا فقلت تيناً التين الجيد جيد جداً، والتين الرديء رديء جداً لا يؤكل من رداءته. ثم صار كلام الرب إلي قائلاً : هكذا قال الرب إله إسرائيل كهذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين للخير وأجعل عيني عليهم للخير أرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم أعطيهم قلباً ليعرفوني إني أنا الرب فيكونوا لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً لأنهم يرجعون إلي بكل قلبهم وكالتين الرديء الذي لا يؤكل من رداءته هكذا قال الرب هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساؤه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في أرض مصر وأسلمهم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض عاراً ومثلاً وهزأةً ولعنة في جميع المواضع التي

اطردهم إليها وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنون عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآبائهم إياها.

سفر ارميا الإصحاح الرابع والعشرين

وهنا أود أن أشير إلى نموذج لخطبة من تلك الخطب المغرية التي كان القادة الآشوريين يخاطبون بها المهجرين طوعاً حين كانوا يعرضون عليهم الهجرة إلى بابل.

قال أحدهم: حين آتي إلى تهجيركم إلى أرض مثل أرضكم أرض قمح وخمر طيب أرض خبز كثير وكروم سخية أرض تفيض زيتاً وعسلاً كل واحد منكم سيأكل ثمار كرمة خاصة به والتين من شجرته وسيشرب الماء من صهريجه حتى لا تموتوا بل تعيشوا.

هكذا كان العرض والطلب والاختيار بل أكثر ما كان يغريهم (المهاجرين) تلك الخمور البابلية المعتقة، والتي كانت ملهمة الوحي عند أنبيائهم.

الحقيقة أن بين تلك الجموع الرعوية كان هناك أفراد شبه عقلاء كالنبي باروخ وارميا وغيرهم ممن أعطوا نصائحهم لهذه الجموع والتي كانت تكاد تشرف على الموت من الجوع. وكانت نصائحهم بأن يذهبوا إلى بابل التي كان يحلو للبعض بأن يسميها «بابل الزانية» أو «لوثة الأغيار» أو «الشيطان الأكبر» بلغة هذا العصر وكان كل ما يرجوه أولئك الأنبياء أن يزجوا هذا الرعاع في قلب المدنية البابلية علّهم يتلوثوا بعض الشيء بهذه الحضارة وهم الشعب الممتاز وعذراً إذا أسميت المدنية «لوثة» طالما أن التوراة قلبت كل المفاهيم، وما يؤكد على طهارتهم (العبريين) من هذه اللوثة المدنية أن في كل أرض إسرائيل لم يكن هناك ولا صانع واحد يتقن أي حرفة كما يقول النبي صموئيل في 1 صم 20:13.

والأنكى من كل هذا أن أكثر الأنبياء عنصرية وكرهاً لبابل كالنبي عزرا ونحميا كانوا أول من تراكض إلى بابل وثمل بخمر زناها. كما كانا هم وغيرهم يهلوسون ويتضح من صفحات التوراة أن اليهود ذهبوا إلى بابل

جماعات من الغوغاء منقسمة على بعضها عشرات الأقسام لا يربطهم أي رابطة إيجابية وليس لهم أي فكر يجمعهم ولا أي تقليد اجتماعي مفيد وعادوا من بابل ومعهم بعض المفاهيم الدينية والتي كانت المحور الذي نسجوا حوله مفاهيمهم الدينية كالتوراة والتلمود البابلي بعد أن شوهوا كل وجهه الحضاري وما يتناسب وهمجيتهم وتخلفهم بالرغم من إقامتهم بين ظهرانية أرقى المجتمعات أكثر من سبعين سنة.

إذاً من مثل سلتي التين الذي أعطانا ارميا وأمثلة كثيرة غيرها نتأكد من أن الهجرة إلى بابل لم تكن قسرية لتسمى سبي فالأسرى والسبايا الحقيقيين يحدثنا عنهم النبي صموئيل 2 صم 31:12 وسفر الأخبار الأول الإصحاح العشرين الذي يروي بأن الملك داوود كان ينشر السبايا والأسرى بالمنشار والنوارج وهم أحياء.

أما السفاح يشوع فكان يضعهم تحت الأقدام لإرواء شيء من ساديته والتشفي بهم ومن ثم يعلقهم على صليب ويقتلهم.

يشوع 24:10

وكثيراً ما كان الإسرائيليون ينكلون بالأسرى ويقطعون أصابعهم وأرجلهم ويتلذذون بهذه السادية التي ولا ابشع منها.

وعن معاملة الأسرى يقول قاموس الكتاب المقدس أن الشريعة الموسوية أمرت بمعاملة الأسرى من النساء الجميلات معاملة إنسانية كما جاء في تثنية 10:21-14

وبكل وقاحة يقول النساء الجميلات فقط، انظر قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان" أسرى"

ولكن بالعودة إلى تثنية 10:21 رأيت المعاملة الإنسانية التي يتشدق ويتشرف بها الأفاضل حيث جاء بها:

إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبياً ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظفارها... اغتصاب الجميلات هذه هي المعاملة

الإنسانية التي يتحدث عنها الأفاضل التوراتيين أما غير الجميلات والبقية الباقية من الأسرى والسبايا فماذا يقول بشأنهم الشرع الموسوي:

فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الطفلات والنساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات. عدد 31:17-18

يا منتوفي الشعور وليس فيكم شعور يا أنجاس وعديمي الإحساس يا مرمدي الرؤوس أهذا هو الناموس؟ أهذا هو الدين الذي سيجعل على الأرض السلام وفي الناس المسرة؟ أهذا هو العدل الذي تنشده المنظمات الدولية والإنسانية؟ ألم يحن الوقت لتبصق الإنسانية هذه اللعنة السرطانية وتمرغها في التراب ليستريح الإنسان من شر أعمال أخيه الإنسان ويخلد إلى الراحة بعد عراك دام آلاف السنين؟

على أية حال لابد أننا عائدون ومع نبوختنصر نعود ثانية للسبي لنؤكد أن الهجرة إلى بابل لم تكن قسرية لتسمى سبي والمهاجرين أخذوا معهم آلات الطرب إلى بابل فرحاً وكأنهم إلى العرس ذاهبون يقول المزمور 137: 1

على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف علقنا أعوادنا.

إذاً فالهجرة إلى بابل لم تكن قسرية لتسمى سبي والمهاجرون أخذوا معهم آلات الطرب كما رأينا وذهبوا بها إلى بابل، وهذا له معنى واحد فإن دلّ هذا المعنى على شيء فإنه يعني حتماً أنه ليس هناك أسر ولا إكراه ولا أي معنى للسبي وإنما بعض كتّاب التوراة يقول:

حزّنا على أورشليم وبكيناها ولا ننساها.

وهذا هو النفاق والدجل بعينه وهو تعبير عن أخلاق ناكر الجميل والنعمة ومما هو مؤكد أيضاً أن الهجرة إلى بابل لم تكن بالإكراه، فالإقامة في بابل كانت أيضاً بملء الحرية وكان التنقل من بابل وإلى أورشليم وبالعكس جارياً من أيام ما سمي بالسبي وإلى أكثر من خمسمائة سنة.

يقول الأب الدكتور متري هاجي اثناسيوس: كان طلاب المدارس يتنقلون من مدرسة إلى أخرى ومن فلسطين إلى بابل وبالعكس مما جعل قنوات النقل وطرق التنقل مفتوحة بين المدارس المختلفة وقد سمح ذلك بدخول مواد بابلية كثيرة في تلمود فلسطين وبالعكس. (كتاب الكشف عن تلمود اليهود ص 46).

ومن خلال قراءتنا للإصحاح 29 من سفر ارميا نجد أن المراسلات من أورشليم إلى بابل والعكس أيضاً كانت لا تنقطع. وهنا أريد أن أُعفي قارئي العزيز من قراءة النص هذا تجنباً للملل.

إن كل ما قصدته من هاتين الشهادتين هو أن حرية اليهود كانت مطلقة في التنقل من وإلى بابل أما هوس البعض وادعاءهم بعنادة الأحمق أن كورش هو الذي حرر اليهود من السبي فهذا ادعاء باطل وسخيف جداً والحقيقة أن اليهود لم يكونوا يوماً مسبيين ولا يوجد شيء اسمه سبي بابلي بل كان هناك شيء اسمه عالة على المجتمع البابلي بل مصيبة لبابل وهو تلك الجموع الرعوية التي حيث حلّت أفسدت وحتى اليوم. وعندما فتح كورش لبابل لم يعود إلى فلسطين إلا القليل جداً ممن أجبرتهم المستجدات من ظروف الفتح ومن هجر بابل لم يتجه إلى فلسطين إلا النوادر وعلى دفعات متباعدة وهذا ما تؤكده التوراة ولا سيما أنها تذكر أسماء العائدين فرداً فرداً وفي قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان الشتات ورد أنه عند العودة من السبي البابلي بقيت الغالبية العظمى منها في مكانها ورفضت العودة إلى فلسطين أما مملكة إسرائيل فكانت مكونة من اثنا عشر سبطاً هم أبناء يعقوب(إسرائيل) الإثنا عشر وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى سبطين كوّنا مملكة يهوذا بزعامة رحبعام ابن الملك سليمان وبقية الأسباط العشرة شكلت مملكة إسرائيل التي انصهرت في بابل والشتات وهي الأسباط العشرة التي يقال عنها الأسباط العشرة المفقودة والتي مازال العبريين يتأملون من العثور عليها ومثلها مثل البولة في الحمام. ولا أظن أنّ في كل دولة إسرائيل اليوم أي إنسان ينتمي إلى مملكة إسرائيل التوراتية ليس لأن أسباط إسرائيل العشرة فقدت وحسب بل لأن إسرائيليو اليوم ليس منهم

من ينتمي فعلاً إلى يعقوب كنسل. فيهود اليوم أغلبهم من الخزر الذين ليس لهم أي صلة عرقية بإسرائيل.

وما تبقى من الإسرائيليين فهو خلطة أعراق من جميع سكان المعمورة فالتوراة عملت عمل الزوبعة التي حملت معها شيئاً من كل مكان كانت تمر به فتساقط القديم وحملت غيره كلما ضعفت واشتدت هذه الزوبعة. وهكذا يوماً بعد يوم ينصهرون في الشتات عندما كانوا ينعمون بالأمن والرفاه، وعند قيام جماعات يهودية متطرفة من وقت لآخر بأعمال عنصرية شريرة في البلاد التي كانوا يعيشون فيها كانت أهل البلاد تقوم على اليهود وتضطهدهم فيلتف من جديد من لم ينصهر حول حاخاماتهم وهذا ما كانوا يخططون له ويسعون إليه دائماً ولهذا اضطهدوا في جميع أنحاء العالم وعبر كل مراحل التاريخ.

وفي القرون الوسطى أُحرقت آلاف النسخ من التلمود وطرد اليهود في كثير من البلدان الأوربية وكانوا في أغلب الأحيان محرومون من الوظائف الرسمية في البلدان التي عاشوا فيها لعدم جدارتهم بالثقة التي أثبتها اليهود في تاريخهم. واليهود يُرجعون سبب هذا الاضطهاد إلى حسد الأغيار من اليهود بسبب غنى اليهودي وذكاء اليهودي وهذا من أغبى الظنون لأن كلمة اليهودي بحدّ ذاتها كانت وما زالت أسوأ شتيمة يمكن أن يسمعها أي إنسان في كل أنحاء العالم ولاسيما في أوروبا حيث تستسهل الفتاة شتيمة قحبة على شتيمة يهودية ويمكن بشتيمة يهودية أن ترفع قضية وتضع الشاتم في السجن وهذا لا يعني أن الغير يحسد اليهود بل هذا يعني أن الغير يكره نمط وأسلوب حياة وتفكير اليهودي.

أما سبب الغنى النسبي لليهودي ليس بسبب نشاطه الخسيس والجشع واتباعه كل الأساليب المعيبة في جني الأموال وحسب وإنما هناك أيضاً سبب جداً مهم وهو الفوبيا اليهودية وهي عقدة الخوف من المستقبل وعدم الثقة بالغير. ولهذا كان اليهودي من أشدّ الناس بخلاً على نفسه وعلى غيره وكانت حكمته المكتوبة على محفظتهِ خبئ قرشك الأبيض ليومك الأسودّ وعندما كان يُخرج محفظته يتذكر هذه الحكمة فيعيد محفظته إلى جيبه دون أن يفتحها لئلا تنقص.

نعم يا سيدي قد تبدو هذه النكتة في غير محلها ولكني أؤكد على كونها من صميم الواقع فالبخل اليهودي معروف والجشع اليهودي معروف وشركات الدعارة في العالم معروفة في هويتها اليهودية. وهذه كلها من الأساليب اللاأخلاقية الكثيرة التي تسرّع في غنى اليهودي ولاسيما الربا الذي اشتهر به اليهودي في كل زمان ومكان وبالشكل الفاحش والجشع. وما يزيد في بشاعة هذا الربا أنه مبارك من الوحي المقدس بقوله:

للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب.

تث 20:23

وقضية الفائدة التي يجنيها اليهودي من الربا معروفة في كل زمان ومكان وخير شاهد عليها شكسبير الذي أعطى صورة صادقة عن جشع هذا اليهودي غير الإنساني، وبالمناسبة فإن كلمة الربا مشتقة من إسم الحاخام اليهودي والذي يلقب بالرابي.

هذه هي بعض أساليب الكسب السريع فكيف لا يغتني اليهودي. أما قضية الاضطهاد بقيت الظل الملاصق لليهودية من يوم طردوا من مصر، وكان يوماً أسوداً على البشرية وحتى منتصف القرن العشرين. أما البابليين فلم يضطهدوا اليهود مطلقاً وليس هناك شيء اسمه سبي بابلي ولكن البابليين من نظرة إنسانية صرفة إلى الكون كانوا يؤمنون بأن البشرية جمعاء يجب أن تعيش كأسرة بشرية واحدة محطمة قيود العنصرية والتفرقة بين قوم وآخر وهذا كان دأبهم وسعيهم المحمود والذي لم يسبقهم إليه أي شعب من الشعوب. ولذلك كانت من سياساتهم الإنسانية أن ينقلوا أقوام من ديارهم إلى ديار أخرى دون إكراه وبإغراءات بمنحهم أراضي وحقول كما مر معنا في خطبة الزعيم الآشوري وكذلك أشار النبي ارميا إلى ما ذهبنا إليه وخاصة للبدو والرحل ليستوطنوا في مناطقهم الجديدة. وفكرة توطين البدو سبق وأن عمل بها الأمير المثقف حمورابي من أيام إبراهيم الخليل وكان الآشوريين يعطون الحقوق للمواطن الجديد كحق أي مواطن آخر وهكذا للتمازج والانسجام والوئام بين

جميع الشعوب والأقوام. ثم إن البابليين الذين كانوا ينقلون من بابل إلى مدن السامرة هم أنفسهم أطلقت عليهم التوراة اسم المسبيين وهذا يعني أن التوراة أسقطت مفهوم السبي من معناه الحقيقي، بل خلطت بين الهجرة الطوعية والأسر. وعن هذا نقرأ في سفر الملوك:

وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوش وعوا وحماة وسفرويم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا مدنها وكان في ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتّقوا الرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم فكلموا ملك آشور قائلين: إنّ الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم في مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض فأرسل عليهم السباع فهي تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض فأمر ملك آشور قائلاً: ابعثوا إلى هنالك واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض، فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن بيت ايل وعلمهم كيف يتّقون الله.

2 مل 17:24

نلاحظ أنه حتى أبناء بابل الذين جاءوا إلى السامرة أسمتهم التوراة مسبيين وهذا يثبت إفراغ السبي من معناه الحقيقي. ثم قول التوراة: فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن بيت ايل وعلمهم كيف يتّقون الله.

وهو دليل واضح على أن في هذه القصة تأكيد أن لا إكراه في السبي كما أن لا إكراه في الدين وهي شهادة من التوراة بكون ملك آشور يعمل بمقتضى الله. وأي تسامح ديني ممكن أن يكون أسمى من هذه الأخلاق؟

عشرات الآيات جاءت لتؤكد وجهة نظرنا من حيث أن ما سمي بالسبي لم يكن بالصورة السيئة التي شوّه حقيقتها مدوني التوراة، بل كان من حق الغريب والمستوطن حديثاً في بابل كحق أي مواطن بابلي تماماً. فهذا النبي دانيال من بين المسبيين في بابل يشغل منصب رئيس ولاية بابل حسب ما ورد في دانيال 48:2

وذاك النبي ارميا الذي احتضنه نبوختنصر وأوصى رئيس الشرطة قائلاً: خذه واعتني به أشدّ عناية ولا تؤذه بل استجب لكل ما يطلبه منك.

ارميا 11:39

أما الملوك المتسلطين على رقاب المساكين والذين كانوا يعثّون الفساد ولم يكونوا مستقيمين مع الله، فكانوا يكبلونهم بالسلاسل ويضعونهم في أقفاص من حديد في الساحات العامة ليتفل عليهم الشعب مما لاقوا منهم من ظلم وجور. أو كانوا ينقلونهم إلى بابل للمحاكمة وكانت العقوبة حسب مدى التمادي بالظلم والاستبداد في رقاب الشعب فالملك يهوياقيم الذي عمل الشر في عيني الرب إلهه عليه صعد نبوختنصر ملك بابل وقيّده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل (سفر الأخبار الثاني 5:36-6) ويبدو أنه بعد إنهاء عقوبته عاد إلى مركزه، إلا أن طبيعته الشريرة لم يحجم عنها. فجاء إليه النبي ارميا منذراً بالدينونة الإلهية إذ لم يندم عن شره ويتوب غير أن يهوياقيم استخفّ بالنبي وإنذاره فتنبأ ارميا عليه بأنه سيموت موتاً شنيعاً لاستخفافه بنبي الله وأخيراً تمّ ما تنبئ به ارميا عنه حين قال بأنه سوف لا يندب عند موته وأنه سوف يُدفن دفن الحمار مجروراً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم كما جاء في سفر ارميا 19:22.

وملك بعده ابنه يهوياكين الذي ملك على يهوذا في سن المراهقة وعمره ثمانية عشر سنة حسب ما جاء في 2 مل 8:24- أو كان في سن الطفولة وعمره ثمانية سنوات بحسب ما جاء في الأخبار الثانية 9:26 فالعشر سنوات الفارقة هذه لا ترقى إلى مستوى النقد لتُحسب خطأً لتفاهتها ولاسيما أنه كلام وحي مقدس. ولكن اتجاهنا بالحديث هو حول يهوياكين كملك حيث عمل الشر في عيني الله، لذلك لم يملك إلا ثلاثة أشهر وعشرة أيام بحسب أخبار الأيام الثاني 9:36 أو ثلاثة أشهر فقط لا غير بحسب الملوك الثاني 8:24.

فجاء الملك نبوختنصر إلى أورشليم وأخذه مع زوجاته وأبنائه والحكام المقربين منه والبعيدين عن العدل والشعب، أخذهم جميعاً إلى بابل وبقي هنالك

تحت الإقامة الجبرية يحصل على حاجته كاملة وجيدة جداً من الطعام واللباس وله حرية التنقل ضمن مدينة بابل فقط.

وللتأكد من صحة هذه المعلومات راجع عزيزي القارئ قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان يهوياكين. ومن هذا الملك يهوياكين ننتقل إلى ملك آخر جاء بعده وهو آخر ملوك يهوذا وهو زندقياً كما يسميه البعض أو صدقياً كما تسميه التوراة وبشهادة هذه التوراة أن صدقيا كان زنديقاً وعمل الشر في عيني الرب وانحرف عن العدل الذي أقسم به أمام نبوختنصر حين نصبّه ملكاً عوضاً عن ابن أخيه حسب ما جاء في سفر الملوك 17:24 أو أخيه حسب أخبار الأيام الثاني 10:36 تقول التوراة:

2- وعمل الشر في عيني الرب...

4- فجاء نبوختنصر ملك بابل وحاصر أورشليم

6- وبعد أن اشتد الجوع في المدينة 7- هرب صدقيا 8- فتبعته جيوش الكلدانيين فأدركوا صدقيا وأخذوه إلى ملك بابل 15-الذي قتل ابنيه أمام عينيه وأعمى صدقيا وقيده بسلسلتين من نحاس وجاء به ملك بابل إلى بابل وجعله في السجن إلى يوم وفاته.

سفر ارميا **52**

أما منسى ملك يهوذا الذي ارتكب كل أنواع الشر وذبح أولاده في هنوم (هنوم يسمى وادي جهنم حيث كانت القرابين تقدم من الأطفال للوثن) ولجأ إلى السحر والعرافات وأصحاب الجان وأوغل في ارتكاب الشر مما أثار غضب الرب عليه لهذا أرسل الله جند آشور (حسب تعبير التوراة) فقبضوا عليه ووضعوا خزامة في أنفه وقادوه مغلولاً بسلاسل نحاس إلى بابل إلى أن تاب عن شره فعفا عنه ملك بابل وأعادوه إلى مملكته وكل هذه الأخبار وردت في سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح 33.

انظر الصورة



الخزامة في بلاد اشور قديمًا

عزيزي القارئ هكذا عاملوا الملوك الذين عملوا الشر في عيني الرب وهكذا أكرموا الفقراء والمحتاجين بتوزيع الحقول والكروم عليهم. والتوراة تنطق بكل هذه الأمور فالسؤال هنا بالرغم من شهادة التوراة على أن نبوختنصر عمل من أجل الله وبالرغم من ورود ذكر بابل في الكتب المقدسة وكلها مدح وتعظيم وعلى لسان أنبيائها إلا آيات قليلة تصب جام لعناتها على بابل وعلى أطفال بابل أليس هذا أقبح من جزاء سنمار؟ أذكر هنا على سبيل المثال أبشع تلك اللعنات التي وردت في الأغاني المنسوبة إلى داوود بالرغم من أنها كتبت بعد داوود بأكثر من خمسمائة عام أثناء السبي البابلي حيث تقول:

يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة.

مزمور 137:8-9

وكذلك اعظم أنبياء العهد القديم قاطبة النبي اشعيا يقول:

فتحطم القسي الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن لا تشفق عيونهم على الأولاد وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب سدوم

وعمورة لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور ولا يُخيّم إعرابي ولا يربض هناك رعاة.

اشعيا 13:18-20

بعد هذه الشواهد التي سقتها والتي بينت فيها أن العبريين ذهبوا إلى بابل جماعات من الرعاع وبتوجيه ووصايا من أنبيائهم هرباً من الجوع الذي هدد حياتهم وعشقاً للخمور البابلية المعتقة التي أسكرت أنبيائها وحلماً بالعيش الرغيد في أحضان بابل وهذه الأمور كلها بتأكيدات أنبيائها على صفحات التوراة، يعود أولئك الأنبياء والحاخامات للتفل في البئر الذي شربوا منه بقولهم: طوبى لمن يهرش رؤوس أطفال بابل بالصخرة !!

وهذا ما أتحسسه مما يدور في رؤوس إسرائيل الذين أثنوا على جورج بوش الأب كالنتن ياهو الذي لابد أنه قال لبوش بهذه المناسبة والتلذذ التوراتي السادي ملؤه نشوة حين ضربوا أطفال العراق باليورانيوم: طوبى لك يا بوش لأنك تعمل بمشيئة الله لأنك سحقت رؤوس أطفال بابل العراق بما هو أقوى من الصخرة إنه اليورانيوم. وهذا ما لم يخطر على بال مدوني التوراة ومن الجدير بالذكر وربما هو مخفي عن الكثير أن أهم صانعي القرار ومنفذي ومخططي السياسة الأمريكية في ضرب العراق هم صهاينة أذكر منهم رئيس المخابرات الأمريكية واسمه جورج تينت على ما أذكر وكذلك منفّذ هذه الجرائم اليهودي وليم كوهين وزير الحرب الأمريكي واليهودية مادلين أولبرايت وزيرة خارجيتها هذه الحيزبون التي قالت ذات مرة رسمياً وبكل وقاحة:

حتى لو نفّذ العراق جميع قرارات مجلس الأمن الدولي سوف لن يرفع الحصار عن العراق وأعتقد اليوم أصبح معروفاً لدى الجميع أي منزلق نصبت أمريكا لصدام حتى انزلق فيه في حرب الخليج، كما أعتقد أنه لا يخفى على أحد ما هي مصالح ومطامع أمريكا في الخليج خاصة والشرق عامة ولكن حتماً لم يكن يحدث كل ما يحدث بالعراق لولا الإيديولوجية الصهيونية.







هذه بعض ثمار تعاليمهم.

فهل حرّكت أحاسيسكم أصالة ضمائركم وعمق وجدانكم.

in front of wards of Children wasting away from obvious genetic deformations
and Cancers, such as leukemia, lymphomas and Hodgkin's disease.

They used depleted Uranium mainly to destroy tanks,
but they destroyed a significant part of new generations.



نص المقابلة التلفزيونية التي أجرتها المذيعة التلفزيونية ليزلي ستوهل مع مادلين اولبرايت سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في برنامج 60 دقيقة الذي بثته شبكة تلفزيون CBS الأمريكية: يوم 12/ 05/ 1996

CBS: لقد سمعنا بأن نصف مليون طفل قد توفوا نتيجة الحصار على العراق ما أعنيه إنه أكثر من ما قتل في هيروشيما وكما تعلمين هل هذا يستحق الثمن؟

مادلين: أعتقد أن هذا اختيار صعب جداً بإعتقادنا يستحق الثمن.

IRAQ: THE PRICE IS RIGHT
1996 Interview

Lesley Stahl (60 Minutes): "We have heard that a half million children have died (as a result of sanctions against iraq). I mean, that is more children than died in Hiroshima. And, you know, is the price worth it?"

Madeleine Albright (US ambsaddor to the U.N): "I think is a very hard choice, but the price, we think the price is worth it".

ثم إن إسرائيل وهي الخطر الحقيقي ليس على العرب وحسب بل على الإنسانية قاطبة. لماذا لم تُحاصر وهي تملك مفاعل ديمونة النووي كما تملك جرثومة الحصبة السوداء الخطيرة جداً والمحظور حتى اقتنائها التي انكشف أمرها حين سقطت الطائرة الإسرائيلية فوق امستردام بالتسعينات وهي من أخطر الأسلحة الجرثومية والمحرم اقتنائها دولياً .؟ فأين الشرعية الدولية من هذا؟ كما أن إسرائيل تملك كل أنواع الأسلحة الممنوعة ولا من معترض بينما العراق والذي نفّذ خمسة وتسعون بالمئة من أوامر أمريكا باسم الأمم المتحدة وبقي محاصراً وهو داخل العقد الثاني من الحصار فماذا كانت ثمرة هذا التجني الذي أصاب العراق وأطفال العراق بشتى أنواع الأمراض ولاسيما التشوه الخلقي للأطفال من جراء استعمال اليورانيوم المستنفذ أو المنضض من قبل الأمم المتحدة حيث تجاوزت ضحايا العراق ما أصاب هيروشيما وناغازاكي.

فهذه الإبادة باسم الشرعية الدولية أليست أبشع الجرائم الإنسانية ولا من رادع أو محاسب؟ أليست هذه البشاعة وسمة عار يسجلها التاريخ على جبين المجتمع الدولي بما فيه المجتمع العربي الذي وضع عنقه تحت قدم الشيطان الأكبر؟

يسأل أحدهم أليس التزام الحياد والصمت بين المجرم والضحية هو الانحياز السافر للظالم ومشاركته في الجريمة؟ أليس شيطاناً أخرساً من يشهد الضحية تُذبح وهو صامت صمت الأموات في قبورهم؟ فأين العرب من إنصار الأخ المظلوم على الظالم وأين أصحاب العروش وكبار الكروش من شعاراتهم وخطاباتهم التي ينادون بها وهي كذب ورياء دجل ونفاق؟ لماذا تشارك الشيطان في مكيافيليته ضدّ أبناء جلدتك يا أمير؟ أمن أجل ذلك العرش الذي لست أهلاً له؟ أمن أجل ثلاثين من الفضة يا اسخريوطي؟

تباً لك يا من تنظر أخاك مربوطاً تنهش في لحمه سياط الجلاد الظالم ولا تقطر من عينك دمعة صادقة، ويل لك يا من تشهد كل يوم ذبح أطفال أختك السليبة المغتصبة على يد من هم أسفل السفلة.

فنعم الشيخ أنت لـدى المخـازي وبئس الشيخ أنت لـدى المعـالي
جمعـت اللـؤم لا حيّـاك ربـي وأبـواب الـسـفاهة والظـلال

عليك يا قارئي العزيز أن لا تذهل حين يقال أن مـن أهـم أسباب سـقوط بابل كانت إنسانيتها وازدهارها، فاستصعاب هذا المنطـق يحكـم عـلى بابـل جـوراً ويضيع أمانة التاريخ حقها.

فأقول وبينما كانت الأمـة الـسورية أعظـم امبراطوريـة لتوسـعها الـشاسع ولغزو نتاجها الثقافي والتجاري والعسكري لأكثر أصقاع العالم، أصـبحت مـدنها قبلة الطامعين والطامحين من الشعوب المجاورة لما فيها من ازدهار ومدنية ورفاهية وبذخ وغنى. كما شهد النبي ارميا عـلى هـذا واعطانـا مثـل سـلتي التـين. وهكـذا تغلغلت العناصر الغريبة وأقصد تحديداً اليهـود الـذين لم يُخلـصوا يومـاً لأي أمـة عاشوا بين ظهرانيها ولم ينسجموا حتى اليوم مع أي مجتمع مـن المجتمعـات التـي عاشـوا في أوسـاطها حيـث كـوّن ألكيتـوّ أحيـاءهم الخاصـة وأسـواقهم الخاصـة والمتقوقعة والمنعزلة عن الغـير مـن سـنة 1800 ق.م وحتـى اليـوم لـئلا يتدنـسوا بالأغيار لأنهم الصفوة المقدسة التي تتبارك في ذريتها كل الشعوب.

فهذه الصفوة الشريفة كـان لهـا أسـود الأيـادي في إسـقاط بابـل، فبعـد السبي ليس بكثـير توصّـل بعـض المـسبيين مـن اليهـود إلى مراكـز ومناصـب حساسة في البلاط الملكي في بابل وغير ذلـك مـن الوظـائف المهمـة عـلى ذمـة الراوي التوراتي، ويقال سبي والمسبيّ أنا في حيرة كيف يصل لرتبـة وزيـر مـن هو مسبي ! لا أعلم المهم أنهم استبدلوا أسماءهم اليهودية بأسماء آشورية تزلفـاً لأسيادهم وهذه من سمة اليهود عبر كل مراحل تاريخهم حيث أن كل يهـودي له اسمين اسم عبري يخاطب فيه ويستعمله بين أفراد جاليته، واسم آخر يختاره من أسماء أسياده وأضرب مثلاً على ذلك: البولـوني قـسطنطين بروتجسكي في بولونيا وله اسم آخر يستعمله مع افراد جاليته وفي تركيا (أي أنه غير اسمه مرة ثانية) عرف باسم مصطفى جلال الدين باشا وكذلك الألماني فرانس فـورورنر هذا اسمه في ألمانيا وفي تركيا أخذ اسـم مـراد افنـدي وهـاتين الشخـصيتين في

تركيا كانتا من أهم راسمي خطط مذابح الأرمن والسريان وغيرهم من الأقليات في تركيا أثناء ما سمي بسفربرلك.

وهكذا تلوّن اليهود في بابل كالحرباء حيث استبدلوا أسماءهم اليهودية بأسماء آشورية تزلفاً لا أكثر وبهذا الخصوص تدعي التوراة بأن السلطة الآشورية في بابل هي التي فرضت عليهم تغيير اسماءهم، وهذا الكلام ليس له أساس من الصحة مطلقاً وسرعان ما تُكذّب التوراة نفسها بنفسها. فالنبي دانيال والذي يعني قضاء ايل أو الديان ايل استبدل اسمه ببلطشاسر أي بعل آشور كان قد توصّل إلى وظيفة حاكم ولاية بابل (دانيال 28:2) فكان بإمكانه أن لا يغير اسمه إذا كان قد فرض عليه قسراً لأن مدوني التوراة والتي هي بوحي من الروح القدس يؤكدون على أن دانيال لم يقم بأي عمل نزولاً عند رغبة الملك إذا كان هو نفسه غير مقتنع به وعندما كان يخالف الملك ويقع في مأزق فما كان على ملاك الرب إلا وأن يسعفه كما حدث أن أنقذه الملاك من جب الاسود (دانيال 22:6) الذي رمي به عندما خالف أمر الملك، وهكذا كان لزر بابل الذي أخذ اسم شيشبصر.

ومن خلال هذه الظروف تعاملت اليهود مع المسيح الفارسي كورش وأثبتت سوء ائتمانها ونواياها الشريرة دائماً بالغدر والخيانة. وفي إحدى الليالي الليلاء وبينما يقيم الملك الآشوري (دانيال 1:5) بيلشاصر وليمة ويدعو فيها عظماء بابل ومن كرمهم من المستوطنين اليهود والذين تدعي التوراة أنهم مسبيين فيقتل الملك بيلشاصر في تلك الليلة الظلماء على يد اليهود أوبمساعدتهم في ظروف غامضة حيث لم يعرف القاتل (دانيال 30:5) إلا أنه من الواضح من أسفار التوراة أن لليهود يد سوداء بهذه وذلك مما جناه اليهود من غنائم نتيجة لهذه الحادثة على ما أكدته التوراة في أسفارها، إذ كان الملك نبونيدس أبو بيلشاصر خارج المملكة ليقضي فترة استجمام واستراحة في تيماء شمال الصحراء العربية حيث كان قد بنى لنفسه هناك قصور تشبه قصور بابل لهذه الغاية. كان ابنه بيلشاصر الملك الفعلي للبلاد في حال غياب ابيه.

إنّ هذه الظروف حملت كورش لدخول بابل دون حرب او أي مقاومة، كما أن كورش لم يجرأ دخول بابل في يوم مقتل الملك بيلشاصر، إلا أنه بعد أن تأكد من مقتله في اليوم الثاني دخل بابل بينما كانت المملكة في حالة يُرثى لها من الحيرة والتلبك والفوضى. وعلى أثر هذا رفع دانيال مباشرة إلى وظيفة أحد الوزراء الثلاثة الكبار في دولة الفرس على حدّ زعم التوراة في سفر دانيال 2:6 وإضافة إلى هذا المنصب الذي حظي به دانيال أغدق كورش عليه وعلى جماعته من الذهب والفضة والأمتعة والبهائم والحقول. ولماذا هل أعطاهم كل هذا لإيمانه بإله إسرائيل واعتبرها حسنة لله؟ أم كان هناك وعد مُتفق متبادل بين كورش كغازي واليهود كطابور خامس من العملاء والخونة للبلاد؟ وعن هذا نقرأ في عزرا 7:1:

والملك كورش أخرج آنية بيت الرب التي أخرجها نبوختنصر من أورشليم وجعلها في بيت آلهته أخرجها كورش ملك فارس على يد متردات الخازن وعدّها لشيشصبر رئيس يهوذا وهذا عددها ثلاثون طست من ذهب وألف طست من فضة وتسعةوعشرين سكيناً وثلاثون قدحاً من ذهب وأقداح فضة من الرتبة الثانية أربع مئة وعشرة وألف من آنية أخرى جميع الآنية من الذهب والفضة خمسة آلاف وأربع مئة...

تأمل عزيزي القارئ وصدّق دقة وحي الحمامة المقدسة - كما تسمى الروح القدس - عندما توحي لأنبياء الله، تأمل لهذه الدقة في الإحصاء والجرد لما أعطى المسيح الفارسي كورش لصفوة الأمم - شعب الله المختار - وليس هذا وحسب بل الكثير الكثير، وأذكر منهم فقط ما يضيف عزرا ثانية في قوله:

ووزنت لهم الفضة والذهب والآنية تقدمة بيت إلهنا التي قدمها الملك ومشيروه ورؤساءه وجميع إسرائيل الموجودين، وزنت ليدهم ستة مائة وخمسين وزنة من الفضة ومئة وزنة من آنية الفضة ومئة وزنة من الذهب وعشرين قدحاً من الذهب ألف درهم وآنية من نحاس صقل جيد كالذهب.

عزرا **25:8**

عزيزي القارئ سوف لن أدقق في دقة وحي البطة المقدسة كما يسميها البعض أو الحمامة المقدسة وهي تلهم أنبياء ياهو الذين سجلوا حتى أعداد السكاكين التسعة وعشرون ضمن عطايا كورش وعشرات الطسوت ومئات الوزنات من الذهب والحقول والكروم والبساتين كلها مُنحت لليهود فقط لسواد عيونهم لأن دينهم حقُّ وبتصريحات ملوك آشور وفارس والاسكندر كما تدُعي التوراة، ولا ننسى أيضاً فرعون مصر الذي كان يطلب من موسى وإبراهيم أن يصليا لأجله.

ولكن أحياناً الواحد يسأل نفسه إذا كان هؤلاء الزعماء قد آمنوا بهذا اليهو فلماذا المسيح الفارسي كورش على سبيل المثال لم يقلف قضيبه لتكون له كعقد إيماني مبرم مع هذا اليهو أسوةً بشعب الله المختار؟ فهل فكر بهذا الامر وتمناه ومن ثم أعدل عن رأيه بعد أن القى نظرة على تاريخهم الأسود في الغدر والمكايد فخشى من مكيدة كتلك التي أكادوها بشكيم (نابلس اليوم) حيث تعاهد آل إسرائيل مع آل شكيم بالمصاهرة بشرط أن يقتطعوا قلفة قضبان كل ذكور المدينة كعهد مبرم وبعد أن اختتن كل ذكور المدينة فقاموا عليهم وذبحوهم كما جاء في تك 34.

وهذه الشكيمة من الغدر لازال يتباهى بها الإسرائيليون حتى اليوم حيث رسموا حربة واقتبسوا آية من التوراة تُعبّر عن هذه الخلفية الغدرية وجعلوها رمزاً لأحدى فروع الاغتيالات في الموساد سلاح المخابرات الإسرائيلية.

لأنك بالمكيدة تعمل حرباً .

امثال 18:20 و6:24

وفي الطبعات الحديثة أصبحت: وبالتدابير اعمل حرباً أو لأنك بالتدبير تعمل حرباً

فالسؤال ثانية هل تمنّى ذلك كورش ولكنه خشية من مكيدة كتلك أعدل عن رأيه أم أن اليهود هم الذين رفضوا طلبه في انتسابه للشعب المقدس لكون دمه نجس كغيره من الأغيار لا يرقى إلى دم النسل الصالح؟ بالرغم من كل تلك العطايا منه وبالرغم من أن التوراة تنعته بالمسيح المخلّص بحسب ما جاء في

اشعيا 1:45 بل أكثر من هذا إذ حسن عند داريوس أن يـولي عـلى المملكـة وعـلى هؤلاء مئة وعشرين مرزباناً يكونون على المملكة وعلى هؤلاء ثلاثة وزراء أحـدهم دانيال لتؤدي المزاربة إليها الحساب فلا تصيب الملك خسارة ففاق دانيال هذا عـلى الوزراء والمرازبة لأن فيه روحاً فاضلة وفكر الملك في أن يوليه على المملكة كلها.

سفر دانيال الإصحاح السادس

سبحان الشيخ الحكيم الذي جعـل في دانيـال روح فاضـلة حتـى جعـل الملك يفكر بالتنحي ويولي دانيال على كل المملكة أمـا داريـوس فليـولي مـن أجـل عيون يهو ونبيه دانيال.

قد حملتك بإسهابي هذا سيدي القارئ شيئاً من الملل ولكـن هـذه الترهـات التي لا يتقنها ابرع المنافقين والمضللين حملتني إلى هذا الإسهاب الممل.

ونعود ثانيةً للقول إن من أهم أسباب سقوط بابل كانت اليهـود المتواجـدة في بابل. حقيقةً أنه لم يتواجد اليهود في مكان إلا وأفسدوه ولا سبب لهذه العدوانية فيهم إلا فساد التربية الدينية عند هذا الرعاع وليس من جميل الصدفة حتماً بـل مـن بشاعة هذه الإيديولوجيات الشريرة انها كانت توجه دائماً سلوكيات اليهود وحتـى اليوم وغداً مع أمريكا وغير أمريكا وليس لهذا الشر دافع إلا حب الإسـاءة النـابع من التعاليم الشريرة التي يرتشفونها من كاسات تعاليمهم الدينيـة. إنّ اليهـود كـما فعلوا في بابل في نهاية الألف السادس قبل الميلاد عندما قتلوا ملـك آشـور وكتبـوا على الحائط ً منا منا تقيل وفرسينً وهي كلمات آرامية وهذا تفسيرها:

منا – أحصى وعـد تقيـل –وزن فرسـين–وزّع أي عـدّ الله المملكـة ووزنهـا ووجدها ناقصة فوزعها.

دانيال 25:5

طبعاً هذه تركيبة ركيكة لكنها عملت ولازالت تعمل عملهـا في التخريـب والإفساد والقتل، فكما فعلوا في بابل هكذا فعلوا في روسيا مع القيصر. ومن الخطأ أن نبرئ التوراة من هذه التوجيهات كما يزعم البعض إن ما حدث في روسـيا ربـما شابه ما حدث في بابل صدفة وهذا ليس صحيحاً ابداً ولاسيما أن القتلة كتبوا عـلى

الحائط في القبو الذي نفّذوا فيه هذه الجريمة تماماً ما جاء في قصة بابل (منا منا تقيل وفرسين).

وما أن أحسّ الروس بهذه الجريمة حتى قاموا يضطهدون اليهود وهذا ما كان يسعى له الحاخامات والصهاينة لتشجيع اليهود على الهجرة إلى أرض الميعاد المزعومة ولكنها حقيقة أرض الوعيد لا الميعاد.

هذا ما حدث في روسيا وفي بابل ويسعى اليهود دائماً لهذه الاتجاهات مع الغير وأينما وجدوا ولكن عقلاء الدولة ومفكريها حين أدركوا خطر هذه الجرثومة الخبيثةحاولوا ان يتخلصوا من اليهود وكل بطريقته: فالمصريين مثلاً طردوا اليهود (وقبل أن يقع الفأس بالرأس كما يقال في الأمثال) حيث كانوا قد لمسوا خبثهم وغدرهم زيادة عن قرفهم. وأكدت التوزاة على هذا بعشرات الآيات كقولها: لما نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدث حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا.

خروج 10:1

وخلال أربعون سنة من التيه لم ينسوا يوماً واحداً مصر وخيرات مصر واللحم والسمك الذي كانوا يأكلونه في مصر بالمجان.

عدد 5:11

وبعد أن طُرد اليهود من مصر، صبوا أثقل مسباتهم ولعناتهم على مصر وفرعون مصر كدعوة النبي اشعيا الذي يقول فيها:

وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والأسل والرياض على النيل على حافة النيل وكل مزرعة على النيل تيبس وتتبدد ولا تكون.

سفر اشعيا 19:5-7

وبعد هذا كتب أنبياء يهو ممجدين بابل وملك بابل لا بل عبادة ملك بابل كما يعبد الإله:

وصلوا من أجل حياة نبوختنصر ملك بابل وحياة بلشصر ابنه لكي تكون أيامهم كأيام السماء على الأرض فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل

نبوختنصر ملك بابل وظل بلشصر ابنه وتتعبد لهما أياماً كثيرة ونحن نائلون لديهما حظوة.

سفر باروخ 1:11-12

هكذا مجدوا ملك بابل إلى أن سنحت لهم الفرصة التخريبية فعملوا عملتهم السوداء في بابل حيث تواطئوا مع كورش وأسموه المسيح.(اشعيا 1:45) تزلفاً وغدروا بملك بابل. أنظر سقوط بابل. ولكن كورش أعطاهم الذهب وصرف من استطاع تصريفه عن مملكته لعدم ثقته بهم من مبدأ: من تآمر مع الغريب بالغدر بسيده لا أمان له لأن من لا قديم له ليس له حديث. وكما قال أحيقار: الكلب الذي يترك صاحبه ويتبعك ارميه بحجرة.

وبعد أن افتتح الإسكندر الكبير بلاد الشرق تزلفوا له كما الملك بابل وكورش فذهب إليه جدوع رئيس الكهنة وقال له أنت هو المسيح الذي تنبأ عنه النبي دانيال- انظر قاموس الكتاب المقدس - تحت اسم جدوع.

وبعد الإغريق جاء الرومان الذين فهموا جيداً طبيعة اليهود التخريبية من خلال عصابات المكابين الدموية بقيادة باركوخبا، فقاموا عليهم وشتتوهم ودمروا هيكلهم وعاشوا مشتتين في المعمورة إلى أن جاء سيء الذكر بلفور وكان قد تغذى جيداً من فكر شكسبير الذي فضح جشع اليهودي وفساده في المجتمع، فارسل هذا البلفور اليهود إلى جهنم من حيث لا يدرون بوعده المشؤوم سنة 1917 ليبادوا في أتون حرب قد لا تنتهي إلا بإبادة ربع مليار عربي وأكثر من مليار مسلم، أو عدول اليهودية عن العنصرية والدموية وكل موبقات الصهيونية ليعيش اليهودي كإنسان عادي منسجماً في المجتمع كأي فرد من أفراده، لا عدوانية ولا تفاضل.

وحيث قيام الثورة الروسية التي أرعبت الغرب لا لشوعيتها أو ديكتاتوريتها، وإنما لتوصل بعض اليهود إلى مناصب نافذة في السلطة (كما سابقاً في بابل واليوم في أمريكا)، والخوف من العقدة الشمشونية الخبيثة المتطبعة في اليهود الذين يتلذذون في مقولة: «عَلَيَّ وعلى أعدائي» وهذه الطبيعة

العدوانية ستجلب الدمار على البشرية قاطبةً، لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم بلا وطن أينما كانوا.

وأخيراً نجح الغرب خلال خمسة عقود من تفتيت هذا الاتحاد السوفييتي ألا أن الخبث اليهودي كالسرطان كان قد نفذ إلى أمريكا وعشعش بالنخاع. ولكن إذا توهم البعض ممن فيهم قصر نظر من أن الصهيونية هي قبضة أمريكا الحديدية التي تزرع من تشاء وتقتلع من تشاء فليعلم كل من لا يعلم بأن:

هكذا الدهر حال ثم ضد — ما لحال مع الزمان بقاء

وإنّ غداً لناظره قريب.

لهذا اقترح على إسرائيل بأن تتقدم بطلب انتساب إلى جامعة الدول العربية فهي خيراً لها مستقبلاً من جامعة الدول الأمريكية هذا ما أقوله لإسرائيل أما أمريكا فأقول لها عن اليهود

إنما الفحش ومن يعتاده — كغراب البين ما شاء نعق

أو حمار السوء إن أشبعته — رمح الناس وإن جاع نهق

أو غلام السوء إن جوعته — سرق الجار وإن شبع فسق

وهذا ما حدث مع اليهود عندما شبعوا سرقوا المصريين كما لاحظنا، ومن ثم أخذوا يبكون دم على أيام مصر لشدة جوعهم.

هذه المرآة العالمية التي وضعناها أمام اليهودي ليجد صورته فيها أمام العالم وعبر التاريخ بقي لنا منها أن نشير إلى هتلر، وهذا لا بد منه. فعندما توصل هتلر إلى سدة الحكم في 30 كانون الثاني سنة 1933 قاطعه اليهود في جميع أنحاء العالم وخاصة اليهود الأمريكيين الذين أعلنوا يوم 13 آذار يوم رمزي لمقاطعة ألمانيا، فرد عليهم هتلر في 1 نيسان بيوم رمزي لمقاطعة اليهود وبنفس الشهر نيسان 1933 قام وفد ألماني بزيارة إلى فلسطين لدراسة كيفية تهجير اليهود. وبهذا الشأن قالت صحيفة الأجهزة السرية الألمانية في عام 1935:

لم يعد بعيداً الوقت الذي تصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال أبنائها الذين فصلوا منها أكثر من ألف سنة ترافقهم تمنياتنا الطيبة.

ولكن ما لابد من معرفته هو أنه بالرغم من العداوة المتبادلة بين النظام النازي الألماني والمؤسسات الصهيونية واليهودية، إلا أنهم كانوا متفقين بأهم قضيتين العنصرية والترانسفير فالنازية تؤمن بنقاء الدم، والصهيونية كذلك. والنازية ترغب في طرد اليهود من ألمانيا، والصهيونية تنظر إلى أرض الميعاد.

لكن اليهود كأفراد لم يكن لهم تلك الرغبة في الهجرة التي كان يحث عليها حاخاماتهم بالاتفاق مع السلطات الألمانية. وهنا أذكر نكتة كانت قد درجت في ألمانيا قبيل المحرقة المزعومة وأقول المزعومة لإنه مبالغ فيها وكأنها المحرقة الوحيدة التي حدثت في العالم.

تروي هذه النكتة أن هتلر أمر بتسهيل إجراءات التسفير وتهجير اليهود من ألمانيا بقدر الإمكان فكان يذهب اليهودي إلى مكتب السفر ويسأله مدير المكتب إلى أين تريد بطاقة السفر فيقول اليهودي لا أعلم إلى أين ممكن أن أسافر فيعطيه مدير المكتب الكرة الأرضية ويقول له اختر لك أي بقعة على هذه الكرة الأرضية لكي أقطع لك تذكرة سفر فيأخذ اليهودي هذه الكرة ويديرها يميناً ويساراً إلى أن يضجر منه صاحب المكتب فيقول لليهودي ألم تستقر على موقع بعد فيجيب اليهودي ألا يوجد مكان آخر غير هذا فيقول صاحب المكتب نعم هناك الهولوكوس ! ! انتهت النكتة.

لا شك أن الفكر النازي فكر عنصري ولكن لماذا أصبحت كلمة النازية لغوياً تعني العنصرية فهل النازية عنصرية أكثر من الصهيونية؟ وهل هناك تعاليم أكثر عنصرية من التوراة والتي تعتبر إلهية مقدسة؟ يسأل أحدهم لماذا أصبح في الغرب مسموحاً أن تسب الذات الإلهية والأنبياء والرسل ولا تستطيع ان تعيد النظر في تاريخ اليهود خلال الحرب العالمية الثانية؟ فمثلاً روجية جارودي راجع مجرد رقم في عدد الضحايا اليهود وهذا من حق أي باحث فقامت عليه الدنيا ولم تقعد.

والآن آن الأوان لنعود إلى بابل بعد أن سقنا هذه الأمثلة عن المكايداليهودية لأربابهم وخطر اللوبي اليهودي المداهم كل استقرار في العالم. وبالمناسبة نبشر أمريكا بأن غداً لناظره قريب بعد أن اخترقت اليهودية أمريكا حتى النخاع، أما بابل وهو محور حديثنا فكانت اليهودية كما أسلفنا أهم أسباب سقوطها.

أما الأسباب الأخرى التي أسهمت في إسقاط بابل كانت المشاكل الدينية وما زاد في الطين بلة تلك الانشقاقات التي تولدت من خلال الصراعات للثقافات الدينية عند معتنقيها. أضف إلى هذا أيضاً سبب آخر مهم وهو تقدمها وتطورها الصناعي والأقتصادي، فالفائض الإنتاجي للأمبراطورية البابلية فرض الحاجة للمزيد من الأسواق التجارية لتصريف الإنتاج فكانت النتيجة: التوسع التجاري من الهند حتى شمال أفريقيا وأوروبا حيث أنشأ السوريون هناك أرقى المدن والحضارات مثل قرطاجنة في تونس التي بنتها ديدون الفينيقية أخت ملك صور الملك بغماليون بالقرن التاسع قبل الميلاد. فكان لهذا التوسع والأنتشار اليد المساعدة في زعزعة أركان الدولة بحيث استقرت كثير من الطاقات البشرية والعسكرية والمادية في تلك الأصقاع البعيدة إلى غير رجعة، وخاصة الجيوش والقوات التي كانت تحمي القوافل والمراكز التجارية.

ولا نستغرب من وصول السوريون إلى أمريكا قبل كريستوف كولومبوس بألفين واربعمائة وعشر سنوات فقد اكتشف علماء الآثار مؤخراً لوحة حجرية في العاصمة البرازيلية (ريودي جانيرو) مكتوبة باللغة السريانية سنة 950 قبل الميلاد تقول اللوحة:

نحن أبناء صيدا مدينة الملك دفعتنا التجارة إلى تلك الشواطئ البعيدة والمناطق الجبلية وقدمنا الذبائح والبخور للآلهة والإلهات في السنة العاشرة لملك احيرام ملكنا القوي وأتينا من اسيون كبر على البحر المنخفض (الأبيض المتوسط) خرجنا على عشر سفن وطفنا حول الأرض وبمشيئة بعل تركنا رفاقنا ووصلنا إلى هنا نحن وعشر ملاحين بقينا سبعة رجال وثلاث نساء في تلك الشواطئ البعيدة

وأنا متحشرت الذي كنت رئيساً تسلطنت (تسلطنت، أصبحت سلطاناً) وإننا نأمل من الآلهة أن يكونوا لنا عوناً.

(عن مجلة بهرو سريويو
السويدية -عدد 143- السنة
الحادية عشر)

ويروى أيضاً أن أبناء سورية قبل ربما خمسة آلاف سنة وصلوا إلى فرنسا وحيث حطت سفنهم سموا ذلك المرسى مرسى ايل وهي مرسيلية اليوم.

هذا غيض من فيض عن مجد البابليين والسوريين، ولكن ما يخجل فعلاً هو انقلاب المفاهيم والقيم عند مدوني التوراة والأناجيل في تقييم السوريين كما جاء في إنجيل مرقس 26:7 - الذي يقول بأنه جاءت إلى المسيح امرأة سورية وسجدت له قائلةً: أعني يا سيد فأجابها قائلاً : أنا لم أُرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة ثم ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب الخ. فهل هذا المنطق يشرف المسيحي السوري ليتناسى يوم كان النسر يتمرا ذليلاً تحت نعل حذائه لسمو مجده وعزه إلى أن تأتي هذه المفاهيم والقيم لتصلبه تحت أقدام كلاب البادية؟

على أية حال تباً لدهر نامت أسوده فاستأسدت فيه الكلاب وغابت نسوره فظهرت محلها البغاة وغربان البين.

الفهرس

في هذا الكتاب يماط اللثام عن بعض القضايا الوثنية السورية، منها لا زالت راسخة في سماويات اليوم كالحية، القربان والصليب ..إلخ..

وتحلق في الزمن البعيد مستمتعاً بين دفتي الكتاب سابراً أعماق مبهمات دينية تنكشف بعد ربطها بمسببات ابتكارها وبواعث اعتناقها، فاختراقك لفكر العابد ليست لوثة كفر وإنما بحث فكر عن الحقيقة وهي من حقوق الإنسان المقدسة، ثم تقرأ عن عيوب وفضائح شعب الله المختار الذي تتبارك في نسله جميع الأمم دون استثناء.

وبعد تعرية الشرانية الصهيونية وذلك بربط كل الممارسات الصهيونية من قتل وإبادة واحتقار الأغيار بآيات توراتية. يسأل الكاتب نفسه هل حقاً تحاملت على الصهيونية ظلماً وعدواناً ؟ أنا أحتقر نفسي إن احتقرت أو كرهت اليهودي من حيث إنه إنسان، وألعن نفسي ألف لعنة إذا لعنت يهودي مرة واحدة من حيث هو بشر مثلي، ولكن أكره كل مكروه تؤمن به الصهيونية وعقائدها الشّرّانية وكل ما أقوله ليس إلا بلسماً مطهراً من العبودية ومن كل ما هو غير أخلاقي ليعيش هذا اليهودي بوئام وبلا تفاضل أو فوقية في هذه الأسرة البشرية دموية وعنصرية وفساد.

الغلاف مناف نفاع & م. نينوى ملكي

يطلب الكتاب من دار رام للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - ص.ب: يرموك 29120 - هاتف 5630559 11 00963